المستقبل العربي





● الدراسات الشرق الأوسطية في اليابان/كورودا و أساكي

● في ذكرى الانتصار على الصليبيين (ملف):

● ادارة الصراع مع الصليبيين/أحمد رمضان

● المجتمع الصليبي في بلاد الشام/سعيد عاشور

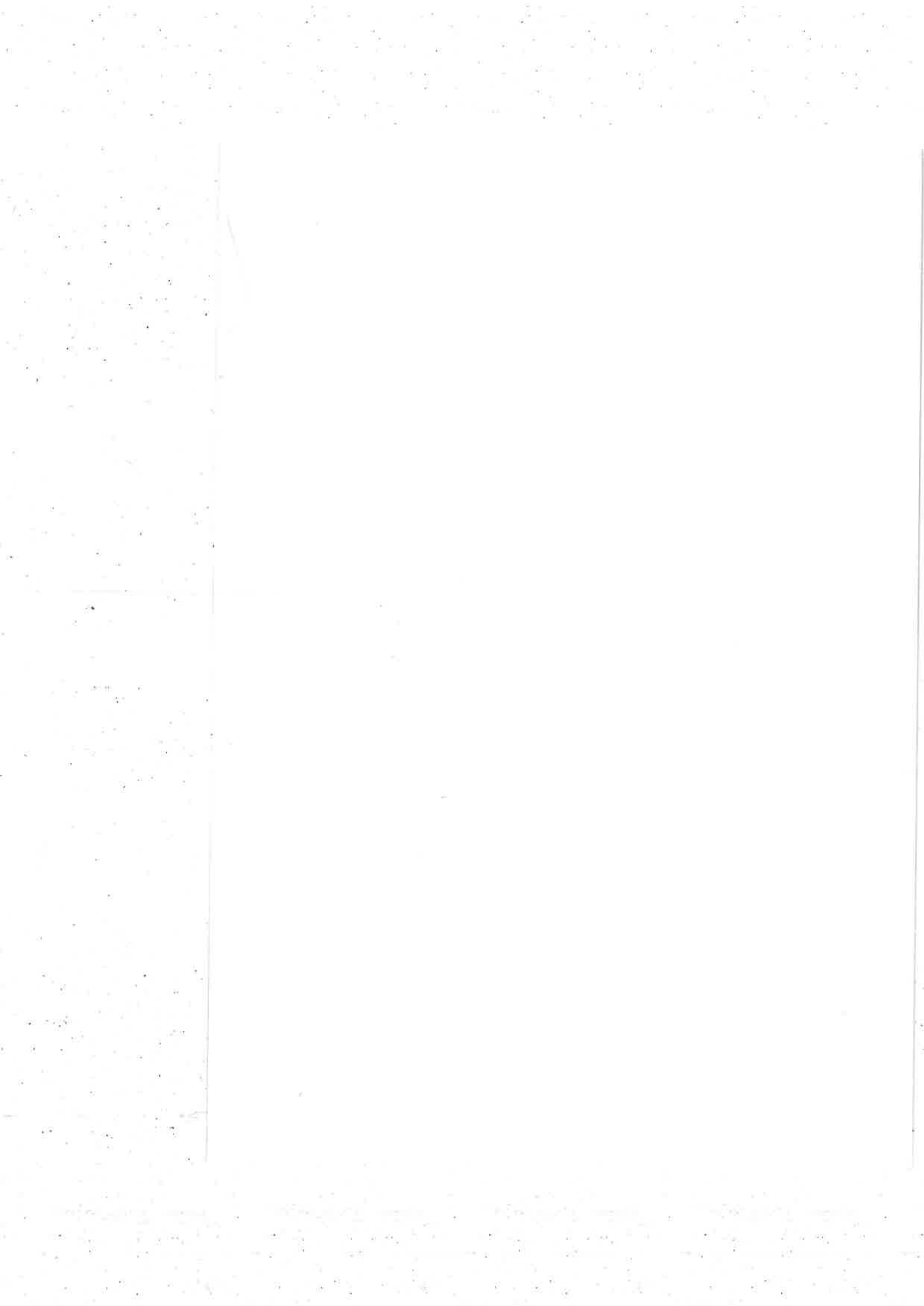
● مواجهة العرب للغزو الصليبي/علي محمود

● الحروب الصليبية في الأدبيات العربية والاوروبية واليهودية/عبده

● الحروب الصليبية والصراع العربي-الاسرائيلي:
أحمد الدجاني - السيد يسين - قاسم عبده - علي الدين هلال - أسامة الغزالي

● هجرة المهنيين العرب إلى الولايات المتحدة
عباس النصراوي

يصدرها "مركز دراسات الوحدة العربية"



المستقبل العربي

مجلة فكرية شهرية تعنى بقضايا الوحدة العربية ومشكلات المجتمع العربي

يصدرها

مركز دراسات الوحدة العربية

(تأسس بموجب علم وخبر رقم ١/٨٧ د لعام ١٩٧٥)

- مركز متخصص في العمل الفكري المتجه رئيسياً نحو مسائل الوحدة العربية.
- يهدف الى ايصال نداء الوحدة للجماهير العربية والأوساط الفكرية على تعدد اتجاهاتها.
- يعنى بدراسة الواقع العربي كخلفية للحالة الوحدوية المنشودة.
- لا يفرض شروطاً مسبقة على مساهمة المثقفين في نشاطاته سوى قناعتهم بالوحدة العربية.
- لا يتخذ أي مواقف سياسية مباشرة ولا يساهم في النشاط السياسي.
- لا يرتبط بأي حكومة ولا يتبنى أي نظام ولا يدخل في محاور أو تحالفات.

المراسلات:

باسم **المستقبل العربي**

بناية «سادات تاور» ص. ب ٦٠٠١ ـ ١١٣ ـ بيروت ـ لبنان

تلفون: ٨٠١٥٨٢ ـ ٨٠١٥٨٧ ـ ٨٠٢٢٣٤ ـ برقياً: مرعربي ـ بيروت ـ تلكس Marabi 23114LE. فاكسيميلي ٨٠٢٢٣٣.

الاشتراك السنوي:

ـ المؤسسات والهيئات في أقطار الوطن العربي وسائر الدول الأجنبية: ٩٠ دولاراً أمريكياً.

ـ الأفراد: لبنان **٥٠ دولاراً أمريكياً.**

بقية اقطار الوطن العربي ٥٠ دولاراً أمريكياً.

خارج الوطن العربي ٧٠ دولاراً أمريكياً.

تدفع اشتراكات الافراد مقدماً.

(١) إمّا بشيك لأمر المركز مباشرة مسحوب على أحد المصارف الأجنبية.

(٢) أو بتحويل الى العنوان التالي: حساب مركز دراسات الوحدة العربية رقم (٠٨٠١٣٥١٣) بالدولار، بنك بيروت للتجارة (Banque Beyrouth pour le Commerce) ـ فرع الحمرا ـ ص.ب ١١٠٢١٦ بيروت ـ لبنان ـ تلكس: Becoba 21457 LE.

المستقبل العربي

وعي الوحدة العربية
وحدة الوعي العربي

السنة العاشرة | العدد مائة واثنان | آب (اغسطس) ١٩٨٧

المحتويات

ملف المستقبل العربي: ثمانية قرون على الانتصار على الصليبيين ١١٨٧ ـ ١٩٨٧ : دروس التاريخ

■ مقدمة ٤

■ الحروب الصليبية في الأدبيات العربية والاوروبية واليهودية .... د. قاسم عبده قاسم ٧

■ ملامح المجتمع الصليبي في بلاد الشام .... د. سعيد عبد الفتاح عاشور ٢٤

■ ملامح الجانب العربي الاسلامي في المواجهة ضد الغزو الصليبي .... د. علي السيد محمود ٤٠

■ حول وسائل الصراع المسلح الاسلامي الصليبي في العصور الوسطى .... د. أحمد رمضان أحمد محمد ٦٤

ندوة المستقبل العربي

■ «الحروب الصليبية ومستقبل الصراع العربي ـ الاسرائيلي» ٨٦

د. أحمد صدقي الدجاني — أ. السيد يسين

د. علي الدين هلال — د. قاسم عبده قاسم

أدار الندوة وأعدها للنشر: د. أسامة الغزالي حرب

□ هجرة المهنيين العرب إلى الولايات المتحدة .... د. عباس النصراوي ١١٠



□ الدراسات الشرق الأوسطية في اليابان .... ياسوماسا كوروداو نوبوؤآسائي ١٢٤

كتب

□ البعد القومي للقضية الفلسطينية: فلسطين بين القومية العربية والوطنية الفلسطينية (ابراهيم ابراش) .... فكتور سحاب ١٤٥

□ البطالة المقنعة في الوطن العربي (سمير عبده) .... أميرة حجو ١٥٥

مؤتمرات

□ ندوة «الدولة والمجتمع في المغرب العربي» .... قيس خزعل جواد ١٦١

* موجز يوميات الوحدة العربية ١٦٨

* ببليوغرافيا الوحدة العربية ١٧٥

آراء الكتّاب لا تعبّر بالضرورة عن اتجاهات
يتبنّاها «مركز دراسات الوحدة العربية» أو «المستقبل العربي»

المدير المسؤول: وديع عون

ثمانية قرون على الانتصار على الصليبيين ١١٨٧ ـ ١٩٨٧

مقدمة

بمجيء عام ١٩٨٧، تكون قد مرّت ثمانية قرون كاملة، على الانتصار العربي الإسلامي بقيادة صلاح الدين الأيوبي على الصليبيين. ففي الرابع من تموز / يوليو ١١٨٧ وقعت معركة حطين التاريخية، وفي الثاني من تشرين الأول / أكتوبر من العام نفسه (١١٨٧) دخل صلاح الدين على رأس جيشه المنتصر إلى مدينة القدس، منهياً الوجود الصليبي بها.

وعلى الرغم من أن الوجود الصليبي في المشرق العربي استمر بعد ذلك لما يقرب من مائة عام، قبل أن يزول نهائياً، إلا أن وقائع عام ١١٨٧ ظلت هي نقطة التحول الحاسمة في تاريخ ذلك الوجود، والتي بدأ بعدها في الاضمحلال التدريجي.

وإذا كان العام السابع والثمانون من كل قرن تال، ظل يعيد إلى الأذهان ذكرى ذلك الانتصار المجيد، فإن العام ـ السابع والثمانون ـ من القرن العشرين، يعيد تلك الذكرى وسط مناخ جديد، لم تشهده القرون السابقة. انه مناخ تتكرر فيه على نحو مدهش وفريد، الوقائع نفسها التي شهدها المشرق العربي إبان الغزوة الصليبية: وجود أجنبي دخيل يفد إلى المنطقة، بدعم من العالم الأوروبي، ويغتصب قطعة من الأرض العربية، هي أيضاً في فلسطين أساساً، ويقيم كياناً مصطنعاً يدخل في صراع مرير مع أبناء المنطقة. فإذا كانت وقائع القرون الحادي عشر، والثاني عشر والثالث عشر الميلادي قد حسمت في النهاية لصالح الطرف العربي الإسلامي، فإن وقائع القرن العشرين لم تزل معلقة لم تحسم بعد.

والمشابهة التاريخية المثيرة تغري طرفي الصراع الحالي (العرب والاسرائيليين) بالتحليل العميق للصراع القديم لتعلم دروسه، واستلهام عظاته.

والواقع أن العلماء الاسرائيليين واليهود لم ينتظروا ذكريات الغزوة الصليبية، كي يتناولوها بالتحليل والتفسير، ولكنهم، على العكس تماماً، أولوا منذ أمد بعيد التجربة الصليبية عنايتهم

القصوى، وبذلت جهود عديدة للإجابة عن التساؤل حول أسباب زوال واندثار الغزوة الصليبية أمام القوى العربية ـ الإسلامية، وحول كيفية تلافي إسرائيل لتلك الأسباب.

وفي المقابل، فإن وفرة الأدبيات العربية حول الغزوة الصليبية إنما ترتبط في غالبيتها العظمى بالسرد التاريخي للوقائع، وتتسم بالحماس والعاطفة أكثر منها بالتحليل الموضوعي. ومع ذلك، فإن الحاجة الراهنة إلى الدراسة العميقة للغزوة الصليبية وتمثّل دروس المواجهة العربية الإسلامية لها، تعلو فوق أي شك.

ـ فجوهر ما تمثله المواجهة العربية الإسلامية ضد الصليبيين، إنما يتمثل تحديداً فيما تنطوي عليه وحدة المنطقة العربية من امكانيات هائلة. إنها الشرط الأولي الذي لا غنى عنه، لتحويل الطاقات الكامنة إلى قوة فعّالة قادرة على تحقيق الآمال العربية.

ـ وتنطوي المواجهة العربية الإسلامية مع الصليبيين على حسم للجدال حول دور مصر في المنطقة، وموقعها من امكانات القوى العربية. إن ذلك الدور هو شرط أساسي آخر لفعالية القوى العربية.

ـ والمواجهة العربية الإسلامية مع الصليبيين تلقي لنا أضواء كاشفة على ضرورة توافر أيديولوجية كفاحية واضحة المعالم، وعلى الدور الذي يمكن أن تلعبه الزعامة الكارزمية في تحقيق الوحدة.

ولأن هذه الظروف: (مأزق الوحدة العربية ـ عزلة مصر ـ افتقاد أيديولوجية عربية واضحة ـ غياب الزعامة التاريخية) وغيرها، تطبع الوطن العربي في ثمانينات القرن العشرين، فإن دروس التاريخ تظل في حاجة حقيقية للاستيعاب والدرس.

وإذا كان نجاح إسرائيل في الاستمرار والتوسع، والتفوق على حساب الطرف العربي، لم يمنعها من القلق حول مصيرها، تمثلا لعبرة الحروب الصليبية، فالأمر الأكثر أهمية، هو أن فشل العرب المستمر في مواجهة الوجود الصهيوني، والتوسع الصهيوني والتفوق الصهيوني، لا بدّ وأن يدفعهم أكثر إلى القلق حول مصير المواجهة. ولكن خبرة الحروب الصليبية تجعل ذلك القلق العربي مشفوعاً بالتفاؤل والأمل، وهما مشروطان بقدرة الوطن العربي على تجاوز أزمته الراهنة، وعودة مصر إلى صلب الحركة العربية الفاعلة.

في ضوء ذلك كله، فإن مركز دراسات الوحدة العربية، الذي يكرس كل طاقته من أجل تحقيق الوحدة العربية، رأى في مناسبة مرور ثمانية قرون على الانتصار العربي الإسلامي على القوى الصليبية، فرصة ممتازة لنقل الاهتمام العربي بتلك الواقعة إلى مستوى آخر من البحث والدراسة لتجاوز السرد التاريخي إلى التحليل العلمي المتخصص، الذي يزاوج بين الدراسة التاريخية والدراسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والاستراتيجية.

ولتحقيق ذلك، أعدت مجلة «المستقبل العربي» هذا الملف بعنوان «ثمانية قرون على الانتصار على الصليبيين: ١١٨٧ ـ ١٩٨٧» حيث يغطي خمسة موضوعات:

١ ـ الحروب الصليبية في الأدبيات الغربية واليهودية والعربية.
٢ ـ المجتمع العربي الإسلامي في مواجهة الغزوة الصليبية.

٣ ـ المجتمع الصليبي في الشرق العربي.
٤ ـ حول وسائل الصراع المسلح الإسلامي الصليبي.
٥ ـ الحروب الصليبية ومستقبل الصراع العربي ـ الإسرائيلي.

وكما هو واضح في الملف، فقد توافر على دراسة الموضوعات الأربعة الأولى أساتذة بارزون في تاريخ العصور الوسطى، أما الموضوع الخامس والأخير فكان هو محل النقاش في ندوة «المستقبل العربي» لهذا العدد.

صدر حديثاً عن



مركز دراسات الوحدة العربية

المسكريون العرب وقضية الوحدة

الدكتور مجدي حمّاد

الحروب الصليبية في الأدبيات العربية والأوروبية واليهودية

د. قاسم عبده قاسم

استاذ تاريخ العصور الوسطى - كلية الآداب - جامعة الزقازيق بمصر.

كانت «الحروب الصليبية» تعبيراً له مغزاه عن عالم العصور الوسطى؛ في المنطقة العربية وفي الغرب الأوروبي على حد سواء. ففي خضم تلك السلسلة من الحروب، والحروب المضادة، تجلت خصائص أهل ذلك الزمان وقيمهم ومثلهم العليا، وتكشفت سلوكياتهم التي تحمل قدراً مذهلاً من التناقض بين التدين العاطفي والوحشية، بين التعصب المقيت والرغبة في معرفة الآخر، بين الفروسية والشجاعة والنبل والخسة والدناءة الأخلاقية والغدر بالمسالمين.

لقد حملت تلك القصة، بفصولها المتعددة، تعبيراً عن الغرب الكاثوليكي في القرون ما بين الحادي عشر والخامس عشر، وما يموج به من تفاعلات اجتماعية وفكرية واقتصادية وسياسية. كما أن استجابة الوطن العربي لهذه الحركة، من ناحية أخرى، كانت تعبيراً عن واقع الوطن العربي الذي مزقته الخلافات والمنازعات بين حكامه، وأنهكته مخالب التشرذم السياسي وميراث الحقد والمرارة والشك المتبادل بين الذين اعتلوا كراسي الحكم في المنطقة العربية آنذاك.

وعلى الرغم من أن معارك «الحروب الصليبية» لم تكن هي الجانب الوحيد في هذه المواجهة الطويلة المضنية؛ فإن طبيعة المعارك العسكرية دائماً تجعلها أعلى الأحداث التاريخية صوتاً، وإن لم تكن أكثرها أهمية. ولذلك فإن هذه الحروب تركت تأثيرها في ثقافة أوروبا ووجدانها، كما حمل التدوين التاريخي العربي بصماتها التي تمثلت في العديد من الكتابات والحوليات التي شغلت بأبطال المواجهة وأحداثها. فقد ظل قادة الحملات الصليبية أبطالاً في التراث الأدبي الغربي يجسدون قيم القوة والبطولة والعدوانية التي تحفل بها الروح الغربية العسكرية، كما أن نجاح بعض الحملات، ولاسيما الحملة الأولى، ظل إلهاماً على مر العصور بالنسبة لكل مشروعات التوسع والنمو الأوروبي والأمريكي. بل إن تعبير «الحملة الصليبية» لا يزال شائعاً في الاستخدام اليومي في أوروبا وأمريكا حين يعنون قضية عامة طيبة صالحة خيرة وعادلة، من وجهة نظر العالم الغربي ومصالحه. وهذا هو المعنى الذي استخدمه الرئيس الأمريكي ريغان، وهو يتحدث عن خروج الفلسطينيين من بيروت، بعد صمودهم البطولي حوالى ثلاثة أشهر في مواجهة آلة الحرب

الصهيونية، يوم وصف الأمر بأنه «حملة صليبية» ناجحة للغاية.

لقد احتلت قصة «الحروب الصليبية» مكاناً هاماً في الوجدان الغربي عامة. ومنذ سنة ١٠٩٥م وحتى الآن لا تزال المؤلفات والبحوث والكتب والدراسات في تزايد مستمر، وكلها تحاول فهم قصة الحروب الصليبية. كما أن فنون وآداب بلدان الغرب الأوروبي (والأمريكي) لا تزال تحمل بعض مؤشرات تدل على أهمية تلك التجربة التاريخية الفذة في الوجدان الأوروبي.

أما في الجانب العربي الاسلامي، فإن الحروب الصليبية داهمت العرب في ديارهم على حين غرة، وحين اكتشف العرب المسلمون أن الصليبيين جاءوا إلى منطقتهم بقصد البقاء كانت تلك صدمة نفسية مؤلمة. وقد تركت قصة الحروب الصليبية تأثيرها في المؤلفات التاريخية والنتاج الفني والأدبي للمنطقة العربية في حينها بالشكل الذي عكس صداها في الوجدان العربي، كما أن البحث التاريخي العربي الحديث أولى الحروب الصليبية اهتمامه في نطاق الدراسات الاكاديمية. ولكن الأدبيات العربية المعاصرة لم تنتبه إلى أهمية هذه التجربة التاريخية الفذة في تاريخ أمتنا العربية، ولم يلتفت الكتاب العرب إلى هذا الرصيد الكبير من التجارب النضالية ضد العدوان الصليبي. وتصبح حاجة العقل العربي إلى تمثل هذه التجربة التاريخية الفريدة أشد إلحاحاً، في ضوء تجربة الصراع العربي ـ الاسرائيلي التي تحمل كثيراً من أوجه التشابه مع التجربة الصليبية.

وعلى الرغم من أن اليهود لم يكونوا طرفاً أساسياً في هذه المواجهة الطويلة المرهقة بين الحضارة العربية الاسلامية والحضارة الأوروبية الكاثوليكية، فإن الحاح الدراسات الإسرائيلية المعاصرة على اختلاق دور تاريخي لليهود في قصة الحروب الصليبية يجعلنا نفحص الموقف الدعائي للحركة الصهيونية، وهو الموقف الذي يستخدم التاريخ وقصة الحروب الصليبية لخدمة أغراض الدعاية الصهيونية.

وهذه الدراسة تبحث في الأدبيات العربية والأوروبية واليهودية عن قصة «الحروب الصليبية» على مستويين؛ المستوى الأول: يتناول النتاج المباشر للشهود العيان والمعاصرين الذين دوّنوا قصة الحروب الصليبية في الوطن العربي وفي أوروبا. ويتناول المستوى الثاني الدراسات والبحوث والكتب الحديثة التي أنتجها العقل العربي والعقل الأوروبي حول الحروب الصليبية، فضلاً عن البحوث والدراسات التي قام بها باحثون اسرائيليون حول الموضوع نفسه.

ـ ١ ـ

على الرغم من ان المنطقة العربية كانت المسرح الأساسي الذي جرت عليه أحداث الحروب الصليبية؛ فإن الكثيرين من عامة المثقفين في الوطن العربي اليوم لا يكادون يعرفون شيئاً عن تلك الظاهرة التاريخية المثيرة. وربما يكون من أسباب ضبابية صورة التجربة التاريخية في العقل والوجدان العربي اليوم، أن البحث التاريخي قد عجز، حتى الآن، عن تكوين صورة صحيحة بشكل عام عن مغزى التجربة التاريخية العربية في مواجهة الحركة الصليبية التي كان هدفها القضاء على العروبة والإسلام، وتحويل المنطقة العربية إلى منطقة تابعة ومجال حيوي للتوسع والنفوذ الأوروبي. وربما يكون من أسباب هذا الموقف أيضاً أننا لا نزال نعيش مرحلة الاستهلاك الثقافي لما ينتجه العقل الأوروبي في مجالات كثيرة من بينها البحث التاريخي ، ولم ندخل بعد في مرحلة النتاج والإبداع الثقافي.

ومع ذلك فإن تأثير الحروب الصليبية في الأدبيات العربية المعاصرة للتجربة الصليبية يبدو واضحاً في إدراك المؤرخين العرب بحقيقة الغزوة التي قام بها الفرنج تحت راية الدين. وتكشف المصادر التاريخية العربية عن وطن وحضارة في حالة دفاع عن النفس ضد عدو خارجي تسربل بمسوح الدين، على حين تشي تصرفاته على ارض الواقع بأهدافه الإستيطانية التوسعية.

فقد كان الوطن العربي مسرح الحروب الصليبية على مدى قرنين من الزمان. وقد ظل هذا المسرح مشغولاً بالفصل الختامي لقصة الحروب الصليبية طوال القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين؛ إذ كان على المنطقة العربية التي تتعرض للضربات اليائسة والمشروعات الصليبية المتأخرة التي وجهتها القوى الأوروبية وشراذم الصليبيين من قبرص ورودس للشواطىء العربية على البحر المتوسط[١]. وإذا لم تكن «الحروب الصليبية» هي السبب في توقف قوى الدفع والإبداع في الحضارة العربية الإسلامية وجمودها؛ فإن هذه السلسلة من الحروب كانت من أهم عوامل استنزاف قوى الدفاع الإبداعية في هذه الحضارة وتعطيلها. فقد كان على الوطن العربي أن يوجه جهده كله، وأن يحشد طاقاته وإبداعاته جميعاً، في مجال العمل العسكري أو العمل المعنوي الممهد للعمل العسكري والمتابع له. وهكذا، غلبت الصفة العسكرية على هذا الطور من أطوار الحضارة العربية الإسلامية. وعلى الرغم من هذا كله، فإن الوطن العربي لم يكن قد دخل بعد في منحنى التدهور الحاد. فقد كان المستقبل لا يزال يحتفظ للعرب ببعض أعظم إنجازاتهم الثقافية والعسكرية.

ويهمنا في هذه الدراسة أن نرصد تأثيرات الحروب الصليبية على ثقافة الوطن العربي بالمعنى الواسع للثقافة؛ آدابه وفنونه، فكره وفلسفته، مثله وقيمه التي دارت حولها أشكال التعبير الفكري وألوان الإبداع الفني والأدبي التي تضمنتها الفنون والآداب بكل مستوياتها.

وفي مجال التدوين التاريخي، يهمنا أن نوضح أن المصادر التاريخية العربية قد رسمت لنا صورة واضحة المعالم للشخصية الصليبية التي تعاملت معها على أرض الواقع. وهذه الصورة، بما تحمله من سلبيات وإيجابيات[٢]. تدلنا على رؤية العقل العربي للتجربة الصليبية في ذلك الحين.

فقد وصفت المصادر العربية الصليبي بأنه «عدو كافر» يتصف بالقسوة والجمود إلى حد الوحشية، وأوضحت أن مستواه الحضاري أدنى كثيراً من العرب[٣]. وهناك الكثير من الأخبار التاريخية التي تبرر هذا الوصف للصليبي بالوحشية[٤]. هذه القسوة والوحشية التي وُصم بها

---

(١) كان اقتحام المصريين لعكا بقيادة السلطان الأشرف خليل بن قلاوون سنة ١٢٩١م نهاية للوجود الصليبي على الأرض العربية، وبعدها تجمعت شراذم الصليبيين في جزيرة قبرص ورودس. انظر:
Steven Runciman, *A History of the Crusades*, 3 vols. (New York: [n. pb.], 1967), vol. 3, pp. 387 ff.

(٢) قاسم عبده قاسم، «صورة المقاتل الصليبي في المصادر العربية،» **المجلة التاريخية المصرية**، العدد ٢٧ (١٩٨٠)، ص ٩ ـ ٣٧.

(٣) العماد الكاتب الاصفهاني، **الفتح القسي في الفتح القدسي**، تحقيق وشرح وتقديم محمد محمود صبح (القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٥)، ص ٥١.

(٤) انظر على سبيل المثال، كمال الدين عمر بن احمد بن العديم ، **زبدة الحلب من تاريخ حلب**، عني بنشره سامي الدهان، ٣ ج (دمشق: المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ١٩٥١ ـ ١٩٦٨)، ج ٢، ص ١٣٢ ـ ١٣٣ و١٤٢؛ =

الصليبيون هي في حقيقة أمرها، تعبير عن المستوى الحضاري الذي عاشته شعوب أوروبا في تلك المرحلة التي شهدت اكتمال ملامح حضارة أوروبا في العصور الوسطى. ومن ناحية أخرى، كان أولئك هم أحفاد الجرمان الذين داسوا أوروبا بأقدامهم البدوية العنيفة فيما بين القرن الخامس والقرن الثامن للميلاد. كما أنهم كانوا إفرازاً لمجتمع لا يزال في طور الفتوة والبداوة والحيوية الدافقة.

وكان من الطبيعي ـ في تلك الفترة ـ أن تتعامل المصادر التاريخية العربية مع الشخصية الصليبية من منطلق عدائي. وهي في هذا تعكس المشاعر التي خلفها العدوان الصليبي في وجدان الجماهير العربية. حقاً إن القرآن الكريم يضع المسيح عليه السلام في مرتبة سامية بين الرسل والأنبياء، كما أن على المسلم أن يؤمن بنبوة المسيح، ولكن تكفير المصادر العربية للصليبيين لم يكن تكفيراً دينياً باعتبارهم مسيحيين، وإنما هو تكفير سياسي باعتبارهم معتدين. لقد كانت الحروب الصليبية حرباً مثل أية حرب أخرى على الرغم من تسربلها برداء الدين، فقد جاء الصليبيون ليشنّوا حرباً عدوانية ضد العرب المسلمين بهدف انتزاع الأرض والاستيطان. وحين وصلت انباء هذه الحرب إلى العالم العربي الاسلامي «... قلق الناس لسماعها وانزعجوا لاشتهارها... فشُرع في الجمع والاحتشاد وإقامة مفروض الجهاد...»[٥] هكذا كان النضال ضد الصليبيين تحت راية الجهاد الإسلامي. ومن غير المنطقي والمقبول أن يكون الجهاد ضد من لايعده المسلمون عدواً كافراً.

بيد أن المصادر التاريخية العربية، في تعاملها مع الشخصية الصليبية من حيث كون الصليبي عدواً كافراً، لم تخل من الموضوعية؛ فقد احترم المؤرخون العرب في اعدائهم صفات الشجاعة والبسالة والقدرة القتالية، فضلاً عن الجلد وقوة التحمل. ويسوق لنا «أسامة بن منقذ» عدة أمثلة تؤكد هذه الصفات[٦]، ويشاركه ابن شداد نغمة الإعجاب باحتمال الصليبيين وجلدهم[٧]. كذلك تتحدث بعض مصادر عربية أخرى عن فرسان الصليبيين وشجاعتهم وقدراتهم القتالية[٨]. بيد أن شجاعة المقاتل الصليبي كانت مقرونة بصفتين متناقضتين: الحذر الشديد

= أبو يعلى حمزة بن اسد بن القلانسي، **ذيل تاريخ دمشق**، وهو تتمة لتاريخ هلال الصابي تتلوه تواريخ ابن الازرق الفارقي وسبط ابن الجوزي والحافظ الذهبي، تحقيق هـ.م.امدروز (بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين، ١٩٠٨)، ص ١٣٥ ـ ١٣٧؛ أبو عبد الله محمد بن علي بن شداد، **سيرة صلاح الدين الأيوبي المسماة بالنوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية**، وفي ذيله منتخبات من كتاب التاريخ لصاحب حماه تأليف تاج الدين شاهنشاه بن ايوب (القاهرة: مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح، ١٩٢٧)، ص ١٤٧؛ ابو المظفر اسامة بن مرشد بن منقذ، **كتاب الاعتبار**، ص ٦٧ ـ ٦٨، وابو الحسن علي بن محمد بن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج ١٠، حوادث سنة ٤٩٢هـ، ٥٠٨هـ. انظر أيضاً روايات المؤرخين الصليبيين عن حوادث القتل والتعذيب والدمار الوحشية التي ارتكبها الصليبيون عند استيلائهم على القدس. قاسم عبده قاسم، **الحروب الصليبية: نصوص ووثائق**، ص ٢٥٠ ـ ٢٧٧.

(٥) ابن القلانسي، المصدر نفسه، ص ١٣٤.

(٦) ابن منقذ، المصدر نفسه، ص ٦٤ و ٦٨ ـ ٧١.

(٧) ابن شداد، **سيرة صلاح الدين الأيوبي المسماة بالنوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية**، ص ٢٩، ١٥٦، ١٧٨ و ١٨٠.

(٨) ابن القلانسي، **ذيل تاريخ دمشق**، ص ١٦١، وعبد الرحمن بن اسماعيل أبو شامة، **كتاب الروضتين في اخبار الدولتين**، ص ٥٨.

والغدر[٩]. وقد تنبهت المصادر التاريخية العربية إلى هاتين الصفتين وأوردت أمثلة عديدة للدلالة على ذلك[١٠].

وتكشف الأمثلة التي ساقها المؤرخون العرب المعاصرون لأحداث الحروب الصليبية عن أن الصليبيين لم يكونوا يغامرون بدخول معركة ضد المسلمين ما لم تكن نتائج المعركة مضمونة تماماً في تقديرهم. كما تكشف المصادر التاريخية العربية عن انهم كانوا يميلون إلى القيام بعمليات عسكرية سريعة ومضمونة، ويبحثون دائماً عن النصر السريع السهل؛ متوسلين إلى ذلك بالحيلة والخداع.ومن ناحية أخرى، كان الصليبيون شديدي الاهتمام بالحصون والقلاع؛ سواء في المدن التي احتلوها على الأرض العربية، أو حتى أثناء قيامهم بالهجوم أو حصار المدن العربية. فقد كانت التحصينات والقلاع والخنادق من أهم ركائز النظام الدفاعي في المستوطنات الصليبية في فلسطين والشام، كما كانت هجماتهم تتم تحت ستار الأبراج المتحركة الضخمة التي تشبه القلاع أيضاً. والأمثلة كثيرة ومتواترة في المصادر التاريخية العربية حول ذلك[١١].

ويمكن تفسير الحذر الصليبي في ضوء إحساس الصليبيين بانتمائهم إلى كيان دخيل قائم في محيط بشري معاد يتحين الفرصة للإطاحة بهذا الكيان. وربما كان هذا الإحساس كامناً في اللاشعور في بداية الحركة الصليبية والانتصارات التي حققتها الحملة الأولى؛ ولكن تصاعد المقاومة العربية الاسلامية، ثم تنظيمها بحيث انتقلت إلى مرحلة الهجوم افقد هذا الكيان الدخيل احساسه بالأمان، لا سيما وأن المقاومة ضده لم تتوقف طوال وجوده على الأرض العربية في فلسطين.

والواقع التاريخي يدلنا على أن أية مجموعة استيطانية وسط اكثرية معادية لا بد لها من التمركز في مجموعة من المدن والقلاع الحصينة، وأن تهتم بتدعيم قوتها العسكرية لكي تؤمن وجودها. وهو ما يصدق على الكيان الصليبي في بلاد الشام. وإذا كانت المصادر التاريخية العربية قد لاحظت اهتمام الصليبيين بالتحصينات، فإن استماتة الصليبي في الدفاع عن مدنه وقلاعه لفتت انتباه المؤرخين العرب المعاصرين أيضاً. ويمكن تفسير هذه الاستماتة والضراوة في الدفاع عن المدن والقلاع الصليبية، في ضوء الحقيقة القائلة بأن خروج الصليبيين من المدن والأراضي التي

---

(٩) يحاول احد المؤرخين المحدثين تبرير الحذر الصليبي بقوله «... إن الشجاعة لا تعني أن يغض الفارس بصره عن الأخطار الماثلة، كما أنها لا تعني التهور أو الاندفاع الطائش، وإنما تعني القدرة على تحديد حجم الخطر وتقدير مداه في هدوء لا يدع للخوف سبيلاً إلى نفس الإنسان...» انظر:
M. R. B. Show, Joinville and Villehardouin, *Chronicles of the Crusades* (London: Penguin Books, 1973), p. 15.

(١٠) يقول ابن منقذ: «... وهم لعنهم الله اكثر الناس احترازاً في الحرب...» انظر: ابن منقذ، **كتاب الاعتبار**، ص ١٢.

(١١) ابن القلانسي، **ذيل تاريخ دمشق**، ص ١٤٩، ١٦٣، ١٦٧ ـ ١٦٨، ١٨٥ ـ ١٨٦، ٢١٣ ـ ٢١٤ و٢٩٧ ـ ٢٩٩؛ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج ١٠، ص ١٠٣ ـ ١٣٩، وج ١١، ص ١٤٨؛ ابن شداد، **سيرة صلاح الدين الأيوبي المسماة بالنوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية**، ص ٩٠، ٩٤، ١٠٠ ـ ١٠١ و٢١٣ ـ ٢١٤؛ ابن العديم، **زبدة الحلب من تاريخ حلب**، ج ٢، ص ١٤٢؛ ابن منقذ، المصدر نفسه، ص ٥٦ ـ ٥٧، وابو الحسين محمد بن احمد بن جبير، **رحلة ابن جبير في مصر وبلاد العرب والعراق والشام وصقلية: عصر الحروب الصليبية**، تحقيق حسين نصار (القاهرة: مكتبة مصر، [١٩٥٥])، ص ٢٩١ ـ ٢٩٢ و٢٩٤ ـ ٢٩٥.

احتلوها في بلاد الشام كان يعني النهاية بالنسبة لهم؛ وهو ما حدث بالفعل عندما قام المصريون بإنهاء الوجود الصليبي في المنطقة العربية في نهاية القرن الثالث عشر الميلادي. وهناك الكثير من الأمثلة التي أوردتها المصادر التاريخية على استماتة الصليبيين في الدفاع عن حصونهم[١٢].

هذه الصورة، بتفاصيلها الفرعية، التي تدعمها كثير من الأمثلة التي أوردتها المصادر التاريخية العربية، تكشف عن وعي عربي عام بخطورة التجربة التي خاضتها الأمة العربية في مواجهة الصليبيين طوال الفترة ما بين القرن الثاني عشر حتى نهاية القرن الخامس عشر من الميلاد. هذا الوعي بالتفاصيل الصغيرة كان يتبلور من وعي أشمل بخطورة الهجوم الصليبي على دار الإسلام عامة، وعلى المنطقة العربية على نحو خاص. وقد كشفت كتابات مؤرخين من أمثال «ابن واصل» و «ابن عبد الظاهر» و «المقريزي» و «ابن الفرات» و «ابن تغرى بردى» وغيرهم عن هذا الوعي الذي كان نتاجاً للتأمل الهادىء لتلك الظاهرة التاريخية بعد نهايتها.

ومن المسلم به أن الآثار والنتائج التي تنجم عن الحروب في المجتمعات البشرية لا تظهر بين عشية وضحاها؛ لاسيما في مجال التأثير الثقافي. ومن ناحية أخرى، فإن هذه الآثار والنتائج لا تختفي بمجرد توقف عجلة الحرب عن الدوران؛ وإنما تتخذ لنفسها شكل تيار اجتماعي/ثقافي مستمر ومتصاعد، بحيث يفرض نفسه في فنون المجتمع وآدابه التي تعبر عن الرؤية الشعبية الوجدانية للحدث التاريخي.

ففي ذلك العصر الذي شهد أول هزيمة كبرى للعرب المسلمين في تاريخهم، والذي شهد خطراً استيطانياً يقتطع أجزاء غالية من قلب الوطن العربي، شاعت في الشعر والأدب أنماط جديدة عبرت عن تطور الحالة الوجدانية طوال فترات تلك المواجهة الصعبة. فقد عجز الناس عن تفسير ما حدث نتيجة للحملة الصليبية الأولى، ونجاحها في الاستيلاء على بيت المقدس وأجزاء كبيرة من بلاد الشام. فقد كان الصليبيون أقل عدداً، وأضعف عدة، كما كانوا أدنى في مستواهم الحضاري من المسلمين. وعلى الرغم من ذلك، انتصروا بفضل التشرذم السياسي وأنانية حكام المنطقة العربية آنذاك. وتطلب الأمر قرنين من الزمان، حافلين بالصراع والقتال والجهد الشاق، للقضاء على الكيان الصليبي الدخيل. وكانت تلك صدمة نفسية مؤلمة عجز الحكام عن تفسيرها؛ فلجأ الخيال الشعبي إلى التفسير الوجداني والتعويض النفسي من خلال حكايات «ألف ليلة وليلة» وغيرها من الفنون الشعبية[١٣]. هذا التفسير الوجداني لحوادث الحروب الصليبية كان تجسيداً للعلاقة بين الفن والتاريخ. وقد سربت الحروب الصليبية بعض آثارها في أكثر من مائتي ليلة من ليالي «ألف ليلة وليلة»[١٤].

وإلى جانب الأدب الشعبي، تركت الحروب الصليبية تأثيرها الواضح في ذلك التراث الشعري الكبير الذي جاء تعبيراً عن ظروف المنطقة العربية الإسلامية، في مرحلة المواجهة

---

(١٢) ابن شداد، المصدر نفسه، ص ٩١، ٩٣ ـ ٩٤، ١٢٠، ١٦٧، ٢٢٣ ـ ٢٢٤ و٢٢٦ ـ ٢٢٧، والاصفهاني، **الفتح القسي في الفتح القدسي**، ص ٦٥، ١٢٤، ١٢٩ و٢٧٣ ـ ٢٧٤.

(١٣) قاسم عبده قاسم، **بين الأدب والتاريخ** ([د. م.]: دار الفكر، ١٩٨٦)، ص ٧٥ ـ ٧٧.

(١٤) هي حكايات «الملك عمر النعمان وولديه شركان وضوء المكان»، و «علي نور الدين ومريم الزنارية»، و «الصعيدي وزوجته الفرنجية». انظر: قاسم عبده قاسم، «الرؤية الشعبية للحروب الصليبية في الف ليلة وليلة»، **مجلة المأثورات الشعبية**، السنة ٢، العدد ٦ (نيسان/ابريل ١٩٨٧)، ص ٨٥ ـ ٩٩.

التاريخية ضد العدوان الصليبي[١٥]. ومن البديهي أن ذلك العصر الزاخر بالأحداث الجسام قد ترك بصماته على شعرائه وأدبائه، وعلى نتاجهم بالقدر الذي يجعل منه مصدراً هاماً من مصادر تاريخ تلك الفترة. ومن ناحية أخرى، كان التراث الشعري والأدبي الذي خلفته فترة الحروب الصليبية نتاجاً أو صدى للحوادث التاريخية.

هكذا كانت الحروب الصليبية في الأدبيات العربية زمن تلك الحروب، تعبيراً متكاملاً عن وعي العقل العربي المسلم بأبعاد هذه التجربة التاريخية الشاقة. ثم جاء زمن تدهورت فيه الثقافة العربية الإسلامية، وتخلت عن مكان الريادة، كما تحول العقل العربي إلى حال من الركود ثم التبعية التي جعلته يرى في ثقافة الغرب الأوروبي ثقافة مرجعية. وكانت أخطر نتائج فترة القهر الاستعماري في الوطن العربي في العصر الحديث هي تحول العقل العربي من الإبداع والإنتاج الثقافي إلى الاستهلاك للمواقف والاتجاهات الثقافية التي يبدعها العقل الأوروبي والأمريكي.

وفي مجال الدراسات التاريخية، تبدو المفارقة أكثر وضوحاً. فعلى الرغم من العمق التاريخي للأمة العربية وجذورها الضاربة في أعماق الزمن، وعلى الرغم من تنوع التجارب التاريخية التي مرت بها أقطار الوطن العربي؛ فإن الوعي العربي بالتاريخ وخبراته التراكمية يبدو ضئيلاً للغاية اليوم. ونحن نتصرف وكأننا قوم يبدأون من الصفر، إعتماداً على أرصدة الآخرين. ويفتقر موقف العقل العربي من الخبرات التاريخية التي يحفل بها تراث العرب إلى مقومات الوعي بالوظيفة الاجتماعية السياسية لعلم التاريخ. ومن ناحية أخرى، يكشف تاريخ التدوين التاريخي في الثقافة العربية عن انجازات كبيرة للعقل العربي في هذا المجال، قبل عصور التدهور التي ما زلنا نعاني آثارها السلبية حتى الآن. فقد كتب المفكرون والمؤرخون العرب في تاريخ التاريخ ومناهجه وفلسفته وأصوله، ووصلوا بهذا العلم إلى قمة التطور في ظروف عصرهم الموضوعية. ومع ذلك، فإن البحث التاريخي اليوم في الوطن العربي لا يزال ، بصفة عامة، يبدو وكأنه فرخ من أفراخ البحث التاريخي لدى الغرب الأوروبي.

وعلى الرغم من ان بعض الدراسات والبحوث لمفكرين عرب في المشرق والمغرب تكشف عن درجة عالية من الوعي، والقدرة على استخدام الرصيد التاريخي لحساب الحاضر والمستقبل؛ فإن مثل هذه الكتابات تظل جهوداً فردية متناثرة هنا وهناك، دون خطة للتخلص من حال التبعية واستهلاك ما يصدره الغرب من أفكار ومناهج ونظريات. إن هذا الوضع يكشف عن أننا بحاجة حقيقية إلى جهود كبيرة لاعادة كتابة، وقراءة، التاريخ العربي على نحو يخرج به من نطاق «الإرث» إلى مجال «التراث»، ويحوله من نمط «التاريخ العبء» إلى نوع من «التاريخ الحافز».

واللافت للنظر حقاً أننا نكتب التاريخ، ونقرأه في كثير من الأحيان على أنه نوع من قصص الماضي تحكى في مجالس السمر، كما أن البعض يظنه حلية تزدان بها الرؤوس الفارغة، أو أنه نوع من «التاريخ المعلب» يمكن استعماله في المناسبات و «حسب الطلب». وقليلون هم الذين أدركوا أهمية التاريخ باعتباره علماً ذا وظيفة اجتماعية/سياسية. وقد أدرك هذا النفر من المفكرين العرب أن التاريخ علم يتصل بالماضي في موضوعه حقاً، ولكنه يرتبط بالحاضر والمستقبل، من حيث هدفه

---

(١٥) محمد سيد كيلاني، **الحروب الصليبية واثرها في الادب العربي في مصر والشام** (القاهرة: مكتبة مصر، ١٩٤٩)، ص ٢٠٨ ـ ٢٣٦.

ودوره في خدمة الإنسان. وحاول هؤلاء أن يستخدموا مواهبهم في إعادة قراءة تاريخ الأمة العربية على أسس جديدة، ولكن كتاباتهم ظلت أشبه بجزر صغيرة عامرة في بحر الظلمات. وما زلنا نفتقر حتى الآن إلى محاولة جماعية لإعادة فهم التاريخ العربي، بشكل يجعل من التاريخ سلاحاً من أسلحة النضال العربي صوب التقدم والحرية.

وإذا انتقلنا من العام إلى الخاص؛ فإن الأدبيات العربية المعاصرة في تناولها لقصة «الحروب الصليبية» شابها الكثير من القصور وعدم الوعي بقيمة التجربة. وعلى الرغم من أن تجربة المواجهة العربية الإسلامية للعدوان الصليبي، يمكن أن تكشف لجماهير الأمة العربية عن مجموعة فذة من الرموز القومية التي تضيء لنا الطريق، وتبعث في نفوسنا الأمل؛ فإن الوعي العام بهذه التجربة ضئيل إلى حد مخيف. وربما كان ذلك راجعاً إلى مسار الدراسات التي تناولت قصة «الحروب الصليبية» في الأدبيات العربية المعاصرة. فالكثير من هذه الدراسات نحت نحو الدراسة الأكاديمية الضيقة للظاهرة الصليبية بحيث تبدو جزئيات «الظاهرة الصليبية» في هذه الدراسات وكأنها معلقة في هواء التاريخ لا تربطها الجذور بالماضي، كما أن فروعها لا تمتد إلى الحاضر أو المستقبل. كما أن بعض الدراسات القليلة التي حاولت أن تدرس «الحروب الصليبية» دراسة شاملة، قدمت مسحاً تاريخياً بمنهج سردي لهذه الظاهرة. وفي أحيان أخرى اتخذت الكتابات العربية شكلاً عاطفياً يختزل التجربة التاريخية الطويلة في عدة أسماء بطولية، ومواقع انتصر فيها العرب المسلمون.

والحقيقة أن هناك مدا متصاعد القوة في الوعي بأهمية دراسة «الحروب الصليبية» باعتبارها ظاهرة تاريخية هامة؛ ولكن عدداً قليلاً من الباحثين هم الذين ربطوا بين هذه الظاهرة وبين النضال العربي الآني ضد الظاهرة المشابهة وهي «العدوان الصهيوني» على الأمة العربية. واللافت للنظر أن كثيراً من البحوث والدراسات العربية التي نشرت عن الحروب الصليبية في فترة المد القومي العربي، والإحساس المتنامي بضرورة العمل العربي المشترك، قد حملت في مقدماتها أو عناوينها ما يشير إلى إدراك مؤلفيها لأهمية دراسة تلك الظاهرة من منظور معاصر يحاول أن يفيد منها في الصراع العربي ـ الاسرائيلي[١٦].

وإذا كان د. «قسطنطين زريق» قد حاول سنة ١٩٥٩م احصاء ما ساهم به المؤرخون العرب في دراسة تاريخ الحركة الصليبية[١٧]، فإن مرور حوالى ثلاثين سنة على هذه الإحصائية، جعل الدراسات العربية تتضاعف عدة مرات دون حدوث تغير نوعي واضح في هذه البحوث والدراسات التي كان معظمها عبارة عن أطروحات للماجستير والدكتوراه في الجامعات العربية[١٨].

---

(١٦) من الباحثين والمؤرخين العرب د. نظير حسان سعداوي وكتابه: **الحرب والسلام زمن العدوان الصليبي**؛ د. حسن حبشي وكتبه عن «الحملات الصليبية»؛ د. سعيد عبد الفتاح عاشور عن «الحركة الصليبية»، ود. جوزيف نسيم وكتبه عن «حملة لويس التاسع وهزيمته في المنصورة» وكتابه عن «العرب والروم واللاتين في الحملة الاولى».

(١٧) قسطنطين زريق، «ما ساهم به المؤرخون العرب في المئة السنة الأخيرة في دراسة التاريخ العربي في فترة الحروب الصليبية،» **الأبحاث**، المجلد ١٢ (١٩٥٩).

(١٨) ثمة احصائية برسائل الماجستير والدكتوراه في الجامعات المصرية حتى عام ١٩٨٤. انظر: **ندوة التاريخ الاسلامي والوسيط**، تحرير قاسم عبده قاسم ورافت عبد الحميد ([د.م.: د. ن.]، ١٩٨٤). انظر ايضاً: محمد مؤنث أحمد عوض، «ببليوجرافيا الحروب الصليبية: المراجع العربية والمعرّبة،» في: المصدر نفسه، ج ٢ (١٩٨٥)، ص ٣٩٤ ـ ٤٣٣.

والمتأمل في عناوين هذه الدراسات يجد أنها دراسات تتعامل مع التجربة الصليبية باعتبارها تجربة تنتمي إلى الماضي الذي انتهى.

وهكذا، فإن معظم من تناولوا تاريخ «الحروب الصليبية» في الوطن العربي اليوم، لم يحاولوا دراستها من منظور معاصر يحاول الدراسة المقارنة بين الحركة الصليبية والحركة الصهيونية. وهي على أية حال، محاولة غير تعسفية تقوم على أسس علمية واضحة.

- ٢ -

في مقابل هذا الانقطاع بين القديم والحديث في الأدبيات العربية التي تناولت قصة «الحروب الصليبية»، نجد موقفاً مختلفاً تمام الاختلاف في أدبيات الغرب الأوروبي والأمريكي. هذا الموقف الثقافي الأوروبي من تجربة الحروب الصليبية تجسده كلمات المؤرخ الشهير «جوناثان رايلي سميث»؛ إذ يكتب عن ماهية «الحروب الصليبية»، فيقول: كانت الحركة الصليبية واحدة من القوى الكبرى في تاريخنا. فقد جرت معاركها على نطاق واسع، سواء على مستوى الجغرافيا، أو من حيث عدد الرجال الذين خاضوها، وقد حكمت الحروب الصليبية مشاعر الغرب الأوروبي فيما بين سنة ١٠٩٥م وسنة ١٤٠٠م. بشكل شامل، وبحيث انه يندر أن يوجد كاتب تناول الشؤون المعاصرة في تلك الفترة لم يُشر في نقطة ما إلى إحدى الحملات الصليبية، أو إلى مصير الدول التي أسست في غمرة الحملات الصليبية على الشواطىء الشرقية للبحر المتوسط. وحتى اليوم من الصعب أن تقف موقف اللامبالاة من تاريخ الحروب الصليبية التي كانت لا تزال تحتفظ بجاذبيتها حتى القرن الثامن عشر؛ فقد تم شن هذه الحروب لتحقيق هدف يمكن تصويره غاية في النبل وغاية في الخسة أيضاً، وعلى مر القرون ظل الناس يستلهمون الأفكار والحافز من الحروب الصليبية، أو ينظرون إليها باعتبارها درساً موضوعياً للفساد الإنساني. وفي العصور الحديثة يرى الفرنسيون في الحروب الصليبية أول مشروعاتهم الوطنية للاستعمار؛ كما أن البريطانيين في فلسطين سنة ١٩١٧م وكذلك الإسرائيليين في العقود القليلة الأخيرة، اعتبروا انفسهم ورثة لتراث الحملات الصليبية؛ كما أن هناك حركة في الكنائس المسيحية الحديثة، تتألف من علماء لاهوت التحرير وقوى اليسار الجديد، تعبر عن بعض الأفكار التي ساقها المبررون الصليبيون، ربما دون أن يدركوا هذه الحقيقة. وسواء بالخير أو بالشر، قدمت الحملات الصليبية قوى جديدة في سياسات إقليم شرق المتوسط استمرت حوالي ستمائة سنة، وساعدت على غرس عناصر في المسيحية اللاتينية تبدو الآن كما لو كانت جزءاً أصيلاً فيها[١٩].

هذه الكلمات التي نقلناها عن واحد من أشهر مؤرخي الغرب الأوروبي تكشف عن موقف الدراسات التاريخية الأوروبية والأمريكية من هذه التجربة الفذة التي يرى الغربيون فيها «واحدة من القوى الكبرى» المحركة لتاريخهم (وهو موقف يفتقر إليه العقل العربي تماماً كما أوضحنا). وإذا كانت الحركة الصليبية قد ظلت موضوعاً مفضلاً لدى الأوروبيين ثم الأمريكيين منذ سنة ١٠٩٥م وحتى الآن؛ فإن تناولنا لهذا الموضوع يبدأ بتناول موقف المؤرخين الصليبيين من الشخصية العربية الإسلامية، ثم نتطرق إلى موقف الدراسات الأوروبية والأمريكية الآن من ظاهرة «الحروب الصليبية».

---

(١٩) Jonathan Riley-Smith, *What Were the Crusades?* (London: Macmillan, 1977), p. 11.

ولم تكن «الحروب الصليبية» مجرد صدام عسكري، وإنما كانت صراعاً بين حضارتين، بكل ما يحمله هذا الصراع من تيارات واتجاهات قد تكون نتيجة لتعارض هاتين الحضارتين في مرحلة ما من مراحل النمو والتطور. ففي القرن العاشر كانت المقارنة بين الحضارة العربية الإسلامية، والحضارة الأوروبية الغربية تكشف عن أن أوروبا كانت منطقة متخلفة تماماً. وبعد ذلك بقرن من الزمان، كانت اوروبا تحاول أن تنفض عن نفسها غبار التخلف، وبدأت أولى مراحل النمو والتقدم الذي تجلت مظاهره على المستويات كافة.

بيد أن هذا النمو الذي نقل أوروبا الغربية من منطقة ريفية متخلفة إلى منطقة نامية تعتمد على التبادل التجاري، وعلى قدر من النمو الصناعي والمالي خلال قرنين من الزمان، فرض على أوروبا أن تصطدم بالحضارة العربية الإسلامية المتفوقة. ومع زيادة معدل النمو الأوروبي، تصاعدت حدة العداء ضد العرب والمسلمين الذين كانوا يفرضون وجودهم على كل الاتجاهات. وفي ظل الظروف الداخلية للغرب الأوروبي، بدأت تتشكل ايديولوجية تمهد لصدام عسكري واسع النطاق ضد العرب سادة البحر المتوسط من ناحية، ولكي توفر للحضارة الأوروبية النامية مجالاً حيوياً في المنطقة العربية من ناحية أخرى.

وفي خضم هذا التفاعل، كانت الدعاية الكنسية والجهود البابوية تكرس العداء ضد العرب المسلمين، وترسم لهم صورة بغيضة كريهة جعلت الناس في أوروبا الكاثوليكية يتحرقون شوقاً لقتلهم. وكانت الايديولوجية التي افرزت الحملات الصليبية من أهم أسباب الملامح القاتمة التي رسمها المؤرخون والشعراء والأدباء الأوروبيون للعرب والمسلمين زمن الحروب الصليبية.

وتكشف الأوصاف التي أسبغها مؤرخو الحملة الأولى على العرب والمسلمين، بكرم شديد، عن مدى التعصب الذي كان يحكم اوروبا الكاثوليكية آنذاك. فلم يكن الأوروبي ليعترف، أو يسمح، بوجود «الآخر». فهذا «الآخر» لم يكن نتاجاً لمعرفة واقعية؛ وإنما هو نتاج رعاية نزقة غذتها الكنيسة التي كانت تسيطر على الحياة الثقافية في أوروبا العصور الوسطى، كما غذتها روح التدين الشعبي العاطفي الذي يتسم بالتعصب المقيت، في ظل ظروف اجتماعية واقتصادية متدهورة.

والأمر اللافت للنظر أن الشخصية الإسلامية عامة، والعربية خاصة كما جاءت في الخطب التي صاغها المؤرخون الأوروبيون على لسان البابا اوربان الثاني في كليرمون سنة ١٠٩٥م[٢٠]، شخصية مثقلة بكل الشرور والخطايا والآثام التي يمكن أن يحملها البشر. هذا التصوير، أو التصور، العدائي للشخصية العربية والاسلامية، صاغه رجال الكنيسة الذين كتبوا هذه الخطبة على لسان البابا دون أن يرى أحدهم عربياً واحداً أو مسلماً في الطبيعة؛ ولذا فإنهم استخدموا كل براعتهم في هذه الصياغة الكريهة. ولكنهم حين بدأوا يتعرفون على العرب والمسلمين، من خلال الصدام المسلح والمعايشة الواقعية فوق الأرض العربية، اكتشف عامة الصليبيين كيف ضللتهم الدعاية البابوية، وبدأت بعض الملامح الواقعية للشخصية العربية الاسلامية تتسرب إلى ثنايا الصورة التي رسموها؛ وإن ظلت حدة العداء كامنة في كتاباتهم.

---

(٢٠) لم يصلنا نص الخطبة التي القاها البابا اوربان الثاني في كليرمون بجنوب فرنسا ٢٧ تشرين الثاني/نوفمبر ١٠٩٥ في جموع الكاثوليك يحضهم على الخروج في حملة مقدسة تحت راية الصليب ضد المسلمين؛ ولكن وصلتنا خمس صياغات لهذه الخطبة تعكس كل منها رؤية المؤرخ الذي كتبها للحادثة بعد تمامها. انظر هذه النصوص في: قاسم، **الحروب الصليبية: نصوص ووثائق**، ص ٧٣ ـ ٩١.

وازدادت الصورة وضوحاً بعد استقرار الصليبيين في المنطقة العربية. فقد أخذت معلوماتهم السكانية والجغرافية والاجتماعية والدينية عن الوطن العربي تتحسن رويداً رويداً، وتجلت هذه الخاصية بشكل اساسي في كتابات «وليم الصوري». وعلى الرغم من أن المؤرخين الأوروبيين، في ذلك الحين، لم يتخلوا عن عدائهم للحضارة العربية الاسلامية، فإن كتاباتهم اقتربت من الملامح الواقعية للشخصية العربية إلى حد كبير. ولأن الحروب الصليبية، كانت طويلة الأمد، وتخللتها فترات سلام نسبي وتعامل وتبادل مع العرب المسلمين، فقد اكتسب مؤرخو الحروب الصليبية اللاتين خبرات جديدة لأنهم كانوا في وضع يمكنهم من التعرف على حضارتين في مرحلة الصدام والتفاعل المتبادل. فقد توفرت لأولئك المؤرخين فرصة طيبة لأن يعرفوا ان اعداءهم من البشر، وليسوا من الشياطين، كما صورتهم الدعاية في كتابات التمهيد للحرب.

لقد كشف مؤرخو الحملة الأولى، ومنهم الفارس المجهول، وفوشيه دي شارتر، وجيوبرت النوجنتي، وبلدريك الدولي، وريمون الأجويلري، وألبرت الأيكسي عن عدائهم للعرب المسلمين والأتراك دون مواربة[٢١]. بل إن بعضهم كان يبدي سروره في عبارات بليغة لما ارتكبه الصليبيون من اعمال وحشية ضد العرب في بلاد الشام. ولم يخطر ببالهم قط أن يكون لهؤلاء العرب حق في بلادهم؛ وإنما كانوا يرون فيهم مجموعة من الوثنيين الذين يستحقون القتل. وأول ما يلفت النظر في الصورة التي رسمها اولئك المؤرخون للشخصية العربية الإسلامية عداؤهم الشديد للمسلمين من جهة، وجهلهم بحقيقة الدين الإسلامي والثقافة العربية من جهة ثانية. فهم يصمون المسلمين بالكفر والوثنية أحياناً، وبالبربرية والشر أحياناً أخرى[٢٢]. ولم يكن فوشيه الشارتري يحمل أية مشاعر ودية تجاه العرب، أو غيرهم من المسلمين[٢٣].

وما يصدق على فوشيه، يصدق على غيره من المؤرخين اللاتين الذين كتبوا زمن «الحروب الصليبية». ولكن أهم ما يلفت النظر في موقفهم من هذه الحملات انهم ظلوا يعتبرونها في البداية «مشروع الرب» و «حملة المسيح» و «الحملة المقدسة» و «الرحلة المقدسة». وما إلى ذلك. ولم يستخدموا مصطلح الحملة الصليبية سوى في أواخر القرن الثاني عشر. وقد رأوا فيها ـ على نحو أو آخر ـ نوعاً من «الخروج» الثاني في تاريخ البشرية. وقد انعكس هذا الموقف أيضاً في الآداب والفنون الأوروبية في العصور الوسطى.

فقد ترك الشعراء اللاتين كثيراً من الملاحم الشعرية والقصائد ذات الدلالة التاريخية عن عصر الحروب الصليبية، تصلح أن تكون مقياساً هاماً لتطور الفكرة الصليبية في الوجدان الأوروبي؛ منذ البداية وحتى نهاية الوجود الصليبي على الأرض العربية. ومن أهم المعالم البارزة في هذا النتاج «أنشودة انطاكية» La Chanson D'Antioche؛ وهي إفراز شعري للحركة الصليبية

---

(٢١) انظر النصوص التي ترجمناها نقلاً عن هؤلاء المؤرخين في: المصدر نفسه.

(٢٢) Foucher de Chartres, *A History of the Expedition to Jerusalem, 1095-1127,* translated by Frances Rita Ryan, edited with an introduction by Harold S. Fink (knoxville: University of Tennessee Press, 1969), pp. 3-5, 37-38, 94-96, 104-105, 113, 121-122 and 143-146, and M. Hill, ed., *The Deeds of the Franks and other Pilgrims to Jerusalem* (London: [n. pb.], 1962), pp. 33 and 35-38.

(٢٣) عندما سبيت بعض النسوة المسلمات اثناء وجود الصليبيين في انطاكية، عام ١٠٩٨، قال فوشيه في سخرية، وتلذذ ان الفرنج «... لم يفعلوا بهن شراً، وانما بقروا بطونهن بالرماح والحراب...». انظر:
Foucher de Chartres, Ibid., p. 106.

في غرب أوروبا من جهة، وتعبير عن موقع الفكرة الصليبية من الوجدان الأوروبي من جهة أخرى. وهذه القصيدة الطويلة من النوع الملحمي الذي لا نعرف مؤلفه على وجه اليقين[٢٤]. والقصيدة تدور حول أحداث الحملة الصليبية الأولى ويبدو من عدد المخطوطات الكثيرة التي تحمل نصوصاً لهذه الأنشودة، أنها كانت متداولة على نطاق واسع في غرب أوروبا. وتحاول هذه الأنشودة تبرير الحرب الصليبية على أسس مقدسة. فهي تتحدث عن «فرسان المسيح» و«جنود المسيح» و«الشعب المقدس» و«شعب الرب» الذين خرجوا إلى فلسطين «الأرض التي تفيض باللبن والعسل» لكي يحققوا اطماعهم الدنيوية تحت ستار ديني[٢٥].

والحقيقة ان الأغنيات أو القصائد التي انتجها الشعراء الأوروبيون بمناسبة «الحروب الصليبية» كثيرة ومتنوعة، وهي تخلط بين الموضوعات السياسية والدينية والموضوعات العاطفية. وكانت تلبية لحاجة ثقافية/اجتماعية في الغرب الأوروبي آنذاك، فقد تم تأليف التواريخ المنظومة شعراً لمن لا يعرف اللغة اللاتينية كتابة وقراءة[٢٦]. ولدينا طائفة كبيرة من القصائد التي اصطلح العلماء على تسميتها باسم«أغنيات الحروب الصليبية«Les Chansons de Croisade»[٢٧]. وهذه الأغنيات تكشف، تطورها الزمني، عن تضاؤل الاهتمام بالحركة الصليبية في الغرب الأوروبي، وانصراف الظهير الأوروبي الكاثوليكي عن مساندة الكيان الصليبي في المنطقة العربية بفعل التطورات الجديدة التي طرأت على المجتمع الأوروبي والمشاكل التي استنفدت جُلّ الطاقة الأوروبية في حلها داخل الغرب اللاتيني نفسه.

والحقيقة أن كثيرين من الناس في العالم الغربي اليوم، لا يزالون ينظرون إلى مفهوم «الحروب الصليبية» نظرة رومانسية؛ لأنهم يتصورون أنها كانت تجسيداً للعقيدة، وهي تسير بأسلحتها المشرعة تتألق تحت الشمس، ويرون في الصليبيين جيشاً من الرجال النبلاء الذين هذبتهم تقاليد الفروسية والتقوى الدينية على الرغم من حبهم للقتال. وفي كثير من الأحيان نجد المؤرخين والكتاب والساسة في الغرب الأوروبي يجتهدون لتضمين مفهوم «الحروب الصليبية» ومفهوم «الصليبيين» مضموناً إيجابياً، وبقلمهم يتحول المشتركون في هذه الحروب إلى نموذج للنبل ومعيار للتفاني والبطولة والنزاهة، ويظهرون في صورة تجسد الإخلاص، للمثل العليا؛ بسبب الايمان الديني الصادق[٢٨].

وبما أن سوريا ولبنان وفلسطين ومصر، كانت هدف الحروب الصليبية المباشر؛ فإن تاريخ هذه الحروب قد اجتذب من قديم الزمان، الساسة ورجال السلك الدبلوماسي والجواسيس وقادة

---

(٢٤) Lewis A.M. Sumberg, *La Chanson d'Antioche: Etude historique et litérature* (Paris: [s.n.], 1968), p. 318.

(٢٥) المصدر نفسه، ص ٦٦ ـ ٦٧.

(٢٦) لدينا من هذا النمط «انشودة القدس» (La Chanson de Jérusalem) التي تحكي مغامرات الجيش الفرنسي الذي خرج من اللورين الأدنى تحت قيادة الدوق غودفري البويوني. انظر:
Paul Mayer, ed., *Un Récit en vers français de la première croisade fondé sur Baudri de Bourgueil* (Paris: [s.n.], 1976), pp. 1-7.

(٢٧) Joseph Bédier et Pierre Aubry, *Les Chansons de croisades avec leurs mélodies* (Paris: Hitkine, 1909), reprints 1974.

(٢٨) ميخائيل زابوروف، **الصليبيون في الشرق** (موسكو: دار التقدم، ١٩٨٦)، ص ٨ ـ ١٢.

الجيوش؛ فضلاً عن المؤرخين والعلماء في الغرب الأوروبي[٢٩]. ويتشابك العلم مع السياسة على هذا النحو في الأدبيات الأوروبية الحديثة عن الحروب الصليبية. ولهذا نجد في مؤلفات كتاب الغرب الأوروبي والأمريكي كثيراً من الصور المشوهة والمنحازة عن تاريخ هذه الحركة التي كانت الهاماً لأعداد لا تحصى من الكتب والدراسات، بكل اللغات الحديثة في الغرب الأوروبي والأمريكي.

وتبرز في هذا المجال أسماء كثيرين من المؤرخين الغربيين البارزين أمثال «كارل اردمان» الذي كتب بالألمانية، و «رينيه جروسيه»، و «ميشو»، و «بريير» الذين كتبوا بالفرنسية، و «ستيفن رنسمان» و «جوناثان رايلي سميث» و «سيتون» الذين كتبوا بالانكليزية... وغيرهم كثيرون تنوء بمؤلفاتهم رفوف المكتبات من شتى أنحاء العالم. وقد بلغ الاهتمام بتاريخ الحروب الصليبية في الأدبيات الأوروبية والأمريكية حداً فائقاً؛ فقد كتب كثيرون في التاريخ العام للحروب الصليبية، على حين تخصص آخرون في دراسة الاستيطان والكيان الصليبي في المنطقة العربية. واهتم مؤرخون من أمثال كودري وبروندراج بالجوانب القانونية في الحركة الصليبية، كما اهتم اومان وسميل بالشؤون العسكرية عند الصليبيين، وتخصص غيرهم في دراسة الحملات الصليبية، أو في مقارنة فكرة الجهاد الإسلامي بالفكرة الصليبية مثل «لامونت» و «رونالد فينوكان»، أو في البناء الطبقي للكيان الصليبي، أو في الحصون والقلاع الصليبية مثل «لورنس العرب» الشهير.

ولكن أهم ما في هذه الأدبيات الغربية جميعاً، انها تبحث ظاهرة الحروب الصليبية بمفهوم معاصر يعكس الوعي بالوظيفة الحضارية لعلم التاريخ. وحتى الدراسات الأوروبية التي نقدت «الحركة الصليبية» كان نقدها نابعاً من حقيقة أن هذه الحركة فشلت في تحقيق أهدافها. وتفسير هذا الاهتمام الغربي بالحروب الصليبية، ينبع من الحقيقة القائلة بأن «الحروب الصليبية» لم تنته تماماً في الماضي، فهي وثيقة الارتباط بالصراع الايديولوجي والسياسي الجاري على الصعيد العالمي. وهذا ما يفسّر، ويبرر إلى حد ما، الاهتمام بهذه الظاهرة التاريخية التي بدأت أحداثها منذ تسعمائة سنة تقريباً (١٠٩٥م)، والخلاف الذي لا يزال محتدماً بين المؤرخين في فهم الحروب الصليبية. وقد تكوّنت في الولايات المتحدة أخيراً جمعية علمية تاريخية مهمتها دراسة الحروب الصليبية والاستيطان في المنطقة العربية، وعقدت مؤتمرها الأول الذي قدم له الباحثون الأوروبيون والأمريكيون أربع عشرة دراسة عن الحروب الصليبية، ومثلها عن الاستيطان الصليبي على أرض العرب في فلسطين ولبنان وسوريا[٣٠].

هذا الموقف الذي تعكسه الأدبيات الأوروبية والأمريكية التي تناولت قصة «الحروب

---

(٢٩) هناك عدة دراسات ببليوغرافية عن الدراسات التي انتجتها العقول الأوروبية والامريكية عن الحروب الصليبية. انظر:

Hans Eberhard Mayer, *The Crusades,* translated from German by John Gillingham (London: Oxford University Press, 1972).

حيث يقدم اكمل دراسة ببليوغرافية عن الدراسات والبحوث والكتب التي نشرت في الغرب عن الحروب الصليبية. وهناك مجموعات كاملة لأعمال مؤرخي الحروب الصليبية من المسلمين واللاتين والبيزنطيين والأرمن قامت بنشرها مؤسسات علمية عديدة في الغرب الأوروبي والامريكي.

(٣٠) نشر هذا المؤتمر اعماله في كتاب بعنوان:

Peter W. Edburg, ed., *Crusade and Settlement* (Cardiff: University College Cardiff Press, 1985).

والجمعية اسمها «Society for the Study of the Crusades and Latin East».

الصليبية» يبدو لنا موقفاً منطقياً متسقاً مع طبيعة الأمور، على الرغم من أننا قد نختلف مع كثير من توجهاته التي قد تحمل الكثير من التميز والتعصب والشطط . بيد أن الاهتمام الاوروبي والأمريكي يجد مشروعيته في أن «الحركة الصليبية» كانت من القوى الكبرى المحركة في العالم الغربي. ولا يزال مصطلح «الحملة الصليبية» و «الصليبي» مصطلحاً شائعاً في الثقافة الغربية بمفاهيم رومانسية ومثالية تدل على الخير والتجرد والدفاع عن الضعفاء. وهكذا يبدو لنا موقف الأدبيات الغربية من «التجربة الصليبية» تعبيراً عن الثقافة والعقل الأوروبي ـ الامريكي ومدى الوعي بالخبرة التاريخية المكتسبة من التجربة.

ـ ٣ ـ

وإذا كانت الأدبيات العربية والأدبيات الأوروبية، قديماً وحديثاً، قد تناولت موضوع «الحروب الصليبية» بشكل يعكس موقف كل من طرفي الصراع من هذه التجربة التاريخية، فإن الأدبيات اليهودية تناولت الموضوع بشكل يختلف تمام الاختلاف عن موقف طرفي الصراع.

والأدبيات اليهودية التي تناولت قصة «الحروب الصليبية» تنقسم إلى قسمين رئيسيين: القسم الأول هو الأدبيات العبرية التي كتبت زمن الحرب الصليبية، والقسم الثاني يضم الدراسات والبحوث التي قام بها الباحثون اليهود قبل وبعد قيام الكيان الاسرائيلي على الأرض العربية في فلسطين.

ومن الخطأ أن نتصور أن الكتابات اليهودية التي تناولت قصة «الحروب الصليبية» في العصور الوسطى كانت نوعاً من المؤلفات التاريخية الشاملة التي يمكن أن نقارنها بكتابات المؤرخين العرب أو المؤرخين اللاتين الذين عاصروا أحداث «الحروب الصليبية» وكتبوا عنها. ذلك أن الحوليات العبرية تناولت جانباً محدوداً للغاية من قصة هذه الحروب؛ وهو الجانب الذي يتعلق باعتداءات الصليبيين على الأقليات اليهودية في بعض مدن الراين في خضم احداث الحملة الصليبية الأولى، أو الحملة الصليبية الثانية فحسب.

وربما يكون من الأصح أن نضع الكتابات اليهودية المعاصرة للحركة الصليبية في إطار ما يعرف باسم «أدب الشكوى» عند اليهود الأوروبيين؛ وهو نمط من الكتابات الأدبية اليهودية يسجل المآسي والمتاعب التي عاناها اليهود الاوروبيون واسماء الضحايا الذين سقطوا من أبناء الأقليات اليهودية من جراء هذه الأحداث.

وكل ما وصلنا من هذا النوع أربع حوليات عبرية تحكي قصة الاضطهادات التي مارسها الصليبيون ضد الأقليات اليهودية في مدن الراين الواقعة على الطريق الذي سلكه جنود الحملة الصليبية الأولى وقوات الحملة الثانية؛ في أواخر القرن الحادي عشر ومطلع القرن الثاني عشر[٣١]. وثلاث من هذه الحوليات الأربع تحكي قصة الاضطهادات التي تعرض لها يهود أوروبا في غمار احداث الحملة الصليبية الأولى. وهذه الحوليات الثلاث هي:

ـ «The Chronicle of Solomon bar Simson».

---

(٣١) *The Jews and the Crusaders: The Hebrew Chronicles of the First and Second Crusades,* translated and edited by Shlomo Eidelburg (Madison: University of Wisconsin Press, 1977).

أي «حولية سليمان بن شمشون».

The Chronicle of Rabbi Eliezar bar Nathan -

أي «حولية الربي إليعازر بن ناثان».

. The Narrative of the Old Persecutions -

أي قصة الاضطهادات القديمة.

وهذه الحولية الأخيرة معروفة باسم آخر هو «حولية مينز».

واللافت للنظر أن هذه الحوليات الثلاث عبارة عن قصة متكررة للأحداث نفسها، على الرغم من أن بؤرة التركيز الجغرافي، ومدى التركيز على الحوادث، وأسلوب العرض يختلف من واحدة لأخرى. فبينما تركز حولية «سليمان بن شمشون» وحولية «الربي إليعازر بن ناثان» على الأحداث التي جرت في مينز وكولون بالأراضي الألمانية، وتتعامل باختصار مع الأحداث التي جرت ضد اليهود في سباير وورمس. نجد أن حولية مينز تعطي الأولوية للأحداث التي جرت في ميتر وورمس. وتحمل هذه الحوليات سجلاً بأسماء ضحايا العنف الصليبي أثناء خروج قوات الحملة الشعبية التي كانت بمثابة الطليعة لقوات الحملة الصليبية الأولى.

أما الحولية الرابعة فتحمل عنواناً عبرياً هو «سفر زخيراه» أي «كتاب الذكريات» أو «سجل الذكريات». وقد كتبه إفرايم أحد سكان مدينة بون الألمانية عن أحداث الحملة الصليبية الثانية. وهو مثل الحوليات الثلاث الأخرى يدخل ضمن ما يمكن أن نسميه أدب الشكوى اليهودي.

والحقيقة أن وصف هذا النمط من الكتابات بالحوليات، فيه قدر كبير من التجاوز، كما أن وضع هذا النتاج ضمن أنماط التدوين التاريخي المعروفة يحمل قدراً كبيراً من التسامح. فهذه الكتب في حقيقة أمرها، نوع من المذكرات التي حرص أبناء الأقليات اليهودية في غرب أوروبا على تدوينها لكي يقرأوا منها في صلواتهم أسماء أولئك الذين قتلهم الصليبيون في مدن وادي الراين وشمال غرب أوروبا، قبيل وأثناء الحملات الصليبية. وعلى الرغم من أن هذه المذكرات بدأت أصلاً لتسجيل ضحايا الصليبيين من أبناء الأقليات اليهودية؛ فإنها سجلت ضحايا الحوادث والاضطهادات اللاحقة، وظلت جزءاً أساسياً في كتب الصلوات عند الطائفة اليهودية الألمانية، حتى منتصف القرن التاسع عشر.

وإذا كان هذا هو موقف الأدبيات التي كتبها اليهود الأوروبيون المعاصرون للحركة الصليبية، فإن موقف الدراسات الاسرائيلية المعاصرة من تاريخ الحروب الصليبية يثير أكثر من علامة تعجب واستفهام. فلم يكن اليهود طرفاً في المواجهة الحضارية الطويلة المرهقة بين العرب المسلمين من ناحية، والأوروبيين الكاثوليك من ناحية أخرى. بيد أن موقف الأدبيات الصهيونية من تاريخ الحركة الصليبية يكشف عن مدى وعي الصهاينة بأهمية استخدام التاريخ، ضمن اسلحتهم في الصراع ضد العرب. لقد فهم مخططو الدعاية الصهيونية اهمية الاستخدام الذكي للتاريخ والفن باعتبارهما دعامتين أساسيتين في أية سياسة اعلامية ودعائية ناجحة. فالفن وسيلة رائعة لخلق المواقف الوجدانية، وصياغة مشاعر الأفراد والجماعات. والتاريخ لغة قوية تحمل مصداقية ذاتية لدى جمهور الناس في كل زمان ومكان، فضلاً عن أنه نقطة الالتقاء بين الماضي والمستقبل مما يجعل الناس يولونه اهتماماً كبيراً.

والموقف الاسرائيلي من تجربة الحروب الصليبية يخدم الأهداف الصهيونية من عدة جوانب؛ فهو تعبير عن الاتجاه الدعائي الصهيوني لخلق مجموعة من الأكاذيب التاريخية بهدف تحسين صورة اليهودي في الوجدان الانساني العام من ناحية، وتصوير العرب في صورة العالة الحضارية التي عاشت في الماضي على منجزات العبقرية اليهودية من ناحية أخرى. وهذا الموقف يتجسد في كتابات عدد كبير من الباحثين اليهود منهم «إسرائيل ولفنسون»، و«جاكوب مان» و«جويتين» و«أشتور» و«كوهين» و«برنارد لويس»، و«سيفان» و«بنفنستي» و«يوشع براور»... وكثيرين غيرهم ممن تخصصوا في تاريخ وحضارة العرب والمسلمين.

وتتخذ الدراسات الاسرائيلية للحروب الصليبية أربعة اتجاهات أساسية:

ـ محاولة اختلاق استمرارية ما يطلق عليه «تاريخ اليهود»، ليس بالمفهوم الديني، وإنما بالمعنى الحضاري الشامل. وهي محاولة تعسفية تعمد على تشويه الحقائق، كما أنها محاولة زرع كيان تاريخي مفتعل من غيابات الوهم وضباب الأساطير والتحيز، ولا يقوم على أساس علمي، لأن الدين وحده لا يكفي لخلق التاريخ المشترك في غياب الأرض والتفاعل الاجتماعي والتواصل الثقافي بين من يعتنقون هذا الدين.

ويحاول الباحثون الاسرائيليون اختلاق استمرارية تاريخية مستقلة للوجود اليهودي في مواجهة العدوان الصليبي على أرض فلسطين، كما يحاولون تصوير الاضطهادات الصليبية ضد يهود أوروبا في زمن الحروب الصليبية على أنها بداية لظاهرة معاداة السامية، على الرغم من أن الظروف التاريخية التي أفرزتها تختلف كثيراً عن ظروف اليهود تحت الحكم النازي في القرن العشرين.

ـ اختلاق دور تاريخي لليهود يصورهم في صورة أصحاب الوطن الذي وقع عليه العدوان الصليبي، ويحاول الباحثون الاسرائيليون تأكيد حق اليهود التاريخي المزعوم في فلسطين، من خلال الترويج لمثل هذه الأكاذيب.

ـ تشويه التجربة النضالية للأمة العربية في مواجهة الصليبيين من خلال الدراسات التي تحاول النيل من أبطال التاريخ العربي من أمثال «صلاح الدين» أو «الظاهر بيبرس»، أو «المنصور قلاوون»، والبحث عن أصولهم العرقية لنفي صفة العروبة عنهم، متجاهلين ان العروبة ثقافة وانتماء حضاري، ولم تكن أبداً مسألة عرق أو دماء.

ـ دراسة الكيان الصليبي من منظور الصراع العربي ـ الاسرائيلي. بمعنى عقد الدراسات المقارنة في مشاكل الاستيطان، ومشاكل الموارد البشرية والعلاقات الدولية وتأثيرها على مساندة الكيان الصليبي في العصور الوسطى، فضلا عن محاولة فهم عوامل الإخفاق والفشل التي أودت بالكيان الصليبي مع مراعاة الثوابت والمتغيرات في الحركة التاريخية من ناحية، وعلاقات القوى الدولية من ناحية أخرى.

وتتميز الدراسات الاسرائيلية للحركة الصليبية بإسقاطاتها المعاصرة على الصراع العربي ـ الإسرائيلي في مشكلات الأمن والحدود والعلاقات مع المحيط العربي المعادي والرافض للوجود الاسرائيلي. وهناك من يهتم بدراسة المقومات البشرية والاقتصادية والعسكرية للكيان الصليبي، ومن يهتم برصد العلاقة بين هذا الكيان والكيان الأوروبي المساند له. وفريق من الباحثين اليهود

وجه اهتمامه إلى دراسة مشكلات الاستيطان والهجرة[٣٢].

وفي طيات هذه الدراسات جميعاً، نجد الترويج للأكاذيب والأوهام تحت مظلة الدراسة التاريخية؛ فمن الباحثين الاسرائيليين من يحاول الترويج لوهم عدم قدرة العرب ـ وخصوصاً المصريين ـ على القتال، على حين يتحدث غيره عن رموز التاريخ العربي بشكل ينقص من قيمتها التاريخية؛ سواء أكانت هذه الرموز من ابطال العرب أم من المعارك التي كسبوها... هذه كلها، وأمور أخرى غيرها، هي التي تميز باحثاً يهودياً عن غيره، ولكن الكتابات الاسرائيلية كلها تصب في المجرى العام للعملية الدعائية الصهيونية.

هذه الدراسة تكشف عن ان قصة الحروب الصليبية لم تكن قصة تنتمي إلى الماضي وانتهت، ولكنها قصة تمد تأثيراتها إلى الحاضر والمستقبل. وهي لهذا السبب احتلت حيزاً كبيراً في أدبيات العرب واللاتين في العصور الوسطى باعتبارهما طرفي الصراع آنذاك، كما أن قصة «الحروب الصليبية» لا تزال تحظى باهتمام كبير لدى العرب والأوروبيين والأمريكيين والصهاينة اطراف الصراع في الزمن الحالي.

ولا يستطيع أحد اليوم، سواء في منطقتنا العربية أو في الغرب الأوروبي والأمريكي ان يقف موقف اللامبالاة من تجربة الحروب الصليبية، سوى عن جهل أو جهالة. وهذا ـ في تقديري ـ السبب المباشر في ذلك العدد الهائل من الكتب والبحوث التي انتجتها الأقلام العربية والأوروبية واليهودية حول موضوع واحد هو «الحروب الصليبية»□

---

(٣٢) لمزيد من التفصيل انظر: قاسم عبده قاسم، **رؤية اسرائيلية للحروب الصليبية** (القاهرة: جامعة عين شمس، مركز دراسات الشرق الأوسط، ١٩٨٣).

صدر حديثاً عن

مركز دراسات الوحدة العربية

سلسلة الثقافة القومية (٩)

المثقفون والبحث عن مسار

دور المثقفين
في اقطار الخليج العربية في التنمية

الدكتور اسامة عبد الرحمن

ملامح المجتمع الصليبي في بلاد الشام

د. سعيد عبد الفتاح عاشور

استاذ تاريخ العصور الوسطى -
كلية الآداب - جامعة القاهرة - مصر.

المقصود بالصليبيين في المصطلح التاريخي، جموع المسيحيين الغربيين الكاثوليك الذين خرجوا من بلادهم في شتى أنحاء الغرب الأوروبي، واتخذوا الصليب شعاراً لهم، لغزو ديار الإسلام، وبخاصة في منطقة الشرق الأدنى وبلاد الشام حيث الأراضي المقدسة. ومعنى هذا أن المسيحيين الشرقيين من روم وأرمن وسريان وأقباط ونحوهم لا يدخلون في دائرة مصطلح الصليبيين، لأن هؤلاء من أهل البلاد، وليسوا وافدين عليها من الخارج، ربطتهم بالأرض التي ينتمون إليها روابط أصيلة جذرية ترجع إلى ما قبل الإسلام، وعاش معظمهم قبل الحركة الصليبية تحت مظلة الإسلام، يتمتعون بما كفلته لهم هذه الديانة من حقوق، ويؤدون ما فرضته عليهم من واجبات.

ومن المعروف تاريخيا أن الصليبيين وصلوا أول مرة إلى بلاد الشام في أواخر القرن الحادي عشر للميلاد، أو على وجه التحديد سنة ١٠٩٧، وأن آخر البقايا الصليبية اجتثت جذورها من تلك البلاد في أواخر القرن الثالث عشر للميلاد، أو على وجه التحديد سنة ١٢٩١. ومعنى هذا أن فترة الوجود الصليبي ببلاد الشام امتدت قرنين من الزمان، الثاني عشر والثالث عشر للميلاد.

ونحن، عندما نعالج أوضاع المجتمع الصليبي في بلاد الشام في هذه الفترة التاريخية، علينا أن نضع نصب أعيننا حقيقة تاريخية مهمة، هي أن الدول تمر بأدوار تشابه الأدوار التي تمر بها الكائنات الحية في تطورها. فالتاريخ أيام يداولها الله بين الناس، ولم يُقدر لدولة عبر التاريخ أن تظل على حال واحد من الرفعة أو الحطّة، وإنما هناك دورة معينة تبدأ فيها الدولة في مرحلة المولد والنشأة على درجة من الضعف والدقة، حتى تتكامل لها أسباب النضج والقوة، بكل ما يحمله ذلك من مظاهر الاستقرار والانتعاش الحضاري، وبعد ذلك تتعرض تدريجياً لضعف بعد قوة، فتبدو على أجهزتها علامات الانحلال التدريجي والخور البطيء، لتفسح الطريق أمام دولة أخرى تظهر على المسرح، لتتبوأ مكان القوة والصدارة في لعبة الأمم التي يشهدها التاريخ عبر العصور.

ونخلص من هذا إلى حقيقة مهمة، هي أننا في دراستنا للمجتمع الصليبي في بلاد الشام

خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للميلاد، علينا أن نفرق بين أوضاع ذلك المجتمع في دور المولد والنشأة ثم الاكتمال والنضج، وبين أوضاعه في دور الضعف والشيخوخة. ومهما يكن من أمر، فإن الباحث الملم بتاريخ تلك الفترة يستطيع أن يميز في تأريخه للمجتمع الصليبي في بلاد الشام بين عهدين أساسيين: مجتمع ما قبل حطين، ومجتمع ما بعد حطين. ومعنى هذا أن معركة حطين سنة ١١٨٧ جاءت في قرابة منتصف المدة التي قضاها الصليبيون بالشام لتشكل علامة بين مرحلة بلغ فيها مجتمعهم أوج قوته ونفوذه وسطوته، ومرحلة أخرى عانى فيها ذلك المجتمع آثار الكسرة التي حلت به في حطين، بكل ما تحمله الكسرة من معاني اليأس والإنحلال والفرقة والضعف. وسنحاول نحن في هذه الدراسة، أن نقصر كلامنا على العموميات، بمعنى الخصائص العامة التي اكسبت الوجود الصليبي في بلاد الشام طابعه المميز.

وليس هناك من شك في أن أوضاع المجتمع الصليبي في بلاد الشام تأثرت، إلى حد بعيد، بمجموعة من العوامل، منها نوعية الصليبيين الذين نزحوا من الغرب الأوروبي واختاروا الاستقرار في تلك البلاد ليعيشوا على أرضها رابطين مصيرهم ومستقبلهم بها. ومنها علاقة هذا الوليد بالوطن الأم، أي علاقة الصليبيين في بلاد الشام بأصولهم وبلادهم التي نزحوا منها في غرب أوروبا. ثم علاقة ذلك المجتمع الصليبي بالمحيط الإسلامي الكبير الذي أحاط بالكيان الصليبي من كل جانب.

أما عن الصليبيين الذين نزحوا من غرب أوروبا، فكانوا يمثلون خليطا كبيرا من شتى أجناس الغرب الأوروبي وشعوبه، فمنهم الفرنجة، ومنهم الألمان، ومنهم الإيطاليون... وغير ذلك. وكانوا من ناحية البناء الطبقي، يمثلون الطبقات الثلاث الرئيسية التي تألف منها المجتمع الأوروبي الغربي في ظل النظام الاقطاعي، أعني طبقة الفرسان، وطبقة رجال الدين، وطبقة العامة.

والواقع إن الفرسان الذين أسهموا في الحركة الصليبية كانوا عماد تلك الحركة، بوصفهم المحاربين الذين فتحوا البلاد، وعلى أكتافهم وقعت مسؤولية حماية الكيان الصليبي في الشرق. وعلى رأس هذه الفئة، قامت مجموعة من الأمراء، تولوا قيادة المجتمع الصليبي وتوجيه سياسته. ومعظم هؤلاء الأمراء أسهموا في الحركة الصليبية لتحقيق أطماع سياسية واسعة، وإقامة إمارات لأنفسهم في الشرق تغنيهم عمّا افتقروا إليه في الغرب. ومن أجل ذلك، حرصوا على الاستقرار في البلاد التي فتحوها، وتأسيس بيوت حاكمة فيها. أما الأمراء الغربيون الذين أسهموا في الحركة الصليبية، والذين كانت لهم إمارات واقطاعات في الغرب الأوروبي، فإنهم ـ مثل الملوك الذين تزعموا بعض الحملات الصليبية ـ غالباً ما كانوا يفضلون العودة السريعة، إلى بلادهم في الغرب، بعدما أوفوا بقسمهم الصليبي إرضاءً للبابوية، وربما تحت تأثير ضغوط منها.

أما عن رجال الدين الكاثوليك، فكان لهم دور بارز في بناء المجتمع الصليبي ببلاد الشام. ومهما يتردد من أقوال عن الأهداف الحقيقية للحركة الصليبية، فإن هذه الحركة اتخذت مسحة دينية، قد تكون زائفة ولكن كان لها أثرها فعلاً. وحسب هذه الحركة أن البابوية هي التي دعت لها، وتعهدتها بالرعاية. وعندما خرجت الحملة الصليبية الأولى إلى الشام، رافقها مندوب يمثل البابا، يتمتع بنفوذ واسع بين صفوف الصليبيين. وبنجاح الصليبيين في الاستقرار ببلاد الشام. صار للبابوات رأي مسموع في حل كثير من المشاكل التي واجهت الصليبيين في مجتمعهم الجديد. هذا إلى أن زمام الكنيسة في الأرض المقدسة انتقل من أيدي رجال الدين الأرثوذكس الى أيدي رجال الدين الكاثوليك، فنزح العديد من هؤلاء الأخيرين من غرب أوروبا لتنظيم شؤون الكنيسة

والإشراف عليها، فضلاً عن رعاية المصالح الدينية للمجتمع الغربي الجديد الذي قام في الشرق.

وليست العبرة بأعداد هذه الفئة من رجال الكهنوت الكاثوليك، وإنما العبرة بنفوذهم ومدى تأثيرهم على مصائر الأمور، وذلك في مجتمع قام تحت شعار الصليب، واتخذ من الدين ذريعة لبقائه. ولا يستطيع الباحث أن ينزه غالبية رجال الدين الكاثوليك في بلاد الشام على عصر الحروب الصليبية من السعي لتحقيق مكاسب خاصة شخصية، بعيدة عن الدين وروح الدين، مما أدخلهم في حلبة الصراعات المحلية بين أمراء الصليبيين بعضهم وبعض، كما سنرى فيما بعد.

وثمة حقيقة تستدعي الانتباه هي أن الكنيسة الكاثوليكية في بلاد الشام فازت في ظل الغزو الصليبي بنصيب الأسد، بمعنى أنها ربحت كثيراً من الامتيازات،ولم تضح سوى بالقليل. ذلك أنه ترتب على طرد رجال الدين الأرثوذكس من كراسيهم وكنائسهم، أن استحوذ رجال الدين الكاثوليك على كل شيء من الممتلكات والأموال. هذا فضلاً عن الهبات التي انهالت على الكنيسة الكاثوليكية ورجالها، حتى أفسدت هذه الثروة المفاجئة نفوسهم فاتصفوا بالجشع، وعاش كبارهم في جو من الترف أبعد ما يكون عن روح الدين وبساطته[1].

وهكذا تميزت الكنائس والأديرة التي استحوذ عليها الصليبيون، أو التي أقاموها في بلاد الشام، بوفرة ثروتها واتساع أملاكها التي لم تقتصر على الأراضي المقدسة فحسب، بل ربما امتدت إلى الغرب الأوروبي. من ذلك أن دير جبل صهيون في بيت المقدس امتلك سنة ١١٧٨ حياً بأكمله في تلك المدينة المقدسة، مع تمتعه بحق فتح بوابة في أسوار المدينة. وكان لهذا الدير ممتلكات وأراض وبساتين وأسواق في عسقلان ويافا ونابلس وقيسارية، وعكا وصور وانطاكية وقيليقية. بل إن بعضَ الخيرين من حجاج الصليبيين وهبوا ذلك الدير ضياعاً وممتلكات في صقلية وايطاليا وفرنسا[2].

ولا شك في أن هذه الثروة الضخمة التي تمتعت بها الكنيسة والمؤسسات الدينية في بلاد الشام على عصر الحروب الصليبية، أثارت أحياناً حقد الأمراء والفرسان، لا سيما وأن ممتلكات الكنيسة كانت معفاة من الضرائب،كما كان رجالها معفيين من الخدمة العسكرية، مما جعل النبلاء والفرسان يشعرون بأن الكنيسة ورجالها يتخمون على حسابهم، ويجمعون الأموال والثروات، في الوقت الذي كان الأمراء والفرسان يتحملون عبء الدفاع عن الكيان الصليبي في بلاد الشام[3].

وبعد الفرسان ورجال الدين، يأتي العامة الذين لا ينتمون إلى إحدى هاتين الفئتين. وغالبية هؤلاء العامة كانوا أقناناً في بلادهم، فرأوا في الحركة الصليبية فرصة للتخلص من أوضاعهم الاجتماعية السيئة والحصول على قدر أكبر من الحرية. ومع أنهم صاروا يشكلون الأكثرية العددية في المجتمع الصليبي ببلاد الشام، إلا أنه لم يكن لهم دور ملحوظ في توجيه سياسته.

ويضاف الى هذه الفئات الثلاث، فئة رابعة من التجار الغربيين ـ وبخاصة الايطاليين ـ الذين كان لهم دور واضح في تكييف أوضاع المجتمع الصليبي ببلاد الشام، وبخاصة في المراكز التجارية والموانىء والثغور. ذلك أن عصر الحروب الصليبية شهد في الغرب الأوروبي انفتاحاً كبيراً

(١) Jean Longnon, *Les Français d'outre-mer au moyen âge: Essai sur l'expansion française dans le bassin de la Méditerranée* (Paris: Perrin, 1929), p. 133.

(٢) Thompson, *Economic and Social History of the Middle Ages,* p. 400.

(٣) سعيد عبد الفتاح عاشور، **الحركة الصليبية** ([د. م.: د. ن.]، ١٩٨٦)، ج ١، ص ٣٧٩ ـ ٣٨٠.

على الشرق وحضارته وتجارته؛ وتزعم الانفتاح الاقتصادي على الشرق تجار المدن الايطاليـة بوجـه خاص. وكان الصليبيون دائماً في حاجة إلى المعونة البحرية لتلك المدن، سواء لنقل أعـداد الحجاج والصليبيين إلى الشرق، أو لربط المجتمع الصليبي في الشام بـأصوله في غرب أوروبـا. ولذا صـار للمدن الايطالية وتجارها وجالياتها دور خطير في تكييف المجتمع الصليبي، وبخاصة في موانىء بلاد الشام.

من هذا العرض السريع، يتضح لنا أن المجتمع الصليبي في بـلاد الشام تـألف من نوعيـات من البشر متباينة الأصول والجذور، مختلفة الأهداف والأغراض، متعددة المشارب والنزعات. وإذا كانوا جميعاً قد خرجوا إلى الشرق تحت شعار الصليب، فإن هـذا الشعار لم يكن ليـوحد بينهم إلّا في ساعات الخطر؛ لأنه كان ستاراً ظاهريـاً، يخفون وراءه أهـدافهم الحقيقية ونياتهـم الـواقعية. فقط في بعض أوقـات الخطر الجسيم، عنـدما يتعرضـون لتهـديـد مخيف من جـانب المسلمـين، ويشعرون أن عدوهم يوشك أن يعصف بهم جميعاً، نجدهم يقفـون بعضهم إلى جانب بعض لـدرء الخطر وحماية أنفسهم.

والواقع إن الصليبيين بالشام خاضوا خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر غمار معركتين: معركة ضد المسلمين كانت تهدأ حيناً وتثور أحياناً؛ ومعركة ضد بعضهم البعض قلّ أن تهدأ نارها ـ حتى في حالات الخطر الخارجي ـ بسبب المطامع الشخصية للأمراء والتنافر بين مصالـح الفئات المتباينة، والعداء الموروث بين بعض الأجناس والأمم الأوروبيـة والذي حملـه الصليبيون معهم إلى الشرق.

وكانت المشكلة الكبرى التي واجهت الصليبيين ببلاد الشام هي تناقص أعدادهم، وبخاصة أعداد الفرسان المحاربـين الذين كـانوا عمـاد المجتمع الصليبي في تلـك البلاد. ذلـك أن الحروب المستمرة مع المسلمين من ناحية، وطبيعة الظروف المناخية التي لم يألفـوها في بـلادهم الأصلية من ناحية أخرى، وانتشار بعض الأمراض والحميات بينهم من ناحية ثـالثة، كـانت كلها من العـوامل التي أدت إلى تنـاقص أعـدادهم وازديـاد نسبـة الـوفيـات بينهم. حقيقـة ان أعـداداً كبـيرة من الصليبيين كانت تفد على بلاد الشام من الغرب كل عام، ولكن غالبية هؤلاء الوافـدين من الحجاج المسلحين كانوا يعودون إلى بلادهم بعد الوفاء بنذورهم وزيارة الأماكن المقدسة. أما نسبة المواليـد فكانت محدودة، دون نسبة الوفيات والعائـدين بكثير. وغـالبية هؤلاء المـواليد جـاءت نتيجة زواج الصليبيين الغربيين من عناصر شرقية، وبخاصة المسيحيين الشرقيـين كالأرمن والسريـان ونحوهم. وهـذا النتاج الخليط لم تتـوافر لـه من صفات القـوة والعزيمـة والثبات والحـرص عـلى التمسك بالأرض، ما توافر لغالبية الصليبيين الوافدين من الغرب. ومن الواضح أن غالبية هؤلاء الصليبيين الوافدين من الغـرب لم يصطحبوا معهم نسـاءهم، مما أثـار مشكلة اجتمـاعية كبـرى في المجتمع الصليبي ببلاد الشام. وقد أحس الصليبيون بذلك، وبأنهم في حاجة إلى الاحتفاظ بـأصولهم، حتى لا يتعرضوا للـذوبان جيـلًا بعد جيل في محيط الشرق. لذلـك دأبوا بـين فينة وأخـرى ـ بقدر مـا سمحت به ظروفهم ـ على جلب مجموعات من النساء من غرب أوروبا، بغية تحقيق قدر من التوازن الجنسي في المحيط الصليبي ببلاد الشام. وقـد أدرك المؤرخون المسلمـون المعاصرون هـذا الاتجاه، وأشـار بعضهم إلى ذلك. ومن هؤلاء العمـاد الكاتب الأصفهـاني، الـذي يـذكـر في حـوادث سنـة ٥٨٥ هـ (١١٨٩ م) ما نصه:

«وصلت في مركب ثلاثمـائة إمـرأة افرنجيـة مستحسنة، متحليـة بشبابهـا وحسنها متـزينة. قـد اجتمعن من

الجزائر، وانتدبن للجزائر، واغتربن لإسعاف الغرباء، وتأهبن لإسعاد الأشقياء... وزعمن أن هذه قربة ما فوقها قربة، لاسيما فيمن اجتمعت عنده غربة وعزبة...»[٤].

ولا أدل على ما كان يعانيه الصليبيون من نقص في الفرسان المحاربين من أن نساءهم اشتركن أحياناً في القتال، وخضن غمار الحروب ضد المسلمين، وهو الأمر الذي عبر عنه العماد الأصفهاني بقوله:

«ومن الفرنج نساء فوارس، لهن دروع وقوانس، وكن في زي الرجال، ويبرزن في حومة القتال، ويعملن عمل أرباب الحجا وهن ربات الحجال. وكل هذا يعتقدن أنه عبادة...»[٥].

ولسد هذا النقص في القوى البشرية المحاربة ببلاد الشام، تحول رهبان بعض المنظمات إلى فرسان محاربين، فنشأ ما عرف باسم هيئات الرهبان الفرسان، الذين شكلوا ركناً أساسياً في بناء المجتمع الصليبي منذ النصف الأول من القرن الثاني عشر. وقد تعددت هذه الهيئات، ولكن الدور الخطير الذي قامت به هيئتا الداوية والاسبتارية جعل لهاتين الهيئتين مكان الصدارة والزعامة في نشاط الرهبان الفرسان.

وكان الهدف الأول من تأسيس هذه الهيئات، هو أن تعنى بمرضى الصليبيين وجرحاهم وتقوم برعايتهم. ولكن الأخطار التي أحاطت بالصليبيين وافتقارهم إلى السواعد التي تدافع عن كيانهم في بلاد الشام، جعل رهبان تلك الهيئات يسهمون في النهوض بذلك العبء، فجمعوا بين حياة العبادة وحياة القتال، ثم غلب الطابع الحربي على نشاطهم، حتى غدت لهم اليد الطولى في الدفاع عن الصليبيين وممتلكاتهم في بلاد الشام[٦]، وساعد على خطورة الدور الذي نهضوا به، أن تلك الهيئات تمتعت باستقلال ذاتي، فلم تخضع لملك الصليبيين في بيت المقدس، أو لأي أمير صليبي آخر كانت لها ممتلكات داخل إمارته، وإنما غدت تبعيتهم للبابا في روما مباشرة، مما أكسبهم حرية كبيرة في اتخاذ القرار وفي مزاولة نشاطهم. وقد تمكن فرسان هذه الهيئات من مزاولة نشاطهم الواسع، بفضل حصولهم على كثير من الإعانات والأراضي، فضلاً عن أن عدداً من كنائس بيت المقدس خصصت نسبة من دخلها لمساعدتهم، فعظمت ثرواتهم وكثرت ممتلكاتهم، وصارت لهم في بلاد الشام مدن وحصون وقلاع يمتلكونها ويتخذون منها معاقل يزاولون فيها ومنها نشاطهم الحربي الواسع ضد المسلمين، حتى جاء وقت صاروا فيه حماة الكيان الصليبي ببلاد الشام[٧]. واتصفت حروبهم ضد المسلمين بالعنف والضراوة والتعصب المتطرف، لأنهم كانوا يحاربون عن عقيدة راسخة مشبعة بالكراهية ضد الإسلام والمسلمين، حتى لقد وصفهم المؤرخ ابن الأثير ـ وهو معاصر لصلاح الدين ـ بأنهم «جمهرة الفرنج»[٨]. واشتهر عنهم أنه ما وقع في

---

(٤) العماد الكاتب الاصفهاني، **الفتح القسي في الفتح القدسي**، تحقيق وشرح وتقديم محمد محمود صبح (القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٥)، ص ٣٤٧ وما بعدها.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) Edwin James King, *The Knights Hospitallers in the Holy Land* (London: Methuen, 1931), p. 64 ff.

(٧) المصدر نفسه، ص ١ و١٩ ـ ٢٣، و

René Grousset, *Histoire des croisades et du royaume franc de Jérusalem*, 3 vols. (Paris: Plon, 1934-1936), vol. 1, pp. 542-545.

(٨) أبو الحسن علي بن محمد بن الأثير، **الكامل في التاريخ**، حوادث سنة ٥٨٣ هـ.

أيديهم أسير من المسلمين إلّا قتلوه. ولعل هذا هو السبب في أن صلاح عندما وقعت في قبضته أعداد كبيرة من أسرى الصليبيين في معركة حطين، فإنه عاملهم جميعاً بما اشتهر عنه من رحمة واعتدال، ما عدا أفراد هيئتي الاسبتارية والداوية، فإنه قتلهم جميعاً انتقاماً من سلوكهم المشبع بالحقد ضد المسلمين. ويذكر المؤرخ ابن الأثير أن صلاح الدين «خصّ هؤلاء بالقتل لأنهم اشد شوكة من جميع الفرنج، فأراح الناس من شرهم»[٩].

ولكن يبدو أن هيئات الفرسان الرهبان استغلت استقلالها وأخذت مع مرور الوقت تتدخل فيما لا يعنيها. بل ربما اتخذت في بعض المواقف الحساسة سياسة تتعارض مع إجماع القوى الصليبية في بلاد الشام، مما جعل منها دولة داخل الدولة، وأنزل بالصليبيين أضراراً بالغة. كذلك لم يحجم بعض مقدمي هذه الهيئات من الوقوف من رجال الكنيسة بالشام موقفاً مناوئاً. لذلك يتهم بعض المؤرخين الأوروبيين المحدثين طائفتي الاسبتارية والداوية بأنهما من أسباب انهيار البناء الصليبي ببلاد الشام، نظراً لسياستهما غير الحصيفة التي قامت على الانفرادية واستقلالية القرار[١٠]. وقد يكون لهذا الرأي ما يبرره، ولكننا نرى أن الأسباب الحقيقية لانهيار ذلك البناء تكمن في بنية المجتمع الصليبي نفسه، فضلاً عن أن ظاهرتي الإنفرادية والاستقلالية في اتخاذ القرار لم تختصا بهما الإسبتارية والداوية وحدهما، وإنما كانتا ظاهرة عامة لم يستطع أن يتجرد منها بعض كبار قادة المجتمع الصليبي في أشد الأوقات حرجاً.

وإذا كان المجتمع الصليبي في بلاد الشام قد تألف ـ كما سبق أن أشرنا ـ من تشكيلة واسعة من الجنسيات والنوعيات المتباينة الأصول، المتنافرة الأهداف والمصالح؛ فإن الفرنجة ـ أهل غاليا التي عرفت في مرحلة لاحقة باسم فرنسا ـ كانوا أكثر فئات الصليبيين ببلاد الشام عدداً. ومنذ الحملة الصليبية الأولى لوحظ أن الفرنجة كانوا أكثر إقبالاً من غيرهم على المشاركة في الحركة الصليبية. ولعل هذا هو السبب في أن لهجة الفرنجة كانت هي الغالبة على المجتمع الصليبي ببلاد الشام، كما أن تقاليدهم وعاداتهم أعطت ذلك المجتمع مسحته الخاصة المميزة. ومن هذا المنطلق عرف الصليبيون عند المسلمين باسم «الفرنجة» و«الفرنج»، وهو الاسم الذي استخدمته المصادر العربية المعاصرة.

أما الايطاليون الذين تركزوا في الموانىء والثغور، فكان لا يعنيهم في المقام الأول سوى مصالحهم التجارية. وبسبب تضارب هذه المصالح، دبّ الشقاق بين مواطني المدن الايطالية المختلفة، بحيث يمكن القول إن ما كان بين تلك المدن من صراعات في ايطاليا، انتقل في صورة أو أخرى الى مسرح بلاد الشام. من ذلك أن الصراع بين جمهوريتي جنوا والبندقية في القرن الثالث عشر انتقل الى بلاد الشام حيث نجح قنصل البندقية في عكا في استقطاب بعض القوى الصليبية ضد الجنوية. ومن هذه القوى البيازنة وأمير أرسوف الصليبي وأمير يافا، فضلاً عن طائفة فرسان التيوتون وفرسان الداوية، في حين وقف فرسان الاسبتارية إلى جانب الجنوية. وهكذا قامت حرب أهلية بين الصليبيين بعضهم وبعض في أواسط القرن الثالث عشر، شاركت فيها الأساطيل البحرية للقوى الايطالية، فدارت معركة رهيبة في البحر أمام عكا سنة ١٢٥٨ انتهت بهزيمة الجنوية الذين

---

(٩) المصدر نفسه، حوادث سنة ٥٨٣ هـ.

(١٠) Joshua Prawer, *Histoire du royaume latin de Jérusalem,* traduit de l'hébreu par G. Nahon, revu et complété par l'auteur, 2 vols. (Paris: Editions du Centre national de la recherche scientifique [CNRS], 1969-1970), vol. 1, p. 497 ff.

اضطروا إلى الجلاء عن عكا والنزوح إلى صور لاتخاذها مركزاً لنشاطهم التجاري. هذا وإن كانت أعمال القرصنة التي مارسها كل طرف ضد الطرف الآخر قد استمرت، حتى تم طرد آخر البقايا الصليبية من بلاد الشام بعد ذلك بنحو ثلث قرن[١١].

ومن ناحية أخرى، فإن الصليبيين عندما أتوا من الغرب واستقروا في بلاد الشام، نقلوا معهم ملامح النظام الاقطاعي الذي عرفه الغرب الأوروبي في تلك الحقبة من العصور الوسطى. ومع تطبيق هذا النظام في بلاد الشام صار البناء الطبقي للصليبيين بالشام هو البناء نفسه الذي عرفه الغرب الأوروبي عندئذ، بمعنى وجود ملك على رأس الهرم الاقطاعي، يليه عدد من كبار الأمراء يُفترض فيهم أن يكونوا أفصالاً لذلك الملك، ولكل أمير كبير عدد من صغار الأمراء يتبعونه، ثم يتبع كل واحد من هؤلاء الأخيرين مجموعة من الفرسان المحاربين. ويتمتع كل فرد في هذا الهرم بإقطاع تتوقف قيمته ومساحته على درجته في البناء الاقطاعي، فقد يكون الاقطاع قرية كاملة بزمامها، وقد يكون أكبر أو أصغر من ذلك. كل ما في الأمر هو أن ملك بيت المقدس لم تكن له سيادة كاملة على كبار الأمراء الصليبيين بالشرق ـ وهم أصحاب الرها وانطاكية وطرابلس ـ وإنما تمتع فقط بنوع من الأولوية عليهم. ذلك أن طبيعة قيام هذه الوحدات في الشرق الأدنى ـ عندما غزا الصليبيون المنطقة لأول مرة ـ جعلت هؤلاء الأمراء الكبار أقرب إلى أن يكونوا أنداداً لحاكم بيت المقدس منهم أن يكونوا أفصالاً له[١٢].

أما عن مملكة بيت المقدس نفسها، فكان على رأسها الملك، وتتألف ممتلكاته الخاصة (الدومين) من ثلاث مدن رئيسية هي: بيت المقدس وعكا ونابلس، ثم أضيفت إليها الداروم (دير البلح) بعد ذلك. وكان يلي الملك في الهرم الإقطاعي داخل المملكة أربعة من كبار الأمراء ـ أشبه بالدوقات في غرب أوروبا ـ هم أمراء يافا والجليل وصيدا وشرق الأردن. ولكل واحد من هؤلاء الأمراء الأربعة الكبار موظفوه وإدارته ـ أشبه بالملك ـ ولكن على نطاق أصغر. وبعد ذلك يأتي في سلّم الهرم الإقطاعي عدد من الأمراء، كانوا أفصالاً للأمراء الكبار السابق ذكرهم، عددهم حوالى اثني عشر أميراً أهمهم أمير قياسرية وأمير تبنين. وكان على كل فصل أن يؤدي الخدمة العسكرية لسيده الإقطاعي المباشر، مثلما كان متبعاً في الغرب الأوروبي؛ مع فارق أساسي هو أن الخدمة العسكرية في بلاد الشام لم تكن محدودة بعدد معين من الأيام في السنة، نظراً لطبيعة الوجود الصليبي في تلك البلاد، واضطرار الصليبيين إلى الدخول في حروب طويلة مع المسلمين دفاعاً عن كيانهم[١٣].

والغالب أن إقطاع الأمير كان وحدة متماسكة من الأرض، مدينة وأعمالها، أو حصن ومتعلقاته، أو عدة قرى متجاورة. ولكن بالنسبة للفرسان ـ وربما بعض صغار الأمراء ـ كان الاقطاع في كثير من الحالات نقداً وليس عيناً، بمعنى أن الفصل أو المقطع لا يتسلم إقطاعه من سيده في صورة أرض، وإنما في صورة مرتب تدره جهة من الجهات ذات الايراد الثابت. وفي

---

(١١) Kenneth Meyer Setton, ed., *A History of the Crusades*, 2 vols. (Philadelphia: University of Pennsylvania Press, [1955-1962]), vol. 2, pp. 568-569.

(١٢) عاشور، **الحركة الصليبية**، ج ١، ص ٣٧٥.

(١٣) Richard, *Le Royaume latin de Jérusalem*, p. 71 ff. and *The Cambridge Medieval History*, planned by T.B. Bury, 8 vols. (Cambridge, Mass.: Cambridge University Press, 1913 -1936), vol. 5, p. 302.

حالات كثيرة، كانت هذه الاقطاعات النقدية للفرسان وصغار الأمراء لا تكفيهم، فلجـأوا إلى السلب والنهب وقطع الطريق على قوافل المسلمين أو الإغارة على ضياعهم القريبة، فضلاً عن سلب الرعاة والبدو ماشيتهم وأغنامهم. هذا إلى أن طبيعة الوجود الصليبي في بلاد الشام ـ وهو الوجود الـذي اعتمد على توسع الصليبيين على حساب أهل البلاد الأصليين ـ أدت إلى أن يستـولي المحارب عـلى الأرض التي يتسنى له انتزاعها من المسلمين.

وقد سمح للإناث بوراثة الاقطاع في حالة عدم وجود أبناء ذكور لصاحب الاقطاع، مما جعل كثيرين من الأمراء المفلسين القادمين من الغرب يبحثون لأنفسهم بين صفـوف الصليبيين في بـلاد الشام عن أميرة وريثة اقطاع للزواج منها[١٤]. وأبرز الأمثلة لدينا عن هذا النوع من الزواج، زواج أرناط من الأميرة كونستانس الوصية عـلى إمارة انطـاكية، ثم زواجـه بعد ذلـك من وريثة اقطـاع الكرك وشرق الأردن. وكذلك زواج جاي لوزجنان من الأميرة سيبل أخت بلـدوين الرابـع ملك بيت المقدس وصاحبة صور. وبينما كان الاقطاع في غرب أوروبا لا يقسم بين الأبناء وإنما يستـأثر بـه الابن الأكبر، إذا بالوضع يختلف في بلاد الشام، حيث اشتـدت الحاجـة إلى جهود أكبـر عدد من المحاربين، فكان الاقطاع يقسم بين الأبناء، مما أدى الى تفتيت الاقطاعات الكبيرة.

ومهما يكن من أمر، فإن النظام الاقطاعي كان من السمات الأساسيـة للمجتمع الصليبي في بلاد الشام. وكان الاقطاعيون من كبار الأمراء وصغارهم وحتى الفرسان، يشكلون الارستقراطيـة السائدة في ذلك المجتمع. ولا يخفى علينـا أن المجتمع الصليبي في الشـام هو في أسـاسه مجتمـع حربي، اعتمد على القتال في الحفاظ على وجوده من ناحية، وفي التوسع على حساب الغير من ناحية أخـرى. لذلـك كان للمحـاربين الشجعـان المكانـة الأولى في ذلـك المجتمـع. وقـد أدرك المسلمـون المعاصرون هذه الحقيقة، فقال أسامة بن منقذ:

«والإفرنج ـ خذلهم الله ـ ما فيهم فضيلة من فضائل الناس سوى الشجاعة، ولا عندهم تقدمة ولا منزلة عالية إلا للفرسان، ولا عندهم ناس إلا الفرسان، فهم أصحاب الرأي، وهم أصحاب القضاء والحكم...»[١٥].

أمـا البورجـوازيون من أربـاب التجارة والصنـاعة الـذين اكتظت بهم مـوانيء الصليبيـين بالشام، فرغم ما حققوه من ثروات ضخمة، لم يكن لهم نفوذ في شؤون الحكم أو توجيه دفة الأمور في المجتمع الصليبي. ومنذ الحملة الصليبية الأولى وافقت المدن التجاريـة وبخاصـة في ايطاليـا ـ ذات الأساطيل البحرية ـ على تقديم السفن اللازمة والمعونة البحرية للصليبيـين، وذلك لتمكينهم من حصار موانىء الشام والاستيلاء عليها. وكان الثمن الذي اشترطتـه تلك المـدن هو أن يكـون لتلك المدن أحياء خاصة بها في كل ثغر أو ميناء يتم الاستيلاء عليه بمعونتها. وربما نص الاتفاق على أن يكون ذلك الحي ثلث الميناء أو المدينة، مما شكـل ركائـز لتجار الغـرب في مدن الشـام، يتخذونهـا أسواقاً ومخازن ومحطات كبرى لهم في تلك البلاد. ولم تقتصر هذه الركائـز على المـوانيء فحسب، وإنمـا سرعان مـا امتدت إلى المـدن الداخليـة ذات الأهمية الاقتصـادية بحكم مـوقعها عـلى طرق التجارة أو بحكم مكانتها الدينية، وتدفق الحجاج المسيحيين عليها. وهكذا اكتظت مدن الشام التي سيطر عليها الصليبيـون، مثل انطـاكية وطـرابلس وعكا وصـور وصيدا عـلى السـاحـل، ومثل بيت

---

(١٤) *Prawer, Histoire du royaume latin de Jérusalem,* vol. 1, pp. 469-470.

(١٥) أبو المظفر اسامة بن مرشد بن منقذ، **كتاب الاعتبار**، ص ٦٤.

المقدس وطبرية والناصرة في الداخل، بأعداد كبيرة من البورجوازيين الذين مارسوا نشاطاً اقتصادياً واسع النطاق، واكتسبوا نفوذاً في المجتمع الصليبي يتناسب مع ما حققوه من ثروات. ولا شك في أن الثراء الذي أصابه أهل هذه الفئة جعلهم يحاكون الطبقة الأرستقراطية من النبلاء في بناء القصور التي جمعت بين الطرازين الشرقي والقوطي الغربي، وحرصوا على تنميقها بالأعمدة ذات التيجان المزخرفة الجميلة وكسوة أراضيها بالرخام وجدرانه بالفسيفساء، وتزويدها بأنابيب المياه الجارية، وعمل النوافير في أحواشها وساحاتها. أما النساء فقد تحلين بالحلى الثمينة، وارتدين الملابس الحريرية الفضفاضة التي تتناسب وطبيعة الجو والبيئة الجديدة(١٦).

على أنه من الملاحظ أن نشاط هذه الطبقة البورجوازية في المجتمع الصليبي لم يأت مصحوباً في بلاد الشام بمطالبة بعض المدن ذات النشاط التجاري بالحصول على استقلال سياسي أو اقتصادي، مثلما حدث في نشأة القومونات ـ وهي المدن المستقلة ـ في الغرب الأوروبي. ذلك أن طبيعة الوجود الصليبي في الشام ـ وسط محيط إسلامي كبير ـ تطلب قدراً خاصاً من الحماية، مما جعل البورجوازيين في مدن بلاد الشام الصليبية يقنعون بقدر من الاستقلال الاقتصادي في ظل الخضوع لطبقة الفرسان المحاربين، لأن في هذا سلامتهم وأمنهم وبقاءهم. كل ما في الأمر هو أن أهالي هذه المدن من الصليبيين تمتعوا بقدر معقول من الحرية في ممارسة نشاطهم الاقتصادي والاجتماعي، وهي حرية تتفق مع طبيعة نشاطهم من جهة، وطبيعة الحياة في المدينة من جهة أخرى، حتى قيل «إن جو المدينة يخلق الحرية»(١٧).

أما عن وضع طبقة المزارعين في هيكل البناء الاجتماعي للصليبيين في بلاد الشام، فإن وجود هذه الطبقة يرتبط بحقيقتين أساسيتين: الأولى هي أن الصليبيين استولوا على كثير من الأراضي الزراعية، في بلاد الشام، واغتصبوها من أصحابها بما اعتبروه حق الفتح. ولكنهم في كثير من الحالات تركوا أصحاب الأرض من المسلمين وغيرهم يباشرون فلاحتها بشرط تقديم نسبة معينة من المحاصيل والأموال للسادة الجدد الذين صاروا ملاك الأرض. ويبدو أن المزارعين المسلمين قنعوا بذلك الوضع، واعتبروه حلاً مرضياً، بدليل ما ذكره الرحالة ابن جبير ـ الذي عبر بلاد الشام أيام صلاح الدين ـ من أنه في طريقه الى عكا مرّ بعديد من الضياع:

«سكانها كلها مسلمون، وهم مع الافرنج على حال ترفيه ـ نعوذ بالله من الفتنة ـ وذلك أنهم يؤدون لهم نصف الغلة عند أوان ضمها، وجزية على كل راس دينار وخمسة قراريط؛ ولا يعترضونهم في غير ذلك. ولهم على ثمر الشجر ضريبة خفيفة يؤدونها أيضاً. وجميع أحوالهم متروكة لهم. وكل ما بأيدي الافرنج من المدن بساحل الشام على هذه السبيل...».

كذلك يروي ابن جبير أنه نزل في ضيعة من ضياع عكا عليها رئيس من المسلمين، عينه الصليبيون من قبلهم ليدير شؤونها ويشرف على العاملين فيها من المسلمين(١٨).

أما الحقيقة الثانية، فهي أن نسبة كبيرة من الفلاحين والمزارعين في غرب أوروبا وجدوا في

---

(١٦) Claude Reignier Conder, *The Latin Kingdom of Jerusalem, 1099-1291 A.D.* (London: Com. Pal. Exp. Fund., 1897), pp. 184-211.

(١٧) Thompson, *Economic and Social History of the Middle Ages*, pp. 399-400.

(١٨) أبو الحسين محمد بن احمد بن جبير، **رحلة ابن جبير في مصر وبلاد العرب والعراق والشام وصقلية: عصر الحروب الصليبية**، تحقيق حسين نصار (القاهرة: مكتبة مصر، [١٩٥٥])، ص ٢٩١ ـ ٢٩٢.

الحركة الصليبية متنفساً وباباً يخرجون منه إلى حياة جديدة في الشرق، أكثر حرية وانطلاقاً. ومعظم هؤلاء الفلاحين كانوا يعيشون في الغرب الأوروبي اقناناً مرتبطين بالأرض، لاهم أحرار ولا هم رقيق وإنما بين هذا وذاك، يقضون حياتهم في ظروف اجتماعية واقتصادية بالغة السوء. فلما ظهرت الدعوة للحملة الصليبية الأولى، أعلنت الألوف الوفيرة من هؤلاء المزارعين رغبتهم في خدمة الصليب والمشاركة في تحرير الأرض المقدسة؛ وعندئذ لم يستطع سادتهم الاقطاعيون منعهم، مما أدى إلى نزوح أعداد غفيرة منهم إلى الشرق. على أنه يبدو أن نسبة كبيرة من هؤلاء المزارعين الأوروبيين لم يعملوا في بلاد الشام بالفلاحة، وإنما تركوا ذلك لأبناء البلاد الأصليين بحكم درايتهم بطبيعة البيئة وظروفها، فضلاً عن أساليب الزراعة في الشام اختلفت عمّا كان معروفاً في الغرب الأوروبي.

ومع ذلك، فالغالب على المزارع الخاصة بالهيئات الدينية المسيحية أنه كان يفلحها مزارعون من الفرنج. وهناك اشارات في المصادر الصليبية المعاصرة إلى دور المزارعين الصليبيين في فلاحة بعض الضياع الخاصة بالصليبيين في بلاد الشام[19]. كذلك يشير ابن القلانسي إلى أنه عندما نزل بعض أمراء الصليبيين على عرقة سنة ٥٠٢ هـ (١١٠٨ م) فإنه «وجد بعض الافرنج في زرعها»[20].

أما عن الأوضاع الحضارية للمجتمع الصليبي ببلاد الشام، فقد اتصفت بالتخلف إذا قورنت بالمستوى الحضاري للمسلمين. ومن المعروف أن الشطر الأول من العصور الوسطى ـ بين نهاية القرن الخامس ونهاية القرن العاشر للميلاد ـ يطلق عليه في تاريخ الغرب الأوروبي اسم العصور المظلمة Dark Ages، نظراً لما عمّ غرب أوروبا في تلك الفترة من ظلمة حضارية موحشة نتيجة لسقوط الامبراطورية الرومانية في الغرب، واشتداد تيار غزوات البرابرة من جرمان وغير جرمان، مما أدى الى ذبول المدن واندثار كثير منها. وزاد الطين بلة أن الكنيسة الغربية ورجالها لم يبذلوا جهداً واضحاً لتبديد تلك العجاجة القاتمة التي ألمت بالغرب الأوروبي، وإنما اتصف سلوك رجال الدين بالجمود والتزمت والجهل، مما أوصل الحضارة الأوروبية عندئذ الى الحضيض.

وفي تلك المرحلة، كانت الحضارة الاسلامية، قد بلغت أوج مجدها في القرنين التاسع والعاشر للميلاد (الثالث والرابع للهجرة)، بعد أن حقق المسلمون من المنجزات ما جعل حضارتهم أسمى حضارة عرفها العالم أجمع في العصور الوسطى، وذلك باعتراف جمهرة الباحثين الغربيين. ولم يقتصر الأمر على ما حققه المسلمون من تقدم في ميادين الآداب والعلوم والفنون، وإنما بلغت الحياة الاجتماعية والحياة الاقتصادية عندهم درجة فريدة من الرقي واتساع الأفق[21].

---

(١٩) *Le Livre de Jean d'Ibelin (Assises de Jérusalem)*, vol. 1, p.207.

(٢٠) أبو يعلى حمزة بن أسد بن القلانسي، **ذيل تاريخ دمشق**، وهو تتمة لتاريخ هلال الصابي تتلوه نخب تواريخ ابن الأزرق الفارقي وسبط ابن الجوزي والحافظ الذهبي، تحقيق هـ. م. امدروز (بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين، ١٩٠٨)، ص ١٦٣.

(٢١) انظر: **تراث الاسلام**، أشرف على ترجمته زكي محمد حسن؛ يوسف شاخت وبوزورث كليفورد ادموند، **تراث الاسلام**، ترجمة حسين مؤنس، زهير السمهوري واحسان صدقي العمد، مراجعة فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة، ٣ ج (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٧٨)؛ آدم متز، **الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، او عصر النهضة في الاسلام**، ترجمة محمد عبد الهادي ابو زيد، ٢ ج (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٦٧)؛ غوستاف لوبون، **حضارة العرب**، ترجمة محمد عادل زعيتر (القاهرة: دار احياء الكتب العربية، ١٩٤٥)؛ جاك س. ريسلر، **الحضارة العربية**، ترجمة غنيم عبدون، مراجعة أحمد فؤاد الأهواني (القاهرة: الدار المصرية =

وكانت النتيجة أنه بوصول الصليبيين إلى الشام في أواخر القرن الحادي عشر، واستقرارهم وسط ذلك المحيط الاسلامي الكبير، ظهر التباين واضحاً بين مجتمعين متواكبين، أحدهما غربي مسيحي يتصف بالجمود والتخلف وضيق الأفق، والآخر شرقي إسلامي يتسم بالتحرر والانفتاح والتسامح والتقدم الحضاري. وقد استرعى تدني أوضاع الصليبيين الحضارية والاجتماعية أنظار المسلمين المعاصرين في بلاد الشام، فعابوا عليهم تخلفهم، وتندروا بجهلهم وخشونتهم، وكتبوا في ذلك عبارات تستحق منّا وقفة قصيرة عابرة.

من ذلك ما ذكره أسامة بن منقذ ـ المعاصر لصلاح الدين في القرن الثاني عشر للميلاد ـ من ملاحظات شخصية على الصليبيين ومجتمعهم في الشام، إذ وصف الفرنج بأنهم «لا عقل لهم»؛ وتندر بانحطاط مستوى الطب عندهم، وكيف أن أطباءهم يعالجون المرضى بأساليب بدائية تعتمد على الشعوذة في الوقت الذي كان أطباء المسلمين يجرون الفحوص على مرضاهم، ويفحصون النبض، ويعاينون حالة البول، ويقفون على السيرة الذاتية للمريض.. قبل أن يصفوا الغذاء والدواء المناسبين له. كذلك يعيب أسامة بن منقذ عليهم أنهم «ليس عندهم شيء من النخوة والغيرة»، فيصادف الرجل وامرأته صديقاً لهما في الطريق، وعندئذٍ يترك الرجل امرأته مع الصديق يتبادلان الحديث، والزوج يتنحى بعيداً «ينتظر فراغهما من الحديث!!». ويشير أسامة بن منقذ إلى مدى إعجاب الفرنج بالحمامات التي رأوها في المدن الاسلامية، والتي لم يكن لهم عهد بها.. الى غير ذلك من الملاحظات التي تلقي أضواء على الفارق الحضاري الكبير بين المجتمعين الإسلامي والصليبي في بلاد الشام[٢٢].

لذلك، لا عجب إذا أقبل الصليبيون في نهم على حضارة المسلمين، ينهلون منها ويحاكونها، حتى اعتبر المؤرخون في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية معبراً من المعابر الأساسية التي عبرت عليها الحضارة الاسلامية، إلى الغرب الأوروبي، بالإضافة إلى الأندلس وصقلية. وقد أبدى بعض الكتّاب والمؤرخين الصليبيين المعاصرين أسفهم لأن مواطنيهم الذين نزحوا إلى الشام تناسوا أصولهم وجذورهم، وابتعدوا عن تقاليد الأجداد وعادات الآباء، واستبدلوا كل ذلك بأوضاع شرقية جديدة. من ذلك أن فولشر ـ وهو معاصر ـ يتعجب من أن الصليبي الذي نزح من ريمز أو شارتر تخلى عن أصوله ولم يعد يذكر إلا أنه من أهل طبرية أو صور[٢٣].

وفي الطعام تأثر الصليبيون في بلاد الشام بالأوضاع التي لمسوها في الشرق، فعرفوا العديد من أنواع الأطعمة التي لم يكن لهم عهد بها، واستخدموا الأواني الخزفية والزجاجية المزخرفة والمطلية بالمينا، مما انتجته مصانع صور وغيرها من مدن الشام العريقة وذات الشهرة في هذه الصناعات. بل لقد حاكوا المسلمين في كثير من تقاليدهم المتبعة في الطعام والشراب، فحرم بعضهم أكل لحم الخنزير تشبهاً بالمسلمين. وهؤلاء هم الذين قال عنهم أسامة بن منقذ «ومن الإفرنج قوم قد تبلدوا وعاشروا المسلمين». ويروي أسامة أنه حضر وليمة عند فارس صليبي «فأحضر مائدة حسنة وطعاماً في غاية النظافة والجودة. ورآني متوقفاً عن الأكل، فقال: كل طيب النفس، فأنا ما آكل من طعام الافرنج. ولي طباخات

=للتأليف والترجمة، [١٩٦٣])، وسيغريد هونكه، «شمس العرب تسطع على الغرب،» **رابطة العالم الاسلامي**، السنة ١٠، العدد ٨ (تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٧٢).

(٢٢) ابن منقذ، **كتاب الاعتبار**، ص ١٣٢ وما بعدها، وص ١٨١ وما بعدها.

(٢٣) Dadu, *Le Royaume latin de Jérusalem*, p. 53 ff.

مصريات ما آكل إلا من طبيخهن، ولا يدخل داري لحم خنزير!!»[٢٤].

كذلك عرف الصليبيون بالشام لعبة الشطرنج من المسلمين، ودأب بعض فرسانهم على قضاء ساعات طويلة في التلهي بها[٢٥].

يضاف الى هذا أنه كانت للصليبيين أفراحهم الصاخبة التي حاكوا فيها ما كان يجري في المجتمع الاسلامي. وقد وصف الرحالة ابن جبير زفاف عروس صليبية في صور:

«فاحتفل لذلك جميع النصارى رجالاً ونساء، واصطفوا سماطين عند باب العروس المهداة، والبوقات تضرب، والمزامير وجميع الآلات اللهوية، حتى خرجت تتهادى بين رجلين يمسكانها من يمين وشمال، كأنهما ذوي أرحامها؛ وهي في أبهى زيّ وأفخر لباس، تسحب أذيال الحرير المذهّب سحباً على الهيئة المعهودة في لباسهم، وعلى رأسها عصابة ذهب، وقد حُفت بشبكة ذهب منسوجة، وعلى لبّتها مثل ذلك منتظم، وهي رافلة في حليها وحللها، تمشي فتراً في فتر، مشي الحمامة أو سير الغمامة، نعوذ بالله من فتنة المناظر. وأمامها جلّة رجالها من النصارى، في أفخر ملابسهم البهية، تسحب أذيالها خلفهم، ووراءها أكفاؤها ونظراؤها من النصرانيات يتهادين في أنفس الملابس، ويرفلن في أرفل الحلي. والآلات اللهوية قد تقدمتهم... فساروا بها حتى ادخلوها دار بعلها؛ وأقاموا في يومهم ذلك وليمة...»[٢٦].

ويفهم من هذا أنه من الخطأ أن يتصور البعض المجتمع الصليبي في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، وكأنه لم يعرف سوى حياة الحرب والقتال، وأن أفراد هذا المجتمع عاشوا في عداء دائم مع المجتمع الإسلامي الذي أحاط بهم. ذلك أن الطبيعة البشرية فرضت على الطرفين أن يتقاتلوا حيناً ويتهادنوا أحياناً. وفي أوقات الهدن، كان يتم الاتصال الحضاري بين الطرفين على نطاق واسع، بل لقد كان يحدث أحياناً أن يطول أجل المعركة، فيتوقف القتال بعض الوقت وتتم اتصالات سلمية بين الفريقين لفترة قد تطول أو تقصر ثم يعاودان القتال. من ذلك ما يذكره المؤرخ المعاصر أبو شامة من أنه عندما طال القتال بين المسلمين والصليبيين أمام عكا سنة ١١٨٩، فإن «الطائفتين كانتا تتحدثان وتتركان القتال، وربما غنّى البعض ورقص البعض لطول المعاشرة، ثم يرجعون إلى القتال بعد ساعة!!»[٢٧]. كذلك أشار المؤرخ ابن واصل الى ما حدث من تآلف بين المسلمين والصليبيين أثناء تلك المعركة الطويلة أمام عكا، فقال: «وأنس المسلمون بالفرنج بطول المدة، بحيث كانوا يتركون القتال ويتحدثون، وربما غنّى بعضهم لبعض، ثم يعاودون القتال بعد ساعة!!»[٢٨]. ولم يقتصر الأمر على التفاهم والألفة بين الكبار، بل تعداه إلى الصغار، فصار صبيان المسلمين يخرجون لمصارعة صبيان الصليبيين. واستطاع أحد الصبيان المسلمين أن يضرب صبياً من الصليبيين ويأسره، فاسترده الصليبيون بدينارين «وقالوا له: هو أسيرك حقاً... فخذ الدينارين وأطلقه»[٢٩].

---

(٢٤) ابن منقذ، المصدر نفسه، ص ١٤٠.

(٢٥) Conder, *The Latin Kingdom of Jerusalem, 1099-1291 A.D.*, p. 182 ff.

(٢٦) ابن جبير، **رحلة ابن جبير في مصر وبلاد العرب والعراق والشام وصقلية: عصر الحروب الصليبية**، ص ٢٩٥ ـ ٢٩٦.

(٢٧) عبد الرحمن بن اسماعيل ابو شامة، **كتاب الروضتين في اخبار الدولتين**، ج ٢، ص ١٤٣.

(٢٨) ابو عبد الله محمد بن سالم بن واصل، **مفرج الكروب في اخبار بني ايوب**، نشره لأول مرة عن مخطوطات كمبردج وباريس واستانبول وضبطه وحققه جمال الدين الشيال، ٥ ج ([القاهرة]: مطبعة جامعة فؤاد الأول، ١٩٣٥ ـ ١٩٥٧)، ج ٢، ص ٢٩٤.

(٢٩) أبو شامة، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٤٣.

وهكذا استمرت المعاملات الاجتماعية والاقتصادية بين المسلمين والصليبيين في بلاد الشام في الوقت الذي احتدم القتال بين الطرفين. وفي ذلك يقول الرحالة المعاصر ابن جبير ـ وهو شاهد عيان ـ:

«ومن أعجب ما يُحدّث به ان نيران الفتنة تشتعل بين الفئتين، مسلمين ونصارى، وربما يلتقي الجمعان ويقع المصاف بينهم، ورفاق المسلمين والنصارى تختلف بينهم دون اعتراض عليهم».

وفي الوقت الذي نازل صلاح الدين حصن الكرك ليعاقب أميره أرناط لغدره بالمسلمين، كان «اختلاف القوافل من مصر إلى دمشق على بلاد الافرنج غير منقطع»!! بل إن ابن جبير نفسه رحل من دمشق الاسلامية إلى عكا الصليبية «في قافلة كبيرة من التجار المسافرين بالسلع إلى عكة!!». ومن عكا أراد ابن جبير أن يعود أدراجه الى موطنه بالأندلس، فأبحر في سفينة تجارية للصليبيين، والتمس «ركوب البحر مع تجار النصارى، وفي مراكبهم المعدة لسفر الخريف المعروف عندهم بالصليبية». ولم يستطع ابن جبير أن يخفي دهشته لهذه الاتصالات التي كانت تتم بين المسلمين والصليبيين بالشام، فاعتبر أن «من أعجب ما يحدّث به في الدنيا أن قوافل المسلمين تخرج الى بلاد الفرنج وسبيهم يدخل الى بلاد المسلمين...!!»[٣٠].

ولعلنا في ضوء هذه الاتصالات نستطيع أن نتصور الكثير من ملامح التطور الذي ألمّ بالمجتمع الصليبي في بلاد الشام. ومع ذلك، فقد احتفظ الصليبيون بكثير من عاداتهم وتقاليدهم التي تتفق وأصولهم الغربية، لأنه من الصعب أن يكون التحول الاجتماعي تاماً وشاملاً في تلك الفترة التاريخية المحدودة. وربما كان أقرب إلى الصواب أن نقرر أن المجتمع الصليبي في بلاد الشام كان مجتمعاً مصطنعاً. فطبيعة البلاد وأهلها ومناخها العام... كانت كلها بعيدة عن طبيعة الغرب الأوروبي الذي نزح منه الصليبيون. وربما وجد بعضهم في ذلك التباين والاختلاف قدراً من الطرافة المحببة الى نفسه، ولكنه حتى هذا الفريق ظل يعيش في بلاد الشام أشبه بالشجرة التي غرست في غير بيئتها.

وربما كان للظروف التي عاش فيها الصليبيون بالشام أثرها في تشكيل أخلاقهم، فضلاً عن انتشار بعض الأمراض الخلقية بينهم. فالصليبي اتصف غالباً بالعنف والجشع والتشكك فيمن حوله، والإمعان في الاستمتاع بما تيسر له من ملاذ الحياة. ومن ناحية أخرى، فإن مجيء معظم الصليبيين دون نسائهم وأولادهم ساعد على انتشار الشذوذ الجنسي بين صفوفهم[٣١].

ويتضح من دراسة أوضاع المجتمع الصليبي في بلاد الشام، أن المرأة الصليبية نهضت بدور كبير في تكييف الحياتين الاجتماعية والسياسية. فمن الناحية الاجتماعية، كان للمرأة دور بارز في الاحتفالات الخاصة والعامة، فضلاً عن الأعياد الدينية وغير الدينية. وقد حرصت المرأة الصليبية في بلاد الشام على اظهار حسنها وجمالها، وحاكت النساء الشرقيات في ارتداء الملابس الحريرية المسبلة، وفي طلاء وجهها بالمساحيق، وتكحيل عينيها، وصبغ كفيها وكعبيها بالحناء، كما عرفت التردد على الحمامات الخاصة بالنساء حيث تقوم البلانة بتحفيفهن وتمشيطهن[٣٢].

أما في الحياة السياسية، فإن المرأة الصليبية أسهمت أيضاً إسهاماً كبيراً في تكييف

---

(٣٠) ابن جبير، **رحلة ابن جبير في مصر وبلاد العرب والعراق والشام وصقلية: عصر الحروب الصليبية**، ص ٢٧٦ و٢٨٨ ـ ٢٨٩.

(٣١) ابن منقذ، **كتاب الاعتبار**، ص ١٣٦.

(٣٢) المصدر نفسه، ص ١٣٦.

العلاقات بين القوى الصليبية بعضها وبعض، بل أحياناً في تكييف العلاقات بين الصليبيين والمسلمين، أو بين الصليبيين والبيزنطيين. ونعني بالمرأة الصليبية هنا نساء طبقة النبلاء والفرسان، اللائي ـ مع قلة عددهن كما سبق أن أشرنا ـ قمن بدور في الحياة العامة يسترعي الانتباه. ولدينا أمثلة عديدة لما كان يحدث أحياناً في بلاط مملكة بيت المقدس، أو في إمارتي انطاكية وطرابلس من تدخل النساء بشكل مباشر في شؤون الحكم والحرب والسياسة.

من ذلك ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ أن فولك الأنجوي ـ ثالث ملوك مملكة بيت المقدس الصليبية (١١٣١ ـ ١١٤٤) كان يكبر بكثير زوجته ميلزاند، فلم يجد وسيلة لاسترضاء زوجته الشابة سوى اطلاق يدها في شؤون الدولة[٣٣]. وكان ذلك في مرحلة حرجة، أخذت تتجمع فيها بوادر تكوين الجبهة الاسلامية المتحدة، نتيجة لجهود عماد الدين زنكي أتابك الموصل الذي نجح في الاستيلاء على الرها ـ أولى الإمارات التي أسسها الصليبيون في الشرق ـ سنة ١١٤٤. ثم إن نفوذ ميلزاند لم يقتصر على مملكة بيت المقدس، وإنما امتد الى امارة انطاكية، حيث كانت أختها الأميرة أليس تسعى هي الأخرى للسيطرة على شؤون الإمارة، مستغلة وصايتها على ابنتها القاصر، فأخذت توزع الاقطاعات والمناصب على أنصارها ومؤيديها[٣٤]. ولم تتردد الأميرة إليس من أجل إشباع شهوة الحكم في الاتصال بأعداء الصليبيين، فاتصلت بعماد الدين زنكي حيناً وبالامبراطور البيزنطي حنا الثاني كومنين، أحياناً.

وعندما توفي فولك ملك بيت المقدس، قامت الملكة ميلزاند بالوصاية على ابنها القاصر بلدوين الثالث، فتحكمت في توجيه سياسة المملكة توجيهاً خاطئاً، ولم توفق في الاستفادة من حملة لويس السابع الذي وصل إلى الشام سنة ١١٤٨. بل ان ميلزاند لم تشأ أن تتخلى عن السلطة عندما بلغ ابنها سن الرشد، وأصرت على أن تتوج معه ليستمر زمام الأمور في يدها[٣٥].

وفي فجر موقعة حطين، كان للمرأة الصليبية دور خطير في توجيه الأمور مما أسهم في إنزال الهزيمة بالصليبيين. من ذلك أن أمير انطاكية كان قد تزوج سنة ١١٨٣ـ قبل حطين بثلاث سنين ـ من امرأة اسمها سيبل، الأمر الذي عارضته الكنيسة لأن الأمير كان متزوجاً من قبل، مما عرضه لتهمة الجمع بين أكثر من زوجة وفي وقت واحد. وكان أن عبرت سيبل عن نقمتها على الكنيسة والرأي العام المسيحي بالاتصال سراً بصلاح الدين، فصارت تراسله «وتهاديه وتعلمه كثيراً من الأحوال التي يؤثر علمها»[٣٦]. أما صلاح الدين، فقد أخذ من جهته «يكرمها لذلك ويهدي إليها أنفس الهدايا!!»[٣٧].

ومرة أخرى نؤكد أننا عند كلامنا عن دور المرأة في المجتمع الصليبي في بلاد الشام، فإنما نعني نساء الطبقة الأرستقراطية من النبلاء والفرسان. ذلك أن هذه الطبقة هي التي كان بأيديها

---

(٣٣) Steven Runciman, *A History of the Crusades,* 3 vols. (New York: [n. pb.], 1967), vol. 2, p. 193.

(٣٤) Guilelmus (abp. of Tyre), *A History of Deeds Done Beyond the Sea,* translated and annotated by Emily Atwater Babcock and A.C. Wrey, 2 vols. (New York: Columbia University Press, 1943), p. 53.

(٣٥) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٠٤ وما بعدها.

(٣٦) ابن الاثير، **الكامل في التاريخ**، حوادث سنة ٥٨٤ هـ.

(٣٧) ابو شامة، **كتاب الروضتين في اخبار الدولتين**، ج ٢، ص ١٣١.

زمام الأمور في ذلك المجتمع، في حين أن البورجوازيين والعامة لم يكن لهم رأي فيما يجري حولهم من أمور، وبالتالي لم يكن لنسائهم دور في الحياة العامة.

أما رجال الكنيسة والدين فكانوا عزاباً، لأن الكنيسة الكاثوليكية الغربية حبذت دائماً مبدأ عدم زواج رجالها، أشبه بالرهبان والديريين.

ومع ذلك، فإن رجال الدين كان لهم دورهم الكبير في توجيه الأحداث في المجتمع الصليبي ببلاد الشام. ذلك أن دورهم لم يقتصر على الوفاء بالمطالب الدينية للمجتمع والنهوض بشعائر الدين، وإنما تعدى ذلك إلى التدخل في شؤون الحكم والسياسة والحرب. وبالإضافة إلى ما سبق أن أشرنا اليه من قيام جماعات الفرسان الرهبان ـ وبخاصة الاسبتارية والداوية ـ بدور بارز في مقاتلة المسلمين وحراسة العديد من قلاع الصليبيين وحصونهم، فإن كبار رجال الدين أنفسهم كانت لهم طموحاتهم ومطامعهم مما جعل لهم دوراً في شؤون الحكم والسياسة. ومنذ وقت مبكر، نسمع أن أدهمار مندوب البابا المرافق للحملة الصليبية الأولى. كان له رأي مسموع في توجيه تلك الحملة، حتى كانت وفاته سنة ١٠٩٨ عند انطاكية، قبل أن يزحف الصليبيون على بيت المقدس. ولو كان أدهمار حياً عندما سقطت بيت المقدس في قبضة الصليبيين، لقامت في تلك المدينة حكومة ثيوقراطية تتزعمها الكنيسة، ولكن عدم وجود شخصية قوية، بين رجال الدين الكاثوليك عندئذ، مع إحساس الصليبيين بضرورة وجود قيادة حربية علمانية للدفاع عن تلك المدينة المقدسة، جعل زمام الحكم ينتقل إلى الأمير غودفري دي بوايون سنة ١٠٩٩[٣٨].

ولكن الأمير غودفري لم يلبث أن توفي في العام التالي، وعندئذ تطلع بطرق بيت المقدس ـ دايمبرت ـ للحكم، لولا أن تصدى له اتباع غودفري من الأمراء والفرسان، فأرسلوا سفارة سرية إلى أخيه بلدوين في الرها يستدعونه على وجه السرعة ليتولى حكم المدينة المقدسة. ولم يرض البطرق دايمبرت عن هذا الاتجاه، فحالف بوهيموند أمير انطاكية، ودبر معه مؤامرة لاعتراض بلدوين في الطريق، ومنعه من الوصول الى بيت المقدس، مما هدد بنشوب حرب أهلية بين أمراء الصليبيين بالشام نتيجة لاطماع البطرق وسياسته[٣٩].

ومثل آخر نضربه على مدى نفوذ الكنيسة ورجالها في تكييف أوضاع المجتمع الصليبي ببلاد الشام. ذلك أنه حدث سنة ١١٨٦ ـ قبيل حطين بأشهر معدودة ـ أن اشتد التنافس حول شغل عرش مملكة بيت المقدس بين ريموند الثالث ـ أقوى أمراء الصليبيين بالشام ـ وبين جاي لوزجنان زوج الأميرة سيبل أم بلدوين الخامس من زوجها الأول. وكان أن رأى هرقل ـ بطرق بيت المقدس عندئذ ـ أنه ليس من مصلحته، ولا من مصلحة الكنيسة، أن يلي عرش المملكة رجل قوي مثل أمير طرابلس ريموند الثالث، لذلك شارك البطرق في مؤامرة انتهت بإبعاد الأمير ريموند، وتتويج جاي لوزجنان الذي اشتهر بضعفه وتردده. وقد انتقم ريموند الثالث لنفسه بالاتصال بصلاح الدين ـ في فجر معركة حطين ـ «وانتمى إليه واعتضد به، وطلب منه المساعدة على بلوغ غرضه من الفرنج، ففرح صلاح الدين والمسلمون بذلك ووعده النصر»[٤٠]. أما الملك جاي لوزجنان ـ الضعيف المتردد ـ فقد قدر له أن

---

(٣٨) Grousset, *Histoire des croisades et du royaume franc de Jérusalem*, pp. 166-167.

(٣٩) عاشور، **الحركة الصليبية**، ج ١، ص ٢٢١ ـ ٢٢٢.

(٤٠) ابن الاثير، **الكامل في التاريخ**، حوادث سنة ٥٨٢ هـ.

يقود الصليبيين في حطين، فكانت قيادته من أسباب الكسرة التي حلت بهم.

وبعد، فإن الصليبيين الذين خرجوا الى الشرق واستقروا فيها، كانوا جماعات متنافرة، حركتهم بواعث متباينة، وتحكمت في سياستهم أطماع شخصية متضاربة. وقد ترك كل ذلك أثره في تشكيل المجتمع الصليبي ببلاد الشام، إذ ظل مجتمعاً ممزقاً، لا تربط بين أفراده روابط مشتركة، ولا توحد بينهم سياسة ثابتة.

ولئن استطاع الصليبيون أن يفتحوا البلاد ويضربوا العباد، ويحتفظوا بوجودهم على أرض الشام نحواً من قرنين من الزمان، فإن الفضل في ذلك لا يرجع إلى قوة بنيتهم الاجتماعية والسياسية، بقدر ما يرجع إلى ضعف المسلمين وتفكك بنيانهم، وتصدع وحدتهم، في ذلك الدور من أدوار التاريخ. فلما أفاق المسلمون في المنطقة الى رشدهم ووحدوا صفوفهم، لم يعد للصليبيين بقاء على أرض الشام □

صدر حديثاً عن

مركز دراسات الوحدة العربية

الأقباط

والقومية العربية

(دراسة استطلاعية)

ابوسيف يوسف

ملامح الجانب العربي الاسلامي في المواجهة ضد الغزو الصليبي

د. علي السيد علي محمود

مدرس تاريخ العصور الوسطى بكلية التربية بالفيوم - جامعة القاهرة - مصر.

مقدمة

ما أشبه اليوم بالبارحة، ذلك أن العالم العربي والاسلامي يمر حاليا بأوضاع تعيد إلى الأذهان ذلك الوضع الذي عاش فيه أجدادنا منذ ثمانية قرون. فإذا كنا اليوم نعيش وجها لوجه أمام الغزوة الصهيونية باعتبارها وجودا أجنبيا غريبا عن المنطقة العربية، يحرص الغرب الأوروبي على تدعيمه ومساندته وإمداده بالسلاح والرجال، فإن أجدادنا في نهاية القرن الخامس الهجري - الحادي عشر للميلاد - وجدوا أنفسهم وجها لوجه أمام الغزوة الصليبية وعلى البقعة نفسها من الأرض العربية ببلاد الشام، وحرص الغرب أيضا على تدعيمها ليضمن لها البقاء والاستمرار. وإذا كانت إسرائيل تسعى للسيطرة على جميع البلدان العربية ومد نفوذها وهيمنتها ليمتد كيانها من النيل إلى الفرات، فإن الصليبيين ما كادوا يثبتون أقدامهم في فلسطين، حتى شرعوا في التوسع شرقا في منطقة الجزيرة والفرات، وغربا في المنطقة الساحلية لبلاد الشام ثم جنوبا صوب مصر، بل حاولوا التوغل في البحر الأحمر لضرب العالم الإسلامي في قلبه، والسيطرة على مداخل هذا البحر لاحتكار تجارة الشرق الأقصى.

وإذا كان الوطن العربي يشهد اليوم العديد من المؤامرات لبث الفرقة والانقسامات والحزازات، وعزل مصر عن الأمة العربية والإسلامية، فإن الصليبيين بذلوا كل ما في وسعهم لتفتيت الأمة العربية والإسلامية، وبذر بذور الشقاق بين أبنائها، كما أنهم سعوا جاهدين لاحتلال مصر ذاتها لاخضاعها أو لتحييدها، حتى يضمنوا بقاءهم في الأرض المقدسة، وإذا كان بعض حكام العرب والمسلمين قد حققوا للغزوة الصليبية أكثر مما حققه الصليبيون أنفسهم، بسعيهم وراء مصالحهم الشخصية على حساب القضية العربية، فإن الحال هو الحال نفسه في أيامنا هذه، ومع هذا يبقى الأمل. فإن الشعب العربي والإسلامي الذي أدرك فداحة الخطر الذي أحدق به، واستطاع تحويل الطاقات الكامنة فيه إلى عوامل قوة فعالة حسمت الصراع العربي / الصليبي

لصالحه، هذا الشعب قادر على تجاوز أزمته الراهنة، وإيجاد الحلول التي تخدم القضية العربية وأبناء الأمة العربية والإسلامية نحو غد أفضل.

وكما استطاع صلاح الدين الأيوبي لمّ شمل الأمة وتوحيد كلمتها، ثم إنقاذها مما باتت فيه من ذل ومهانة وخضوع، وهو الذي كان إفرازاً لحاجة هذه الأمة إلى زعيم يقود مسيرتها نحو الخلاص مما كانت تعانيه، فإن أمتنا العربية والاسلامية لن تعجز عن إيجاد أمثال هذه الشخصية التاريخية من أبنائها الأبرار الذين يستطيعون لمّ شملها وخلاصها مما أمست فيه، على أن تصدق النيات وتتوحد الجهود.

أولاً: الجانب العربي الاسلامي في المواجهة ضد الغزو الصليبي

من المعروف أن الشرق الأوسط تعرض أواخر القرن الخامس الهجري / الحادي عشر للميلاد لحركة استعمارية من قبل الغرب الأوروبي لم يشهد لها مثيلاً في العصور الوسطى، وهي التي اشتهرت في التاريخ باسم الحركة الصليبية. على أن نجاح الصليبيين لم يكن راجعاً إلى كثرتهم العددية، حيث تشهد المصادر اللاتينية نفسها على قلة أعداد الذين وصلوا فعلاً من أبناء الغرب الأوروبي إلى بلاد الشام، إذ تضافرت عوامل الجوع والمرض وأخطار الطريق والمقاومة التي لاقوها على طول الطريق من الغرب الأوروبي وفي أملاك الدولة البيزنطية للقضاء على أعداد كبيرة من الجموع الغفيرة التي خرجت منهم من الغرب الأوروبي، فالمؤرخ الصليبي فولشر الشارتري الذي رافق الحملة الأولى يذكر صراحة قلة أعداد الفرنج عقب استيلائهم بالحيلة على مدينة أنطاكية، في الخطاب الذي تم إرساله إلى البابا أوربان الثاني بقوله: «لقد كنا من القلة لدرجة أن العدو أعتقد أننا لن نحاربه، واننا سوف نهرب أمامه»(١) كما يذكر المؤرخ وليم الصوري أن عدد الصليبيين الذين وصلوا في السابع من حزيران / يونيو عام ١٠٩٩ للاستيلاء على بيت المقدس قد بلغوا حوالى أربعين ألفا، منهم عشرون ألفا من المشاة، وألف وخمسمائة من الفرسان، بينما البقية الباقية كانوا عديمي الفائدة لكونهم كانوا من العجزة والمرضى والضعفاء(٢). كما يؤكد المؤرخ الصليبي جاك الفيتري قلة أعداد الفرنج عقب استيلائهم على بيت المقدس، بأن من تبقى منهم ادركوا أنهم لن يستطيعوا الاحتفاظ بتلك المدينة ما لم يوسعوا حدودها ويطردوا أعداءهم إلى أبعد حد ممكن، لأنهم كانوا قليلي العدد بالمقارنة بالأمة الإسلامية والعربية المحيطة بهم، وأنهم كانوا أشبه بالجزر المتناثرة وسط محيط إسلامي واسع(٣).

وهنا يثار السؤال وهو إذا كان الصليبيون بهذه القلة، فكيف تم لهم النصر والاستيلاء على الرها وأنطاكية وبيت المقدس ثم طرابلس، وما تلا ذلك من توسعهم شرقاً حتى الجزيرة والفرات، وغرباً بامتداد ساحل بلاد الشام في فترة وجيزة؟ وللإجابة عن هذا السؤال، نقول إنه تضافرت عدة عوامل ساعدت على تحقيق النصر للصليبيين وهزيمة المسلمين في الشرق. يأتي في مقدمة هذه

---

(١) Foucher de Chartres, *A History of the Expedition to Jerusalem, 1095-1127,* translated by Frances Rita Ryan, edited with an introduction by Harold S. Fink (Knoxville: University of Tennessee Press, 1969), p.110.

(٢) Guilelmus (abp. of Tyre), *A History of Deeds Done Beyond the Sea,* translated and annotated by Emily Atwater Babcock and A.C. Wrey, 2 vols. (New York: Columbia University Press, 1943), vol.1, p. 348.

(٣) *P.P.T.S.*, vol. 11, pp. 2-3.

العوامل أن المسلمين إذا كانوا قد خاضوا بعض المعارك الأولى والمتفرقة ضد الصليبيين، فلم تكن هذه المعارك حاسمة، وأنهم لم يدركوا حقيقة مهمة وهي أنه كان لديهم احتياطي لا ينفذ من القوة البشرية، وبالنسبة لهم لم تكن أكثر الهزائم قسوة تعني أكثر من مجرد معركة خاسرة، يتلوها تقهقر إلى قواعد آمنة بعيدة عن متناول الجيوش الصليبية. أما بالنسبة للصليبيين الذين كانوا يعبئون كل قواتهم البشرية تقريبا في حالات الهجوم الرئيسية، فقد كانت الهزيمة الواحدة ربما تعني خسارة المعركة أو الحرب بل وضياع الجيش الصليبي نفسه. وهذا بالضبط ما حدث في تموز / يوليو سنة ١١٨٧ م في موقعة حطين عندما كان معنى الهزيمة هو ضياع الكيان الصليبي[٤]، يضاف إلى ذلك عدم تجانس الجيش الإسلامي في تلك الفترة، حيث كان يضم عناصر تركية وكردية وتركمانية وعربية وغيرها من العناصر الاسلامية، كما افتقد هذا الجيش إلى القائد الذي يستطيع أن يزيل ما بين هذه العناصر من حزازات أو نعرات. كما أنه كان قد جرى تعديل جوهري على نظام الجيش منذ القرن التاسع الميلادي في ظل نظام الاقطاع الحربي الذي ظهر منذ ذلك الحين، وبذلك تبدلت القاعدة العسكرية للأمة الاسلامية تبدلاً عميقا. فبعد أن كانت الأمة الإسلامية كلها أمة تحت السلاح، حيث كل رجل مسلم وقادر كان يتم تسجيله في قوائم الجند ويتلقى معاشا من الخزانة العامة للدولة وبحيث يكون دائما على أهبة الاستعداد للخروج في الحملات الحربية، أصبح تكوين الجيش يعتمد أساسا على الأمراء والقواد الذين حازوا اقطاعات زراعية عبارة عن أقاليم أو مدن، ومهمة كل أمير أو قائد هي الدفاع عن تلك المنطقة أو الاقليم المسؤول عنه. وكانت النتيجة سوء حكم مزمن، ومنافسات لا حدّ لها بين الأمراء للحصول على امتياز استنزاف المناطق ذات الانتاجية القصوى، بالإضافة إلى التشجيع الدائم للتمرد وتأسيس الإمارات المستقلة. وكانت نواة كل جيش من هذه الجيوش الخاصة بالقادة والأمراء تتكون أساسا من العبيد الذين كان يتم شراؤهم وينسبون إلى أسيادهم، والذين كانوا غالبا من الأتراك بالإضافة إلى الديلم سكان المناطق الجبلية إلى الجنوب الغربي من بحر قزوين، كذلك وجدت بعض جماعات من الأرمن والذين خدموا على الأقل في عسكر دمشق ومصر، بالإضافة إلى عناصر التركمان والأكراد، يضاف إلى ذلك بعض أبناء القبائل العربية والذين كانوا بمثابة قوات شبه مستقلة[٥].

ومما لا شك فيه أن الصليبيين قد استفادوا من المعلومات التي أعطاها لهم الامبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين وهو الخبير بأحوال العرب والمسلمين، وكذلك من الأرمن وكلهم كان على دراية بأحوال المنطقة العربية والاسلامية آنذاك، كما كان يهم الصليبيون تجنب مواجهة المسلمين على شكل جبهة متحدة ضدهم، وارتأوا مواجهة الامارات الإسلامية الواحدة تلو الأخرى حتى يسهل عليهم الاستيلاء على البلاد. وكان من الطبيعي إذا أن يبادروا إلى توجيه رسلهم إلى بعض الامارات الإسلامية، والدخول في مفاوضات معها لاستمالتها، ولو بشكل مؤقت. ودليل ذلك ما يرويه ابن الأثير في حوادث سنة ٤٩١ هـ من انهم عقب وصولهم إلى أنطاكية، أرسلوا إلى أمراء المسلمين في حلب ودمشق يطمئنونهم على مصائرهم، ويؤكدون أنهم لا يقصدون غير البلاد التي كانت حتى عهد قريب بيد الروم أي البيزنطيين، وأنهم لا يطلبون سواها. أي أنهم لا يطلبون سوى

---

(٤) يوشع براور، عالم الصليبيين، ترجمة قاسم عبده قاسم (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨١)، ص ١١٩ ـ ١٢٦.

(٥) أبو يعلى حمزة بن أسد بن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، وهو تتمة لتاريخ هلال الصابي تتلوه نخب تواريخ ابن الأزرق الفارقي وسبط ابن الجوزي والحافظ الذهبي، تحقيق هـ. م. أمدروز (بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين، ١٩٠٨)، ص ٦٠ ـ ٦٤، وهاملتون جب، صلاح الدين الأيوبي، ص ٦٠ ـ ٦٤.

المنطقة الشمالية من بلاد الشام، وخاصة مدينة أنطاكية ونواحيها التي كانت من قبل قاعدة للنفوذ البيزنطي في شمال بلاد الشام منذ سنة ٩٦٩ م وحتى سنة ١٠٨٤ م عندما استولى عليها منهم السلاجقة(٦). ولم يقتصر دور الأرمن على مجرد تقديم المعلومات للصليبيين بل إن سقوط مدينة أنطاكية كان السبب وراءه هو خيانة الأرمن، وكان سقوط هذه المدينة بأيدي الصليبيين، بمثابة طوق النجاة الذي أنقذ الصليبيين، إذ كان هناك جيش سلجوقي ضخم قد تحرك من الموصل لنجدة المدينة(٧). بل إن الأرمن لعبوا دوراً خطيراً في إجهاض المحاولات الأولى التي بذلها السلاجقة للقضاء على الخطر الصليبي أمام أسوار أنطاكية، ويرجع السبب في هذا إلى أن الأرمن لم ينسوا للسلاجقة ما أنزله بهم السلطان طغرل بك عندما غزت جيوشه أرمينيا سنة ١٠٥٤ م ودمرت ما صادفها من قرى ومزارع فيما بين بحيرة فان وجورجيا وأرزن أثناء هجومه على أملاك الدولة البيزنطية(٨). وما قام به خليفته ألب أرسلان (١٠٦٣ ـ ١٠٧٢ م) من استيلاء على آني ثم قرس، وهما العاصمتان القديمتان لأرمينيا، ولم يأتِ عام ١٠٧٠ م حتى كانت أرمينيا كلها قد خضعت لنفوذ السلاجقة، واستطاعوا تكوين عدة إمارات سلجوقية على حساب الدولة البيزنطية والأرمن معا(٩). ومما لا شك فيه أن الأرمن المقيمين في شمال بلاد الشام رحبوا بالصليبيين وأظهروا لهم الود والصداقة، واعتبروهم منقذين لهم وحماة للمسيحيين في تلك الجهات، ويشهد بذلك كثير من مؤرخي الحملة الصليبية الأولى(١٠) كما لا يمكن أن نغفل الدور المهم الذي لعبته الامبراطورية البيزنطية في مساعدة الصليبيين، وامدادهم بالمؤن والعتاد والمرشدين وبعض القوات المساعدة وآلات الحصار، وذلك لأنها رأت في الحملة الصليبية الأولى خير أداة تثأر بها لنفسها مما حلّ بها على يد الأتراك السلاجقة، منذ موقعة مانزكرت سنة ١٠٧١ م(١١).

كما يمكننا القول إن وصول الصليبيين إلى مشارف بلاد الشام، في حد ذاته، قد أحدث هلعاً كبيراً في قلوب الأهالي، ذلك أن الناس شعروا لأول مرة أنهم أمام خطر من نوع جديد لم يألفوه من قبل، خصوصاً إذا وضعنا في اعتبارنا أنه في الوقت الذي أخذت فيه جيوش الصليبيين طريقها إلى بلاد الشام، كانت بعض الأساطيل الحربية وبخاصة بعض الأساطيل الايطالية، والفلمنكية، والسكندنافية تمدّ لهم يد العون، وتم لها الاستيلاء على ميناء اللاذقية من الأتراك السلاجقة في

---

(٦) أبو الحسن علي بن محمد بن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج ١٠، ص ٢٧٥.

(٧) براور، **عالم الصليبيين**، ص ٥٤.

(٨) Kenneth Meyer Setton, ed., *A History of the Crusades*, 2 vols. (Philadelphia: University of Pennsylvania Press, [1955-1962]), vol.1, pp. 144-147.

وسعيد عبدالفتاح عاشور، **الحركة الصليبية**، ج ١، ص ٨٤.

(٩) عاشور، المصدر نفسه، ج ١، ص ٦٣، و

The Cambridge Medieval History, planned by J.B. Bury, 8 vols. (Cambridge, Mass.: Cambridge University Press, 1913-1936), vol.4, p. 331.

(١٠) كمال الدين عمر بن أحمد بن العديم، **زبدة الحلب من تاريخ حلب**، عني بنشره سامي الدهان، ٣ ج (دمشق: المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ١٩٥١ ـ ١٩٦٨)، ج ٢، ص ١٣١، و

Recueil des historiens des croisades, publié par les soins de l'Académie des inscriptions et belles-lettres, 14 vols. (Paris: Imprimerie nationale, 1869-1906), *Historiens occidentaux*, vol.3, p.634, and vol.4, p. 683.

(١١) René Grousset, *Histoire des croisades et du royaume franc de Jérusalem*, 3 vols. (Paris: Plon, 1934-1936), vol.1, pp. 42-43.

آب / أغسطس عام ١٠٩٧ م[١٢].

ولا يخفى علينا ان الانقسام الذي كان قد أصاب العالم الإسلامي في تلك الآونة كان له أثره في إضعاف قوة المسلمين. ولم يقتصر هذا الانقسام على ما كان هناك بين العباسيين في المشرق والأمويين في الأندلس، أو على ما كان هناك بين الخلافة العباسية السنية في بغداد والخلافة الفاطمية الشيعية في القاهرة، وإنما امتد ليصيب كل قوة من القوى الثلاث في صميم كيانها. ومعنى هذا أن كلاً من الخلافة العباسية في العراق، والدولة الفاطمية في مصر، والدولة الأموية في الأندلس، أصيبت بمرض التفتت والتجزئة، مما حوّل كل قوة من هذه القوى الثلاث إلى دويلات صغيرة متشاحنة[١٣].

ويهمنا، في هذا المقام، أن نشير إلى أنه في الوقت الذي كان فيه الغرب الأوروبي على أشده في الدعوة للحملة الصليبية الأولى، فإن المشرق العربي والإسلامي كان يرزح تحت وطأة الانقسام والحروب، وتتنازعه الأهواء المتضاربة والمصالح الشخصية. ومجمل القول فيما يختص ببلاد الشام والعراق، ان الخلافة العباسية السنية كانت قد أصبحت تحت وصاية قوة السلاجقة الذين دخلوا بغداد في عهد الخليفة القائم بأمر الله (٤٢٢ ـ ٤٦٧ هـ / ١٠٣١ ـ ١٠٧٥ م) لحمايته من أبي الحارث البساسيري الذي حاول إسقاط الخلافة العباسية السنية، وإقامة الدعوة على منابر بغداد للخلافة الفاطمية الشيعية، ومنذ ذلك الحين توالى على سلطنة السلاجقة ثلاثة من السلاطين الأقوياء هم السلطان طغرلبك (٤٢٩ ـ ٤٥٥ هـ / ١٠٣٧ ـ ١٠٦٣ م)، والسلطان ألب أرسلان (٤٥٥ ـ ٤٦٥ هـ / ١٠٦٣ ـ ١٠٧٣ م) والسلطان ملكشاه (٤٦٥ ـ ٤٨٥ هـ / ١٠٧٢ ـ ١٠٩٢ م)، وتمتعت الخلافة في ظل هؤلاء السلاطين الثلاثة بقوة كبيرة، واستطاع السلاجقة السيطرة على كل أجزاء الدولة العباسية، بالإضافة إلى إنزالهم هزائم ساحقة بالبيزنطيين، كان أهمها موقعة مانزكرت عام ٤٦٤ هـ / ١٠٧١ م.

غير أنه بوفاة السلطان ملكشاه عام ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م تفككت دولة السلاجقة، وكان ذلك بسبب الصراع حول السلطنة[١٤]. وفي الفترة التي أعقبت وفاة ملكشاه وحتى مقدم الصليبيين إلى بلاد الشام، وهي فترة ست سنوات، انقسمت الامبراطورية التي تركها إلى خمسة أقسام في هذه الفترة الوجيزة، هي سلاجقة فارس والعراق ولهم سلطنة أصفهان وعليها بركياروق، ومملكة خراسان وعليها أبو الحرث سنجر والذي مكن لنفسه في هذه البلاد حتى وفاته عام ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م، ومملكة حلب وعليها فخر الملوك رضوان بن تتش، ومملكة دمشق وعليها شمس الملوك دقاق بن تتش، ثم سلطنة السلاجقة بآسيا الصغرى، أو سلطنة سلاجقة الروم، وهي التي كان قد أسسها سليمان بن قتلمش، إلّا أن مقتل سليمان هذا على يد سلاجقة فارس والشام سنة

---

(١٢) *Recueil des historiens des croisades,* vol.3, p.242.

(١٣) سعيد عبدالفتاح عاشور، «بعض أضواء جديدة على العلاقات بين بيزا وتونس،» **مجلة كلية الآداب**، المجلد ٢٦ (كانون الأول / ديسمبر ١٩٦٤)، ص ٣٧.

(١٤) حول ذلك انظر: أبو الحسن علي بن محمد بن الأثير، **التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية (بالموصل)**، تحقيق عبدالقادر أحمد طليمات (القاهرة: دار الكتب الحديثة، [١٩٦٣])، ص ٤، وصدر الدين علي بن ناصر الحسيني، **كتاب اخبار الدولة السلجوقية**، اعتنى بتصحيحه محمد اقبال، مراجعة لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة (بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٤)، ص ٧١ ـ ١٢٩.

١٠٨٦ م جعل سلاجقة الروم لا يغفرون لأقربائهم ذلك الجرم، ولذلك لم يقدر للسلاجقة جميعاً أن يتحدوا في مواجهة الخطر الصليبي[١٥]. وللأسف، جاء هذا التفكك في وقت كان المسلمون في أشد الحاجة فيه إلى التماسك، والوقوف صفاً واحداً في وجه التحديات التي وجهت إليهم في عقر دارهم، بحيث أن أقل ما يمكن ان يقال عما حدث هو ان البلاد غرقت في الفوضى والاضطراب نتيجة للصراعات والانقسامات التي نشبت بين أبناء البيت السلجوقي من جهة، وبينهم وبين قوادهم واتباعهم في بلاد الشام من جهة أخرى. وواضح من هذه الأحداث أن دولة السلاجقة، غدت تعاني عوامل الانقسام والتفكك والحروب الطاحنة التي انهكت قواها، وأضعفتها كثيراً، إلى جانب افتقارها إلى سلطان رشيد يجمع الكلمة ويوحد الشمل. والواقع أن التفكك الذي ساد العالم الإسلامي في تلك الفترة العصيبة، باعد بين المسلمين وبين الالتفات للأخطار التي تجمعت في أفقهم البعيد، وكان لها أكبر الأثر فيما حل بهم من آلام في السنوات القليلة التالية[١٦].

ولم يقتصر الأمر على انقسام القوى الإسلامية، وتنازعها في الشؤون السياسية والعسكرية حينئذ، بل إن الخلافة الإسلامية نفسها، كانت منقسمة إلى خلافتين متنازعتين متنافرتين، نافست كل منهما الأخرى للفوز بزعامة العالم الإسلامي، وتنافرتا في سبيل ذلك، على الرغم من حالة الضعف والانحلال التي أمست فيها كل منهما، إبان القرن الخامس الهجري / الحادي عشر للميلاد على وجه الخصوص.

ولا شك أن اضمحلال الخلافة العباسية في بغداد، والخلافة الفاطمية في القاهرة، وتنازعهما جاء نكبة على المسلمين عموماً والقوى الإسلامية في الشرق الأدنى بصفة خاصة، إذ إنه ساهم في ازدياد حدة التفكك والضعف، في الوقت الذي كان حرياً بالخلافة الإسلامية أن تلقي ظلها الروحي لجمع الكلمة وتوحيد الشمل، بدل الفرقة والتنافر. بل الأخطر من هذا أن تحاول الواحدة منهما الاستعانة بالصليبيين، وهم على مشارف بلاد الشام لضرب الأخرى، مثال ذلك ما يرويه ابن الأثير من أن الخلافة الفاطمية بمصر رأت في توسع السلاجقة في بلاد الشام خطراً يهدّد أمنها، فراسلت الفرنج ليملكوا بيت المقدس، ويكونوا حاجزاً بينها وبين قوات السلاجقة[١٧].

كما كانت المنطقة تعجّ بالقبائل العربية التي حافظت على معظم مقوماتها، ومن أبرز هذه القبائل بنو نمير وبنو عقيل بإقليم الجزيرة وبنو كلاب بشمال الشام وبنو كلب بوسطة، وبنو طي بشرق الأردن، وقد أخذ نفوذ هذه القبائل يقوى في الفترة التي نحن بصددها، مما ضاعف من الانقسامات في هذه البلاد[١٨] ذلك أن هذه القبائل العربية كانت قد نقمت على السلاجقة لسيطرتهم على البلاد وسلب ما كان لها من سطوة، وأخذت تتحين الفرص للانتقام منهم، وقد وجدت هذه

---

(١٥) عاشور، **الحركة الصليبية**، ج ١، ص ١٠٥ ـ ١٠٨.

(١٦) ابن القلانسي، **ذيل تاريخ دمشق**، ص ١٣٠ ـ ١٣٢؛ ابن العديم، **زبدة الحلب من تاريخ حلب**، ج ٢، ص ١٢١ ـ ١٢٦، وابن الاثير، **الكامل في التاريخ**، ج ٨، ص ١٧٦ وما بعدها.

(١٧) ابن الأثير، المصدر نفسه، ج ١٠، ص ٢٧٣، وج ١١، ص ١٨٦، وجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، ص ٦٧٩.

(١٨) ابن العديم، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٠٧ ـ ١١٢؛ أبو زيد عبدالرحمن بن محمد بن خلدون، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ج ٢، ص ٣٥٥، وأبو العباس احمد بن علي القلقشندي، **صبح الأعشى في كتابة الانشاء**، ١٤ ج (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩١٣ ـ ١٩١٩)، ج ٤، ص ١٧٠.

القبائل فرصتها في مجيء الحملة الصليبية إلى بلاد الشام، لـذلك اتبعـوا معهم سياسـة المسالمة والمهادنة، ومدّوا لهم يد المعونة في فترات كثيرة[١٩]. وتجدر الإشارة إلى أن الصليبيين، إذا كانوا قد قبلوا في بداية مجيئهم إلى بلاد الشام مسالمة ومهادنة القبائل العربية، فإنما كان ذلـك إلى حين أن تثبت أقدامهم ببلاد الشام وتتوطـد دولتهم، ثم بعد ذلـك قامـوا بالاعتـداء على أراضي وممتلكـات القبائل العربية نفسهـا. وقد دفـع هذا الأمـر القبائـل العربيـة إلى تغيير مـوقفها من الصليبيـين، وانحازت إلى جانب السلاجقة أثناء محاربتهم للصليبيين[٢٠].

كذلك لعله من أبرز مظاهر انحلال سلطان السـلاجقة في بـلاد الشام والعـراق، قبيل مجيء الحملة الصليبية الأولى، ظهور عدد كبير من البيوت الحاكمة، والتي لا تجمعها رابطة إلا الاتصـال بالبيت السلجوقي، ومن تلـك البيوت ظهـرت وحدات سيـاسية أطلق عليهـا اسم الأتابكيـات وعلى أصحابها اسم الأتابكة، وبعض هذه الوحدات صغير جداً لا يتعدى أسوار مدينة أو قلعة واحـدة. وكلمـة أتابـك لفظ تركي معنـاه «مربي الملـك»، فكان آل سلجـوق، إذا امتاز أحـد قادتهم وأرادوا تشريفه، أضفوا عليه هذا اللقب إمعاناً في تكريمه[٢١].

كما يبدو لنا أيضاً، أن الصراع بين الفاطميين والعباسيين في بلاد الشام، ساعـد على زيـادة تفتت بلاد الشام سياسياً، فقد استغل أحد أتباع الفـاطميين وهـو القاضي الشيعي ابن عمـار أبو طالب وخليفتاه جـلال الملك أبـو الحسن علي (١٠٩٨ م)، ثم فخـر الملك أبـو علّي عمـار (١٠٩٨ ـ ١١٠٨ م) هذه الفرصة وجعلوا من طـرابلس إمارة مستقلـة، على أن قيـام هذه الإمـارة البحريـة الصغيرة لا يخفي الحقيقة الواقعة، وهي زيادة تفتت بلاد الشـام سياسيـاً. ولا شك أن التجـزئـة التي تعرضت لها بلاد الشام على ذلك الـوجه، في الـوقت الذي شق الصليبيـون طريقهم إلى بـلاد الشام، كانت من العوامل الرئيسية التي سـاعدت الصليبيـين على تحقيق أطمـاعهم[٢٢]، وقد أدرك هذه الحقيقة وذكرها المؤرخ الصليبي «وليم الصوري» في حديثه عن الحملة الأولى بقوله إن أمثـال هؤلاء الحكام المحليين في بلاد الشام، راسلوا الفرنج أثناء زحفهم من أنطاكية في طـريقهم إلى بيت المقدس، وكانـوا متلهفين للحصـول على الأمـان، وقد أتـوا محملين بـالهدايـا من الخيول ومختلف أنواع المؤن[٢٣]، كذلك كان بنو منقذ الذين أقاموا لهم أسرة حاكمة صغيرة في شيـزر يخشون دائمـا من يجاورهم من الأمراء المسلمين الأقوياء، ولذا كـانوا مستعـدين لأن يتفاهمـوا مع الفـرنج، وفي الوقت ذاته فإن عقلاء الفرنج من رجال السياسة أدركوا أنه لن يمكنهم إقامة دولتهم في ظل وحـدة العالم الإسلامي، ولهذا السبب ترددت السفارات بينهم وبين أمراء المسلمين[٢٤].

وهكـذا غرقت بـلاد الشام في بحـر من الفوضى، بسبب المنـازعات بـين السلاجقـة بعضهم البعض، وبين السلاجقة والفاطميين من ناحية، وبين البيـوت العربيـة التي كونت لنفسهـا إمارات مستقلة ببلاد الشام من ناحية أخرى، وزاد من خطـورة هذه الفـوضى التي عمت بلاد الشـام أنها

---

(١٩) عاشور، **الحركة الصليبية**، ج ١، ص ٢٢٠.

(٢٠) ابن العديم، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٣٣.

(٢١) عاشور، المصدر نفسه، ج ١، ص ١٦٦، و Setton, ed., *A History of the Crusades*, vol.1, p.162.

(٢٢) عاشور، المصدر نفسه، ج ١، ص ١١٧.

(٢٣) Guilelmus (abp. of Tyre), *A History of Deeds Done Beyond the Sea*, vol.1, p.317.

(٢٤) Stevan Runciman, *A History of the Crusades*, 3 vols. (New York: [n.pb.], 1967), vol.2, pp.512-513.

جاءت في الوقت الذي أخذ الخطر الصليبي يلوح في سماء الوطن العربي في الشرق الأدنى[٢٥]. واستطاع الصليبيون أن يستغلوا هذا الوقت لصالحهم، ففي الفترة من ١٠٩٧ ـ ١٠٩٩ م استولوا على أنطاكية والرها وبيت المقدس، ولم تمض سنوات قليلة حتى صار في أيديهم الجانب الأكبر من فلسطين وساحل الشام، هذه الرقعة التي بلغ امتدادها من الشمال إلى الجنوب نحو خمسمائة ميل، وبلغ عرضها حوالى خمسين ميلاً[٢٦]. واشتدت ثائرة المسلمين بسبب ما دأب عليه الفرنج من مواصلة غاراتهم على أملاك المسلمين يوما بعد يوم، وعلت أصوات الاستياء على منابر المساجد وفي صلاة الجمع، وسطرت الكتب التي تتناول واجب الجهاد، كما دبجت الرسائل التي تداولها الجميع عن قدسية بعض المدن الإسلامية، وبخاصة بيت المقدس كنوع من استنفار الجهود لاستردادها.

كما أثار تدفق اللاجئين إلى المقاطعات الإسلامية في أعقاب الغزو الصليبي، مشاعر الاستياء ضد القيادة الإسلامية، والتي عبر عنها كثير من المؤرخين المعاصرين وصوروها لنا في العبارات التالية: «كانت الفرنج قد اتسعت بلادهم وكثرت أجنادهم وعظمت هيبتهم وزادت صولتهم، وامتدت إلى بلاد المسلمين أيديهم، وضعف أهلها عن كف عاديتهم وتتابعت غزواتهم، وساموا المسلمين سوء العذاب واستطار في البلاد شرر شرهم، وامتدت مملكتهم من ناحية ماردين وشبختان إلى عريش مصر لم يتخلله من ولاية المسلمين غير حلب وحماه وحمص ودمشق..»[٢٧].

وبذلك كان التحدي الذي واجهه المسلمون في عقر دارهم، ومغالاة الصليبيين في التنكيل بالمسلمين في مذابح بشرية رهيبة وإبادة جماعية وراء الصحوة العربية الإسلامية، وتعبئتها للحرب واعلانها الجهاد، كما كانت تلك الصحوة استجابة لحالة التنبيه والإفاقة التي عاشها العرب والمسلمون عقب الإغفاءة التي تمكن خلالها الصليبيون من إذلال جميع القوى العربية والإسلامية، وإصابتها في هيبتها وكرامتها[٢٨].

وفي رأينا أن أهم العوامل التي فاقت غيرها من المؤثرات التي ألهبت حماس جماهير العرب والمسلمين في كل مكان للتخلص من نير العبودية التي أمسوا فيها مع وجود الصليبيين في بلادهم، كان العامل الاقتصادي بالدرجة الأولى والذي ترتبت عليه كثير من الآثار والتغيرات التي طرأت على المجتمع، وكانت ضمن عوامل القوة التي أخذت تتجمع على الجانب العربي الإسلامي.

ثانياً: طبيعة الاستجابة العربية والإسلامية للتحدي الصليبي

١ ـ موقف المسيحيين المحليين

سرعان ما أدرك أبناء كثير من الطوائف المسيحية المحلية ببلاد الشام مدى فداحة الخطر الذي لحقهم من جراء الغزوة الصليبية، فإذا كان الأرمن قد ساعدوا الصليبيين منذ البداية،

(٢٥) عاشور، **الحركة الصليبية**، ج ١، ص ١٠٨.

(٢٦) Stanley Lane-Poole, *Saladin and the Fall of the Kingdom of Jerusalem* (New York: G.P. Putnam, 1898), pp.26-31.

(٢٧) عبدالرحمن بن اسماعيل أبو شامة، **كتاب الروضتين في أخبار الدولتين**، ج ١، ص ٣٠.

(٢٨) محمد محمد مرسي الشيخ، **الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها** (الاسكندرية: دار الثغر، ١٩٧٤)، ص ٢.

وكانت لهم اليد الطولى في استيلاء الفرنج على أنطاكية والرها بهدف تطلعهم إلى تحقيق نوع من الاستقلال الذاتي عن السيطرة البيزنطية والتركية(٢٩)، إلّا أنهم ما لبثوا أن تحققوا من أن هدف الصليبيين الأول هو الاستيلاء على بلادهم ونهب ثرواتها، وأن الصليبيين وجدوا فيهم الوسيلة المثلى لتحقيق أهدافهم. وعلى الرغم من وجود بعض الدلائل على ندم الأرمن على ما أقدموا عليه من عمل كان من شأنه مساندة الفرنج، إلّا أنه يبدو أن الحكام المسلمين لم يطمئنوا لهم تماماً، وإن كانوا لم يتخلوا عنهم في وقت أزمتهم، مثال ذلك ما حدث عندما أدرك «بقراط» مستشار بلدوين الأول الأرمني أن بلاد الأرمن قد تعرضت لخطر جديد لا قبل لهم به، وأن حكام المسلمين أفضل بكثير من حكام الصليبيين، لذلك تآمر مع أخيه كواسيل والذي تقع إمارته إلى الشرق من مرعش للتحالف مع الأتراك السلاجقة(٣٠). كذلك حدث عندما قام «البرسقي» بمحاصرة الرها، فقد تلقى عرضاً من أرملة كوغ باسيل الأرمني حاكم مرعش وكيسوم ورعبان الذي توفي في تشرين الأول / أكتوبر ١١١٢ م، وخلف في إمارته أرملته وابنه بالتبنى دغا باسيل، وقد ساورت الشكوك هذه الأرملة من جهة الفرنج وأطماعهم في الإمارة وخاصة فرنج أنطاكية، لذلك لم تتردد في طلب الحماية من آقسنقر البرسقي، وأرسلت تفاوضه في أمر التبعية له فرحب البرسقي بذلك(٣١).

ويبدو أن مثل تلك الاتصالات لم تخف على الصليبيين، إذ سرعان ما عاملوا الأرمن بالازدراء والاحتقار، كما استخدموا العنف معهم في كثير من الأحيان، فضلاً عن استيلائهم على كثير من ضياعهم في الريف، بالاضافة إلى استبعادهم من إدارة شؤون البلاد، وظلوا ينظرون إليهم على أنهم عنصر لا أمان لهم(٣٢)، كما ضاق الأرمن بالصليبيين الذي اعتقدوا أنهم إخوانهم في الدين، مما اضطر بعضهم إلى الهجرة إلى بعض المدن التي كانت خاضعة لحكم المسلمين، بعد أن وجدوا أن الصليبيين قد فاقوا في تطرفهم الأتراك المسلمين(٣٣).

أما الروم الأرثوذكس فقد كانوا الأكثر عدداً بين الطوائف المسيحية المختلفة ببلاد الشام(٣٤) بل إنهم كانوا أكثر بكثير من الصليبيين في كثير من مدن بلاد الشام وبخاصة مدينة أنطاكية، التي كان معظم أفراد سكانها من أبناء هذه الطائفة، هذا إلى جانب وجود أعداد كبيرة منهم في كل من اللاذقية وبيت المقدس(٣٥). لقد أدرك أبناء هذه الطائفة مدى فداحة الخطر الذي ألحقه بهم الصليبيون، من جراء إقصاء كبار رجال دينهم عن مناصبهم وإحلال رجال دين من اللاتين محلهم، وخاصة بطريرك أنطاكية وبطريرك بيت المقدس، بالإضافة إلى حملهم على أن يؤدوا ضريبة العشر للكنيسة اللاتينية، إلى جانب إغفال شعائرهم الدينية في الكنائس الكبرى، مما زاد من روح

---

(٢٩) Runciman, *A History of the Crusades*, vol.1, pp.287-288.

(٣٠) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٩٠ _ ٢٩٥.

(٣١) ابن الاثير، **الكامل في التاريخ**، ج ٨، ص ٦٩، وأبو الفرج يوحنا غريغوريوس بن العبري، **تاريخ مختصر الدول**، ص ٣٤٦.

(٣٢) فؤاد عبدالمعطي الصياد، **المغول في التاريخ من جنكيز خان إلى هولاكو خان** (القاهرة: دار القلم، [١٩٦٠])، ج ١، ص ٢١٤.

(٣٣) Grousset, *Histoire des croisades et du royaume franc de Jérusalem*, vol.1, p.443.

(٣٤) لحد صعب، **تاريخ لبنان**، ص ٣٤، و Murray, *Syria and Palestine*, p.xlii.

(٣٥) Zoe, *The Crusades* (New York: [n.pb.], 1966), p.195.

العداء بين الطرفين[٣٦]. والمعروف أن أبناء هذه الطائفة كانوا من أصل عربي،وأنهم كانوا يفضلون الحكم الإسلامي على سيطرة الكاثوليك الغربيين. وتشير بعض المراجع إلى أن ثمة اتصالات سرية تمت،عندما قام صلاح الدين الأيوبي بمحاصرة مدينة بيت المقدس، عقب موقعة حطين وطائفة الأرثوذكس هذه داخل بيت القدس، وتعهد هؤلاء لصلاح الدين بفتح أبواب بيت المقدس للمسلمين[٣٧].

كذلك شكل السريان الأرثوذكس أكثرية عددية بالنسبة لغيرهم من الطوائف المسيحية المحلية في كل من طرابلس، وجبيل، وبيروت، وعكا أثناء الحكم الصليبي لهذه البلاد. كذلك وجدت منهم أعداد في كل من الرها وأنطاكية وبيت المقدس، وقد تعرض هؤلاء السريان الأرثوذكس لتدخل الصليبيين في شؤونهم الدينية، وبخاصة في تعيين رجال دينهم، كما تعرضت ثروات بعض كنائسهم لكثير من عمليات النهب والسلب التي قام بها الصليبيون، ولم ينس هؤلاء ما حل بهم تحت حكم الصليبيين، بخلاف ما تمتعوا به من حرية دينية أثناء الحكم الإسلامي، لهذا لم يرضوا بالاتحاد مع الكنيسة الكاثوليكية والخضوع لبابا روما، وكانوا يتطلّعون إلى اليوم الذي يعود فيه الحكم الإسلامي من جديد. وبالمثل يمكن أن يقال عن طائفة النساطرة، وإن كانت لا تشكل أكثرية عددية من سكان المدن والبلاد التي خضعت للحكم الصليبي، إلا أن أبناءها عاشوا في عداء صريح مع الصليبيين، وكانوا غير متعاونين معهم منذ الاحتلال الصليبي لبلاد الشام، وكان السبب في هذا راجع إلى ما لمسوه من فارق كبير في المعاملة من المسلمين وتحت حكمهم، وما تمتع به إخوانهم في المدن التي خضعت للحكم الإسلامي وبين معاملة الصليبيين لهم[٣٨].

وعلى هذا الأساس يمكننا القول إن عواطف كثير من أبناء الطوائف المسيحية المختلفة ببلاد الشام كانت مع اخوانهم المسلمين، وأنهم أحسّوا بفداحة الخطر الصليبي مثلما أحس به إخوانهم المسلمون، فالأرض أرضهم جميعا والقضية قضيتهم بصرف النظر عن تصرف بعض أبناء الطوائف الأخرى وهم الموارنة، وان كانوا أقلية بالنسبة لجموع المسيحيين. وكيف لا تتحد عواطفهم جميعاً وقد رأوا أن الصليبيين كانوا إذا ما حلوا ببلد عربي يأتون على الأخضر واليابس، ويقترفون الفحشاء ويسيلون الدماء أنهاراً، ويرتكبون من الجرائم البشعة ما تقشعر من هوله الأبدان وتشمئز من ذكره النفوس. كما كانوا في حملاتهم لا يفرقون بين المحاربين والنساء والشيوخ والأطفال، فالكل عندهم سواء، يقتلون وينهبون من يصادفونه منهم، ويعينون فساداً في القرى، والبلاد التي يحلّون بها، ثم يقومون بعد ذلك بصبغ الجهات التي يغتصبونها، ويؤسسون إمارات لهم بها بصبغة لاتينية كاثوليكية بحتة، بعد أن يزيلوا منها الشعائر الإسلامية والمسيحية الشرقية[٣٩]. خاصة وأنهم أدركوا أن وجود إمارت اللاتين بين ظهرانيهم كان يشكل خطراً جسيما يجب عليهم القضاء عليه، قبل أن يستفحل ويسري في بقية أجزاء الوطن العربي. ثم كيف لا تتحد عواطفهم ومشاعرهم، وقد أخذت الجبهة العربية المفككة تتحد من أقصى الشمال إلى أقصى

---

(٣٦) بسام كرد علي، شاكر مصطفى وانور الرفاعي، **سورية ولبنان جغرافيا** (دمشق: مكتبة العلوم والآداب، ١٩٤٩)، ص ١٤٢.

(٣٧) علي السيد علي، **القدس في العصر المملوكي** ([د. م.: د. ن.]، ١٩٨٦)، ص ٨٨ ـ ٨٧.

(٣٨) انظر: علي السيد علي، «المجتمع الصليبي ببلاد الشام،» (رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، ١٩٦٩)، ص ٣٢ ـ ٤٦.

(٣٩) جوزيف نسيم، **العرب والروم واللاتين**، ص ٢٦٧.

الجنوب، من العراق إلى القاهرة، ومن الفرات إلى النيل، في وحدة عربية إسلامية واحدة مسموعة الكلمة مرهوبة الجانب، يعمل لها العدو الدخيل ألف حساب. وهي التي أمكنها في فترة قصيرة من عمر التاريخ أن تقوم بتطويق العدو الدخيل وأن تقضي على كل أمل له في الامتداد والتوسع(٤٠). وكيف لا تتحد آمالهم، وقد أيقنوا أن مصر قد غدت قلب العروبة النابض بالحياة، ومعقلها المنيع، ومركز إمدادها بالرجال والمال والمسيرة، والسلاح، ومنها انبعثت صيحة الجهاد الحقة ضد الصليبيين(٤١).

ثم كيف لا تتحد أهدافهم وآمالهم، وقد أدركوا أن الصليبيين إنما نظروا لهم جميعاً مسلمين ومسيحيين بأنهم هراطقة أو كفرة، على حد قول بعض المؤرخين اللاتين، لأنهم على غير مذهبهم. ولذلك امتدت أحلام الصليبيين إلى محاولة صبغ منطقة الشرق الأدنى جميعها بالصبغة الكاثوليكية، عن طريق البعثات التبشيرية من جهة، وعن طريق الضغط على المسيحيين المحليين للتخلي عن مذاهبهم، واتباع المذهب الكاثوليكي الغربي، من جهة أخرى(٤٢). وما أحراهم اليوم أن يتكتلوا ويتجمعوا دفاعاً عن وحدة كيانهم ومصيرهم، ووجودهم. لقد حدث هذا في العصور الوسطى، وإبان الحملات الصليبية المتعددة، وليس ببعيد أن يحدث، فالفرقة هي الفرقة، والعدوان هو العدوان، والوطن هو الوطن نفسه، والشعب هو الشعب نفسه.

٢ ـ موقف القوى الاجتماعية المختلفة

وكان الرأي العام الضاغط له ما يبرره من حيث الإحساس بمدى الخطر الصليبي الذي أدى إلى الإيمان بالوحدة وإلى ظهور دول، مثل الدولة الأيوبية ودولة سلاطين المماليك فيما بعد، هذه الدول استمدت وجودها وبقاءها من فكرة الجهاد ودفع الخطر الصليبي عن الوطن العربي. إذ لا شك أن الحملة الصليبية الأولى فتحت الباب أمام أعداد كبيرة من أبناء الغرب الأوروبي ليستقروا في الشرق العربي، وأن يستحوذوا على كثير من الأراضي الزراعية على شكل اقطاعات. وقد عز على أبناء الأمة العربية والإسلامية أن يجدوا بلادهم التي استولى عليها الفرنج، يتم تقسيمها إلى تلك الاقطاعات، سواء منها الاقطاعات التي نالها العلمانيون، أم تلك التي نالها رجال الدين، والكنيسة أو الطوائف الدينية العسكرية مثل الاسبتارية ـ والداوية(٤٣).

كذلك أقام الصليبيون مستوطنات زراعية في بعض المناطق التي احتلوها، وأجلوا عنها سكانها من أهل البلاد، مثال ذلك «البيرة» كإحدى المستوطنات التي تم تأسيسها بالقرب من مدينة بيت المقدس في القرن الثاني عشر للميلاد(٤٤). وهي التي أقامها جماعة من الرهبان كنموذج يحتذى به في بناء مستعمرات استيطانية على النمط نفسه في كل مكان، وعلى سبيل المثال في الرملة والقبيبة. وقد كانت تقع على بعد ستة عشر كيلومتراً شمال بيت المقدس، على الطريق الرئيسية

---

(٤٠) René Grousset, *Summary of History*, pp. 176-180.

(٤١) Stanley Lane-Poole, *A History of Egypt in the Middle Ages*, pp.218-219.

(٤٢) نسيم، **العرب والروم واللاتين**، ص ٢٩٢.

(٤٣) Runciman, *A History of the Crusades*, vol.2, p.476.

(٤٤) E. de Rozier, ed., *Cortulaire de l'église du Saint-Sepulcre de Jérusalem* (Paris: [s.l.], 1849), p.251.

المؤدية إلى نابلس. حيث تم إقامتها على هضبة ترتفع ٨٥٠ متراً عن سطح البحر، وقد استمدت مكانتها وشهرتها لوجودها في موقع استراتيجي، فضلاً عن توافر عيون الماء بها. وفي الفترة من ١٠٩٩ ـ ١١٠٠ كانت «ألبيرة» واحدة ضمن إحدى وعشرين مستوطنة كان قد وهبها الدوق غودفري دي بوايون لكنيسة القبر المقدس. وهناك أنزل الرهبان بعض الرجال الأحرار من أصول غربية، وأمدوهم بقطع الأرض ليبنوا عليها منازلهم، كما أمدوهم بالأراضي الزراعية لزراعتها في مقابل أن يدفعوا لهم ضريبة العشور وقسما من المحصول. وكان المستوطنون الجدد في غالبتيهم من الفرنسيين، وعلى وجه الخصوص من جنوب فرنسا، بالإضافة إلى بعض الايطاليين والأسبان[٤٥]. كما كان اقتصادها يعتمد أساسا على الزراعة، على الرغم من وجود بعض أصحاب الحرف ضمن قائمة سكانها، مثل النحاسين والحدادين والحجارين، وصانعي الأحذية.

وكانت سياسة الاستيطان التي اتبعها الرهبان نشطة وفعّالة لدرجة أن المستوطنة سرعان ما اتسع حجمها، وزادت أهميتها خلال القرن الثاني عشر للميلاد، ولم يأتِ عام ١١٦٠ م حتى كانت أشبه بمدينة صغيرة لها حكومتها البورجوازية وعلى رأسها رئيس الرهبان، وفي عام ١١٥٥ كانت تعيش بها اثنتان وعشرون عائلة،أضيف إليها تسع وأربعون عائلة خلال الثلاثين سنة التالية، بحيث غدت تتكون من ٥٠٠ ـ ٧٠٠ شخص[٤٦]. وظلت كذلك إلى أن استولى عليها صلاح الدين عام ١١٨٧ م ودمرها، كما أقام الصليبيون مستعمرة شبيهة بها في «القبيبية» أو «القبيبات» وتشهد على ذلك الحفريات التي أجريت هناك حديثا، ومثلها أيضا في الرملة قبل سنة ١١٦٠ م كما أثبتت الحفريات الحديثة ذلك، كذلك أقاموا واحدة في بيت نوبة[٤٧].

يضاف إلى هذا ما كان يفرضه الصليبيون على قوافل التجارة من مكوس وضرائب، نتيجة للمعاهدات التي كان يضطر المسلمون لعقدها لتأمين طرق القوافل، سواء بين بلاد الشام بعضها ببعض، أو بين بلاد الشام والعراق، أو بين بلاد الشام ومصر[٤٨]. ومع هذا كان الطمع يتغلب عليهم في كثير من الأحيان، فيقومون بالإغارة على تلك القوافل لضخامة ما تحتويه من سلع دون مراعاة لما قد يكون هناك من هدنة قائمة بين الطرفين. ولم تكن تنفع التوسلات والمراسلات لإعادة مثل تلك المتاجر[٤٩]. وواضح أن أعداد هؤلاء التجار من المسلمين كانت كبيرة، بدليل ما يذكره ابن القلانسي في سنة ٥٣٢ هـ من أن الفرنج «قبضوا بأنطاكية وثغور السواحل جماعة من تجار المسلمين وأهل حلب والسفار تقدير خمسمائة رجل في جمادي الآخرة».

ليس هذا فحسب، بل إن كل يوم كان يمضي كان المسلمون يزدادون قناعة بمدى الخطر المحدق بهم، ويكتشفون أبعاداً جديدة لمخططات ذلك العدو الذي لم يكن قد اكتفى باحتلال جزء عزيز من أرض العروبة والإسلام، بل كان يهدف ويسعى بشكل أو آخر للقضاء على كيان الأمة العربية والإسلامية بشتى الطرق والوسائل، وخير مثال لذلك تلك الغزوة التي قام بها «رينو دي

---

(٤٥) Peter W. Edbury, ed., *Crusade and Settlement* (Cardiff: University College Cardiff Press, 1985), pp. 147-148.

(٤٦) المصدر نفسه، ص ١٤٨، و de Rozier, Ibid., pp. 242-244.

(٤٧) Edbury, Ibid., pp. 251-252.

(٤٨) ابو شامة، **كتاب الروضتين في اخبار الدولتين**، ج ٢، ص ٧٥، وعاشور، **الحركة الصليبية**، ج ٢، ص ٧٦٧.

(٤٩) ابن القلانسي، **ذيل تاريخ دمشق**، ص ٢٣٦، ٢٦٤ و٢٧٨.

شاتيون» المشهور في المصادر العربية باسم «أرناط» للبحر الأحمر والحرمين الشريفين، وهي التي سنتحدث عنها في موضع آخر، والتي يذكر المؤرخون المعاصرون أن الصليبيين استهدفوا من وراء تلك العملية الحربية تحقيق هدفين خطيرين أولهما «قطع الحاج عن حجه» وضرب العالم الإسلامي في قلبه وطعن المسلمين في قبلتهم؛ وثانيهما، أن الصليبيين كانوا قد أزمعوا الاستيلاء على عدن في جنوب البحر الأحمر، لأخذ «تجار اليمن وأكارم عدن» وبذلك يتمكنون بفضل السيطرة على «أيلة» في الشمال وعدن في الجنوب من إغلاق البحر الأحمر في وجه أعدائهم المسلمين، واحتكار تجارة الشرق الأقصى والمحيط الهندي(٥٠).

ومن العوامل الاقتصادية التي كان لها أثرها الكبير ما نشأ من تفتيت الأراضي الزراعية، نتيجة للصراع بين المسلمين والصليبيين على أرض بلاد الشام، وما نتج عن ذلك من وجود ما اصطلح على تسميته «بلاد المناصفات»، هذه البلاد كان عادة يستوطنها المسلمون ممن يمتهنون حرفة الزراعة والرعي، ودان بعضهم بالولاء للحكام المسلمين، والبعض الآخر للحكام الصليبيين. وعادة ما كان يتم اصطناع حدود فاصلة بين المنطقتين، ويخضع المزارعون فيها إلى ما كانت تفرضه الإدارة التي يتبعون لها من مكوس وضرائب، وفي كثير من الأحيان كانت لهم الحرية في اجتياز الحد الفاصل من أحد الجانبين إلى الجانب الآخر(٥١) لتسويق منتجاتهم، وفي هذه الحالة كان من الطبيعي أن تتضاعف قيمة ما يدفعه هؤلاء من ضرائب ومكوس(٥٢). والحقيقة أن هذا النظام يرجع إلى السنوات الأولى التي أعقبت وصول الصليبيين إلى بلاد الشام، وليس إلى أيام الحملة الصليبية الثالثة كما يذكر بعض المؤرخين المحدثين(٥٣)، حيث وردت إشارة عند ابن القلانسي في حوادث سنة ٥٠٢ هـ / ١١١٠ م يقول فيها إنه ترددت رسل الملك بلدوين الأول ملك بيت المقدس إلى ظهير الدين أتابك صاحب دمشق «في التماس المهادنة والموادعة، فاستقر الأمر بينهما على على أن يكون السواد وجبل عوف أثلاثا، للأتراك الثلث ـ أي حكام دمشق ـ وللإفرنج والفلاحين الثلثان، فانعقد الأمر على هذه القضية، وكتب الشرط على هذه المبنية» كذلك في السنة التي تليها يذكر أنه «وصل الملك بلدوين صاحب بيت المقدس إلى ناحية بعلبك، وعزم على العيس والإفساد في ناحية البقاع، وترددت المراسلة بينه وبين ظهير الدين أتابك في هذا المعنى، إلى أن تقررت الموادعة بينهما على أن يكون الثلث من استغلالات البقاع للإفرنج والثلثان للمسلمين والفلاحين، وكتب بينهما المواصفة بهذا الشرح في صفر من السنة ورحل عائدا»(٥٤). وحسبما يفهم من هذين النصين فإن هذه البلاد «وهي بلاد المناصفات» إما أن تكون تابعة للمسلمين ويقدمون نصف ريعها أو ثلثه للفرنج دفعاً لشرهم ولأنه لم يكن في استطاعتهم ردهم، وإما أن تكون في حوزة الفرنج ويقتسمون ريعها مع المسلمين كنوع من المهادنة أيضاً(٥٥). ثم تطور الوضع إلى ايجاد إدارة إسلامية فرنجية مشتركة على تلك البلاد، وتطبق فيها الشريعة الإسلامية على المسملين والقوانين

---

(٥٠) أبو عبدالله محمد بن سالم بن واصل، **مفرج الكروب في أخبار بني ايوب**، نشره لأول مرة عن مخطوطات كمبردج وباريس واستانبول وضبطه وحققه جمال الدين الشيال، ٥ ج ([القاهرة]: مطبعة جامعة فؤاد الأول، ١٩٥٣ ـ ١٩٥٧)، ج ٢، ص ١٣٠؛ أبو شامة، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٦ ـ ٣٧، وعاشور، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٧٨٧.

(٥١) Runciman, *A History of the Crusades*, vol.2, p.674.

(٥٢) زين الدين عمر بن مظفر بن الوردي، **تاريخ ابن الوردي**، ج ٢، ص ١٠٥.

(٥٣) عمر كمال توفيق، **الدبلوماسية الإسلامية** (الاسكندرية: [د.ن.]، ١٩٨٦)، ص ٢١٩.

(٥٤) ابن القلانسي، **ذيل تاريخ دمشق**، ص ١٦٤ ـ ١٧١.

(٥٥) أبو العباس أحمد بن عبدالوهاب النويري، **نهاية الأرب في فنون الادب**، تحقيق سعيد عبدالفتاح عاشور (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥)، ج ٢٧، ص ١٢٧.

الصليبية فيما يتعلق بالفرنجة أو الخاضعين لهم، فضلاً عن تنظيم عملية فرض الرسوم والضرائب، وشؤون الأمن والمحاكمات، ومعاملة الفلاحين ورعي الأغنام والماشية، ومصائد الأسماك والنشاط التجاري[٥٦]. وكانت الرسوم والضرائب على اختلاف أنواعها، مناصفة بين حكام المسلمين والصليبيين في بلاد المناصفات هذه[٥٧]. وفي كثير من الأحيان، كان يحدث اعتداء على فلاحي هذه البلاد، مما يجبرهم إلى هجرتها، إما إلى بلاد المسلمين أو البلاد الخاضعة للفرنج، وعند عقد المعاهدات عادة ما كان ينص فيها على ضرورة عودة الفلاحين إلى بلادهم التي كانوا يزرعونها وتأمينهم، ولكن يبدو أن هذا الشرط لم تكن تتم مراعاته، نظراً لظروف الحرب التي كانت تشتعل بين الطرفين من وقت لآخر[٥٨].

وعلى أية حال، فإن كان هذا النظام قد كفل للمسلمين في فترات أنقسامهم وضعفهم نوعاً من المهادنة مع الفرنج، إلا أن نشأته في حدّ ذاتها قد حرمت المسلمين كثيراً من مناطقهم الزراعية ومنتجاتها، وجعلتها تخضع للصليبيين، مما كان دافعاً لهم للتطلع إلى اليوم الذي يتم فيه تحرير هذه البلاد من الذلّ والمهانة، وتحكم الدخيل فيهم وفي أراضيهم.

كما يذكر «هايد» أن أراضي سورية وفلسطين كانت تتمتع عند مقدم الصليبيين إلى بلاد الشام بخصوبة مدهشة، وكانت المنشآت الكبرى المقامة لري الأراضي، والعديد من المزارع والحقول التي وجدها القادمون الجدد في ضواحي المدن تشهد كلها بمدى ما كانت تلقاه الزراعة من عناية. كذلك كانت الحدائق، وخاصة في ضواحي طرابلس وصور غاصّة بفواكه الجنوب، من ليمون وبرتقال وتين ولوز، وعلى سفوح جبال لبنان من جهة البحر، وعلى الكثير من النواحي الأخرى تزرع الكروم، ويصنع منها نبيذ فاخر، أشهر أنواعه نبيذ نيفن في طرابلس، وكانت مزراع الزيتون وحقول السمسم تعطي محاصيل وفيرة من ثمار زيتية[٥٩]. إلاّ أن المؤرخ الصليبي الشهير وليم الصوري يذكر لنا أنه نتيجة لبناء الصليبيين الكثير من القلاع والحصون واستخدامها في شن الكثير من الهجمات على أراضي المسلمين، هجر كثير من المزارعين أراضيهم الخصبة التي كانت على جانب كبير من الأهمية والفائدة لسكان المدن الإسلامية[٦٠]، فضلاً عما أحدثته الاغارات نفسها من خراب اقتصادي، نتيجة لقطع أشجار البساتين، والاستيلاء على قطعان الماشية والأغنام[٦١]. ويؤكد لنا ابن القلانسي أن الأعمال الحربية كثيراً ما أضرت بالزروع والبساتين والأشجار، حيث كان يتم إحراقها أو تدميرها نتيجة لإحجار المنجنيقات، ورشق النشاب، وقذف الأحجار والنيران وغيرها[٦٢]. وحتى البلاد التي عقدت نوعا من المهادنة مع الصليبيين، لم يسلم أهلها مما أنزله بهم الصليبيون من غدر وانتقام وبشكل مفاجىء، مثال ذلك ما حدث سنة ١١٠٠ م، عندما خرج أهالي أرسوف لمباشرة نشاطهم السلمي في مزارعهم القريبة، فأغار عليهم الصليبيون وانتقموا من أسرى

---

(٥٦) توفيق، **الدبلوماسية الإسلامية**، ص ٢٢٠ ـ ٢٢١.

(٥٧) القلقشندي، **صبح الأعشى في صناعة الانشاء**، ج ١٤، ص ٤٥ ـ ٤٦.

(٥٨) المصدر نفسه، ج ١٤، ص ٦١.

(٥٩) هايد، **تاريخ التجارة في الشرق الادنى** (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥) ، ج ١، ص ١٨٨ ـ ١٨٩.

(٦٠) Guilelmus (abp. of Tyre), *A History of Deeds Done Beyond the Sea*, vol.1, p.469.

(٦١) براور، **عالم الصليبيين**، ص ٦٤.

(٦٢) ابن القلانسي، **ذيل تاريخ دمشق**، ص ٢٩٩.

المسلمين انتقاما وحشيا، بأن قطعوا أنوفهم وأرجلهم وأيديهم، وذلك عن طريق الحامية الصليبية الموجودة في الرملة بالقرب منهم[٦٣]. وما حدث عام ١١٥٧ م من أن جماعة من الرعاة التركمان، كانوا قد حصلوا على إذن من ملك بيت المقدس بلدوين الثالث برعي ماشيتهم وخيولهم وجمالهم في منطقة الأردن حول بانياس، فكانت الخيول الكثيرة التي امتلكها أولئك الرعاة قد أثارت طمع بلدوين، فنسى الأمان الذي أعطاه لهم وفكر في سلبهم إياها، فكان أن هاجم الصليبيون أولئك الرعاة المسلمين، وأعملوا فيهم السيف، فقتل منهم من قتل وأسر من أسر، وتحقق للصليبيين ما أرادوا من أسلاب «واستاقوا جميع ما وجدوه وافقروا أهله منه مع ما أسروه من تركمان وغيرهم، وعادوا غانمين آثمين»[٦٤]. فإذا جاز للمسلمين أن يصبروا على قيام دولة للصليبيين في بلادهم، فإنهم كانوا لا يطيقون قيام دولة من اللصوص في أراضيهم، على حد قول أحد المؤرخين الأوروبيين[٦٥].

كذلك يذكر جاك الفيتري المؤرخ الصليبي، أن الفرنج بعد أن تم لهم تأسيس إمارات الرها وأنطاكية وطرابلس ومملكة بيت المقدس، وتم لهم الاستيلاء على المدن والموانىء الساحلية لبلاد الشام، فرضوا على سكان بعض المناطق الداخلية من بلاد الشام أتاوة سنوية يدفعونها لهم «لان رجالنا غالبا ما كانوا يغيرون على حدود هذه البلاد وضواحيها، وعلى سكانها، وقد كان سكان هذه المناطق سعداء لأن يدفعوا هذه الأتاوة للخلاص من إغارات الفرنج عليهم. مثال ذلك سكان مدن كل من حمص وبعلبك وحماه وبعض المدن الاخرى، ولكونهم كانوا على مقربة من رجالنا كان من السهل مضايقتهم، لذلك اضطروا إلى مسالمة رجالنا، مقابل دفعهم لتلك المبالغ الكبيرة»[٦٦] ويفسر لنا ابن الأثير السبب في ذلك بقوله: «إن الفرنج لما ملكوا أنطاكية في سنة احدى وتسعين وأربعمائة طمعوا في بلاد حلب، فخرجوا إليها وعاثوا في بلادها وملكوا معرة النعمان وقتلوا من فيها، فخافهم الملك رضوان بن تاج الدولة تتش لعجزة عن دفعهم عن البلاد ومنعهم،فاضطر إلى مصالحتهم فاقترحوا عليه أشياء كثيرة، من جملتها أن يحمل إليهم في كل سنة قطيعة من مال وخيل...»[٦٧] كما يذكر ابن القلانسي أن والي مدينة عسقلان من قبل الخلافة الفاطمية في مصر وهو «شمس الخلافة» اضطر إلى دفع مبلغ ستة آلاف دينار قررها على أهلها لموادعة الفرنج، ولكي يتقي شر غزوات ملك بيت المقدس الصليبي آنذاك، كل ذلك بسبب عجز الفاطميين في مصر عن الدفاع عنها[٦٨]. كما أن أهل مدينة أرسوف، وقد كانت تابعة للدولة الفاطمية كذلك، فعندما يئسوا من قيام الفاطميين بحمايتهم أو توفير الحماية لهم، وجدوا أنه لا مفر من الدخول في تبعية الصليبيين، حتى يتمكنوا من فلاحة أراضيهم القريبة. وهكذا انتهى الأمر بأن ذهبت سفارة منهم إلى غودفري دي بوايون في أواخر آذار / مارس سنة ١١٠٠ م تحمل إليه مفاتيح أبواب المدينة وقلاعها، وتعرض عليه الدخول في تبعيته، ودفع جزية مالية رمزاً لهذه التبعية. كذلك أعلن حكام عسقلان وقيسارية وعكا تبعيتهم لدولة الفرنجة، ودفعوا جزية مشتركة شهرية قدرها خمسة آلاف دينار رمزاً لتلك التبعية، فضلاً عما تعهد به المسلمون

---

(٦٣) عاشور، **الحركة الصليبية**، ج ١، ص ٢٦٢، و
Grousset, *Histoire des croisades et du royaume franc de Jérusalem,* vol.1, p.182.

(٦٤) ابن القلانسي، المصدر نفسه، ص ٣٣٧، وعاشور، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٦٦٧.

(٦٥) عاشور، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٦٦٧، نقلاً عن: باركر، **الحروب الصليبية**، ص ٨٩.

(٦٦) *P.P.T.S.*, vol. 11, p.22.

(٦٧) أبو عبدالله محمد بن علي بن شداد، **الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة** (دمشق: المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ١٩٥٣ -)، ج ١، قسم ١، ص ٤٠.

(٦٨) ابن القلانسي، **ذيل تاريخ دمشق**، ص ١٧٢.

من تقديم المواشي والغلات والزيوت وغيرها من الفروض العينية[٦٩]. يضاف إلى هـذا ما يشـير إليه بعض المؤرخين، من أن الصليبيين قد حرموا على عرب فلسطين أي تبادل تجاري عن طـريق البحر مع بقية العالم الإسلامي، وبذلك تمت لهم السيطـرة على النشـاط التجاري في المـوانىء البحريـة، وتركزت في أيديهم التجارة الخارجية[٧٠].

وأخيراً يأتي ما أدركه المعاصرون آنذاك من أن السبب فيما حل بهم من سـوء الأحوال وتعسف الحكام وانتشار المظالم كان مرده الهجمة الصليبية، وخير ما يعبر عن ذلك ما جاء في المنشور الذي كتبه أحد الفقهاء يذكـر فيه السبب في انتشـار المظالم التي كـانت بحلب ودمشق وحران وسنجـار والرحبة وعزاز وتل باشر بأنها كانت بسبب ضعفهم «عن عمـارة ما خـربته أيـدي الكفار أبـادهم الله عند استيلائهم على البلاد وظهور ظلمهم في العباد»[٧١]. ذلك لأنهم في الفتـرة من ١٠٩٧ ـ ١١٢٤ م استطاعـوا أن يستولوا على رقعة من الأرض بلغ امتدادها من الشمال إلى الجنـوب نحو خمسمـائة ميـل، ولم يقل عرضها عن خمسين ميلاً[٧٢] في وقت افتقر فيه المسلمون إلى من يلم شملهم ويدافع عنهم.

ثالثاً: ظروف ظهور صلاح الدين على المسرح السياسي

يشكـل عهد صـلاح الدين الأيـوبي واحدة من تلـك اللحظات النـادرة والمثيرة في التـاريـخ البشري. وتقتضي منا الموضوعية التاريخية أن ننظر إلى هذه الشخصية الفذة في إطارها التاريخي، حتى نكشف كيف أن صـلاح الـدين الأيـوبي استطـاع أن يستخـدم معطيـات عصر وظـروفـه التاريخية، أو عوامل القوة التي أخذت تتبلور على الجـانب العربي، بحيث استطـاع أن يتغلب على جميع العقبات في سبيل تحقيق الوحدة السياسية والمعنوية التي برهنت على أن التصميم الأخلاقي ووحدة الهدف يمكن أن يكونا من القوة بحيث يواجهان التحدي بصورة مباشرة.

ذلك أن هذا القائد الفذ بما تمتع به من أخلاق سامية مثالية وشجاعتـه الأخلاقيـة، وعزمـه وتصميمه، وقدرته السياسية، وإيمانه بحق أمته، وانكاره لذاته وجسارتـه العسكريـة، هذا القـائد نجح في أداء دوره التاريخي، واحتل مكانته الساميـة في وجدان أمتـه عن جدارة، لأنـه كان تلبيـة لحاجات هذه الأمة. وكان دور صلاح الدين في حقيقة أمره استمرارا لدور عماد الدين زنكي، ونور الدين محمود، هذا الدور الذي كان إفرازاً لما حدث من تدهور الخلافة العباسيـة، وما تـرتب عليه من القضاء على أي دور فعّال لها في مواجهة الهجمة الصليبية، فضلاً عن أن قوات السلاجقة وهم حمـاة الدولـة العباسيـة كانت قـد ذابت في طيات المـوجات الصليبيـة الأولى وفي خضم نزاعـاتهم الداخلية[٧٣]. كما كان ظهور صلاح الـدين الأيوبي عـلى أنقاض الـدولة الفـاطمية، وبسبب ضعف أبنـاء البيت الزنكي بعـد وفاة نـور الدين محمـود، ليتولى قيـادة الجبهة الإسـلامية في مـواجهـة

---

(٦٩) عاشور، **الحركة الصليبية**، ج ١، ص ٢٦٣ ـ ٢٦٤.

(٧٠) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥.

(٧١) ابو شامة، **كتاب الروضتين في اخبار الدولتين**، ج ١، ص ١٦.

(٧٢) Lane-Poole, *Saladin and the Fall of the Kingdom of Jerusalem*, p.25.

(٧٣) يوسف بن تغري بردى، **النجوم الزاهرة في ملـوك مصر والقاهـرة**، تحقيق فهيم محمد شلتـوت، جمال محمد محرز وجمال الدين الشيال، ١٦ ج (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢)، ج ٥، ص ١٦٥.

الصليبيين، بعد أن كان الناس قد ضاقوا ذرعاً بما آلت إليه الأحوال[٧٤]. كما كان استجابة لحركة المجتمع الاسلامي الذي كان الرأي العام فيه يطلب زعيماً بطـلاً يقود المسلمـين في حركـة الجهاد ضد الصليبيين بسبب «الخلاف المستمر والشحناء والفساد، وخوف بعضهم من بعض لاشتغال الولاة عنهم وعن النظر في أحوالهم بالخلف والمحاربة»[٧٥].

ولم تكن الأمة العربية والاسلامية لتقبل بغير القائد الذي يقودها نحو تحقيق أهدافها بديلاً، إذ كـان المسلمون قـد اكتشفوا مـدى فـداحـة الخطـر الصليبي، وأعلنـوا في خطب الجمعـة، وفي كتاباتهم وأشعارهم ومنتدياتهم، رفضهم لكل القيادات المتخاذلة، مثال ذلك ما حـدث عندمـا «خرج المستنفـرون من دمشق مع قـاضيها زين الـدين أبي سعد الهـروي، فوصلـوا بغـداد وحضروا في الـديـوان وقطعـوا شعورهم، واستغاثوا وبكوا، وقام القاضي في الديوان وأورد كـلاما أبكى الحـاضرين، وندب من الـديوان من يمضي إلى العسكر السلطاني ويعـرفهم بهذه المصيبة»[٧٦]، ومـا حـدث في أول جمعة من شهـر شعبان سنـة ٥٠٤ هـ حيث «حضر رجل من الأشراف الهاشمية من أهل حلب وجماعة من الصوفية والتجـار والفقهاء إلى جـامع السلطـان ببغداد ،فاستغاثوا وأنزلوا الخطيب عن المنبر وكسروه وصاحوا وبكوا لما لحق الإسـلام من الفرنـج وقتل الـرجال وسبي النساء والأطفال ومنعوا الناس من الصلاة والخدم والمقدمون يعدونهم عن السلطان بمـا يسكنهم من انفاذ العسـاكر والانتصار للإسلام من الفرنج والكفار، وعادوا في الجمعة الثانية إلى جامع الخليفة وفعلوا مثل ذلك من كثرة البكاء»[٧٧]. كما قامت المدارس والعلماء والدوائر المتدينة بخلق مناخ للرأي العام الضاغط كان من المتعذر معه وفي ظله تجنب المواجهة المباشرة للتحدي الذي فرضه الـوجود الصليبي عـلى الأرض العربيـة[٧٨]. وإدانة كـل أشكال التقاعس والتعاون مـع الصليبيين حيث «ضـاقت صدور أهـل الدين والصـلاح وزاد إنكارهم لمثل هذه الأحوال المنكرة والأسباب المستبشعة»[٧٩] لما أحست فيه البلاد من تبعية وذل، وما اضطر إليه أهل بلاد الشام في كثير من المدن إلى مصانعة الفرنج، دفعاً لشرهم[٨٠].

كما تجدر الإشارة إلى أن الصليبيين، في الفترة التي ظهر فيها صلاح الـدين الأيوبي كـانوا قد بلغوا من القوة واتساع النفوذ درجة هددت أهل العراق والشام ومصر بل وأهل الحجاز وسكان الحرمين الشريفين مكة والمدينة. وهنا يتضح الفارق بين الظروف التي أدت إلى ظهور صـلاح الدين وغيره من زعماء الجهاد السابقين، لأن أسلاف صلاح الدين من زعماء حركة الجهاد، أمثـال عماد الدين زنكي ونور الدين محمود كانوا قد نازلوا جموعاً من الصليبيين ما زالت في دور النضج والنمو والسعي لتفهم أوضاع البيئة الجديدة التي استقرت فيها بالشرق العربي. أما صلاح الـدين نفسه فقد كان عليه أن يتحدى إمارات صليبية ومملكـة قويـة للصليبيين في بيت المقـدس، بلغت جميعها على أيامه عنفوان قوتها وشبابها، واكتملت لها أسباب الحياة والتنظيم السياسي والحربي[٨١]. كذلك

---

(٧٤) النويري، **نهاية الارب في فنون الادب**، ج ٢٧، ص ١٧٠.

(٧٥) ابن القلانسي، **ذيل تاريخ دمشق**، ص ١٤٠، وابن الاثير، **الكامل في التاريخ**، ج ١٠، ص ٤٨٢.

(٧٦) أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، **المنتظم في تاريخ الملوك والامم** (حيدر آباد الدكن: [د. ن.]، ١٣٥٩)، ج ٩، ص ١٠٨، وابن تغري بردى، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ج ٥، ص ١٥٠.

(٧٧) ابن القلانسي، المصدر نفسه، ص ١٣٣.

(٧٨) براور، **عالم الصليبيين**، ص ٦٩.

(٧٩) ابن القلانسي، المصدر نفسه، ص ٣١٣.

(٨٠) ابن الاثير، **الكامل في التاريـخ**، ج ١٠، ص ٢٨٦، وأبو شـامة، **كتـاب الروضتـين في اخبار الـدولتين**، ج ١، ص ٣٠.

(٨١) سعيد عبدالفتاح عاشور، **الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب** (القـاهرة: المؤسسـة المصرية العـامة، ١٩٦٥)، ص ٥.

يمكننا القول إن فكرة الوحدة التي ظهرت في عهد عماد الدين زنكي، ونمت في عهد ابنه نور الدين محمود قد تطورت، وبدت للمعاصرين ـ على عهد صلاح الدين ـ أنها لا بدّ وأن تكون وحدة شاملة فعلاً من الفرات إلى النيل، وأنه بدون هذه الوحدة الشاملة لن يتحقق تطهير الأرض العربية من رجس الدخلاء، وذلك لأنهم أدركوا أن انقسام العرب والمسلمين في الشرق الأدنى إلى جبهتين، جبهة في مصر، وجبهة في شمال الشام والعراق قد مكن الفرنج من توجيه ضرباتهم لكل جبهة منهما على حدة، دون أن تتمكن الجبهة الأخرى من التدخل لنجدتها في معظم الأحيان، وبشكل فعّال أو مؤثّر. لقد شكّل صلاح الدين استجابة لهذا المطلب، حيث استطاع أن يستخدم معطيات عصره وظروفه التاريخية لتحقيق متطلبات شعب عانى من التشرذم السياسي ومن حكام أعمتهم مصالحهم الشخصية، والذين وصفهم ابن العديم في عبارة بليغة بأنهم «كانوا يريدون بقاء الفرنج ليثبت عليهم ما هم فيه» أي أنهم كانوا يتمنون استمرار بقاء الصليبيين في بلاد الشام ليضمنوا استمرارهم في مناصبهم(٨٢). وعلى هذا كان ظهور صلاح الدين قد واكب ما أمسى فيه حال المسلمين من حاجة ملحة إلى ظهور زعيم عسكري يقود الأمة للخلاص، لذلك لا غرابة في أن نرى أهل مصر عندما عرفوه يرحبون به، ويلتفون حوله، كما لم يكن توجهه إلى دمشق عقب وفاة نور الدين محمود، إلا تحت إلحاح وطلب جماهير دمشق له(٨٣). وفي كل مكان كان يتجه إليه في بلاد الشام كانت هناك رغبة شعبية تدفعه قدماً للأمام على طريق الوحدة الشاملة، بغض النظر عن تصرفات بعض الحكام الذين أعمتهم مصالحهم الشخصية، هذه الرغبة وتلك الاستجابة هي التي استمد منها زاده في رحلته عبر مستنقع التشرذم السياسي والفتن والمؤامرات التي حاكها صغار النفوس، فهانت عنده الدنيا «وأعرض عن أسباب اللهو وتقمص بلباس الجد والاجتهاد، وما عاد عنه، ولا ازداد إلّا جدا، إلى أن توفاه الله إلى رحمته»(٨٤).

والحقيقة أن المصادر التاريخية المتاحة لا تمدنا بشيء يشرح تفاصيل حياة صلاح الدين الباكرة، ما عدا أنه عاش في البلاط النوري بدمشق وحلب، وأنه تقلب في بيئة عائلية، ولا بدّ أنه قضى معظم أيامه في دراسة علوم طبقته الاجتماعية وفنونها، وحين بلغ صلاح الدين الواحدة والعشرين من عمره عيّنه نور الدين محمود في سنة ١١٦٠ م في وظيفة «شحنة دمشق» أي رئيس الشرطة والمسؤول عن الأمن فيها(٨٥). إلا أننا نستطيع القول إن صلاح الدين، وقد نشأ في بلاد الشام التي كانت تعتبر آنذاك الميدان الأول للصراع بين المسلمين والفرنج في الشرق، قد شب في عصر اشتداد حركة الجهاد، وأتيحت له الفرصة أن يحيا بين أناس لا حديث لهم إلّا عن حركة الجهاد التي تزعمها عماد الدين زنكي ومن بعده نور الدين محمود، واشتد عوده في وقت كان العالم الإسلامي يعاني فيه من الفرقة السياسية والدينية، وعندما وفد مع عمه أسد الدين شيركوه إلى مصر، حيث رحب بهما الأهالي، والتفوا حولهما، فقد أدرك بثاقب بصره الرغبة الشعبية في كل

---

(٨٢) ابن العديم، **زبدة الحلب من تاريخ حلب**، ج ٣، ص ٦٠٠ من مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية، وعاشور، المصدر نفسه، ص ٣٩.

(٨٣) ابن تغري بردى، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ج ٥، ص ٢٤ ـ ٢٥.

(٨٤) أبو عبدالله محمد بن علي بن شداد، **سيرة صلاح الدين الايوبي المسماة بالنوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية**، وفي ذيله منتخبات من كتاب التاريخ لصاحب حماه، تأليف تاج الدين شاهنشاه بن أيوب (القاهرة: مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح، ١٩٢٧)، ص ٤٠.

(٨٥) أبو شامة، **كتاب الروضتين في اخبار الدولتين**، ج ١، ص ٣٨، وأبو العباس أحمد بن علي المقريزي، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، ج ١، قسم ١، ص ٥٨.

من مصر وبلاد الشام في التخلص من الخطر الصليبي الجاثم على صدر الأمة العربية آنذاك، مما كان له أكبر الأثر في تكوينه السياسي، وتكريسه كل جهده ووقته وحياته ومقتبل عمره لتحقيق ذلك المطلب الشعبي، وفي ذلك يقول ابن شداد: «ولقد كان حبه للجهاد والشغف به قد استولى على قلبه وسائر جوانحه استيلاء عظيما، بحيث ما كان له حديث إلّا فيه، ولا نظر إلّا في آلته، ولا كان له اهتمام إلّا برجاله، ولا ميل إلّا إلى من يذكره ويحث عليه، ولقد هجر في محبة الجهاد في سبيل الله أهله واولاده ووطنه وسكنه وسائر ملاذه»[٨٦].

وكانت مصر، بمتاعبها الداخلية وضعفها البادي أواخر العصر الفاطمي، تثير شهية كل جيرانها، كما كانت أخبار التدهور الداخلي معروفة لهم جميعا[٨٧]، وعندما فشل الصليبيون على الجبهة الشمالية ـ لاشتداد حركة الجهاد التي قادها نور الدين محمود ـ اتجهوا صوب الجنوب، صوب مصر. واستغل الملك الصليبي بلدوين الثالث هذه الحالة، وكشّر عن أنيابه مهدّداً بغزو الديار المصرية[٨٨]، ولم يرجع عن تهديده إلّا بعد أن وعده الوزير ابن رزيك باسم الخليفة العاضد الفاطمي الطفل بجزية سنوية مقدارها مائة وستين ألف دينار[٨٩]. ومات بلدوين الثالث سنة ٥٥٧ هـ / ١١٦٢ م وتولى حكم مملكة بيت المقدس بعده أخوه أماالريك الأول «عموري» أو «أموري» دون أن تقوم القاهرة بدفع شيء من هذه الجزية[٩٠]. وكان تولي أماالريك الأول حكم بيت المقدس بداية مرحلة جديدة في تاريخ العلاقات بين الصليبيين ومصر، حيث أدرك أن سيطرة نور الدين محمود على حلب وحماه وحمص ودمشق قد حالت دون توسع الصليبيين في شمال بلاد الشام، وأن الطريق الطبيعي الذي بقي مفتوحا أمامهم هو مصر، خاصة وأن الخلافة الفاطمية كانت قد انحلت وفقدت هيبتها لتحكم الوزراء في عزل وتعيين الخلفاء، وتدبير المؤامرات للتخلص منهم، مثال ذلك ما حدث من الوزير طلائع بن رزيك الأرمني الأصل، والذي أخذ يستعرض المرشحين للخلافة عندما توفي الخليفة الفائز سنة ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م «استعراض الغنم» على حدّ قوله[٩١]. ثم ازدادت أحوال الخلافة الفاطمية سوءاً بمقتل الوزير طلائع بن رزيك وابنه ليحل محله في الوزارة شاور، الذي اشتد الصراع بينه وبين حاجبه ضرغام على الوزراة، فاستنجد شاور بنور الدين محمود، بينما استنجد ضرغام بالصليبيين[٩٢]. ويقول أستاذنا الراحل د. زيادة «وهكذا عمد كل من المتنافسين الاثنين على الوزارة الفاطمية إلى اللعب بالنار وتغالى كل منهما في اللعب بها حتى التهمت كلّاً منهما بدوره، مع العلم أن هذه النار هي التي أضاءت الطريق لصلاح الدين يوسف بن أيوب، ومهدت لظهوره، والحقيقة ان الصراع ضد الصليبيين على الأرض المصرية كان بمثابة المدرسة التي تلقى فيها صلاح الدين دروسه الأولى عن مجال الصراع، وعوامل القوة والضعف فيه»[٩٣]، ومع مرور الأيام كان رصيد صلاح الدين من الخبرة العسكرية والسياسية يزيد، في حين يتصاعد إدراكه لحقيقة الخطر الصليبي، ولأهمية مصر في

---

(٨٦) ابن شداد، المصدر نفسه، ص ٢١ ـ ٢٧، وسعيد عبدالفتاح عاشور، **الايوبيون والمماليك في مصر والشام** (القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٧٠)، ص ٥٨.

(٨٧) ابن القلانسي، **ذيل تاريخ دمشق**، ص ٣١٢.

(٨٨) ابن الوردي، **تاريخ ابن الوردي**، ج ٢، ص ٢٠.

(٨٩) ابو شامة، **كتاب الروضتين في اخبار الدولتين**، ج ١، ص ١٠٧.

(٩٠) Guilelmus (abp. of Tyre), *A History of Deeds Done Beyond the Sea*, vol.2, pp.890 - 891.

(٩١) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج ١٠، في حوادث سنة ٥٥٦ هـ.

(٩٢) ابو ابراهيم الفتح بن محمد البنداري، **سنا البرق الشامي**، وهو مختصر البرق الشامي للعماد الاصفهاني، تحقيق رمضان ششن (بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٧٧)، ص ١٩.

(٩٣) محمد مصطفى زيادة، **حملة لويس التاسع على مصر وهزيمته في المنصورة** ([القاهرة]: المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، ١٩٦١)، ص ٢٨ ـ ٣٥.

صراعه المقبل مع الصليبيين، فقد ورد على لسانه قوله: «لما يسر الله لي الديار المصرية علمت أنه أراد فتح الساحل، لأنه أوقع ذلك في نفسي»[٩٤].

رأينا أن الصراع مع الصليبيين قد انتقل من شمال الشام إلى ميدان جديد، هو شرق دلتا النيل بطول المسافة من الفرما «قرب بورسعيد الحالية» حتى القاهرة، وكانت هذه النقلة في مجال الصراع أكثر من مجرد نقلة جغرافية، فقد كانت بمثابة تطور جديد في المفاهيم السياسية. فمنذ البداية، أدرك الصليبيون قيمة مصر لحسم مصير الكيان اللاتيني تحت سماء الشرق، كما أن نور الدين أدرك بجلاء شديد أهمية وجود مصر في الجبهة الإسلامية لضمان النصر على الصليبيين. ولقد فرض منطق التاريخ وحقائق الجغرافيا في عهد صلاح الدين بوجه خاص ومن بعده، أيضا أن تكون مصر ميدانا رئيسيا في الحروب الصليبية لا هامشا عرضيا من هوامش ذلك الصراع الطويل المضني، وانتهى الصراع الإسلامي الصليبي على أرض مصر لصالح صلاح الدين، وأثبتت الأحداث أنه بطل تلك الحقبة الحرجة في تاريخ المنطقة العربية الإسلامية، وكانت وزارة صلاح الدين في خدمة الخليفة الفاطمي العاضد بمثابة الفترة الانتقالية لتألق نجمه، ولكن أحداثا كثيرة وجسيمة مرت قبل أن يثبت صلاح الدين الأيوبي جدارته بأن يكون زعيم الأمة وقائدها في الصراع ضد الصليبيين، ولقد علمته الأحداث التي خبرها وهو يحارب الصليبيين تحت راية عمه أسد الدين شيركوه تارة، وتحت راية نور الدين محمود تارة ثانية، وفي مواجهة المؤامرات والصعوبات التي واجهته عندما انفرد بحكم مصر تارة أخرى، أن السبيل لدحر العدو الصليبي يبدأ بالقضاء على العدو الداخلي المتمثل في الأنانية السياسية والتفكك والنزاع والمؤامرات والفتن[٩٥].

ومن ناحية أخرى كان انفراد صلاح الدين بالسلطة في مصر، مقدمة لدوره الكبير في تاريخ الصراع ضد الصليبيين، ذلك أن مصر بمواردها الهائلة والتفاف أهلها حوله قد جعلت قامته السياسية تطول، وبدأت صورته كبطل للأمة العربية الإسلامية تتشكل وتتبلور. ثم تطورت الظروف السياسية بالشكل الذي ساعد على تألق شخصية البطل الإسلامي الجديد. فقد خلت الساحة من سيده نور الدين وعدوه أموري، وغدت الساحة خالية تماما لظهور زعامة صلاح الدين، وتألق شخصيته ومواهبه القيادية. خاصة وأنه كان قد حدث توتر في العلاقات بين صلاح الدين وسيده نور الدين، وفي رأينا أن هذا التوتر لا يمكن ارجاعه إلى ضآلة الهدية التي أرسلها له صلاح الدين من كنوز الفاطميين، أو بسبب طمع صلاح الدين في امتلاك مصر، بل إن هذا التوتر كان راجعا بالدرجة الأولى إلى اختلاف الرؤية السياسية لدى كل من الرجلين. لقد كان كل منهما يؤمن بضرورة الوحدة السياسية للقوى الإسلامية في مواجهة الصليبيين، ولكن إدراك كل منهما لحقائق الصراع كان يختلف عن إدراك الآخر. كان نور الدين يرى أن بلاد الشام هي ميدان الصراع الرئيسي ضد الصليبيين، وأن مصر يمكن أن تمول القوى الإسلامية بمواردها الاقتصادية، وأن يكون رصيدها البشري احتياطيا للقوى الإسلامية في الشام والعراق[٩٦]. لكن صلاح الدين كان يرى أن مصر لا يمكن أن تكون على هامش الصراع وإنما هي مفتاح النصر فيه، لأنه كان قد أدرك

---

(٩٤) ابن شداد، **سيرة صلاح الدين الأيوبي المسماة بالنوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية**، ص ٤١.

(٩٥) عن تلك المرحلة يمكن الرجوع إلى: أبو شامة، **كتاب الروضتين في اخبار الدولتين**، ج ١، ص ١٦٠ - ١٨٠، وابن واصل، **مفرج الكروب في اخبار بني ايوب**، ج ٢، ص ٢٦ - ١٦٠.

(٩٦) جب، **صلاح الدين الأيوبي**، ص ١٢١.

من خلال صراعه على أرض مصر ضد الصليبيين والبيزنطيين، أن مصر يجب أن تقود الصراع لا أن تكون على هامشه لأن العدو يركز جهوده على مصر لضمها أو تحييدها، وكانت هذه الرؤية السياسية الثاقبة هي أهم ما يميز صلاح الدين الأيوبي عن نور الدين محمود. وخير ما يؤيد وجهة النظر هذه قول أبي شامة: «ولو علم نور الدين ماذا ادخر الله تعالى للإسلام من الفتوح الجليلة على يد صلاح الدين من بعده لقرت عينه، فإنه بنى على ما أسسه نور الدين من جهاد المشركين، وقام بذلك على أكمل الوجوه وأتمها»[97].

كما كانت وفاة نور الدين محمود في ١١ شوال ٥٦٩ هـ / منتصف أيار / مايو ١١٧٤ م ثم موت أموري ملك بيت المقدس في السنة نفسها، تطوراً إيجابياً في الموقف السياسي لصالح صلاح الدين الأيوبي، فقد عظمت شخصيته الحربية هيبته لدى جماهير الناس في مصر وفلسطين وبلاد الشام. وازداد تعلق الناس بزعامته التي رأوا فيها وسيلة تقودهم نحو النصر وتحقيق الكرامة العربية الإسلامية، خاصة وأنه أعقب وفاة نور الدين محمود تشتت بلاد الشام لاختلاف آراء الأمراء النورية وإيثارهم مصالحهم الخاصة التي تكفل لهم تقسيم هذه الدولة مع طمع الفرنج فيها[98]. وكانت الخطوة الأخيرة في سبيل تأكيد هذه الزعامة تتطلب منه أن يعالج في حزم ورزانة ما نجم عن وفاة نور الدين محمود من منازعات وصراعات حول تركته. وكان هدف صلاح الدين أبعد من مجرد الوصاية على ابن نور الدين محمود وهو الصالح اسماعيل الذي كان في الحادية عشرة من عمره، هذه الوصاية التي تطلعت إليها العواصم الكبرى في المنطقة العربية الإسلامية آنذاك. وهي الموصل وحكامها الأتابكة تحت زعامة الملك سيف الدين غازي الثاني، والذي سارع بضمّ البلاد المجاورة له وأعلن نفسه أميراً على الجزيرة، وتطلع إلى ضم حلب. ثم دمشق والتي كان بها مقدم الجيش النوري «شمس الدين محمد» والذي اضطر لمهادنة الصليبيين ودفع جزية مالية لهم حتى يتقي هجومهم، وأرسل يطلب مساعدة صلاح الدين وحلب التي كان أكبر القواد فيها هو «شمس الدين علي بن الداية» الذي أسرع يستدعي الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين إلى حلب، ولكن قائداً عسكرياً آخر هو «سعد الدين كمشتكين قبض على ابن الداية واستبد هو بأمر الملك الصالح»[99]. بل كان صلاح الدين يسعى لهدف أسمى من مجرد الاستئثار بالحكم، فقد كان يريد مواصلة بناء الجبهة العربية الإسلامية في مواجهة الصليبيين، والتي أخذت عراها تتفكك وتنهار، فأخذ يسوق اعتراضاته على ما يجري، وألح بأنه سوف يتدخل لإعادة الأمور إلى نصابها، واتهمه المنافسون بعدم الوفاء لبيت نور الدين محمود الذي ربّاه، فكان جوابه حاسماً، وكشف عن توجهه السياسي الذي زاد التفاف المسلمين حوله، قال صلاح الدين: «لو استمرت ولاية هؤلاء القوم تفرقت الكلمة وطمع الكفار في البلاد» وفي موضع آخر قال: «إنا لا نؤثر للإسلام وأهله إلّا ما جمع شملهم وألف كلمتهم وللبيت الأتابكي أعلاه الله تعالى إلّا ما حفظ أصله وفرعه، ودفع ضرّه وجلب نفعه، فالوفاء إنما يكون بعد الوفاة، والمحبة إنما تكثر آثارها عند تكاثر أطماع العداة، وبالجملة انا في واد والظانون بنا ظن السوء في واد»[100]. ومما لا شك فيه أن هذه الكلمات الحاسمة تكشف لنا عن حقيقة فكر صلاح الدين السياسي، وعن حقيقة أهدافه

---

(٩٧) أبو شامة، المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٢٨.

(٩٨) ابن واصل، **مفرج الكروب في اخبار بني ايوب**، ج ٢، ص ٢٨؛ ابن الوردي، **تاريخ ابن الوردي**، ج ٢، ص ٨٣، وجب، المصدر نفسه، ص ١٢٢.

(٩٩) ابن شداد، **سيرة صلاح الدين الايوبي المسماة بالنوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية**، ص ٤٩، وابن الوردي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٨٣.

(١٠٠) ابن واصل، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٨.

السياسية التي جعلت منه زعيما للأمة لأنها كانت هي أهدافها نفسها، فقد وطد نفسه على إعادة بناء الوحدة العربية الإسلامية التي شيدها عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود من بعده، وكانت أولى خطواته في هذا السبيل ضم دمشق سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م بعد أن استغاث به قائد الحامية الإسلامية بها «شمس الدين محمد» بسبب أطماع الفرنج في دمشق وأعمالها وبخاصة بانياس، وكان قد تمّ له استرضاء الفرنج بدفع مبلغ كبير من المال، واطلاق سراح أسراهم في دمشق في مقابل تركهم بانياس، ومع هذا لم تتوقف أطماعهم[١٠١]. وحين دخل دمشق لم يجد من أهلها أية مقامة وإنما رحبوا به أو على حسب قول ابن شداد: «لم يشق عليه عصا، ودخلها بالتسليم في يوم الثلاثاء سلخ ربيع الآخر سنة سبعين وخمسمائة، وتسلم قلعتها واجتمع الناس إليه وفرحوا به»[١٠٢]. وكان رد صلاح الدين على تلك الحفاوة التي قوبل بها في دمشق - وهي التي سبق أن استعصت على كل من عماد الدين زنكي ونور الدين محمود - أن أنفق «في الناس مالاً جزيلاً، وأمر فنودي بإطابة النفوس وإزالة المكوس، وإبطال ما أحدث بعد نور الدين من القبائح والمنكرات والضرائب»[١٠٣]. وبهذا كشف لنا عن جانب آخر من جوانب شخصيته كحاكم وهب نفسه للجهاد في سبيل الله، لذلك راعى الله في معاملته لرعاياه، والحقيقة أنه في هذا المسلك قد سار على درب نور الدين محمود في رفع المظالم والضرائب والمكوس التي تنافي الشريعة الإسلامية، وكان كلما ضم أقليما جديداً أو مدينة كان يسارع إلى رفع الضرائب عن أهلها، وكانت أوامره إلى عماله وتابعيه من حكام الأقاليم تنص على ضرورة إلغاء الضرائب الظالمة، فإذا ما خالف أحدهم أمره كان يعاقبه دونما إبطاء[١٠٤]. ولقد رسمت المصادر المعاصرة صورة حية للزعيم المسلم الذي زهد في السلطة، وعزف عن أن يقتني لنفسه شيئًا في زمان كان كل قائد أو حاكم يسعى فيه إلى مصالحه الشخصية قبل كل شيء، قال عنه ابن شداد: «سمعته في معرض حديث جرى يقول: يمكن ان يكون في الناس من ينظر إلى المال كما ينظر إلى التراب، فكأنه أراد بذلك نفسه، رحمه الله تعالى»[١٠٥]. ولقد نظر صلاح الدين إلى الثروة والسلطة باعتبارهما وسيلة لتحقيق الجهاد، وقد سجّل الجميع هذه الصورة لصلاح الدين، حتى الصليبيين أنفسهم فقد ذكر المؤرخ الصليبي الشهير «وليم الصوري» «إن سجايا صلاح الدين التي تجمع بين الحكمة والشهامة النادرة والشجاعة العسكرية كانت تقلق بال الصليبيين»[١٠٦].

وكما سبق أن أشرنا في المقدمة من أن الصليبيين في بلاد الشام كانوا يبذلون قصارى جهدهم لضرب الوحدة الإسلامية، والعمل على اجهاض كل محاولة لقيامها. فقد تحالف الصليبيون وأمراء حلب ضد صلاح الدين، كذلك تحالف حكام الموصل وأمراء حلب ضده، بل أوعز أمراء حلب إلى طائفة الاسماعيلية في جبل السماق لتخليصهم منه، لكن كل هذه المؤامرات والمحاولات كان مصيرها الفشل[١٠٧]. ولم ييأس صلاح الدين لأنه كان يدرك أن الأمة الإسلامية بأسرها قد

---

(١٠١) ابن الاثير، **الكامل في التاريخ**، ج ١١، ص ١٦٥ - ١٦٦؛ ابن العديم، **زبدة الحلب من تاريخ حلب**، ج ٣، ص ١٣؛ أبو شامة، **كتاب الروضتين في أخبار الدولتين**، ج ١، ص ٢٣٣؛ البنداري، **سنا البرق الشامي**، ص ٣٣، وأبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير، **البداية والنهاية**، ج ١٢، ص ٢٨٥.

(١٠٢) ابن شداد، **سيرة صلاح الدين الأيوبي المسماة بالنوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية**، ص ٥٠.

(١٠٣) المقريزي، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، ج ١، قسم ١، ص ٥٨.

(١٠٤) أبو شامة، **كتاب الروضتين في أخبار الدولتين**، ج ١، ص ٢٣٧؛ المقريزي، المصدر نفسه، ج ١، قسم ١، ص ٥٨، وجب، **صلاح الدين الايوبي**، ص ١٢٥.

(١٠٥) ابن شداد، **سيرة صلاح الدين الايوبي المسماة بالنوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية**، ص ١٨.

(١٠٦) جب، المصدر نفسه، ص ١٢٥، و

Guilelmus (abp. of Tyre), *A History of Deeds Done Beyond the Sea,* vol.2, p.489.

(١٠٧) انظر: ابن الاثير، **الكامل في التاريخ**، ج ١١، ص ١٢٠ - ١٧٥؛ ابن واصل، **مفرج الكروب في أخبار** =

اختارت الوقوف معه لأنه يسعى في سبيل تحقيق أماني هذه الأمة، وعلى الرغم من تمسك الزنكيين بمصالحهم الإقليمية الضيقة، فإن قطاعا كبيرا من جماهير حلب والموصل كانوا مع صلاح الدين بعواطفهم، وليس أدل على ذلك مما تشير إليه بعض المصادر المعاصرة من أن أمراء حلب بوجه خاص كانوا يخشون دائما أن يسلم أهالي حلب المدينة لصلاح الدين عندما كان يقترب منها(١٠٨). كذلك من المعروف أن عماد الدين زنكي صاحب سنجار وقف ضد أخيه سيف الدين غازي أتابك الموصل وأمراء حلب المتآمرين ضد صلاح الدين، ورفض هو وأهالي سنجار الانضمام لهذا الحلف لمحاربة صلاح الدين، كل هذا لأن اتصالات الزنكيين السرية، ومؤامراتهم مع الصليبيين أعداء الأمة العربية الإسلامية، كشفت لأبناء الأمة أنهم عاجزون عن تحقيق أماني الأمة. ولقد كان صلاح الدين هو بطل الأمة العربية والإسلامية والذي انتظره الناس كثيراً، وعندما ظهر في الساحة لم يكن الناس على استعداد للتفريط فيه(١٠٩). كما كان تاريخ صلاح الدين خلال السنوات التالية من ١١٧٩ إلى سنة ١١٨٢ بمثابة سجل للنجاح المطرد في سبيل تحقيق هدفه الكبير وهدف الأمة العربية والإسلامية. لقد مر هذا النجاح بسلسلة معقدة من المفاوضات والمناورات السياسية مع الزنكيين، والذين تردد صلاح الدين في حمل السلاح ضدهم، وهم الذين سيصبحون حلفاء في المستقبل، فرأى ان الاقناع والدبلوماسية قد يعودان بنتائج أفضل من الغزو(١١٠).

وفي ١٧ من صفر سنة ٥٧٩ هـ / ١١ حزيران / يونيو ١١٨٣ دخل صلاح الدين مدينة حلب وبذلك ازدادت الجبهة العربية الإسلامية تماسكا، وقد عبر صلاح عن ادراكه لأهمية ضم حلب في عبارته الشهيرة «والله ما سررت بفتح مدينة كسروري بفتح هذه المدينة والآن قد تبينت أنني املك البلاد وعلمت ان ملكي قد استقر وثبت»(١١١). ذلك لأنه صار بفتح حلب في وضع يتيح له إنزال ضربة قاصمة بالصليبيين، فموارد مصر الضخمة تحت تصرفه، ودمشق وحلب في قبضته، ومن حوله لا يوجد عدو خطير يخشى تهديده ان هو هاجم الصليبيين، بل يذكر أبو شامة ان إمارة أنطاكية الصليبية عندما عرفت باستيلاء صلاح الدين على حلب وحارم من بعدها، رجفت من ذلك رعبا، وأن أميرها بادر باسترضاء صلاح الدين، فأرسل إليه جماعة من أسارى المسلمين، وسارع إلى طلب أمان صلاح الدين، وذلك لإدراك الفرنج بها أن صلاح الدين سيستغل هذه القواعد الجديدة في الإغارة عليهم(١١٢).

وفي خلال السنوات المزدحمة التي قضاها صلاح الدين في بناء الجبهة العربية الإسلامية، وقع حادث مروع في خريف سنة ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م، عندما قام «رينالد دي شاتيون» «أرناط» أمير الكرك الصليبي، والذي اشتهر في المصادر العربية بأنه «أغدر الفرنجية واخبثها وافحصها عن الردى والرداءة، وأبحثها وانقضها للمواثيق المحكمة والإيمان المبرمة، وانكثها واخنثها»(١١٣) . قام بحملة بحرية على شبه

=**بني ايوب**، ج ٢، ص ٣٤ ـ ٥٠؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ١٢، ص ٢٩٢؛ ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، **مراة الزمان**، ج ٨، قسم ١، ص ٣٣٥، وابن العديم، **زبدة الحلب من تاريخ حلب**، ج ٣، ص ٣٠.

(١٠٨) ابن الاثير، المصدر نفسه، ج ١١، ص ١٧٠ ـ ١٧١، وابن العديم، المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٢٢.

(١٠٩) ابو البركات احمد بن ابراهيم الحنبلي العسقلاني، **شفاء القلوب في مناقب بني ايوب**، ورقة ٢٢ (مخطوط بجامعة القاهرة)، وابن الاثير، المصدر نفسه، ج ١١، ص ١٧١.

(١١٠) جب، **صلاح الدين الأيوبي**، ص ١٣٢.

(١١١) ابو شامة، **كتاب الروضتين في اخبار الدولتين**، ج ٢، ص ٤٥.

(١١٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٧؛ عاشور، **الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب**، ص ١٥٥، و Guilelmus (abp. of Tyre), *A History of Deeds Done Beyond the Sea*, vol.2, pp.490-498.

(١١٣) البنداري، **سنا البرق الشامي**، ص ٢٨٩، وأبو شامة، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٧٥.

الجزيرة العربية هدفها الهجوم على مكة والمدينة، وأخذت سفنه تغير على الموانىء المصرية الصغيرة على البحر الأحمر حتى وصلت إلى ميناء عيذاب، وهناك نهب الصليبيون بضع سفن تجارية وافدة من جدة واليمن وعدن والهند «فقتلوا واسروا واحرقوا في بحر القلزم نحو ستة عشر مركبا، واخذوا بعيذاب مركبا ياتي بالحجاج من جدة، وأخذوا في الأسر قافلة كبيرة من الحجاج فيما بين قوص وعيذاب، وقتلوا الجميع، واخذوا مركبين فيهما بضائع جاءت من اليمن، واخذوا اطعمة كثيرة من الساحل كانت معدة لميرة الحرمين واحدثوا حوادث لم يسمع الإسلام بمثلها»[١١٤]، ثم نقل الصليبيون نشاطهم الهدام إلى شواطىء الحجاز «فعظم البلاء واعضل الداء وأشرف أهل المدينة النبوية منهم على خطر عظيم» كما أغاروا على ميناء رابغ احد موانىء مكة[١١٥]. ومهما يكن من أمر، فإن صلاح الدين لم يسكت على تهديد الصليبيين للحرمين، وإنما أصدر تعليماته السريعة إلى أخيه العادل في مصر، فأعد أسطولاً قويا في البحر الأحمر، فاتجه إلى ميناء أيلة فظفر بمراكب الفرنج فحرقها وأسر من فيها، ثم أسرع بعد ذلك بتعقب السفن الصليبية عند عيذاب فشواطىء الحجاز، فقاتل الفرنج أشد مقاتلة، وقتل أكثرهم وأسر الباقين من جنودهم، وأرسل بعضهم لينحروا في منى، بينما عرض الأسرى الباقين في شوارع القاهرة والاسكندرية، أما أرناط نفسه فقد استطاع الافلات في صعوبة، وأقسم صلاح الدين على ألا يغفر له فعلته، وأن يدمر حصن الكرك، ويقتل أرناط بنفسه[١١٦].

وفي رأينا إن ما قام به أرناط من هجوم على الحرمين، قد أظهر الصليبيين على حقيقتهم في نظر المسلمين المعاصرين، مما أثار النفور منهم، وحال دون تعاون أية قوة إسلامية معهم وبخاصة أتابكة الموصل. ولقد ظهر ذلك واضحا عندما أراد صلاح الدين أن يتفرغ كلية للصليبيين، وفكر في محاصرة الموصل عام ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م، ولكنه مرض قبل أن يصلها فتوجه إلى حران، وهناك وفد عليه المؤرخ الشهير ابن شداد في أوائل ذي الحجة سنة ٥٨١ هـ / شباط/فبراير ١١٨٦ م رسولاً من جانب عز الدين مسعود أتابك الموصل في طلب الصلح والدخول في طاعة صلاح الدين. وتعهد بإرسال قواته للمساعدة في استرداد فلسطين[١١٧].

وكذلك كانت هذه الغزوة التي قام بها أرناط بمثابة الشرارة التي ألهبت مشاعر المسلمين في الوطن العربي، وكانت قد تمت لهم الوحدة تحت زعامة صلاح الدين الأيوبي. ولم يبق سوى ترجمة الأماني إلى حقيقة، وهو ما حدث يوم حطين بعد أن تم القضاء على عناصر الفرقة السياسية، وتحويل الطاقات الكامنة في هذا الشعب إلى قوة فعّالة قادرة على تحقيق الآمال العربية□

---

(١١٤) البنداري، المصدر نفسه، ص ١٨٨، والمقريزي، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، ج ١، قسم ١، ص ٧٩.

(١١٥) أبو شامة، **كتاب الروضتين في اخبار الدولتين**، ج ٢، ص ٣٥، وابن واصل، **مفرج الكروب في اخبار بني ايوب**، ج ٢، ص ١٢٧.

(١١٦) ابو الحسين محمد بن أحمد بن جبير، **رحلة ابن جبير في مصر وبلاد العرب والعراق والشام وصقلية: عصر الحروب الصليبية**، تحقيق حسين نصار (القاهرة: مكتبة مصر، [١٩٥٥])، ص ٢٩، وعاشور، **الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب**، ص ١٧٠ ـ ١٧١.

(١١٧) ابن شداد، **سيرة صلاح الدين الأيوبي المسماة بالنوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية**، ص ٧٠؛ ابن الاثير، **الكامل في التاريخ**، ج ١١، ص ٢١٠؛ ابن واصل، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٧٢، العسقلاني، **شفاء القلوب في مناقب بني ايوب**، ورقة ٣٠.

حـول وسـائـل الصراع المسلـح الاسلامي الصليبي في العصور الوسطى

د. أحمد رمضان أحمد محمد

قسم التـاريـخ بكليـة الآداب ـ
جـامعـة عـين شمس ـ مصر.

قامت الحملات الصليبية دون إنذار نهائي (Ultimatum)، من ملوك وقادة الدول التي قامت بتلك الحملات على اعتبار أن خطاب البابـا أوربان الثـاني (Urban II) عام ١٠٩٥ م في كلـيرمونت بفرنسا كان بمثابة إنذار نهائي. فلقد كـان الخطاب مـوجها إلى مجموع مسيحيي أوروبا، ولم يكن إنذارا للخصم، وهم المسلمون في بلاد الشام. وإذا كان نص هذا الخطاب لم ينقل إلينـا على وجـه الدقة، لكن فحواه كانت تحض فرسان أوروبـا على محـاربة أعـداء الله في الشرق، وهم السلاجقـة الأتراك، المسيطرون على بلاد الشام، وتحرير بيت المقدس.

وإذا اعتبرنا أن الحروب الصليبية تتمة للحروب البيزنطية والإسلامية المتصلة، والتي كانت آخر حلقاتها وأهمها تلك الهزيمة الساحقة التي مني بها البيزنطيون عـلى يد السلطـان السلجوقي ألب أرسـلان في معركـة مانزكرت الشهيرة عـام ١٠٧١ م، والتي كان من نتـائجها ضم اربعمـائة كيلومتر مربع من أراضي آسيا الصغرى التي كانت تابعة للأمبراطورية البيزنطية، والتي كانت أحد المصـادر الرئيسيـة لموارد بيـزنطة الاقتصـادية والبشريـة[١]، فإن من نتـائجها المهمـة أيضـا أن البيزنطيين كانوا يعتبرون السلاجقة عدوا لا يقهر لفترة استمرت ستة وعشرين عاما[٢]، كمـا كانت إيذانا لتدخل الصليبيين عسكريا في الشرق الأوسط. إلا أننا نجد نوعا من العلاقات غير العدائية ـ وإن كانت مرحلية ـ قد نشأت بين سلاجقة الروم من أسرة قلتمش والامبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين، فقد خرج قلتمش وبنوه على طاعة السلطان السلجوقي[٣] ألب أرسلان، ولجأ هـو وأتباعـه

(١) Charonnis, «The Byzantine Empire,» in: Kenneth Meyer Setton, ed., *A History of the Crusades,* 2 vols. (Philadelphia: University of Pennsylvania Press, [1955- 1962]), vol.1, p.193.

(٢) وهي الفترة الواقعة بين انتصار السلاجقة على الدولة البيزنطية في مـوقعة مـانزكـرت عام ١٠٧١ م، وحتى انتصار الصليبيين على السلاجقة الروم واستيلائهم على مدينة نيقية في آسيا الصغرى عام ١٠٩٧ م.

(٣) الأتراك السلاجقة: ينتسب السلاجقة إلى أحد رؤساء مجموعة من القبائل الأتراك الذين عرفوا باسم الغـز اسمه سلجوق بن دقاق. وقد بدأت تلك القبائل التركية تهاجر من موطنها الأصلي في أقصى تركستان منذ القـرن الثاني =

إلى الجبال الواقعة جنوب بحر قزوين.

كما واتخذ كل من منصور وسليمان ابني قلتمش ملاذاً لهما في آسيا الصغرى، بعد موقعة مانزكرت، وأذن الامبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين لسليمان بن قلتمش الذي استقر بمدينة نيقية في آسيا الصغرى أن يتولى بالنيابة عن إدارة إقليم قليقية ومدينتي أنطاكية وملطية في آسيا الصغرى. ونظراً لامتلاك سليمان بن قلتمش لمدينة قونية، صار يسيطر على أهم طريقين يجتازان آسيا الصغرى من الشرق إلى الغرب، وأضحى مصدر خطر للسلطان السلجوقي ملكشاه بن ألب أرسلان لمجاورته لأملاك السلاجقة في الشام والجزيرة، فاضطر إلى الاعتراف به في حكم هذه المناطق، وصار سليمان رأس أسرة حكمت هذه البقاع، تحت اسم سلاجقة الروم حتى قيام الدولة العثمانية. وعلى هذا، فلم تكن علاقة الامبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين وسلاجقة الروم علاقة حرب، ذلك أن سلاجقة الروم كانوا بمثابة أفصال لألكسيوس كومنين وللسلطان السلجوقي ملكشاه في الوقت نفسه، وتأسيسا على ما سبق، فإن الحرب الصليبية لم يسبقها إنذار نهائي موجه إلى مسلمي آسيا الصغرى ولا إلى بلاد الشام.

ويرى بعض مؤرخي الحروب الصليبية أن الحرب تبدأ عندما يصطف الجيشان المتصارعان وجها لوجه في الساحة المختارة للقتال[٤]. كما يفترض هؤلاء المؤرخون أن كلًّا من القائدين المتحاربين الصليبي والمسلم قد قرر البدء بالمعركة، وتمكن من إرغام الآخر على القتال. وهذا لا ينفي ولا يدرأ مغبة قيام الحملات الصليبية على آسيا الصغرى وبلاد الشام دون إنذار بالحرب. على أننا، ونحن في صدد تناول الصراع العسكري الاسلامي الصليبي، سنكون في مواجهة افتراضات نضطر أن نضعها في الحسبان لسد فراغات تركها المؤرخون المعاصرون للحروب الصليبية، سواء من المسلمين أو الصليبيين[٥]. فأول ما يواجهنا أننا لم نستطع الوقوف على مذهب استراتيجي اتبعه الصليبيون في حروبهم في بلاد الشام، اللهم إلا مؤلف عسكري واحد كان متداولاً في ذلك الوقت هو (Epitoma rei militaris) لفجيتيوس (Vegetius) لكنه لم يكن معمولاً بتكتيكاته التي كانت تتطلب قدراً من الانضباط الذي افتقر إليه الصليبيون[٦].

والأمر الذي لا يمكن إنكاره، أن التبشير للحملة الصليبية الأولى خاصة، قد اعتمد على بُغْض المسيحية الغربية للإسلام، فضلاً عن دوافع أخرى، منها أن الحملة الصليبية الأولى اشتملت على نورمانديين وجنوبيين تواقين لامتلاك أراضي الشرق، واستثمار الفرص التجارية التي ستسنح لهم تبعا لذلك[٧]. والأمر الجدير بالإشارة إليه، أنه قد وجد بين الصليبيين الذين تمكنوا

= والثالث والرابع للهجرة وحاولت الاستقرار في إقليمي ما وراء النهر وخرسان. وفي عهد سلطانهم طغرلبك وصلوا إلى بغداد حاضرة الخلافة العباسية، وفي عهد السلطان الب ارسلان بسطوا نفوذهم على العراق وآسيا الصغرى وبلاد الشام. وفي عهد السلطان ملكشاه تجلّت عظمة الاتراك السلاجقة، ثم ما لبث ان تخللت الأسرة الحاكمة السلجوقية الخلافات والمنازعات فذهب ريحهم.

(٤) ر. س. سميل، **الحروب الصليبية**، ترجمة سامي هاشم (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، [د.ت.])، ص ١٥.

(٥) انظر: W. Erben, *Kriegsgeschichte des Mittelalters, Beiheft 16 der Historishen Zeitschrifte.*

(٦) انظر: المصدر نفسه، ص ٥٨ ـ ٦٦، و

H. Delbrück, *Geschichte der Kriegskunst in Rahmen der Politischen Geschichte,* vol.3, pp.669-672.

(٧) J.L. La Monte, «Feudal Monarchy,» in: Nabih Amin Faris, ed., *The Arab Heritage* (Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1944), p.197.

من احتلال بعض أراضي بلاد الشام، من غضّ الطرف عن روح الحرب الصليبية المقدسة، فأقام منذ بدايات الحروب الصليبية علاقات سياسية (دبلوماسية) مع المسلمين[٨]. وعلى الرغم من كثرة الكتب التي صنفت في اللغات الأوروبية في التاريخ العسكري للعصور الوسطى، إلا أنها اختصت بالحروب الأوروبية، ولم تتعرض للحروب الصليبية في بلاد الشام[٩]، فيما عدا الكتاب الذي صنفه (سميل) تحت عنوان الحروب الصليبية، وأومان (Oman) في موسوعته عن تاريخ فن الحرب في العصور الوسطى[١٠]، فقد تناول في فصلين قصيرين الحملات الصليبية المختلفة عبر آسيا الصغرى، وتعرض أيضاً للموضوعات الاستراتيجية والجغرافية العسكرية لبلاد الشام في القرن الثاني عشر للميلاد، وكذا التكتيكات[١١] التي اتبعها الصليبيون خلال الحروب الصليبية.

وإذا نظرنا إلى الحملة الصليبية الأولى، لا نجد لها خطة عسكرية واحدة اعتمدت عليها في فتح بلاد الشام، كذلك لم نجد لها بعد أن تمكنت من أن تُسقط بيت المقدس عام ١٠٩٩ م سياسة استيطانية ذات نقد واحد. فقد تشتتت جهودها التوسعية، إلا في أحوال قليلة عندما كانت تجمع قوات الإمارات الصليبية الناشئة في بلاد الشام تحت قيادة ملك مملكة بيت المقدس، وذلك لدرء خطر داهم يهدد الكيان الصليبي برمته.

وجاء التوسع الاستيطاني للصليبيين، بعد حملتهم الأولى بطابع استقلالي أو ذاتي، فقد اتبع كل أمير من أمراء أنطاكية والرها وطرابلس أسلوبه الخاص في الاحتفاظ بما في يده، وفي إضافة مناطق أخرى جديدة. وبمقدم عام ١١٠٩ م تبلورت العلاقة بين ملك بيت المقدس و(كونتات) الامارات الصليبية - إلى حدٍ ما - فبينما كان حكام طرابلس أفصالاً لملك بيت المقدس، إلا أن أمراء الرها كانوا مذبذبين بين التبعية والاستقلالية لملك بيت المقدس، أما أمراء أنطاكية فقد وجدوا في أنفسهم أنهم أكبر من أن يكونوا أفصالاً للملك القابع في بيت المقدس[١٢].

وفي عام ١٠٩٧ م غادر الصليبيون مدينة نيقية، حاضرة سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، وغزوا أراضي سلاجقة الروم، وكان عليهم أن يخضعوا إحدى المدن الكبرى لكي تكون قاعدة لهم فيما بعد، وقاوم المسلمون هذه الخطة الصليبية بهجمة مضادة كبيرة قام بها جيش ميداني، وأصبح وجود جيش الحملة الصليبية الأولى مرهوناً بنتيجة هذه المعركة.

وهكذا كان النمط العام للأحداث العسكرية بين عامي ١٠٩٧ و١٠٩٩ م مقامرة عسكرية صليبية، فقد شق الصليبيون طريقاً لهم عبر آسيا الصغرى، بعد أن تمكنوا من تحقيق نصر حاسم على سلاجقة الروم بقيادة قلج أرسلان في معركة ضوريليوم عام ١٠٩٧ م. وفي الخريف

---

(٨) المصدر نفسه، ص ١٩٧.

(٩) M. Jahns, *Handbuch einer Geschichte des Kriegswesens von der Vrziet bis zur Renaissance;* M. Baltzer, *Zur Geschichte des Deutschen Kriegswesens in der Zeit von den Letzten Karolingern bis auf Kaiser Friedrich II;* H. Delpech, *La Tactique au XIII ème siècle;* Delbrück, *Geschichte der Kriegskunst in Rahmen der Politischen Geschichte,* and B.H. Summer, *War and History.*

(١٠) Charles William Chadwick Oman, *A History of the Art of War in the Middle Ages,* 2nd ed., 2 vols. (London: Methuen, 1924).

(١١) وهناك من المؤلفات التي اختصت بتاريخ الحروب الصليبية من الناحية العسكرية.
O. Heermann, *Die Gefechtsführing Abendländischer Heere in Orient in der Epoche des Ersten Kreuzzugs.*

(١٢) أنظر: La Monte, «Feudal Monarchy,» pp.187-202.

التالي، بدأ فتح الصليبيين لسوريا وكان هدفهم الأول مدينة أنطاكية الكبيرة (بوابة شمال الشام) التي استولى عليها الصليبيون بعد حصار دام سبعة أشهر[١٣]. وإذا ألقينا الضوء على التشكيل القتالي الصليبي الذي كان تحت زعامة العنصر النورماني صاحب السطوة العسكرية في أوروبا في القرنين الحادي عشر والثاني عشر للميلاد، نجده حتى وقت قريب من بداية الحملات الصليبية يعتمد على عنصر المشاة، إلى أن هزمت المشاة من حملة الفؤوس الأنجلو سكسون في معركة (هاستنجز) في القرن الحادي عشر.

ومنذ ذلك الوقت، أصبحت الفرسان صاحبة السبق في الحروب، ومُثّلت المشاة في الحروب بعناصر ضعيفة رديئة التسليح والتجهيز. ولما كان النظام الاقطاعي هو النظام السائد في أوروبا في ذلك الوقت، وهو النظام الذي كان يعتمد أساسا على الفارس. فقد كانت طبقة هؤلاء الفرسان تعتمد اعتمادا كاملاً على القلاع التي كانت رمزا لقوتهم وسيادتهم أمام من هم دونهم من أعدائهم، لذلك فقد تطور فن هندسة العمائر العسكرية في القرن الحادي عشر الميلادي. على أن موطن الضعف الذي لم يستطع الصليبيون التخلص منه سواء في أوروبا أو في بلاد الشام، أنهم لم يتمكنوا أن يوائموا بين التطور الذي أضافوه في بناء القلاع، تطورا مماثلاً في الأسلحة الهجومية وأساليب الحصار. وواقع الأمر أن هذه الفجوة بين التحصين والتسليح كانت هي السمة العامة التي استمرت طوال التاريخ العسكري في العصور الوسطى.

وما عاناه الصليبيون أصاب المسلمين بدورهم بقرح، وكان السمت العام لطبيعة المعارك عمليات حصار طويل الأمد يعتمد بالدرجة الأولى على ما في القلعة من وسائل إعاشة كافية أمام حصار طويل.

وكانت القوة الضاربة الرئيسية للقوات الصليبية هي قوة الفرسان الثقيلة، إلّا أن هجماتها كانت فردية تفتقر إلى الحشد، أما المشاة فكانوا يقومون بالأعمال الإدارية، وأعمال الحصار، وكانت أهم مجموعات المشاة هي مجموعة رماة السهام وخاصة حملة النشاب المرتزقة من شمال ايطاليا.

على أن التساؤل الذي يمكن أن يثار هو لماذا لم يصمد النظام الاقطاعي الحربي السلجوقي الذي أقرّه ونفذه السلطان ملكشاه أمام الغزو الصليبي الذي اعتمد بدوره على الاقطاع الحربي، فيما يتعلق بالقوة العسكرية المدربة التي ضمتها حملة الأمراء في الحملة الصليبية الأولى؟

لقد كان الاقطاع الحربي السلجوقي يتميز بأنه إذا أُقطع لأحد الأشخاص، فإن من حقه الاحتفاظ بكل إيرادات الإقليم المقطع له، وكان واجبه الوحيد حيال الحكومة المركزية هو الخدمة في الجيش وقت الحاجة. وإذا كان صاحب الاقطاع شخصية هامة التزم بقيادة فرقة من الجنود يتفاوت حجمها وفقا لمنزلته، وقد استقر هذا النظام وأصبح قانونا بعد أن أقرّه نظام الملك وزير السلطان ملكشاه[١٤]. ويبدو أن اتساع أقطاع آل قلج ارسلان في آسيا الصغرى قد كان سببا في صعوبة الدفاع عنها، كما أنهم لم يقوموا بتوزيع القلاع والحصون في المناطق الشاسعة التي كانت

(١٣) انظر: سميل، **الحروب الصليبية**، ص ٢٨ ـ ٢٩.

(١٤) انظر في الاقطاع الشرقي (الاسلامي):

Becker, in: *Der Islam*, vol..5, pp. 84-86, 88-89; Sobernheim, in: *The Encyclopaedia of Islam*, vol.2, pp.461-462, and Lambton, a Ph.D. Thesis, pp. 16-17, 209-210, 228-229 and 245.

في حوزتهم ـ وهو النمط السائد للدفاع وقتئذٍ ـ واكتفوا بتحصين مدن آسيا الصغرى التي كانت في حوزتهم فقط، ولعل السبب في ذلك هو علاقتهم بالامبراطورية البيزنطية ممثلة في الامبراطور ألكسيوس كومنين، فإن زيادة القوة الدفاعية للسلاجقة أمر يسبب قلقا فضلاً على القلق الذي كانت تشعر به بيزنطة حيال السلاجقة، كما أن السلاجقة طبقا لأسلوبهم القتالي، كانوا يعتمدون على المعارك المكشوفة، ولم يكونوا قد قدروا بعد مغبة معارك الحصار، والتي تعتمد على القلاع والحصون. أما الصليبيون في بلاد الشام فقد كان نظام اقطاعهم الحربي امتداداً لنظام الاقطاع العسكري الأوروبي الذي يعتمد على اقطاعات يستحوذ عليها الأمراء الفرسان وتقره عليها مملكة بيت المقدس، ومن ثم يصبحون حكاماً على اقطاعاتهم مما يمكنهم من تدبير الموارد التي تمكنهم من الوفاء بالتزاماتهم العسكرية. فكانوا يفرضون ضريبة شبيهة بضريبة الرؤوس، ومكوسا ورسوما على التجارة التي لم تكن رائجة بنفس درجة الرواج الموجود في أوروبا الغربية. وعلى وجه العموم، فقد كانت قدرتهم على أداء وظائف الحكم الإدارية والعسكرية موقوفة بدرجة كبيرة على مساحة ما ملكوا من الأراضي الشامية[١٥]. كما استغل الأمراء الصليبيون في بلاد الشام الفلاحين في فلاحة اقطاعاتهم فقد كانوا يتنازلون عن جزء من محصول الأرض التي يقومون بزراعتها للسيد الصليبي سنويا، اما عيناً أو نقداً[١٦]، كما كانوا يؤدون خدمات يقررها عليهم السيد الصليبي وبالإضافة إلى ذلك كان الأمير الصليبي للاقليم، يتقاضى جُعلاً مقابل ما يقدمه من حماية للتجار والبدو المارين بإقليمه[١٧].

ومما ينهض دليلاً على أن الصليبيين قد أتوا إلى بلاد الشام، حاملين معهم نظامهم الاقطاعي الحربي الذي كان متبعا في أوروبا الغربية، قبيل قيام الحروب الصليبية ما يقوله يوحنا العبليني، وهو أحد قانونيي القرن الثالث عشر، في كتابه (Livre de la Haute Cour) تفصيلاً حول خدمات الفرسان الصليبيين المطلوبة من المقطعين العسكريين التابعين لمملكة بيت المقدس[١٨]. وهي لا تختلف عن الخدمات التي كان يكلف بها فرسان أوروبا في العصور الوسطى، قبل قيام الحروب الصليبية.

وجاء الصليبيون إلى بلاد الشام، ومعهم أيضا نظامهم الدفاعي الذي اعتمد على القلاع كأسلوب للحماية، وكقاعدة للهجوم وقت الحاجة، وكانت الوظيفة الدفاعية للقلعة هي حماية الحدود، أو السيطرة على الوادي، أو غلق الطريق الواقعة عليه القلعة. وقد طرأت على القلعة الصليبية تطورات معمارية إبان الحروب الصليبية، فبدأت بالقلعة ذات الرابية (Motte) والسور (Bailey) في القرن الحادي عشر للميلاد، ثم الأبراج الحجرية المحصنة (Keeps) في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، ثم الأسوار المتعددة في أواخر القرن الثالث عشر والرابع عشر. أما عن التأثيرات التي تأثرت بها القلعة الصليبية في بلاد الشام فقد غض (سميل) الطرف عن التأثيرات

---

(١٥) La Monte, «Feudal Monarchy,» p.171.

(١٦) Bengnot, in: *BEC,* vol.5 (1854), 3 ème série, p.421, Reyn Colonies, p.243.

(١٧) La Monte, Ibid., pp. 171-173.

(١٨) John of Ibelin, dans: *Recueil des historiens des croisades,* publié par les soins de l'Académie des inscriptions et belles - lettres, 14 vols. (Paris: Imprimerie nationale, 1869-1906), «Lois,» vol.1, pp.422-426.

المعمارية التي تأثر بها الصليبيون، ونقلوها عن القلاع الإسلامية وادعى بأنها كانت تأثيرات بيزنطية[١٩].

فقد أخذت القلاع الصليبية عن القلاع والحصون الإسلامية[٢٠] شكل الزاوية القائمة (Bententrance)، وهو جعل المدخل الموصل من باب القلعة إلى داخلها كما هو الحال في أبواب القاهرة والقلاع الإسلامية في بلاد الشام التي بنيت في العصر الفاطمي في القرن الحادي عشر الميلادي، وذلك حتى لا يرى العدو الذي يصل إلى باب القلعة الفناء الداخلي، أو يصوب سهامه إلى من فيه. ومما اقتبسه الصليبيون من المسلمين أيضا، انشاء المراقب الصغيرة أو السقاطات (Machicolation) على الأسوار والأبراج الصغيرة البارزة والكرانيش، كما هو الحال في شاتو جيلارد (Chateau Gaillard) الذي يرجع إلى عام ١١٨٤ م، ونورويش Norwich التي ترجع إلى عام ١١٨٧ م، ووينشستر (Winchester) التي ترجع إلى عام ١١٩٣ م. ولعل من أحسن الأمثلة على انتقال فن العمارة العسكرية الإسلامية إلى قلاع وحصون الصليبيين في الشام وفي أوروبا، والتي تتحلى فيها الأبراج المستديرة وكذا السقاطات، بوابة قصر فيلينيف لارينيون (Vil-leneuve les-Arignone) من القرن الرابع عشر الميلادي، فالأبراج المستديرة (Semi-Circular Towers) مأخوذة من أسوار مدينة جوران التي ترجع إلى القرن الحادي عشر الميلادي، أما السقاطات فتشبه تلك الموجودة في قلعة بانياس وقلعة الحصن أو الأكراد وحلب والمرقب وقلعة جزيرة أرواد والشقيف وقلعة صهيون وقلعة البحر بصيدا.

وكانت الجيوش الصليبية الذاهبة لبلاد الشام تتكوّن عن طريق التجنيد، وهو الالتزام العام القديم الذي يحتم على كل رجل حر تجاه السلطة المركزية ثم الجيش الاقطاعي، وهو الخدمة التي كان يدين بها المالكون الاقطاعيون من الطبقة العسكرية، والمرتزقة، ومفارز من الحجاج والفرق التي ازدادت أهميتها باستمرار، والتي شكلتها المنظمات الدينية (الداوية والاسبتارية)[٢١]. وكانت أولى الخبرات التي استقاها الصليبيون في حملتهم الأولى، من الفكر العسكري البيزنطي، والدليل على ذلك التشابه بين الخطط التكتيكية التي نفذها الأمير بوهيموند في معاركه حول أنطاكية عامي ١٠٩٧ ـ ١٠٩٨م، وهي أساليب بيزنطية قتالية كان الغرض منها مقاومة الهجوم المتميز بالقدرة على التحرك وخفة الحركة الذي كان يقوم به الرماة الفرسان من الأتراك السلاجقة.

كانت القوة الرئيسية التي اعتمد عليها الجيش الصليبي هي الفرسان، فقد كانت كلمة (miles) حتى نهاية القرن الحادي عشر الميلادي تعني المحارب على ظهر الحصان بالسيف والرمح، يحميه قميص مدرع وقلنسوة فولاذية وترس.

---

(١٩) سميل، **الحروب الصليبية**، ص ٢٣٠، و Dichle, *L'Afrique Byzantine.*

(٢٠) أنظر: أحمد رمضان محمد، **المجتمع الاسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية** (القاهرة: الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية، ١٩٧٧).

(٢١) هيئة الاسبتارية: باستيلاء الصليبيين على بيت المقدس عام ١٠٩٩ م أظهر غودفري دي بوايون تقديره لهيئة الاسبتارية برئاسة جيرار فمنحها منطقة باسم (Cāsale Heisilia) بالقرب من بيت المقدس. ثم سرعان ما تطورت الاسبتارية فاستقبلت في منتصف القرن الثاني عشر الميلادي أكثر من الفين شخص في آن واحد؛ كما فاقت الاسبتارية في أهميتها باقي الاديرة القائمة في بيت المقدس.

هيئة الداوية: نشأت بعد عشرين عاماً من قيام هيئة الاسبتارية، ظهرت في مدينة بيت المقدس باسم فرسان المعبد أو الداوية أو الديوية.

وفي أواخـر القرن الـحـادي عشر، وخـلال الـثـاني عشر أصبحت الـفـروسيـة (Knighthood) امتيازاً اجتماعيا مرادفا للنبل[٢٢]. وأن تعبير (miles) الذي استعمل ليرمز إلى مجمل قوة المحاربـين الفرسان، أخذ خلال القرن الثاني عشر الميلادي يستعمل لـيرمز إلى جنـود من تلك القـوة ألا وهي الفرسان. وفي نهاية القرن الثاني عشر الميلادي جرى تمييز هذا الانفصـال بصورة تـامة، حتى أن المعـاصرين ميزوا بـين الفرسـان (milites) من جهة، وبقيـة الجنود الفـرسان (الخـدم المدرعـين) (Servientes bricati أو Serjans à cheval). فإلى جانب الفرسان (Milites) وهم الفـرسان المسلحـون تسليحا كاملاً والمدرعون والبارعون في ركوب الخيـل ومن طبقة النبـلاء، كان هنـاك جنود آخـرون يركبون الخيـل لكنهم ليسوا من طبقـة الفرسـان، وهم ذوو الأسلحة الخفيفـة، وكان دور هؤلاء في المعركة لا يختلف عن دور الفرسان ثقيلي العدة.

كـمـا اعتمد الجيش الصليبي عـلى المشاة الذين نعتهم بأنهم المشـاة القساة جـداً (Pedites Satallites rigidissims) وكان دورهم لا يرقى إلى دور الفرسان، لكنهم قـاموا بـأدوار مشهودة لهم، فقد أحبطوا أعنف هجمات المسلمين على مؤخرة الجيش الصليبي في معركة أرسـوف، كما ظهـرت أهميتهم في الحمـلـة الصليبية الثـالثة، فكـانوا أفضـل من المشاة الصليبيـة في الحملـة الصليبيـة الأولى[٢٣].

أمـا عن فن القتال الصليبي في بـلاد الشام، فـإننا لا نستطيـع أن نقف على فكـر عسكري صليبي حتى القرن الثاني عشر الميلادي. فقد كان المؤلف العسكري المعـروف لدى الصليبيـين هو (Epitomo rei Militaris) الذي الفه فيجيتيوس، إلاّ أنه لم يطبق تطبيقاً جيداً، لأنه يستلزم جنوداً مدربين على درجة من المهارة والانضباط، وهو ما افتقرت إليه القوات الصليبية حتى يمكنهـا تنفيذ التشكيلات والتحركات التي نص عليها هـذا الكتاب. وحقيقـة الأمر أن النـوعية من الجنـود التي يتطلبها تنفيذ مؤلف فجيتيوس لم تكن موجودة لدى صليبيي بلاد الشام، ولا في أية دولة أوروبيـة خلال القرن الثاني عشر الميلادي[٢٤].

والأمر الذي لا شك فيه أن الصليبيين قد تأثروا بالأفكار العسكرية البيزنطية وهو ما جاء في كتـابين، الأول بعنـوان (Strategicon) تأليف الامبـراطور البيـزنطي عوريس الـذي صنفه حـوالى ٥٨٠ م، والثـاني بعنوان (Tactica) تـأليف الامبراطـور ليـو الحكيم (٨٨٦ ـ ٩١٢ م)[٢٥]. والأمـر الذي لا شك فيه هو أن الاتصال الصليبي بتكتيكات هذين المؤلفين كان أثناء التعاون المباشر بينهم وبين البيزنطيين في الحملة الصليبية الأولى، وغيرهـا من معارك اشتـرك فيها الاثنـان معا ١١٣٨، ١١٦٤، ١١٦٩ م.

---

(٢٢) Delbrüch, *Geschichte der Kriegskunst in Rahmen der Politischen Geschichte,* vol.3, pp.243-249; Marc Leopold Benjamin Bloch, *La Société féodale: Les Classes et le gouvernement des hommes,* pp.46-77, and Guilhier Moz, *Essay sur l'origine de la noblesse en France au moyen âge,* pp.370 and 462.

(٢٣) Itin, pp.263 and 276, and Delpech, *La Tactique au XIIIème siècle,* p. 154.

(٢٤) Erben, *Kriegsgeschichte des Mittelalters, Beiheft 16 der Historischen Zeitschrifte,* pp.58-65.

(٢٥) Jahns, *Handbuch einer Geschichte des Kriegswesens von der Vrziet bis zur Renaissance,* pp.152-156 and 160-171, and Aussaresses, *L'Armée byzantine à la fin du VIème siècle d'aprés le stratégion de l'empereur Maurice.*

لقد ترك الأتراك السلاجقة في ساحات الوغى[٢٦] ضد البيزنطيين ومن بعدهم الصليبيين، انطباعا خاصا ذلك أنهم خلفوا لأعدائهم الاحساس الشديد بالخوف والاعجاب في آن واحد، فقد كانت تشكيلات قواتهم قبل المعركة على هيئة صفوف متراصة يحملون سيوفهم وأقواسهم، ويبدون متأهبين للقتال في أية لحظة.

على أنني لا أدري من أين أتى أومان (Oman) بنظرته إلى تكتيكات السلاجقة وفنون حربهم التي جاء فيها، ان السلاجقة كقبائل لا تحارب بنظام الصف، وإنما اعتادوا حرب الكر والفر[٢٧]. ولعله قد اختلطت عليه الهيئة التي كان يبدأ بها السلاجقة حربهم وكيف يزاولون تحركاتهم أثناء المعركة، فقد كانوا يصطفون على هيئة صفوف في أول المعركة، وكان أسلوبهم هذا استدراجا كما سيأتي وصفه فيما بعد. لقد اعتمد السلاجقة على التأثير النفسي على العدو قبل المعركة، وذلك عن طريق صيحاتهم ورنين طبولهم ذي الرجع المتميز الذي لم يكن على نغم رتيب، فلم يكن على وتيرة واحدة حتى اعتبرها (سميل) هي وصيحاتهم أسلوباهمجيا.

على أن أهم ما يميز فن الحرب عند السلاجقة هو تكتيكات الرماة الفرسان التي سببت الكثير من الصعوبات أمام زحف الصليبيين بعامة، وفي حملتهم الأولى بخاصة. وإذا كان كلٌ من الجانبين المتحاربين السلاجقة والصليبيين قد اعتمد أساسا على الفرسان، لكن الفرسان السلاجقة تميزوا عن الفرسان الصليبيين بالسرعة والمرونة في المناورة، ويرجع السبب في خفة حركتهم إلى سرعة عدو خيولهم ورشاقتها وخفة أسلحتهم، إذ كان سلاحهم الرئيسي القوس، ولكنهم كانوا يحملون أيضا الترس والرمح والسيف والهراوة. وهناك دلائل أخرى على أن الرمح والترس السلجوقيين كانا أخف منهما لدى الصليبيين، ولم يكن ترس السلاجقة شبيها بترس الصليبيين الذي كان قريبا من شكل الطائرة الورقية الطويلة، بل كان ترسا مستديرا صغيرا خفيف الوزن. وقد مكنت خفة الحركة التي تميز بها فرسان السلاجقة من البقاء على بعد معين من عدوهم واختيارهم اللحظة المناسبة للهجوم، وبالتالي يستحوذون على ميزة المبادأة. ولم يستطع الفرسان الصليبيون ثقيلو العدة إثبات قوة جلدهم أمام الفرسان السلاجقة، اللهم إلا في حالة واحدة وهي أن يكون تشكيل عدوهم تشكيلًا متراصا. وفشلوا أمام رماة السهام من الفرسان السلاجقة، ذلك أنه إذا جرت محاولة لمهاجمتهم كانوا مستعدين للتراجع فيخيل للناظر انهم آثروا السلامة بالفرار، فكانت جموعهم تتفرق لكنهم في الحقيقة كانوا دائما يعودون إلى القتال، وهكذا يكون تراجعهم الأول هو تراجع تكتيكي. وكان هذا الأسلوب التكتيكي أو هذه المناورة سببا في تحقيق النصر لصاحبه. ويقال إن هذا النوع من المناورات عرفه الاوروبيون قبل الحملة الصليبية الأولى، فقد ساعدت هذه المناورة على كسب معركة هاستنجز.

ويقال أيضا إن الصليبيين الذين استقروا في بلاد الشام قد أخذوا هذه المناورة وعملوا بها في معاركهم. ولم تكن هذه المناورة السلجوقية تتم على نمط واحد، بل كانت تتخذ صورا مختلفة، ففي بعض الأحيان يستمر تراجعهم عدة أيام، وكان يقصد بهذا إرهاق الصليبيين واستدراجهم بعيدا عن قواعدهم، والقضاء عليهم في مناطق قتال مناسبة. كما استعمل السلاجقة هذه المناورة كطعم لكمين، فاستخدموا قوة قليلة العدد من الفرسان لإغراء العدو على مهاجمتهم والقضاء

---

(٢٦) انظر تكتيكات السلاجقة التي أوردها: سميل، **الحروب الصليبية**، ص ٧٦ وما بعدها.

(٢٧) Oman, *A History of the Art of War in the Middle Ages*, p.220.

عليهم، وهو أسلوب يمكننا أن نطلق عليه تحريض العدو على الهجوم، وعندما كان الصليبيون يتحركون لمهاجمتهم كانت هذه المجموعة الصغيرة ـ الفرسان السلاجقة ـ تقوم بإغراء واستدراج الصليبيين لإيقاعهم في الكمين حيث القوة الرئيسية للفرسان السلاجقة التي تظل مختفية حتى اللحظة الحاسمة.

وهذا النوع من القتال، وأقصد به حرب الكمائن، لا يحقق نصراً حاسماً ولا يعتمد عليه، إلا إذا كانت طبيعة الأرض تسمح باختفاء القوة الرئيسية للكمين، كما لا يؤخذ بهذا الأسلوب القتالي إلا عند الحاجة للحصول على الأسرى لاستيفاء المعلومات منهم، أو للعمل على إضعاف الروح الهجومية للعدد بكثرة بث هذا النوع من الكمائن.

كما اتبع السلاجقة الأتراك أسلوب مهاجمة جناحي العدو ومؤخرته، فكانوا يطوقون عدوهم في أكثر من موضع مثل النحل، ويهاجمونه من كل اتجاه، وإذا لم يستطيعوا تطويق عدوهم وسعوا أجنحتهم إلى أقصى حد ممكن حتى يطوقوا عدوهم، من الجانبين على الأقل. وهذا النوع من التكتيكات يحتاج لتنفيذه إلى تفوق عددي في بعض الأحيان، لكن السلاجقة استخدموه تحت كل الظروف، في حالة تفوقهم العددي على خصمهم، وفي حالة افتقارهم للقوة العددية. ولقد سبب هذا النوع من التكتيكات الكثير من الارباك للصليبيين الذين كان عليهم أن ينظروا دائماً إلى ما وراء أكتافهم، ذلك انهم كانوا حديثي العهد بمثل هذا النوع من التكتيكات في أوروبا ـ على خلاف ما سبق ذكره أنه سبق وأن استخدمت هذه الأساليب القتالية في معركة هاستنجز ـ الأمر الذي حتم على الصليبيين أن يتخذوا حياله أساليب تكتيكية مضادة.

كما تفرد الأتراك السلاجقة بميزة دون خصمهم الصليبي الا وهي خفة الحركة في مهاجمة عدوهم، وارغامه على القتال أثناء السير نحو المكان المقترح للمعركة. وكان هذا الأسلوب القتالي مزعجا ومربكاً للصليبيين الذين درجوا على ألا يخوضوا القتال إلا بعد أن يصفوا قواتهم وفرسانهم في هيئة قتال، أي ميمنة وقلب وميسرة ومؤخرة. وكان السلاجقة في أسلوبهم القتالي هذا، يبادرون بمهاجمة مؤخرة الصليبيين، وقد كان مفعول هذا النوع من التكتيكات أشد ما يكون ضراوة ضد طوابير الحملة الصليبية الثانية عندما حاولت عبور آسيا الصغرى عام ١١٤٧ م، وفي مواضع عدة أثناء الحروب الصليبية، وكان على الصليبيين أمام هذا النوع من التكتيكات أن يعمدوا إلى الاهتمام بتنظيم وقيادة حرس المؤخرة.

ومما يضاف إلى القدرات القتالية للسلاجقة، قدرتهم ومهارتهم في الرمي بالسهام أثناء عدوهم بالخيل، إذ ان الفارس كان يستطيع أن يرمي بسهمه من فوق فرسه أثناء عدوه، ولم تقتصر هذه المهارة على الرمي إلى الامام بل كان بإمكان الفارس الرامي السلجوقي أن يطلق سهمه أثناء تراجعه، فكان بوسعه أن يدور في السرج ويطلق السهام على مطارده، هذا إلى جانب تمكنه من تنفيذ كل التكتيكات التي أشرنا إليها. كما كان معدل رماية الفرسان السلاجقة للسهام مرتفعاً، فقد وصفها بعض الكتاب اللامعين بأنها من الكثرة والاستمرار وكأنها المطر أو العاصفة المطيرة.

ونتيجة لثقل عدة الصليبيين، كانت السهام تخترق الدرع الصليبي دون أن تصيب جسد لابسه، إلا في القليل النادر. وقد تمكن الفرسان السلاجقة نتيجة قدرتهم على الرمي بالسهام أثناء تحركهم أن يقضوا على تماسك عدوهم ويخلخلوه بإحداث الخسائر في المقاتلين الصليبيين، وفي خيولهم خاصة ذلك لأنهم علموا مدى افتقار الصليبيين للخيل، فقد كانوا يستخدمونها للركوب

وللطعام إذا دعت الحاجة لذلك. وكان مجرد انطلاق السيل المنهمر من السهام السلجوقية على الصليبيين، كفيلاً بأن يحدث بهم توترا عصبيا متواصلاً.

وبرغم هذه الأساليب القتالية التي انتهجها الأتراك السلاجقة، والتي أسلفنا ذكرها، فلم تكن لتغنيهم عن القتال المتلاحم لتحقيق النصر الحاسم في المعركة. فكانوا عندما يجدون الفرصة المناسبة للاقتراب والتلاحم يعلقون أقواسهم على أكتافهم ويتلاحمون مع الصليبيين، وسلاحهم في هذا التلاحم هو الرمح والسيف والهراوة. وقد جرت عادة الفرسان السلاجقة أن يبدأوا حروبهم، وهم على بُعد إطلاق القوس، ولكي يحسموا نتيجة المعركة يقتربون للتلاحم مع العدو. ومما أُخذ عن السلاجقة أيضا، أنهم، عند بداية القتال، يحافظون على مسافة ما بينهم وبين عدوهم، حتى يتمتعوا بحرية الحركة والاختيار بين الاستمرار في المعركة أو التخلي عنها بالانسحاب، وكانوا لا يُقدمون على القتال المتلاحم، إلاّ عندما يكونون قد أحدثوا تأثيرا هدّاما في خصمهم بالمناورة التي تعتمد على خفة حركتهم، والتي أسلفنا ذكرها.

ومنذ بداية تحرك الحملة الصليبية الأولى نحو نيقية، حتى فراغها من احتلال مدينة نيقية حاضرة سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، كان تحركها كجيش واحد، وهو الأسلوب الذي نهجته كل الحملات الصليبية، سواء التي أتت إلى بلاد الشام عن طريق البر أو التي وصلت ساحل الشام عن طريق البحر. إلا أن الظاهرة الجديرة بالتوقف عندها هي أن الحملة الأولى في أواخر حزيران / يونيو ١٠٩٧ م تقدمت عبر فريجيا في آسيا الصغرى، وكان تقدمها على محورين، وهي المرة الوحيدة في تاريخ الحروب الصليبية جرى فيها اتباع هذا النهج، فتقدم المحور الأول في الاتجاه الشمالي الشرقي من مدينة هرقلة بقيادة بوهيموند وتنكرد، وضم هذا المحور كل العنصر النورماني من أيطاليا وفرنسا باتجاه مدينة قيصرية، أما المحور الثاني فاتجه من هرقلة إلى الجنوب الشرقي باتجاه قليقية في آسيا الصغرى، وتزعم هذا المحور غودفري دي بوايون وريموند والمندوب البابوي أدهمار. وكان الغرض من وراء التقدم على محورين، هو محاولة صليبيي الحملة الصليبية الأولى إخضاع أكبر مساحة ممكنة من آسيا الصغرى التي كانت غاصة بالأرمن، وكانت الخطة الصليبية أن يجتمع المحوران أمام مدينة ضوروليوم التي كانت في حوزة السلاجقة.

وبرغم ذلك التعهد الذي قطعه قادة الحملة الصليبية الأولى للامبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين بتسليم كل المناطق المستولى عليها من المسلمين والتي كانت تابعة للامبراطورية البيزنطية إليها، إلاّ أن التقدم الصليبي على شقين قد أثار حفيظة الأتراك السلاجقة الذين قرروا القيام بهجوم مضاد نابذين الخلافات فيما بينهم. وكنا نتوقع استغلال فرصة انشطار قوة الحملة الأولى إلى قسمين بالقضاء على كل مجموعة من المجموعتين على حدة، إلاّ أنهم قرروا التصدي للتقدم الصليبي عبر سهول ضوروليوم، وهي نقطة التقاء محوري التقدم الصليبي، وهكذا ضاعت منهم فرصة سانحة للقضاء على الحملة الأولى. وقد واجه القسم الأول بقيادة بوهيموند وتنكرد والمجموعة النورمانية الهجوم المضاد السلجوقي عند مرتفعات ضوروليوم في ٣٠ حزيران / يونيو ١٠٩٧ م وهناك، وأمام الحشد السلجوقي، استنجد بوهيموند بباقي القوات الصليبية وبالأحرى المجموعة الثانية بقيادة غودفري دي بوايون الموجودة بالأناضول، وتجمعت كل قوات الحملة الصليبية. فكان ميزان التفوق العددي يميل إلى جانب القوات الصليبية، وانتصرت الكثرة على البراعة العسكرية السلجوقية في موقعة ضوروليوم.

وكان معظم الأرمن يقطنون في منطقة إلى الشمال من أنطاكية[٢٨]، كما كانت هناك جماعات من المسيحيين التابعين للكنيستين الأرثوذكسية اليونانية واليعقوبية[٢٩] المونوفيزيتية[٣٠] في جميع أنحاء بلاد الشام، وقد أثبت الصليبيون أنهم قادرون على إظهار الود والتفاهم معهم.

لقد ترك الصليبيون آسيا الصغرى دون أن يكون لهم بها إمارات، وظاهر الأمر أن اتجاههم هذا كان تطبيقاً للاتفاق الصليبي البيزنطي في هذا الصدد. وان كان الاعتقاد السائد أن الصليبيين لم يجدوا في آسيا الصغرى أهمية استراتيجية تستدعيهم إلى تكوين إمارات لهم، وتدخلهم في صراع عسكري سافر ضد الامبراطورية البيزنطية. والاستثناء الوحيد هو استيلاء الصليبيين على الرها، وتكوين أول إمارة صليبية لهم في آسيا الصغرى بخاصة وفي الشرق بعامة.

والاهتمام الصليبي بالرها راجع لموقعها الاستراتيجي الخطير الذي يمكن منه تهديد خط المُوصل حلب، وهو الخط الواصل بين الشام والعراق، والتالي يعملون على قطع خط الامدادات والمواصلات بين حاضرة الخلافة العباسية في بغداد وحلب درة شمال الشام. ممّا يبين أهمية خط الموصل حلب أن عماد الدين زنكي بمجرد تسلمه السلطة، بعد أن أصبح أتابكاً[٣١] على الموصل، كرس جهده للاستيلاء على الرها التي استولى عليها عام ١١٤٤ م إلى جانب استيلائه على حلب، وبذلك أمّن الطريق بين بلاد الشام والعراق.

وإذا كان استيلاء بلدوين البولوني (أحد أمراء الحملة الصليبية الأولى) على الرها عام ١٠٩٨ م رمية من غير رام، ذلك أن صاحبها الأرمني ثوروس هو الذي دعاه إليها وشاءت الظروف السياسية والعقائدية أن تمكّن بلدوين من التخلص منه، إلاّ أن إمارة الرها بموقعها الممتاز كانت بمثابة العقبة الكؤود أمام وحدة القوى الإسلامية للتخلص من الغزو الصليبي.

وما ان حطت أقدام الحملة الصليبية الأولى بلاد الشام، حتى اتضحت سياسة أدهيمار[٣٢] التي كانت قائمة على التعاون مع المسيحيين من أتباع الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية، ولذلك عمل بالاتفاق مع البطريرك الارثوذكسي للقدس على تنظيم الامدادات للجيش الصليبي، في حين تمت إعادة البطريرك الأرثوذكسي في انطاكية بعد فتحها من قبل الصليبيين عام ١٠٩٨ م[٣٣]، ومما يدلّ على اعتماد الصليبيين على مسيحي بلاد الشام، أنه بعد استيلاء الصليبيين على القدس عام ١٠٩٩ م افتقرت مدينة بيت المقدس إلى السكان نتيجة ما قام به الصليبيون عشية استيلائهم على

---

(٢٨) Claude Cahen, *La Syrie du Nord à l'époque des croisades et la principauté franque d'Antioche*, Institut français de Damas, bibliothèque orientale, T. 1 (Paris: Geuthner, 1940), p.184.

(٢٩) المونوفيزيتية: مذهب الطبيعة الواحدة ظهر في القرنين الخامس والسادس للميلاد، وكان رد فعل للنسطورية التي قالت بأن للمسيح اقنومين كاملين متميزين احدهما عن الآخر، وان له ايضا طبيعتين. وترى المونوفيزيتية عكس هذا، فتقول بأن للمسيح طبيعة واحدة هي الطبيعة الإلهية التي تلاشت في الطبيعة الإنسانية.

(٣٠) اليعقوبية: هي فرقة مسيحية تنسب إلى يعقوب، وهي احدى فرق ثلاث اختلفت حول طبيعة المسيح، والفرقتان الاخريان هما الملكانية والنساطرة.

(٣١) أتابك: كلمة تركية تطلق على الوصي أو المؤدب لأمراء الأتراك الذين كان يُعهد بأمر تربيتهم في ايام السلاجقة.

(٣٢) أسقف مدينة بوي في فرنسا وممثل البابا اوربان الثاني الذي رافق الحملة الصليبية الأولى.

(٣٣) Steven Runciman, *A History of the Crusades*, 3 vols. (New York: [n.pb.], 1967), vol.1, pp.222-237, and Cahen, *La Syrie du Nord à l'époque des croisades et la principauté franque d'Antioche*, p.308.

المدينة من قتل وحشي وانتشار المرض وهروب العديد من المسلمين مما الجأ الملك بلدوين الأول (أول ملك صليبي على مملكة بيت المقدس) إلى جلب جماعات من مسيحيي شرقي نهر الأردن[٣٤]. كما أورد يوحنا العبليني وهو من أهل القرن الثالث عشر الميلادي في الفصل الرابع من كتابه، أن ممثلي طوائف المسيحيين في بلاد الشام طلبوا من أحد ملوك بيت المقدس الصليبيين منحهم امتيازاً بأن يتقاضوا وفقا لعاداتهم الخاصة المتبعة في محاكمهم، فوافقهم على طلبهم[٣٥].

على أن المسلمين وجدوا المعاونة الصادقة من بعض أهل الذمة مثل السامريين[٣٦] الذين مدوا يد المساعدة للمسلمين أيام الحروب الصليبية بل إنهم احتسبوا موتاهم في هذه الحروب شهداء، ومن ثم فقد أقاموا عليها الأضرحة التي لا تزال تزار من السامريين والمسلمين من سكان نابلس[٣٧].

والجدير بالذكر أن الصليبيين قد فتحوا صدورهم للعناصر المسيحية الوطنية ذات العلاقات المعادية والقديمة بالمسلمين وهم الموارنة[٣٨]. ومرجع التقارب الصليبي الماروني هو الصلة

---

(٣٤) سميل، **الحروب الصليبية**، ص ٥١.

(٣٥) John of Ibelin, dans: *Recueil des historiens des croisades, Historiens occidentaux, 1859-1895*, lois.I, p.26.

(٣٦) ينسب السامريون انفسهم إلى سبط يوسف، ويعزون سبب انشقاقهم عن سائر اسباط اسرائيل إلى خلاف ديني نشأ بينهم وبين هذه الأسباط. فلما دخل المسلمون فلسطين أخذ السامريون يدينون بالإسلام فقلّ عددهم رويداً رويداً إلى أن أصبحوا طائفة قليلة، وقد اقتبسوا من المسلمين واقتبس المسلمون منهم في نابلس خاصة كثيرا من العادات واللهجات. وقليل منهم يعرف العبرية كما أن عبريتهم قديمة. وينعت السامريون انفسهم بالمحافظين لانهم حافظوا ولا يزالون يحافظون على ادق شعائر العبادات والشريعة اليهودية دون تأويل ولا انحراف. ولعل من أوضح اسباب الخلاف بين السامريين واليهود، موضوع القبلة، فالسامريون يعتبرون جبل (جرزيم) هو الجبل المقدس. انظر: **الكتاب المقدس**: «سفر نحميا»، الاصحاح ١٣، الآية ٢٨، «وسفر الملوك الاول،» الاصحاح ١٤، الآيتان ٢٥ و٢٦؛ محمد، **المجتمع الاسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية**، ص ٦١ ـ ٦٢؛ محمد كرد علي، **خطط الشام**، ج ٦، ص ٢٢٢ ـ ٢٢٤. انظر ايضا:

Falvius Josephus, *Antiquities*, vol.9, and vol.10, pp. 3 and 180, and Breasted, *Records of the Past*, vol.9, p.709.

(٣٧) كرد علي، المصدر نفسه، ج ٦، ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤.

(٣٨) الموارنة: هم من ابرز فرق الطائفة المسيحية في بلاد الشام منذ اوائل العصر الاسلامي والتي اشتدت شوكتها إبان الحروب الصليبية. وهم طائفة من الكاثوليك الشرقيين، ومن أهم فروع الكنيسة السورية القديمة، وهم ينتسبون إلى القديس مارون. وقد جاء في أخبار هذا القديس، انه بعد أن توفى عمد تلاميذه إلى جثمانه فنقلوه إلى مكان قرب (أفاسية) على نهر العاصي، دفنوه فيه ثم اقيم فوقه دير على اسمه تخليدا لذكراه. وإذا كان القديس مارون الزعيم الروحي والمعلم الأول لهذه الطائفة، فإن (يوحنا مارون) المتوفى عام ٧٠٧ م هو الزعيم الدنيوي ومؤسس كيانها القومي. وقد نمت طائفة المارونية برعايته حتى غدت في أوائل العصر الاسلامي شوكة في جانب العرب، بل لقد زادت قوة هذه الطائفة في العصر الاموي مما اضطر الخليفة معاوية بن أبي سفيان، ومن بعده عبدالملك بن مروان أن يدفع لهم أتاوة سنوية حتى يلتزموا جانب الحيدة بينه وبين الدولة البيزنطية. ومنذ ذلك الوقت، استكان الموارنة ومالوا إلى العزلة، واتخذوا من (قنوبين) القائمة في الجبال مركزاً للبطريرك الماروني، ثم تحولوا عنها إلى (بكركي) في جوار مدينة بيروت. وأخذ الموارنة بعد ذلك ينزحون إلى البلاد المجاورة، فنزل قوم منهم في جبال عكار وعمروا فيها القرى، وسارت إلى الجنوب فئة منهم، وفئة استقرت في شمال لبنان، وهناك قويت شوكتهم وازداد نفوذهم، حتى بلغ عدد رجالهم الصالحين للقتال أيام الحروب الصليبية أربعين ألف مقاتل.

انظر: اسطفانوس الدويهي، **تاريخ الطائفة المارونية** (بيروت: المطبعة العمومية الكاثوليكية، ١٨٩٠)، ص ١٩ ـ ٢٠؛ فيليب خوري حتي، **تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين**، ترجمة جورج حداد، عبدالكريم رافق وكمال =

العقائدية، فكلاهما مسيحي كاثوليكي المذهب، فـالصليبيون كـاثوليـك غربيـون والموارنـة كاثـوليك شرقيون، هذا فضلاً عن عدائهم المشترك للمسلمين. وقد كان الموارنة طوال عصر الحروب الصليبية موضع اهتمام روما[٣٩]، ممـا كان يشكل خطراً كبيراً على المجتمع الاسلامي في بلاد الشام في ذلـك الوقت. ومن أمثلة ارتباط الفئة المسيحية المارونية بالصليبية منذ بداية الحملـة الصليبية الأولى أن العلاقة فيما بينهم قويت والتصقت، حتى ان جماعة من هؤلاء الموارنة تـركت بلاد الشـام ونزحت في ذيل الصليبيين إلى قبـرص، قرابـة نهايـة القرن الثـالث عشر للميلاد[٤٠]. فقـد وجد المـوارنة في الصليبيين قوة جديدة لا يمكن الاستغناء عنها، فتكونت بينهما علاقة مصلحية ومصيرية.

وما أن وصلت الحملة الصليبية الأولى إلى طرسوس حتى وقع الخلاف بين قادتها، فقد أخذ كل واحد منهم ينفرد بخططه الخاصة بقصد التوسـع المحلي[٤١]، فتحـول بلدوين البـولوني شرقـا، واحتل الرها[٤٢]. واستطاع الأمير بلدوين أن يحرز تقدما كبيرا، وأن يستولي على كثـير من المواقـع والمدن والقلاع في شمال الجزيرة، بفضل مساعدة الأرمن أصحـاب السيادة في تلـك الجهات، وهم الذين نظروا إلى تقدم الصليبيين بعين الرضا للخلاص من حكم السلاجقة. والـواقع أن الصـداقة التي قامت بين الأرمن والصليبيين في أول الأمر إنما كانت تستهدف مواجهة العدو المشترك، ممثلاً في الدولة البيزنطية من ناحية، والقوى الإسلامية من ناحيـة أخرى[٤٣]. والـواقع أن إمـارة الرهـا كانت عندئذ أشبه بجزيرة أرمينية مسيحية محاطة من كل الجهات بممتلكـات السلاجقـة ، بحيث بدا من المتعذر إنقاذها من القدر الذي ينتظرها على أيديهم، ومن ثم فقد كان وصول الصليبيين إلى بلاد الشام فرصة مواتية لها[٤٤]. على أن معظم قوات الحملة الأولى كـانت تتدفق عـلى بلاد الشـام فقد كانت هي هدفه، وكـان يحكم شمال الشـام أمراء من السـلاجقة مستقلـون استقلالاً فعليـا، وكانت أقسام أخـرى منها في قبضـة زعماء محليـين من العرب، فطـرابلس وما حـولها مثـلاً كان يحكمها منذ ١٠٧٠ م بنو عمار وهم من الشيعة[٤٥]، وشيزر في منطقـة نهر العـاصي تحت حكم بني

= اليازجي، مراجعة وتحرير جبرائيل جبور، ٢ ج (بيروت: دار الثقافة، ١٩٥٨)، ج ٢، ص ١٤٠؛ ياقوت الحموي، **معجم البلـدان**، ج ٢، ص ٥٥؛ أبو العبـاس أحمد بن يحيى البـلاذري، **فتوح البلـدان**، مراجعـة وتعليق رضـوان محمـد رضوان (بيروت: دار الكتب العلميـة، ١٩٧٨)، ص ١٥٩؛ هنري لامنس، **تسريـح الانصار فيمـا يحتوي لبنـان من الآثار**، ج ٢، ص ٤١ ـ ٤٨، نقلاً عن: حتي، المصدر نفسه، ج ٢، ص٥٤، ويوسف الدبس، **كتاب تاريخ سوريـا**، ٨ ج (بيروت: المطبعة العمومية الكاثوليكية، ١٨٩٣ ـ ١٩٠٥)، ج ٥، ص ١٥٦. انظر ايضا:

Henri Lammens, *Mélanges*, vol.1, pp.14-24; Pierre Dib, comp., *L'Eglise maronite,*3 vols. (Paris: Letouzey, 1930- 1973), vol. 1, pp.62-143, and Bernard G. Al-Ghazui, *Rome et l'église syrienne-maronite*, pp.31-45.

(٣٩) حتي، المصدر نفسه، ج ٥، ص ١٥٦.

(٤٠) محمد، **المجتمع الاسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية**، ص ٦٤، و

Dib, comp., Ibid., vol. 1, p.156.

(٤١) Willian Barron Stevenson, *The Crusaders in the East: A Brief History of the Wars of Islam with the Latins in Syria during the Twelfth and Thirteenth Centuries*, p.23.

(٤٢) سعيد عبدالفتاح عاشور، **سلطنة المماليك ومملكة ارمينيا**، ص ١٤٣.

(٤٣) Hrant Pasdermadjian, *Histoire de l'Arménie depuis les origines jusqu'au traité de Lausanne*, p.201.

(٤٤) René Grousset, *Histoire de l'Arménie des origines à 1071* (Paris: Payot, 1947), p.53.

(٤٥) G. Wiet, *Memorial, Henri Masset*, vol. 2, p.279.

منقذ[٤٦]. هذا فضلاً عن المنازعات المحلية والشقاق الأخوي بين الأمراء ومشكلات الوراثة، التي ولدت حالة مزمنة من الوضع القلق[٤٧]. أما أهل بلاد الشام، فقد كانوا بعيدين عن تكوين أي جبهة داخلية موحدة، ذلك أن الفرق العديدة التي تفرعت من الاسلام، أخذت في اقتسام البلاد، فاعتصم الدروز في جنوب لبنان، واستوطن العلويون (النصيرية) في جبال سوريا الشمالية، واستقر الاسماعيليون ثم الحشاشون إلى الشرق من مواطن العلويين[٤٨].

وبينما كان بلدوين يعمل في محيط الجزيرة، زحفت بقية قوات الحملة الصليبية الأولى إلى شمال الشام قاصدة أنطاكية[٤٩]. وقد أحدث وصول الصليبيين إلى مشارف الشام هلعا كبيرا في قلوب الأهالي، ولما علم بذلك أمراء الشام من المسلمين رأى أصحاب أنطاكية وحلب ودمشق وغيرهم من صغار الأمراء الاستصراخ والاستنجاد[٥٠] وتحصين أنطاكية، وإخراج المسيحيين منها، وقام الأمراء السلاجقة رضوان صاحب حلب، ودقاق صاحب دمشق، بمحاولات يائسة لفك الحصار الصليبي عنها، لكن الامدادات التي أرسلت إليها رُدت على أعقابها[٥١].

ولما سقطت أنطاكية في أيدي الصليبيين عادت جند الشام فتجمعت وحاصرت الصليبيين في أنطاكية حتى عدم القوت منها وأكل الصليبيون الميتة، فزحفوا وهم في غاية الضعف على المسلمين، الذين كانوا في غاية القوة، ومع ذلك هُزم المسلمون وتفرقت جموعهم. ويعلّل ابن القلانسي السبب في هذه الهزيمة لخلاف دب بين القوات الاسلامية التي أتت لنجدة أنطاكية وفرضت عليها الحصار، فقد أساء صاحب الموصل السيرة فيمن اجتمع معه من الملوك والأمراء المسلمين، وتكبّر عليهم فانفرط عقدهم، فهزمهم عدوهم وهو في ضعف وهم في قوة[٥٢]. وبعد انهزام المسلمين أمام الصليبيين في أنطاكية، سار الصليبيون بحملتهم إلى المعرة[٥٣] ففتحوها وغدروا بأهلها ومن احتمى فيها. ثم استأنفوا سيرهم في وادي العاصي محتلين في طريقهم حصن الأكراد ذا الموقع الحصين المسيطر على الممر الخطير الذي يصل بين السهول الساحلية وسهل العاصي. ثم رحلوا عن طريق الساحل قاصدين بيت المقدس هدفهم الأول، فأجفل الناس من أماكنهم، وتوجه الصليبيون بعد أن اجتازوا معظم الثغور حتى وصلوا إلى الرملة[٥٤] فملكوها، وانتقلوا إلى بيت المقدس فضيقوا عليها

---

(٤٦) أبو المظفر أسامة بن مرشد بن منقذ، **كتاب الاعتبار**، ص ١٣٥.

(٤٧) حتي، **تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين**، ج ٢، ص ٢٢٥.

(٤٨) أبو المحاسن، **النجوم الزاهرة**، ج ٢، ص ٧٠، وأبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، **الملل والنحل**، ص ١٤٣ ـ ١٤٥.

(٤٩) ابو يعلى حمزة بن اسد بن القلانسي، **ذيل تاريخ دمشق**، وهو تتمة لتاريخ هلال الصابي تتلوه نخب تواريخ ابن الأزرق الفارقي وسبط ابن الجوزي والحافظ الذهبي، تحقيق هـ.م. امدروز (بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين، ١٩٠٨)، ص ١٣٤.

(٥٠) عماد الدين اسماعيل بن علي ابو الفدا، **المختصر في اخبار البشر**، ج ٢، ص ٢٣٠، وأبو الحسن علي بن محمد بن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج ١٠، ص ١٨٧.

(٥١) ابن القلانسي، المصدر نفسه، ص ١٤٢، وابو زيد عبدالرحمن بن محمد بن خلدون، **العبر وديوان المبتدا والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر**، ج ٥، ص ١٥٣.

(٥٢) ابن القلانسي، المصدر نفسه، ص ١٣٢.

(٥٣) كمال الدين عمر بن أحمد بن العديم، **زبدة الحلب في تاريخ حلب**، عني بنشره سامي الدهان، ٣ ج، (دمشق: المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ١٩٥١ ـ ١٩٦٨)، ج ٢، ص ١٤١.

(٥٤) Stevenson, *The Crusaders in the East: A Brief History of the Wars of Islam with the Latins in Syria during the Twelfth and Thirteenth Centuries*, p.33,

وأبو المحاسن، **النجوم الزاهرة**، ج ٥، ص ١٥٠، وكرد علي، **خطط الشام**، ج ١، ص ٢٨٢.

الخناق، فجاءهم الأفضل شاهنشاه وزير الخليفة المستعلي الفاطمي في جيش كثيف من مصر. ومن العجيب أن المسلمين ظلوا حتى وصول الصليبيين إلى بيت المقدس متفرقين متخاذلين لا تربطهم رابطة، ولا تجمعهم نخوة الاسلام، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أنهم ظلوا حتى ذلك الوقت لا يدركون طبيعة الحركة الصليبية وهدفها(٥٥)، وليس أدل على ذلك من رغبة الفاطميين في مصر في التحالف مع الصليبيين حتى يقفوا معهم ضد خصومهم من أهل السنة العباسيين في بغداد والسلاجقة في بلاد الشام(٥٦)، وأدخل الصليبيون في روع الفواطم موافقتهم على اقتسام بلاد الشام، ليكون الجزء الشمالي منها للصليبيين والجزء الجنوبي للفاطميين، وكيف هذا والهدف الرئيسي للصليبيين الاستيلاء على بيت المقدس.

ثم ملك الصليبيون ما حول بيت المقدس من مدن صور وعكا الرملة ويافا، كما بسطوا سيطرتهم على إقليم (سواد طبرية) شرقي بحيرة طبرية، وأوغلوا حتى اقتربوا من دمشق(٥٧). أما بقية مدن الساحل كطرابلس وبيروت واللاذقية، فقد بقيت تقاوم، معتصمة وراء أسوارها محصورة في بقعة ضيقة من الأرض، معتمدة على معاونة الفاطميين لها من البحر.

عمل الصليبيون، بعد أن توطدت أقدامهم في بيت المقدس، على توسيع ممتلكاتهم جنوباً على أمل الاستيلاء ولو جزئياً على تجارة البحر الأحمر والمحيط الهندي(٥٨)، ومن ثم فقد أقاموا القلاع والحصون لتهديد طريق القوافل من دمشق إلى مصر وإلى الحجاز، فقد كانت قلعة الشوبك وحصن الكرك بحكم موقعهما أمنع الحصون السبعة التي أقامها الصليبيون في تلك المنطقة(٥٩). وعندما توفي بلدوين الأول ملك بيت المقدس عام ١١١٨ م، كانت مملكته قد امتدت من العقبة إلى بيروت، إلا أن صور بقيت بيد المسلمين حتى سنة ١١٢٤ م، وذلك بفضل قيامها على شبه جزيرة حصينة، كما بقيت عسقلان بيدهم حتى سنة ١١٥٣ م، أما من حيث الاتساع شرقاً، فإن مملكة بيت المقدس لم تتجاوز وادي الأردن. وعندما توفي بلدوين الثاني عام ١١٣١ م كانت المملكة اللاتينية مع اقطاعاتها الثلاث في الشمال، وهي طرابلس وأنطاكية والرها، قد اكتملت وكانت تدين بالولاء الأسمي لملك بيت المقدس(٦٠).

وهكذا نرى أن الصليبيين قد استطاعوا، حتى النصف الأول من القرن الثاني عشر الميلادي، الاستيلاء على شمال وجنوب بلاد الشام. أما المنطقة الوسطى فلم يكن بها غير منطقة مسيحية صغيرة يحيط بها بلاد إسلامية مترامية الأطراف، ولم يكن بين مدنها ما يبعد عن المسلمين أكثر من مسيرة يوم واحد(٦١). أما المدن الداخلية، مثل حلب وحمص وبعلبك ودمشق، فلم تقع بأيدي الصليبيين مع أنها كانت هدفاً لغارات تشن عليها بين الحين والحين، كما أُجبرت

(٥٥) سعيد عبدالفتاح عاشور، **الحركة الصليبية**، ج ١، ص ١٩٧.

(٥٦) Chalandon, *Première croisade*, p.196.

(٥٧) Runciman, *A History of the Crusades*, vol.1, p.311.

(٥٨) حتي، **تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين**، ج ٢، ص ٢٣٠.

(٥٩) Camille Enlart, *Les Monuments des croisés dans le royaume de Jérusalem: Architecture religieuse et civile*, 2 vols. (Paris: Geuthner, 1925-1928), vol.1, p.119.

(٦٠) محمد، **المجتمع الاسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية**، ص ٣١.

(٦١) Guilelmus (abp. of Tyre), *A History of Deeds Done Beyond the Sea*, translated and annotated by Emily Atwater Babcock and A.C. Wrey, 2 vols. (New York: Columbia University Press, 1943), vol.2, p.413.

أحيانا على دفع الجزية. فقد أدت دمشق جزية لبلدوين الثاني عام ٥٢٤ هـ / ١١٢٩ م عن سهل البقاع الذي كان تابعا لها[٦٢]، كما دفع نور الدين محمود جزية مقدارها (٨٠٠٠ دينار) عام ٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م[٦٣].

وكان عدد الصليبيين قليلاً في ولاياتهم الخاصة، فقد كانوا حتى في مدينة القدس أقلية، ذلك أن كثيرين منهم بعد أن تحقق الاستيلاء على بيت المقدس، اعتبروا أن تعهدهم قد أُنجز، وعادوا أدراجهم إلى أوطانهم. هذا ولا يخفى أن بقاء مثل هذه الامارات الصليبية الغربية كان رهنا بوصول إمدادات جديدة من الصليبيين بصورة متواصلة من أوروبا. ولو أضفنا إلى الاعتبارات السابقة أن الصليبيين ظلوا معظم الوقت في بلاد الشام مجتمعا مفككا لا تربطه جنسية ولا لغة واحدة، لتبين لنا مواطن الضعف في المحتل الصليبي في بلاد الشام إبان الحروب الصليبية.

وأمام افتقار الصليبيين للقوة العددية قاموا بتجنيد جنود من أهل الشام، وعُرف من هؤلاء الذين كانوا ينتمون إلى أديان مختلفة باسم توركوبول (Turcopoles)[٦٤]، ومثال ذلك أنه عندما تولى رئيس منظمة الاسبتارية مهمة تزويد الملك (أماليك) ملك بيت المقدس بفرقة لغزو مصر وعد بخمسمائة جندي من الأتراك المسلحين تسليحا جيداً[٦٥]. ولو أضفنا إلى نقاط الضعف التي اعترت الوجود الصليبي في بلاد الشام، أن الحكام الصليبيين وعلى وجه الخصوص ملوك بيت المقدس، لم يتمتعوا بالسلطة التامة كقادة لقواتهم العسكرية[٦٦]. وقد نجم عن هذا افتقار الجيش الصليبي للانضباط، فإذا نظرنا إلى أهم وحدات الجيش الصليبي وهي سرية الفرسان (Acies) وهي القوة الضاربة الرئيسية، نجد أن هجومها لم يكن في وحدة واحدة، بل كان محصلة هجمات فردية كثيرة، فإن تمكن المسلمون من تحمل صدمة هذا الهجوم بالابتعاد عنه مثل ما كان يفعل السلاجقة، فإن هيكل قوة الفرسان ستتشتت عقب هذا الهجوم، ومن ثم يمكن للعدو القيام بهجوم مضاد ناجح ومؤثر. ونظرا لافتقار القوات الصليبية للانضباط وكثرة احتمالات يعرّضها للهجمات المباغتة التي درج عليها السلاجقة، عمد الصليبيون الى توخي الدفاع في جميع الاتجاهات عند تحركهم، وخاصة عند اقترابهم من العدو. ولو أضفنا إلى ما سبق أن الصليبيين وجدوا في فصل الشتاء في بلاد الشام فصلاً للراحة، ذلك أن الحرب إبان الحروب الصليبية كانت حربا موسمية، فحينما تبدأ أمطار الشتاء كانت الأرض غير ملائمة للتحركات العسكرية[٦٧]. وفي بعض الأحيان، كانت تجري الحملات خلال الشتاء، ولكن نادرا ما نجحت هذه المهام العسكرية. فقد فشل الهجومان الصليبيان القويان عام ١١٢٩ م وعلى دمياط عام ١١٧٠ م نتيجة للطقس إلى حدٍ ما، وخلال الحملتين الصليبيتين الأولى والثانية تكبد الصليبيون مشقة كبيرة بسبب الشتاء[٦٨]، لذلك

---

(٦٢) ابن الاثير، **الكامل في التاريخ**، حوادث سنة ٥٢٤ هـ.

(٦٣) ابن القلانسي، **ذيل تاريخ دمشق**، و Gibb, *The Damascus Chronicle of the Crusades*, p.237.

(٦٤) Dadu, *Institutions*, pp. 205 - 215.

(٦٥) ابن منقذ، **كتاب الاعتبار**.

(٦٦) Dadu, Ibid., pp.173-177, and La Monte, «Feudal Monarchy,» p.140.

(٦٧) George Adam Smith, *The Historical Geography of the Holy Land: Especially in Relation to the History of Israel and of the Early Church*, p.64, and Félix Marie Abel, *Géographie de la Palestine*, vol.1, pp.125-127.

(٦٨) *The Syriac Chronicle* (London: Methuen, 1899), p.86.

أتاح فصل الشتاء للأمراء الصليبيين الفرصة الملائمة للعودة إلى أوطانهم[٦٩]، وباحتلال الصليبيين لبيت المقدس، اثبتوا تفوقهم على القوة العسكرية السلجوقية والفاطمية في آن واحد، لكنهم ظلوا يقدرون خطورة الهجمات السلجوقية، في حين استهانوا بالعسكرية الفاطمية. فعقب استيلاء الصليبيين على بيت المقدس[٧٠] مباشرة، كان عليهم أن يستعدوا لمواجهة هجوم مضاد من قبل الفاطميين، وفي ١٢ آب / أغسطس عام ١٠٩٩ م التقى الجيشان بالقرب من عسقلان[٧١] ووقعت الهزيمة بجند الفواطم لأنهم لم يثبتوا أمام اندفاع القوات الصليبية، فكانوا يبادرون للهرب، وبالتالي كانت مدة هذه المعارك قصيرة لم تدم أكثر من ساعات قليلة. وقد توقعت مملكة بيت المقدس خاصة في العقد الأول من القرن الثاني عشر الميلادي بالهجوم المضاد أكثر من مرة من قبل مصر على فلسطين[٧٢] خاصة. وقد كان بإمكان الدولة الفاطمية في مصر أن تكون خصماً أشد هولاً على الصليبيين من السلاجقة، فقد كانت القدس وجنوب فلسطين والمدن الساحلية حتى جبلة شمالاً في عام ١٠٩٩ م إقليما مصريا، ومن ثم كان لدى الفاطميين ما يدفعهم لاستعادة خسائرهم[٧٣].

ولكن الصليبيين تفوقوا تكتيكيا على الفواطم. فالجيوش المصرية في هذه الفترة كانت أحيانا تضم فرقة تركية، كما حدث في معركة الرملة عام ١١٠٥ م لكن أغلب فرق الجيش الفاطمي كانت من العرب وبربر شمال أفريقيا والسودان. وقد أرجع البعض سبب هذا القصور إلى وجود أجناس شتى في الجيش الفاطمي[٧٤]. لكن ما نميل إليه هو أن السبب في التردي العسكري الذي أصاب الجيش الفاطمي هو ذلك التخلخل السياسي الذي أصاب الدولة الفاطمية في نهاية عصر الوزراء العظام الذين انعقدت لديهم مقاليد الأمور في الخلافة الفاطمية دون شخص الخليفة الحاكم الشرعي للبلاد. وإذا كانت الفوارق التاريخية والثقافية واللغوية والعسكرية التي أشار إليها أومان وسميل قائمة[٧٥]، فأين هي تلك الفوارق في أول عهد الدولة الفاطمية، عندما كانت انتصاراتها تملأ الآفاق، وكانت العناصر المكونة للجيش الفاطمي هي ذاتها التي حاربت الصليبيين في بيت المقدس وانهزمت، وكذا في عسقلان وولت الأدبار.

ولكن هذا لا ينفي وجود قصور في (التكتيكات) العسكرية الفاطمية، وهي ضعف مستوى الفرسان العرب، بالقياس بمستوى الفرسان الرماة السلاجقة، فضلاً عن اعتماد الجيش الفاطمي في القتال المتلاحم على الرمح والسيف الذي كان الصليبيون أكثر تفوقا فيه. أما فيما يتعلق بعناصر الرمي، فقد اعتمد الجيش الفاطمي على مفارز الرماة المشاة من السودانيين، الأمر الذي أفقدهم خفة الحركة اللازمة، فلم يشكل الرماة الفرسان جزءاً يُعتد به في الجيش الفاطمي. ففي المعارك

---

(٦٩) سميل، **الحروب الصليبية**، ص ٧٤.

(٧٠) كانت بيت المقدس في حوزة الفاطميين إبان الحملة الصليبية الأولى.

(٧١) Runciman, *A History of the Crusades*, vol.1, pp. 296-297.

(٧٢) Wiet, *L'Egypte arabe*, pp.305-307, and Wilhelm von Heyd, *Histoire du commerce du Levant au moyen âge,* éditions française refondue et considérablement augmentée par l'auteur, publiée sous le patronage de la société de l'orient latin par Furcy Raynaud, 2 vols. (Leipzig: O. Harrassowitz, 1885-1886), vol.1, p.16.

(٧٣) سميل، **الحروب الصليبية**، ص ٨١.

(٧٤) Oman, *A History of the Art of War in the Middle Ages*, vol.1, p.289.

(٧٥) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٨٩، وسميل، المصدر نفسه، ص ٨٢.

التي خاضوها بين عام ١٠٩٩ ـ ١١٢٣ م، باستثناء معركة واحدة، ليس ثمة دليل على وجودهم فيها، وهذا الاستثناء هو معركة الرملة عام ١١٠٥ م عندما كانت تدعم الجيش الفاطمي فرقة تركية. ويضاف إلى ما سبق أن الفرسان الفاطميين أُخذ عليهم أنهم كانوا ينتظرون ولا يتحركون، حتى تأتيهم إشارة الهجوم، وبالتالي كانوا بمثابة هدف ثابت سهل لهجوم الفرسان الصليبيين المدرعين. لذلك لم يخشى الصليبيون، حتى بداية حكم صلاح الدين الأيوبي، الجيش المصري بينما كانوا يخشون الجيوش التركية في سوريا وما بين النهرين[٧٦].

ولعلنا نكون قد ألقينا بعض الضوء على الأسلوب الذي اتبعه الصليبيون حيال القوتين الاسلاميتين الكبيرتين، وهما السلاجقة والفواطم، أثناء زحف حملتهم الأولى في بلاد الشام، أما القوى الاسلامية الصغيرة والضعيفة، فقد انتهج الصليبيون معهم نهجا آخر، اعتمد على الحرب النفسية فبدأوا بتحييدها حتى أن بعضا منها أبدى استعداداً للتخلي عن الدور الوطني، ثم كانت الخطوة الثانية وهي الاستيلاء عليها. ففي النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي، قامت إمارة عربية بطرابلس بعيداً عن السيطرة الفاطمية من جهة، والقوى الإسلامية المجاورة من جهة أخرى، وهي إمارة بني عمار الشيعية. وما أن اقتربت الجيوش الصليبية من طرابلس، حتى اتبعت حيالهم سياسة المهادنة التي سبق وأن اتبعها صاحبها (جلال الملك) حيال كل من الفاطميين والسلاجقة[٧٧]. فأرسل رسولين إلى ريموند دي سانت جيل (وهو أحد أمراء الحملة الصليبية الأولى) يعرضان على الصليبيين الدخول في طاعتهم ويتعهدان بدفع الأموال لهم وتأمين مرور جيوشهم بإمارته، بل بالغا فطلبا إرسال أعلام صليبية ليرفعها فوق طرابلس للدلالة على التبعية. وتمخضت سياسة المهادنة التي اتبعها جلال الملك لتأمين سلامة إمارته من الخطر الصليبي عن التعهد بدفع ١٥ ألف دينار للصليبيين، وتحرير نحو ثلاثمائة أسير، كما قدم لهم عدداً من الخيول[٧٨]. ويقال إنه تعهد أيضا بتسليم طرابلس للصليبيين، إذا نجحوا في الاستيلاء على بيت المقدس[٧٩]، وادعت المصادر الصليبية[٨٠] أن جلال الملك قطع على نفسه اعتناق المسيحية، إذا نجح الصليبيون في الانتصار على الفاطميين. وعلى ذلك، رحل الصليبيون عن إمارة طرابلس في ١٦ أيار / مايو عام ١٠٩٩ م بعد أن فقدت مدينتين من توابعها هما جبلة وانطرطوس، وتوجه الصليبيون نحو بيروت يقودهم أدلاء عينهم جلال الملك.

ثم ما لبث أن أدرك الصليبيون أهمية موقع إمارة طرابلس الإسلامية، فهي في مكان متوسط

---

(٧٦) سميل، المصدر نفسه، ص ٨٣.

(٧٧) انظر: محمد، **المجتمع الاسلامي وبلاد الشام في عصر الحروب الصليبية**، ص ٤٠ وما بعدها؛ حسن حبشي، **الحرب الصليبية الأولى** (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٤٧)، ص ٧٥؛ عبدالعزيز سالم، **طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي** (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٧)، ص ٧٣؛ محمد محمد مرسي الشيخ، **الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها** (الاسكندرية: دار الثغر، ١٩٧٤)، و
Sobernheim, «Banu Ammer,» in: *The Encyclopaedia of Islam.*

(٧٨) Runciman, *A History of the Crusades,* vol.1, p.275.

(٧٩) عمر كمال توفيق، مملكة بيت المقدس الصليبية: **قيام الحركة الصليبية ـ تاسيس المملكة ـ تاريخها حتى استرجاع المسلمين لبيت المقدس في عهد صلاح الدين الايوبي** (الاسكندرية: مطبعة رويال، ١٩٥٨)، ص ٥٦.

(٨٠) **اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس**، ترجمة حسن حبشي (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٥٨)، ص ١١١.

بين إمارة الرها وإمارة أنطاكية الصليبيتين من الشمال وبين المملكة الصليبية في بيت المقدس من الجنوب[٨١]. فأخذ ريموند على عاتقه مهمة مهاجمة إمارة طرابلس، فاستغل فرصة وجود الأسطول الجنوي عام ١١٠٣ م، وهاجم جبيل الواقعة على الساحل بين طرابلس وبيروت واستولى عليها عام ١١٠٤ م، ونكل بأهلها وفتح ثلثيها للجنوية مكافأة لهم، وبذلك حاصر ريموند طرابلس بعد أن ملك انطرطوس من شمالها وجبيل من جنوبها[٨٢]، وظل على حصارها حتى سقطت.

والإمارة العربية الإسلامية الثانية هي إمارة بني منقذ في شيزر التي تكونت في النصف الثاني من القرن الحادي عشر عام ١٠٧٨ م، والتي ما لبثت أن واجهت الخطر الصليبي في أواخر عام ١٠٩٨ م، وجاءت سياسة هذه الإمارة أيضا مسالمة للصليبيين. فأنفذ صاحب شيزر (عز الدين بن منقذ) رسولين إلى القائد الصليبي ريموند لتوقيع الصلح مع الصليبيين، وتقديم المعونة لهم بإرسال أدلاء لإرشادهم لعبور نهر العاصي عبر المخاضة، وتقديم جميع الإرشادات لهم في اجتيازهم الإقليم، نظير عدم تعرضهم لإمارته بسوء[٨٣]. وقد كان الصليبيون بزعامة تنكرد قد استفحل أمرهم بعد انتصارهم على القوات الاسلامية والقلاع والضياع الاسلامية القريبة وبخاصة عام ١١٠٥ م[٨٤]، وهددوا مدينة شيزر وأغاروا عليها عام ١١٠٨ م وعلى القرى التابعة لها ونكلوا بأهلها، واضطر أمير شيزر إلى عقد صلح مع تنكرد، تفاديا لتلك الهجمات، وكانت مدة الصلح سنة واحدة[٨٥]. وبمجرد انتهاء مدة هذا الصلح، عاود تنكرد الهجوم على شيزر، مما اضطر أميرها سلطان بن منقذ إلى عقد صلح آخر بدفع مبلغ من المال ثمنا للسلام[٨٦]. واستمرت الهجمات المتكررة من قبل الصليبيين على شيزر عام ١١٠٨ م، وعندما سقطت طرابلس وآلت للصليبيين، قاموا بدورهم بالهجوم على شيزر عام ١١١٠ م. ثم تعرضت شيزر لهجمة بيزنطية صليبية ١١٣٨ م استطاعت الصمود أمامها حتى رفع الحصار عنها، بفضل نجدة عماد الدين زنكي لها[٨٧]، لكنها دُمرت في الزلزال الكبير الذي حدث في بلاد الشام عام ١١٥٧ م.

تبين الصليبيون منذ الوهلة الأولى أهمية مصر كقوة لها بأسها، فقد نشأت لديهم فكرة أن

---

(٨١) أبو عبدالله محمد بن علي بن شداد، **الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة** (دمشق: المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ١٩٥٣ -)، ج ٣، ص ١٠٧، **وتاريخ الملوك وسلاطينهم**، ص ٢٤٦.

(٨٢) أبو الفدا، **المختصر في اخبار البشر**، ج ٢، ص ٢١٧، و

René Grousset, *Histoire des croisades et du royaume franc de Jérusalem*, 3 vols. (Paris: Plon, 1934-1936), vol.1, pp.340-341.

(٨٣) ابن منقذ، **كتاب الاعتبار**، ص ٧٧، ١١٦ - ١١٧ و١٦٢.

(٨٤) ابن القلانسي، **ذيل تاريخ دمشق**، ص ١٦٩.

(٨٥) ابن منقذ، المصدر نفسه، ص ٧٠ - ٧١ و٦٦.

(٨٦) المصدر نفسه، ص ٩٢.

(٨٧) انظر: أبو الفدا، منتخبات من: **المختصر في اخبار البشر**، ص ٥٩؛ ابو بكر محمد بن علي الراوندي، **راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية**، نقله إلى العربية ابراهيم امين الشواربي، عبدالمنعم محمد حسنين وفؤاد عبدالمعطي الصياد، مراجعة ابراهيم أمين الشواربي (القاهرة: دار الفكر، ١٩٦٠)، ص ٣٥؛ ابن القلانسي، **ذيل تاريخ دمشق**، ص ١٧٤ و١٨٩، وابن الاثير، **الكامل في التاريخ**، ج ٨، ص ٣٦٠، انظر أيضاً:

The Cambridge Medieval History, planned by J.B. Bury, 8 vols. (Cambridge, Mass.: Cambridge University Press, 1913-1936), vol.4, p.359; René Grousset, *L'Empire du Levant: Histoire de la question d'orient* (Paris: Payot, 1946), pp.222-223, and Joseph François Michaud, *History of the Crusades*, translated from french by W. Robson, 3 vols. (New York: AMS Press, 1973), vol.1, p.312.

القدس يمكن كسبها على ضفاف النيل خلال الحملة الصليبية الأولى، وبقيت هذه الفكرة حية خلال القرن الثاني عشر. لذلك نجد أن مملكة بيت المقدس الصليبية تقوم بالحملات البرية ضد مصر، متخذة عسقلان قاعدة لها. فقد قام امالريك بمحاولة غزو مصر في المدة من عام ١١٦٣ إلى ١١٦٩ م، ثم برزت فكرة غزو مصر من جديد خلال الحملة الصليبية الثالثة. كما أن مجيء صلاح الدين الأيوبي لمصر بصحبة القائد أسد الدين شيركوه كان لدرء خطر الغزو الصليبي لمصر، حتى شاءت الأقدار وتسلم صلاح الدين مقاليد حكم مصر. ثم اجتمعت له أسباب القوة بوفاة سيده نور الدين محمود، فوحد الشام ومصر تحت قيادته وتمكن من أن يعدّ العدة لمعركة فاصلة يهزم فيها الصليبيين[٨٨]. وكانت معركة حطين الشهيرة، وخير من كتب عن هذه الموقعة من غير المسلمين هو بلدوين، فقد تناولها بالتفصيل اللائق بها[٨٩]. استهل صلاح الدين الاعداد لهذه المعركة باستيلائه على طبرية التي كانت في حوزة الصليبيين، فاقتنص المبادأة من عدوه. ولجأ ملك بيت المقدس جاي إلى أمرائه لاستشارتهم، وكان على رأسهم ريموند أمير طرابلس، فقد كان أعظم تابع له فضلاً عن كونه حاكماً على طبرية، وكان جاي قد علم وهو في معسكره في صفورية أن صلاح الدين قد هاجم طبرية، فاضطرت حاميتها إلى الانسحاب إلى قلعتها. وكان من رأي ريموند أن انقاذ طبرية يعني فقدان مملكة بيت المقدس، بل كان يرى أن المسلمين ليس بإمكانهم الاحتفاظ بطبرية بل سيتراجعون عنها، وكان متخوفاً من الحر والعطش وجهود التحرك من صفورية إلى طبرية، ولذلك كان من رأيه التمركز في صفورية وانتظار صلاح الدين. ولكن جاء قرار ملك بيت المقدس جاي بالزحف إلى طبرية لإنقاذها، ومواجهة جيش صلاح الدين، وجاءت النتائج الباكرة لهذه المعركة الكبرى منذ اللحظة الأولى لاحتكاك الصليبيين بالمسلمين، فقد تورطوا في القتال أثناء تحركهم نحو طبرية، وكان القصد من ذلك إرباك محاور تقدم الصليبيين وايقافهم، وقد استخدم صلاح الدين لهذا الغرض الرماة الفرسان بغاراتهم المتكررة خاصة ضد مؤخرة الصليبيين[٩٠]. ويرجع بلدوين السبب في الهزيمة الساحقة التي لحقت بالصليبيين إلى تمكن صلاح الدين من فصل المشاة الصليبيين عن الفرسان[٩١] منذ بداية القتال، فضلاً عن الانهاك الجسدي الذي حل بالصليبيين نتيجة تكتيكات الانهاك التركية التي اتبعها صلاح الدين. أما سميل فينقد هذه المعركة بطريقة سطحية، ويرجع مغبة هزيمة الصليبيين إلى القرار الاستراتيجي الخاطىء الذي اتخذه جاي ملك بيت المقدس[٩٢]. وإننا نميل إلى رأي ريموند، فالهزيمة الثقيلة التي مني بها الصليبيون جاءت من تمكن الرماة الفرسان المسلمين من فصل المشاة الصليبيين عن الفرسان، وهذا النجاح لا يتأتى إلا بتوافر عنصرين، الأول خفة حركة الفرسان المسلمين، والثاني هو افتقار الصليبيين لخفة الحركة، حيث تميزوا بثقل حركتهم، خاصة أثناء التحرك مما سهّل مهمة الفرسان المسلمين.

ومن العجيب أن بعض المؤرخين[٩٣] الغربيين قد أخذوا على الجيش الفاطمي ثقل حركته،

---

(٨٨) انظر: أبو الفدا، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٤٧ و٥٣؛ عبدالرحمن بن اسماعيل ابو شامة، **كتاب الروضتين في اخبار الدولتين**، ج ١، ص ١٥٥؛ ابن الاثير، المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٢٣، وأبو العباس احمد بن علي المقريزي، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، ج ١، ص ٥٨.

(٨٩) Marshall Whithed Baldwin, *Raymond III of Tripolis and the Fall of Jerusalem (1140-1187)*.

(٩٠) سميل، **الحروب الصليبية**، ص ١٧٥ _ ١٧٧.

(٩١) Baldwin, Ibid., p.131.

(٩٢) سميل، المصدر نفسه، ص ١٨٠.

(٩٣) انظر: المصدر نفسه، ص ٨٢، و Oman, *A History of the Art of War in the Middle Ages*, vol.1, p.289.

وأرجعوا سبب هزيمتهم إلى هذا المبدأ العسكري، وهو أيضا السبب الرئيسي الذي كان على رأس الأسباب التي أدت إلى هزيمة الصليبيين في حطين. ولم يخف الصليبيون إعجابهم (بالتكتيكات) السلجوقية التي اعتمدت على خفة الحركة، حتى أنهم كانوا قد كونوا فرقا خفيفة من الفرسان عرفت بأبناء الأتراك[٩٤]، كانوا كلهم من المسلمين المدربين، كما كان لديهم فرق من المشاة الأرمن وأخرى من النبالة الموارنة، وكل هذا لم يجد فتيلاً، وجاءتهم هزيمتهم من مواطن ظنوا أنهم قد رأبوا صدعها.

وكانت هزيمة الصليبيين في معركة حطين بداية النهاية للوجود الصليبي في بلاد الشام، فسقطت على إثرها بيت المقدس واضطرت المملكة الصليبية أن تتخذ بعد ذلك عكا مقراً. ولم تفلح الحملة الصليبية الثالثة في استرجاع بيت المقدس وكسر قوة صلاح الدين، وكذلك لم تستطع وضع حد للمنازعات بين الأمراء الصليبيين التي وصلت إلى حد الحرب الأهلية[٩٥]. لكن الأمر الذي تأكد بمجيء الحملة الصليبية الثالثة هو وجوب غزو مصر والاستيلاء عليها، حتى يمكن استرجاع بيت المقدس، وتأمين الوجود الصليبي في بلاد الشام. ولما كانت عسقلان قد سقطت في أيدي المسلمين وهي التي كانت قاعدة للهجوم الصليبي البري على مصر، كان على الصليبيين اللجوء إلى الغزو البحري لمصر.

فانفردت حملة بحرية صليبية بمهاجمة مصر عام ١٢١٨ م (الحملة الصليبية الخامسة) وكان هدفها مدينة دمياط، وكان قد سبقها هجومان بحريان بيزنطيان في عامي ٧٠٨ م و٨٥٢ م. وقد أصابت هذه الغزوة الصليبية الفشل، على الرغم، من حالة الضعف والاستكانة التي كان عليها السلطان الأيوبي الكامل، فقد وقفت العوامل الطبيعية في جانب مصر، ولم تتمكن القوات الصليبية من الوصول إلى المنصورة. وجاء فيضان النيل على أشده في عام ١٢٢١ م، بعد انخفاض في منسوبه كاد أن يصيب مصر بمجاعة، وانحصر الصليبيون وسط سبخات كستها مياه الفيضان. ثم كانت الحملة الصليبية السابعة على مصر بقيادة ملك فرنسا لويس التاسع، وكانت بدورها بحرية أيضا استهدفت دمياط وفشلت وأُسر قائدها الملك لويس بالمنصورة. على أن معظم المعارك التي وقعت بين المسلمين والصليبيين بعد خروج الصليبيين من آخر معاقلهم في عكا في عهد السلطان المملوكي الأشرف خليل بن قلاوون عام ١٢٩١ م قد تحولت من البر إلى البحر[٩٦]. وقد أحدثت تصفية الإمارات الصليبية نهائيا من بلاد الشام، ردّ فعل عنيفاً في الغرب الأوروبي، فقام ملك قبرص بطرس لوزجنان عام ١٣٦٥ م بحملة بحرية على الاسكندرية[٩٧]، وكانت عملية تخريب لا أكثر، وعلى حدّ قول النويري «لقد دخلها لصا وخرج منها لصا»[٩٨]. وتلت ذلك محاولة صليبية

---

(٩٤) العماد الكاتب الاصفهاني، **الفتح القسي في الفتح القدسي**، تحقيق وشرح وتقديم محمد محمود صبيح (القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٥)، ص ٤٢٥، وابن منقذ، **كتاب الاعتبار**، ص ٥١.

(٩٥) Nicolae Iorga, *Brève histoire de la Petite Arménie; L'Arménie cilicienne: Conférences et récit historique* (Paris: Gamber, 1930), p.120; *L'Histoire de Eracles*, vol.2, p.405, and Edwin James King, *The Knights Hospitallers in the Holy Land* (London: Methuen, 1931), p.224.

(٩٦) احمد رمضان محمد، **تاريخ فن القتال البحري في البحر المتوسط في العصر الوسيط**، ص ٣٣؛ ابن منكلي: **الاحكام المملوكية**، ص ٧١، **والأدلة الرسمية**، ص ٤٢، و

Oman, *A History of the Art of War in the Middle Ages*, vol.1, p.207.

(٩٧) Aziz Suryal Atiya, *The Crusade in the Later Middle Ages* (London: Methuen, 1938), p.353.

(٩٨) النويري، **الالمام بالاعلام فيما جرى به الاحكام**.

بحرية أخرى لغزو مدينة رشيد عام ١٣٨٤ م ولم تكن سوى هجمة تدميرية انتقامية فسرعان ما انسحبت قواتها بمجرد علمها بمجيء قوة مصرية.

ولما تمكنت الدولة العثمانية من القضاء على الدولة البيزنطية، وورثتها في بلاد الشام في القرن الرابع عشر الميلادي، قامت الدول الصليبية بعدة حملات بحرية على آسيا الصغرى[٩٩]. ثم حاول بطرس الأول ملك قبرص القيام بحملات صليبية بهدف إعادة احتلال بيت المقدس. كما حاول الغرب الأوروبي القيام بحملات على الدولة العثمانية لأن حدوده كانت في خطر، فقد دمر الأتراك العثمانيون مملكة صربيا بانتصارهم الساحق في كوسوفو (Kosovo) عام ١٣٨٩ م وأخذوا يهددون باكتساح هنغاريا. وجاء ردّ فعل القوى الأوروبية بهجوم صليبي، وكاد أن يدخل الجيش الصليبي عام ١٣٩٦ م الأرض التركية، لكن السلطان بيازيد تمكن من إبادة هذا الجيش إبادة تامة في معركة ضارية عند مدينة (نيكوبوليس)، إلا أن الصليبيين أكرهوا السلطان على رفع الحصار على الأقل عن القسطنطينية[١٠٠].

على أن مدينة القسطنطينية لم تستطع المقاومة طويلاً، فسقطت نهائيا على يد حفيد بيازيد محمد الثاني (الفاتح) عام ١٤٥٣ م. وفي عام ١٤٦٤ م توفي البابا (بيوس الثاني) وهو في طريقه لحملة صليبية جديدة، وهكذا انتهت الحروب الصليبية بنهايتها المحتومة بعد أربعة قرون من الزمان □

---

(٩٩) ابن اياس، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، ج ٢، ص ٣٧.

(١٠٠) فولفغانغ مولر ـ فينر، **القلاع ايام الحروب الصليبية**، ترجمة محمد وليد الجلاد، مراجعة سعيد طيان، ص ٤١.

صدر حديثاً عن

مركز دراسات الوحدة العربية

سلسلة الثقافة القومية (١٠)

نحو

عقد اجتماعي عربي جديد

(بحث في الشرعية الدستورية)

د. غسان سلامة

«الحروب الصليبية ومستقبل الصراع العربي ـ الاسرائيلي»

عقدت هذه الندوة في مكتب المركز بالقاهرة، وقد شارك فيها طبقا للحروف الهجائية كل من:

د. أحمد صدقي الدجاني

رئيس المجلس الاعلى للتربية والثقافة والعلوم ـ منظمة التحرير الفلسطينية.

أ. السيد يسين

مدير مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام.

د. علي الدين هلال

استاذ العلوم السياسية في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية في جامعة القاهرة.

د. قاسم عبده قاسم

استاذ تاريخ العصور الوسطى في كلية الآداب ـ جامعة الزقازيق ـ مصر.

أدار الندوة وأعدها للنشر: **د. أسامة الغزالي حرب**

خبير بمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام.

● **د. أسامة الغزالي**: اسمحوا لي أن أرحب بكم في مقر مركز دراسات الوحدة العربية بالقاهرة في إطار هذه الندوة «للمستقبل العربي» عن «الحروب الصليبية ومستقبل الصراع العربي الإسرائيلي» بمناسبة مرور ثمانية قرون على النصر العربي الإسلامي في حطين.

وبداهة، فإن تلك الندوة تقوم على افتراض وجود «مشابهة ما» بين الغزوة الصليبية قديماً، والغزوة الصهيونية المعاصرة، وهما اللتان تمثلان معا استزراعا لكيان دخيل على المنطقة، وسط بيئة عربية وإسلامية رافضة له.

وسعيا إلى تركيز النقاش، وتوجيهه نحو الوجهة التي تخدم غرض الندوة، فإننا نطرح في البداية أربعة أسئلة يمكن أن تكون بمثابة مفاتيح للحوار والنقاش، كما يلي:

ـ ما هي إمكانية المشابهة، وحدودها، بين الغزوة الصليبية قديماً والغزوة الصهيونية حديثاً، والظروف التي أحاطت بهما، وردود الفعل حيالهما؟

ـ كيف يدرك كل من الفكر الاسرائيلي والفكر العربي هذه المشابهة، وما دلالة هذا الإدراك بالنسبة لكل من النظرة الإسرائيلية للتاريخ والنظرة العربية له؟

ـ ماذا كان العامل الحاسم في الانتصار العربي الإسلامي على الصليبيين في إطار مجمل العوامل التي أدت إلى ذلك الانتصار؟

ـ ما هي أبرز دلالات المواجهة العربية ـ الإسلامية ضد الصليبيين بالنسبة لمستقبل الصراع العربي الإسرائيلي، وبالنسبة لمستقبل وضع إسرائيل في المنطقة؟

أدعو الآن د. قاسم عبده قاسم ليبدأ الحوار حول السؤال الأول.

○ **د. قاسم عبده قاسم**: السؤال حول مشروعية أو امكانية المشابهة، أو عقد الدراسات المقارنة بين الحركة الصليبية ما بين القرنين الحادي عشر والثالث عشر الميلاديين، والحركة الصهيونية في القرن العشرين، يستدعي منا أن نركز على حدود المشابهة، وذلك على عدة محاور:

المحور الأول، هو المحور الجغرافي أو المكاني، والذي يتعلق بمسرح الغزوتين، وهو مسرح لم يتغير.

المحور الثاني، هو الايديولوجية التي أفرزت كلًا من الحركة الصليبية والحركة الصهيونية.

المحور الثالث، يتعلق بأساليب العمل لتنفيذ دعاوى الحركة الصليبية بين أواخر القرن ١١ وأواخر القرن ١٣، وأساليب تنفيذ دعاوى الحركة الصهيونية في النصف الثاني من القرن العشرين.

فيما يتعلق بالمسرح الجغرافي للحركتين، فإنه يتمثل في فلسطين أساسا كجسر، والمنطقة العربية عموما كمجال حيوي للتوسع والنفوذ لكل من الحركة الصليبية في العصور الوسطى، والحركة الصهيونية في العصر الحديث. وهذه المسألة لا تحتاج إلى تفاصيل كثيرة.

من الناحية الأيديولوجية قامت الحركة الصليبية في العصور الوسطى على فكرتين أساسيتين قامت عليهما أيضا الحركة الصهيونية في تصوري.

الفكرة الأولى، هي فكرة الأرض الموعودة، والثانية هي فكرة الاختيار أو شعب الله المختار.

ففي العصـور الوسطى، ادعى الصليبيـون ـ كما ورد في نصـوص الخطب التي أوردها المؤرخـون للبابا أوربان الثاني ـ أن المسيحيين الكاثوليك هم شعب الله المختـار لتنفيذ مهمتـه، بهزيمـة أعداء الرب في أرض صهيون. ولأن العقيدة المسيحية تقـوم على أسـاس أن المسيحيين هم بنـو إسرائيل الجدد، فإن بني إسرائيل يكونون قد فقدوا امتيازهم كشعب الله المختار لأنهم رفضوا بنوة المسيح، وهذا ما بررته الكنيسة الكاثوليكية. ثم تحدّد مجال «الاختيـار» في دائرة أكثر ضيقا، حينمـا وجّه البابا اوربان الثاني في «كليرمون» سنة ١٠٩٥ خطابه إلى الفرنسيـين أو «الفرنـج» في ذلك الحـين، باعتبارهم شعب الله المختار لهذه المهمة، ولهزيمة اعداء الرب في الأرض التي وعد بها أبناءه.

فكرة الاختيار هي أساسا التي جعلت الحركة الصليبية يتوجه بها بابا فـرنسي الأصل، هـو البابا اوربان الثاني إلى جماهير الفرنج أنفسهم في كليرمون في فرنسا، وهذا ما جعل كل الحـوليات العربية والبيزنطية التي تحدثت عن الحروب الصليبية تصف الصليبيين «بالفرنج» على الـرغم من أن تركيبة الجيوش الصليبية كانت تجمع تقريباً كل الشعوب الأوروبية في ذلك الحين، وهو مـا يعود إلى غلبة العنصر الفرنجي باعتباره شعب الله المختار المنوط به تنفيذ هذه المهمة.

أيضا، فكرة شعب الله المختار قامت عليها دعاوى الصهيونية الحديثة، وإن كـان هناك بعض المفكـرين الصهاينـة الذين رأوا أن فكـرة شعب الله المختار قـد تؤثر عـلى ما يـدعونـه من عالميـة وديمقراطية الحركة الصهيونية.. إلخ، ولكن تظل فكرة الاختيار واردة في كلتا الحركتين.

وفكرة الأرض الموعودة، هي فكرة مقترنة بـالجو الثقـافي العام في أوروبـا في القرن الحـادي عشر، وهو جو كان يتوقع نهاية العالم في وقت قريب، بعد الألف الأولى من ميلاد السيد المسيـح أو رفعه على الصليب، أي سنة ١٠٣٣ أو ١٠٣٤. هذا الجو العام جعل التنبؤات في أوروبا الغربية في ذلك الحين تتوقع نهاية العالم، التي لا بد وأن تكون مقرونة في الفكر المسيحي بانتصار شعب الرب على المسيح الـدجال في أرض صهيـون أو أرض الميعاد، والأرض التي وعـد بها الله الفقـراء. لهذا روجت البابوية في دعايتها، سواء في خطب البابا أو في خطب المبعوثين البـابويـين إلى جميع أنحـاء الغرب الأوروبي، لفكرة الأرض الموعودة بها جماهير السائرين على درب الرب. واللافت للنظر أيضا في هذه النقطة، إن كل الجيوش التي خرجت في أواخر القـرن الحادي عشر ابتـداء من ١٠٩٦ إلى نهاية القرن وطوال القرنين الثاني عشر والثالث عشر لم تصف نفسها إطلاقاً، ولم تصفها المصـادر التاريخية، بأنها «حركة صليبية»، ولكن المصطلح استخـدم فيما بعـد ـ كما هـو شأن الـدراسات التاريخية ـ لتوصيف حركة لم يعرفها القائمون بها بالاسم ذاته.

وفكرة الأرض الموعودة هي أيضا محور أساسي من محـاور الحركـة الصهيونيـة. هذا فيمـا يتعلق بالخطوط العريضة، بصرف النظر عن بعض الاختلافات التفصيلية.

ومن حيث وسائل التنفيذ، الحركة الصليبية في النهاية هي حركة استيطانية عسكرية بـالقوة في أرض غريبة ومعادية، ووسط محيط بشري معاد هو المحيط العربي أساسا في هذه المنطقة. وهذه الحركة لم يكن هدفها المعلن هو الهدف الحقيقي. فـالهدف المعلن هـو استعادة الأرض التي خطـا عليها الرب، وتحرير قبر المسيح من أيدي أعداء المسيح، أي المسلمين. أما الهدف الحقيقي، فكان هو رغبة المدن أو الدول التجارية الايطالية في ذلك الحين مثل البندقية وجنوا وبيزا (والتي انضمت إليها فيما بعد مدن أخرى في إيطاليـا وغيرهـا) في الحصول عـلى امتيازات تجـارية للسيطـرة على التجارة في حوض المتوسط الشرقي.

وذلك يؤكد أن هذا الصراع الذي اتخذ رداء الدين، كان صراعاً من أجل الاستيطان بالقوة، ولإيجاد مجال حيوي للتوسع لقوى أوروبية، كان الجلد الأوروبي في القرن الحادي عشر قد بدأ يضيق عليها. وذلك الأمر وارد أيضا في نصوص خطبة البابا اوربان الثاني حيث قال: «انظروا إلى بلادكم فإنها تضيق بين الجبل والبحر، والحقول غير كافية لإعالة سكانها، شحيحة لا تفي. وهناك في فلسطين، في الأرض التي تفيض باللبن والعسل، ستجدون كذا وكذا»... إلخ.

أيضا يلاحظ أن كل المدن التجارية الايطالية فرضت لنفسها غنيمة تمثلت في الاحياء التجارية بالمدن الساحلية ـ وغالبا عند الميناء ـ مثلما كان في عكا أو صور وغيرهما. ويلفت النظر أيضا، أن أيا من تلك المدن الايطالية لم يطلب لنفسه حيا في مدينة بيت المقدس لأنها ليست مدينة تجارية!

إن هذا التبرير الديني والوعود الدينية كوسيلة للاستيطان العسكري وايجاد رأس جسر ونقطة ارتكاز للتوسع وتحويل المنطقة العربية إلى مجال حيوي للنفوذ الاقتصادي والسياسي والعسكري.. كان أيضا هو وسيلة الحركة الصهيونية.. وأترك للمتخصصين الإفاضة في ذلك.

أيضا، فإن الغربة الحضارية للكيان الصليبي في المنطقة، مسألة تتأكد في أشياء كثيرة يعرفها الباحثون في التاريخ الاجتماعي للكيان الصليبي ولبلاد الشام في عهد الحروب الصليبية مثل التمسك بأنماط الملابس التي تسمى «الموضة» في الغرب حاليا على الرغم من استخدام الأقمشة الشرقية التي كانت في ذلك الحين أكثر فخامة ورفاهية من الأقمشة الغربية، والتمسك حتى بشكل حلاقة الذقن والشوارب في وقت كانت تهتم فيه المنطقة العربية بإطالة الذقون.. إلخ. وتأكيد الانتماء الشكلي إلى حضارة من خارج المنطقة، وعدم وجود أي مدارس أو مؤسسات تعليمية أو ثقافية داخل الكيان الصليبي الذي استمر حوالى قرنين من الزمان. وحتى إن المؤرخ الصليبي وليم الصوري تلقى تعليمه في باريس، في ذلك الحين.

وهناك، أخيراً، مسألة وجود الظهير المساند من الخارج. فقد نجح الصليبيون في سنة ١٠٩٩ في تحقيق غرضهم لأسباب تتعلق أساسا بالتشرذم السياسي العربي، في ذلك الحين، وكان عليهم طوال مائتي سنة أن يدافعوا عن هذا النجاح، حتى استطاع العرب تقليص ذلك الوجود تحت قيادة صلاح الدين، ثم انهاءه تماماً منذ عهد السلطان الظاهر بيبرس ثم قلاوون ثم الأشرف خليل ابن قلاوون. هنا، من المهم ملاحظة أن سبب نجاح الصليبيين وتوسعهم حتى وصلوا إلى الحدود التي يسميها الباحثون الاسرائيليون المهتمون بالحركة الصليبية «حدوداً آمنة» هو أن العرب طوال ٥٠ عاما تقريبا كانوا يساعدون العدو ضد بعضهم البعض، وبعضهم أدى مساعدة على نحو مشابه لما يحدث الآن، وأيضا كانت هناك المساندة العسكرية من أوروبا الغربية طوال فترة الوجود الصليبي التي ضمنت امداده بالدماء الجديدة اللازمة لإطالة عمره. وبعد سقوط «الرها» في أيدي قوات عماد الدين زنكي، ثم ابنه نور الدين محمود، جردت أوروبا الغربية الحملة الصليبية الثانية، وبعد نجاح قوات صلاح الدين في استرداد بيت المقدس، وكثير من المدن والحصون الصليبية جردت أوروبا جيشا كبيرا بزعامة ثلاثة من الرؤوس المتوجة في أوروبا.

○ **د. علي الدين هلال**: اتفق تماما مع كل ما قاله د. قاسم، ولكني أريد أن أضع المشابهات التي أقامها في إطار أكبر وهو: كيف نرى التاريخ؟

في تصوري انه تتنازع الباحث في التاريخ نظرتان، الأولى، تقول إن كل حدث تاريخي هو

حدث فريد لا يتكرر، وإن هناك نوعا من الصيرورة التاريخية. والنظرة الثانية تقول إن التاريخ ليس مجموعة أحداث تقع عشوائيا ولا رابط بينها، وإن هناك أنماطاً واتجاهات وتوجهات وقواعد عامة، ولا أريد أن أقول قوانين، للظواهر التاريخية. واعتقد أن موقعنا من الظاهرة موضع البحث هو مزيج بين الأمرين. هناك تشابهات كبرى، ولكن أيضا خصوصيات متعلقة بكل واقعة، وأريد لكي نرى الأمر في سياقه، أن أركز على الخصوصية:

ان أول مفارقة تتعلق بمستوى التكنولوجيا، ففي وقت الحركة الصليبية كان المسلمون والصليبيون على الدرجة نفسها، من التقدم العلمي والتكنولوجي، أي أصبح الفيصل هو الفارق في نمط الحشد وفي نمط التعبئة وفي الروح المعنوية وروح الجهاد. الوضع الراهن يتسم بوجود تفاوت حاسم في ميزان التقدم التكنولوجي والعلمي. هذا يقودنا إلى النقطة التالية وهي ما أسماها د. قاسم «الظهير الأجنبي» أو العلاقة مع الدولة الأم. وهنا تبدو حقيقة ان العلاقة بين الحركة الصهيونية وإسرائيل، وبين الولايات المتحدة الامريكية تعدت في خصوصيتها، وفي عمق الوشائج التي تتضمنها، حجم ونوع العلاقة المتصورة بين الإمارات الصليبية ودول الظهير في ذلك الوقت.

الفارق الثالث، وفي رأيي أنه حاسم، هو حدوث التجربة الصليبية. أي أن التجربة الصليبية كما أنها معروفة لدينا، فهي معروفة للإسرائيليين، والواقع أن الباحثين الاسرائيليين نقبوا وبحثوا في هذا الموضوع، ربما بقدر ما نقبنا، وبحثوا في هذا الموضوع ربما بقدر ما بحثنا نحن، وربما أكثر. وليس من قبيل المصادفة أن جامعة القدس تنظم مؤتمرات وندوات هذا العام، بتلك المناسبة، كما ننظم نحن، أي أن معرفة إسرائيل والباحثين الإسرائيليين بالواقعة الصليبية في حد ذاتها، تمثل عامل مفارقة وعامل تباين.

أتصور إذا أننا يجب أن نضع عناصر المشابهة التي أوردها د. قاسم في ارتباط مع عوامل التباين أو التمايز التي أوردتها، وفي تصوري أن حدود المشابهة هي في القواعد العامة التي تحكم مسار المجتمع الاستيطاني، ولكن ليس في أساليب الحركة أو أنماط السلوك على مستوى الوقائع.

ومن المتصور أن تبتدع إسرائيل أساليب جديدة بفعل التباينات التي ذكرتها، ولكن المقارنة مفيدة ومهمة. ويمكن الاستفادة منها على مستوى تطور المجتمعات الاستيطانية عموما.

تبقى كلمة تحذير، وهي ان إحدى مشاكل العقل العربي الهروب، أي الهرب إلى انتصار تاريخي ما، أو الركون إلى حتمية تاريخية لانتصار الشعوب.. إلخ. ولا نريد أن تكون هذه الندوة أو ما تصل إليها من مشابهات، عاملاً على القعود والركون إلى أن هناك عملية تاريخية سوف تسري بفعل حتمية ما، وان المآل هو إلى انهيار المجتمع الاسرائيلي، وانتصار العرب، كما حدث من قبل، ولا يجب أن نعطي للقارىء العربي مثل هذا الانطباع.

○ **د. قاسم عبده قاسم**: إن ما حدث في التجربة السابقة، لم يحدث بفعل الحتمية التاريخية، وإنما حدث بفعل إرادة وحركة الناس.

● **د. أسامة الغزالي**: هل يمكن أن يحدثنا د. قاسم أيضا عن الإطار الدولي العام الذي أحاط بكلتا الحركتين، خاصة مع التسليم بحيوية الدور الذي لعبه الإطار الدولي في الصراع العربي الإسرائيلي، وإلى أي مدى يمكن إخضاع هذا العنصر لمسألة المشابهة أو عدمها؟

○ **د. قاسم عبده قاسم**: في تصوري أنه منذ وجدت الحضارة العربية في وقت لاحق على وجود الحضارة الأوروبية، كان لا بد للحضارتين أن تكونا على حال من الصراع والتنافس والاحتكاك والتفاعل، بين بعضهما البعض.

ففي بداية ظهور الحضارة العربية، انتصرت على حساب الأراضي والأقاليم التي كانت تسيطر عليها الحضارة الغربية، وانتزعت الشواطىء الشرقية والجنوبية والغربية أيضاً للبحر المتوسط لحساب الحضارة العربية. وحينما بدأ النمو الأول للحضارة الأوروبية في القرن الحادي عشر وحتى القرن الثالث عشر، كان لا بد من أن نصطدم بأقرب حضارتين لها، وهما الحضارة العربية والحضارة البيزنطية. وفي ظل الصراع بين الحضارتين، وجد الكيان الصليبي كمشروع أوروبي للتوسع على حساب المنطقة العربية. وأتصور أيضاً أنه في ظل محاولة الوطن العربي للتخلص من السيطرة الغربية التي طالت على أراضيه، وجد المشروع الاسرائيلي لإعاقة هذا النمو. أي يمكن رؤية كلتا الحركتين (الصليبية والصهيونية) في إطار الصراع العام بين الحضارتين الأوروبية والعربية.

● **د. أسامة الغزالي**: ننتقل الآن إلى السؤال التالي عن إدراك كل من الفكر الإسرائيلي والفكر العربي للمشابهة بين الحركتين، ودلالة هذا الإدراك بالنسبة لكل من النظرة الإسرائيلية والنظرة العربية للتاريخ. فليتفضل الأستاذ السيد يسين.

○ **أ. السيد يسين**: أثار د. قاسم ود. هلال نقاطاً مهمة في موضوع المشابهة بين الحروب الصليبية وبين الغزوة الصهيونية لفلسطين، وهناك مسألة مثارة في الأدبيات التاريخية العلمية تدور حول التساؤل: هل يمكن إدراك الحروب الصليبية في إطار التاريخ الغربي للاستعمار؟ وقد لفت نظري أن المؤرخ الفرنسي المعروف كلود كاهن في كتاب له منشور العام ١٩٨٣ أثار في عجالة، في خاتمة الكتاب هذه القضية، وتساءل عن إمكانية قيام هذه المشابهة وتحدث صراحة عن إشارات بعض الباحثين إلى إسرائيل.

وقد أشار المؤرخ الفرنسي إلى بعض المراجع وفي مقدمتها كتاب براور The Latin Kingdom of Jerusalem الذي يتحدث عن الاستعمار الأوروبي في العصور الوسطى، وذلك على أساس اتجاه بعض الباحثين الغربيين إلى وصف الغزوة الصليبية باعتبارها استعماراً. وقد ناقش وبناء على تعريفه للاستعمار المعاني الدقيقة له، ونفى عن الغزوة الصليبية أنها كانت استعماراً بذلك المعنى.

ولكن ما أريد أن أركّز عليه، أنه بغض النظر عن سلامة المشابهة من الناحية العلمية، فالأهم من ذلك أنها تفعل فعلها في الذهن الإسرائيلي وفي الذهن العربي على السواء. وهذا ما يهمنا على سبيل القطع وعلينا ـ كما أكّد د. علي بقوة ـ معرفة حدود هذه المشابهة، وعدم تجاهل الحدود والخصائص الفريدة لكل تجربة.

ولا أريد الدخول في مناقشات منهجية حول التاريخ، وهل هو يقوم على معرفة الجزئيات أو على الكليات ـ وهي مناقشة شهيرة ـ ولكن في جميع الأحوال فمما لا شك فيه أنه يمكن استخلاص الخبرة من أي تجربة تاريخية ـ والحروب الصليبية لا تخرج عن هذه القاعدة.

وقد رجعت ـ لدى إعداد نفسي لهذه الندوة ـ إلى كتاب أستاذنا قسطنطين زريق **نحن والتاريخ**، وسوف أتبنى إطاره العام في إثارة بعض القضايا، وان كنت لن ألتزم بالمضمون.

الأستاذ زريق يتحدث عن نظرتنا إلى الماضي، ويحاول في إطار هذه النظرة التفرقة بين قراءات أربع : القراءة الأولى، ما يسميه التيار التقليدي، والثانية: التيار القومي، والثالثة: التيار الماركسي، والرابعة: التيار العلمي. وقد حاول، في تصنيفه لهذه التيارات، أن يضع أو يحدّد السمات الأساسية الفارقة بين كل تيار وآخر. وفي رأيه أن التيار التقليدي هو الذي يتحدث عن التاريخ باعتباره تاريخ الأمة الإسلامية، وهو الذي يعلل نشوء الأحداث وتطوراتها تعليلاً إلهيا، ويرده إلى مشيئة الله، وهو الذي في منهجه في إثبات الوقائع يركن إلى أخبار السلف في المقام الأول، وهذه سمات أساسية، وأعتقد بأهمية تمييز هذا النمط من القراءة في الوقت الراهن بحكم حركة المد الإسلامي، ومحاولة تسييدها لهذه النظرة للتاريخ وانعكاسها على الحاضر والمستقبل. التيار القومي، في رأي زريق أيضا، يحاول إعادة بناء وقائع الماضي، وأحيانا ما يكون اتجاهه مثاليا، لمحاولة إعادة بناء الماضي بغير ثغرات أو فجوات تأكيداً لرسالته.

وقد نجد اتجاهاً يركز على القومية العربية بالذات، وفي هذه الأحوال يحاول إعطاء صورة مثالية لاتصال أو لاستمرار التيار القومي العربي، وقد نجد تياراً قومياً آخر يركز على القومية السورية أو القومية المصرية وقد ينحاز إلى التاريخ الفرعوني، ولبّ هذا التيار هو الماضي القومي، وقد يؤدي به ذلك في بعض الأحيان إلى إهمال تواريخ الشعوب الأخرى، وعدم إدراك العلاقة بين هذا التاريخ الخاص والتاريخ ككل.

التيار الماركسي يحاول قراءة التاريخ، بناء على موضوعات المادية التاريخية والمادية الجدلية، وقد رأينا في محاولة قراءة التاريخ الإسلامي من وجهة نظر ماركسية عدداً من المحاولات الأساسية مثل أعمال حسين مروة والطيب تيزيني ومحمود إسماعيل. وأخيراً التيار العلمي الذي يحاول، بالرجوع إلى الوثائق، أن يبين الماضي بطريقة علمية ، لا نقول محايدة، ولكن تحاول التخلص من التأثيرات الأيديولوجية.

أنا أقرر هذا في الواقع، لأن نظرتنا إلى الماضي يمكن أن تتأثر كثيراً بهذه التيارات المختلفة في قراءة التاريخ، ولكن ما أخشاه في الحديث عن الحروب الصليبية ـ وهو ما يحدث كثيراً في الوطن العربي ـ هو اختزالها في واقعة واحدة، هي الانتصار. فكثيراً ما نغفل عن التفصيلات العديدة التي صاحبت التجربة، وكثيراً ما نتجاهل الهزائم المتكررة أو الانتصارات الجزئية أو التحالفات المؤقتة أو اتفاقات الهدنة.. إلى آخره. وهذه نظرة غير علمية، واختزال الحروب الصليبية في واقعة واحدة هي محاولة منا لتجاهل التاريخ الحقيقي للحروب الصليبية، بما فيه من اخفاقات عربية ونجاحات... إلخ. ونستخدم هذا المنهج الاختزالي لمحاولة إدانة بعض التيارات السياسية الراهنة، أو تمجيد بعض التيارات الأخرى، وفي تصوري أن هذا منهج غير علمي.

النقطة الأساسية هنا في قراءتنا للماضي، تتعلق بما يمكن تسميته المفهوم العربي للزمن، والمفهوم الإسرائيلي للزمن.

سئل موشي دايان من قبل ـ على ما أظن ـ: الزمن يعمل لصالح منْ في الصراع الإسرائيلي ـ العربي؟ فقال: الزمن يعمل في صالح من يجيد استخدامه. وهذه إجابة عقلانية، وهذا رد على اتجاه ينحو أحيانا ـ كما ذكر د. علي الدين هلال ـ إلى الركون إلى حتمية تاريخية، وإلى القول وإننا منتصرون بإذن الله في النهاية كما انتصرنا على الصليبيين. هذا المفهوم الميكانيكي أو الميتافيزيقي للزمن، يمكن أن يكون سلبيا جداً، ويمكن أن يكون مبرراً للتقاعس العربي والعجز عن

المواجهة بكل ما لدينا من امكانات وقدرات.

كيف ينظر الإسرائيليون إلى الماضي؟ يمكن القول إن هناك تيارين أساسيين في العقل الإسرائيلي فيما يتعلق بالنظر إلى الماضي. الأول، يمكن أن نسميه بالتيار السلفي الميتافيزيقي، يحاول بناء تاريخ متصل لم ينقطع لليهود عبر الزمان. وهو تيار يتجاهل الانقطاعات التاريخية، ويحاول إثبات أن اليهود لم تنقطع علاقتهم أبدا بأرض الميعاد، وأنه رغم الشتات فقد كان هناك ارتباط عاطفي وحتمي لهذه الأرض، وبالتالي إقامة تاريخ مثالي لما يطلق عليه الشعب اليهودي. أي أن فكرتيه الأساسيتين هما: الاستمرارية التاريخية في علاقة اليهود بأرض الميعاد، وفكرة وحدة الشعب اليهودي، وتجاهل الخلافات الاثنية واللغوية والثقافية المتعددة بين طوائف اليهود المختلفة، سواء أكانوا أشكنازيم أم سفارديم. التيار الثاني هو تيار علمي أو علماني، ينظر للتاريخ اليهودي نظرة علمية، وأحيانا ينظر إليه نظرة نقدية.

ولكن الخلاف الحقيقي بيننا وبين الإسرائيليين، هو أن هناك فُرقة بين الرؤى العربية المختلفة لقراء التاريخ العربي، وكثيرا ما تحدث خلافات أساسية وجوهرية بين ممثلي تلك الرؤى المختلفة حول طريقة المواجهة مع اسرائيل، في حين انه في إسرائيل يتم التلاقي بين ممثلي التيار الميتافيزيقي والتيار العلماني على هدف واحد، وهذا فارق جوهري. الجناح الديني المتطرف يساعد على صهيونية الدولة وعلى بقاء المشروع الصهيوني وتطويره كما يفعل الجناح العلماني، بغض النظر عن الفروق النظرية والمنهجية بين كلا التيارين، أي هناك ـ إن صح التعبير ـ اجماع قومي في اسرائيل على وجود المشروع الاسرائيلي، وعلى شرعيته، بغض النظر عن أسانيد هذه الشرعية. هذا الإجماع قد لا نجده بين التيارات العربية السياسية الفاعلة حول طبيعة المواجهة للدولة الإسرائيلية، ولا حول أساليب هذه المواجهة.

النقطة التالية، والتي اقتبس بعض عناوينها من د. قسطنطين زريق، وان كنت سأتحدث عنها حديثا مختلفا، تتعلق بما يتحدث عنه زريق في أربع نقاط، وهي أولاً: وضعنا الحاضر، وثانيا: التاريخ العبء والتاريخ الحافز، وثالثا: حكمنا في التاريخ. وأخيرا، حكم التاريخ فينا.

اعتقد أن هذه العناوين تصلح للحديث عن دلالة الحروب الصليبية لدى مقارنتها بالغزوة الصهيونية لفلسطين:

فيما يتعلق بوضعنا الحاضر، لعلنا نلاحظ أن هناك خلافا بدأ يتبلور بين الإسلام كقوة سياسية، وبين التيار القومي العربي. وهذا خلاف بدأ يتصاعد في الفترة الأخيرة، ويدور حول مسألة الانتماء والهوية.

وربما لم تكن هذه المسألة بارزة في الخمسينات بهذا الشكل، ولكن لا شك أن هناك حديثا كثيرا في السبعينات والثمانينات حول: هل هناك قطيعة أم تواصل بين المكوِّن الإسلامي والمكوِّن العربي في الشخصية العربية؟

وإذا كانت هناك خلافات بين المكوِّن الإسلامي والمكوِّن العربي، فإننا إذا رصدنا الحاضر إيضا، لدينا مسألة التجزئة والوحدة، ولدينا المخاطر الجسيمة المتعلقة بصعود المشروع القطري على حساب المشروع القومي. هذه الحقائق لا بدّ أن نتعرف بها، ونحن نرصد ونشخّص وضعنا الراهن الذي سيحدّد امكانيات المواجهة الحاسمة مع المشروع الصهيوني. ولا بدّ أن نعترف أن

لدينا في الوضع الراهن، سيادة في النظم الديكتاتورية في الوطن العربي على النظم الديمقراطية، بكل ما يحمله ذلك من قهر للجماهير، وابعادها عن المواجهة الحاسمة وترك قرار المواجهة أو عدمها للنخبة الحاكمة التي قد لا تمثل الشعب على سبيل الإطلاق. وهناك شكوك عديدة حول شرعية العديد من النظم السياسية القائمة بالمعنى السياسي الدقيق لكلمة الشرعية. هذه حقيقة أخرى حتى لا ننغمس كثيراً في المشابهة بين الحروب الصليبية والغزوة الصهيونية، وننسى الوقائع المريرة الموجودة في الوقت الراهن. لدينا أيضاً مشكلة خاصة، وتساؤلات حول تبديد الرصيد القومي العربي أو ترشيد هذا الرصيد. وأنا أشير في الواقع إلى امكانياتنا المالية والاقتصادية، وحتى إلى امكانياتنا العسكرية. ما مدى الرشادة في استخدام امكانيات الأمة العربية في هذه المرحلة؟ وكم بدّدنا في العقد الماضي من أموال على أسلحة لم تستخدم ولن تستخدم ضد العدو الاسرائيلي، أو بددناها في مشاريع مظهرية، وفاتت حقبة الثروة النفطية بغير أن توظف ايجابياً في المواجهة. ولدينا أخيراً، في وضعنا الحاضر، ظاهرة ينبغي أن ندرسها بأكبر قدر من الموضوعية، وهي ما نسميها «سلبية الجماهير العربية». الأحداث التي تحدث في لبنان كل يوم، والتي تحدث بين العراق وإيران كل يوم، لا تثير شيئاً لدى الجماهير العربية. أصبحت أحداث لبنان روتيناً يومياً، وأصبح حصار الفلسطينيين في المخيمات روتيناً يومياً. لا بد أن نعترف بذلك. ولا بدّ أن نقارن بين وضع كانت فيه الجماهير العربية مشاركة بل وضاغطة على صانع القرار في اتجاه معين في الخمسينات والستينات، وبين انسحاب الجماهير من الساحة. لا بد أن نتساءل لماذا حدثت هذه السلبية من الجماهير العربية. هذه مسألة أساسية إذا أردنا أن نتجاوز الوضع الراهن.

بالنسبة لفكرتي التاريخ العبء والتاريخ الحافز، يعني زريق أن هناك بعض المجتمعات ذات التاريخ الطويل، والذي قد يكون حافلاً بالانتصارات والامجاد كثيراً ما يقعد الناس فيها عن العمل ويلوكون هذه الأمجاد. التاريخ الحافل قد يكون عبئاً بهذا المعنى، فيمنع الأداء والحركة، ولعلنا نذكر الكتب العديدة التي ألفت في السنوات الأخيرة عن فضل العرب على الحضارات الأوروبية والتغني بالأمجاد الماضية، أو محاولة الزعم بأننا منتصرون في النهاية. كل هذه أمثلة على عدم القدرة على تعبئة الخبرة التاريخية في سبيل المشروع الحاضر.

النقطة الثالثة تتعلق ـ بعبارات زريق ـ بحكمنا في التاريخ. هو يقصد في الواقع: كيف نقرأ التاريخ المعاصر؟ وهذه مسألة جوهرية في تصوري، لأننا أولاً لا بد أن نتقن قراءة النظام الدولي الراهن بكل ما فيه من تعقيدات. وأنا أشك كثيراً في أن غالبية النظم العربية تجيد قراءة النظام الدولي الراهن، وهي في أحكامها على هذا النظام تقوم على الحدس والتخمين، وأحياناً على أساليب بدائية في اتخاذ القرار. النظام الدولي الراهن يتميز أولاً بالتقدم غير المسبوق في تكنولوجيا السلاح حتى وصلت المسألة إلى حرب النجوم، ويتميز بتعقيد شديد في العلاقات الدولية، ويتسم بالثورة العلمية والتكنولوجية وهي سمة أساسية للقرن الواحد والعشرين. والسباق سيكون رهيباً بين المتخلفين الذين لم يستطيعوا حتى الآن استيعاب تكنولوجيا القرن العشرين، وبين هؤلاء الذين يتعاملون الآن بالفعل مع تكنولوجيا القرن الواحد والعشرين، كل هذه مسائل أساسية لفهم حقائق التاريخ المعاصر وأحد جوانبه الأساسية، فيما يتعلق بالتقدم التكنولوجي وفيما يتعلق بالسلاح. ولكن أهم من ذلك كيف نقرأ التاريخ الغربي في الوقت الراهن، فيما يتعلق ببناء المجتمعات وجوهر التقدم الغربي.

هذه مسألة أساسية، لأن جوهر التقدم الغربي في تصوري يقوم أساساً على مسألة احترام

حقوق الإنسان. هناك الآن قواعد مرعية في كثير من الدول المتقدمة حول حقوق الإنسان الأساسية، ولكن أهم من ذلك أيضا مسألة المؤسسات ورسوخها والتقاليد المؤسسية. وهذا ينعكس على أجهزة صنع القرار مباشرة. كل هذه المسائل أساسية ينبغي أن نحاول أن نتأمل في كيفية قراءة التاريخ المعاصر بشأنها.

النقطة الأخيرة الخاصة بحكم التاريخ فينا، وأعتقد أن زريق يتحدث هنا ويثير سؤالاً طريفا في ذاته: كيف ستحكم الأجيال المقبلة على هذا الجيل، وكيف ستقوّم موضوعيا انجازات هذه الأجيال؟

أنا أتصور أنه يمكن وصف التجربة العربية في العقود الماضية أنها قامت على مسألة تفويت الفرصة التاريخية. وتصوري أننا فوتنا فرصتين: أولاهما، ما أسميها فترة المد القومي التي كانت مرشحة أساسا لتعبئة الجهود العربية لمواجهة حاسمة مع إسرائيل. ولا أقصد المواجهة العسكرية التي تقضي عليها بضربة واحدة، وإنما أقصد بناء القاعدة الموضوعية الأساسية الصناعية والتكنولوجية والعسكرية التي تسمح بالتصدي للدولة الإسرائيلية.

والفرصة الثانية التي فاتت هي ما أسميها فترة الحقبة النفطية، بكل ما حفلت به من امكانيات مالية للبلدان العربية. ويبقى أن نتأمل في الحقبة القادمة ونتساءل: ما الذي تستطيع البلدان العربية أن تنجزه فيها، ونحن نشاهد في الوقت الراهن خلافات شتى حول تشخيص المشروع الصهيوني، وحول أساليب مواجهته.

في ختام كلامي، أحب أن أؤكد المعنى الذي بدأت به، وهو ان قضية الزمن تعمل بشكل مختلف في كلا المجتمعين العربي والإسرائيلي. الزمن يستخدم استخداما وظيفيا منتجا في المجتمع الإسرائيلي، بغض النظر عن عدوانية المشروع الصهيوني. فهناك إدراك حقيقي للبعد الزمني في صياغة الاستراتيجيات، وفي رسم خطط المواجهة، وفي النظرة المستقبلية لظروف المواجهة العربية الاسرائيلية. وليس بعيداً عن ذاكرتنا التقدير المستقبلي الذي أجراه مدير المخابرات الإسرائيلية في وثيقة نشرت أخيراً حول توقعاته المستقبلية للنظم العربية في العقود القادمة. ومعنى ذلك أنه يحاول بناء على استقراء واقعي ـ قد يكون موضوعيا أو ذاتيا ـ استخدام المنهج المستقبلي لرسم الخطط السياسية والاقتصادية والتكنولوجية لمواجهة الوطن العربي. ويبقى أن نتساءل: هل استطعنا في الوطن العربي تبني المنهج المستقبلي في محاولة التنبؤ بمسار الصراع والاستعداد للجولات القادمة؟

● **د. اسامة الغزالي**: أريد هنا أن أعود لما ذكره الأستاذ السيد يسين ـ في سياق الحديث عن رؤية الاسرائيليين للمواجهة العربية الصليبية ـ عن الرغبة في إثبات عدم انقطاع صلة اليهود بأرض الميعاد، ووحدة الشعب اليهودي. ربما يستطيع د. قاسم أن يلقي الضوء على هذه الجزئية بالتحديد.

○ **د. علي الدين هلال**: اسمحوا لي ـ قبل إجابة د. قاسم عن هذا التساؤل ـ أن أقول إننا عندما نتحدث عن كيفية رؤية الفكر الاسرائيلي والفكر العربي للحروب الصليبية، فإن المقصود ليس مجرد فهم مجموعة من أساتذة التاريخ في جامعة القدس أو في جامعة القاهرة للظاهرة، وإنما المقصود هو الوعي السياسي الإسرائيلي والوعي السياسي العربي كما نجده في خطب سياسية لبن

غوريون وموشي وشاريت وغولدا مائير، أو في خطب سياسية لجمال عبدالناصر وحافظ الأسد وصدام حسين، وفي برامج الأحزاب السياسية. فليس المقصود هنا الخلافات الأكاديمية أو الفنية بين مجموعات المؤرخين، وإنما هو إلى أي مدى ـ في مواجهة إسرائيل ـ نحن (ونحن هنا معناها جمهور الشعب) معبأون ومؤهلون بنظرة ما لتلك المواجهة؟ وإلى أي مدى تمثل المقارنة بين الاسرائيليين والصليبيين جزءاً من الوعي الجماعي العربي؛ وأنا رأيي أن تلك هي النقطة التي تحتاج إلى أن نركز عليها.

○ **د. قاسم عبده قاسم**: هذا الكلام للدكتور علي مهم للغاية، وفي الواقع فإن ذلك ما كنت سأتحدث عنه، وليس عن مناهج المؤرخين. المسألة الأساسية هنا أن نظرة الإسرائيليين للتاريخ ـ سواء لتاريخ الحركة الصليبية أو للتاريخ عموما ـ نظرة تقترب كثيراً من الرؤية العلمية الصحيحة والرؤية السياسية الواعية للتاريخ، وهذا أمر يجب أن نعترف به. فصحيح أن التاريخ موضوعه هو الماضي، ولكنه يتصل بالحاضر والمستقبل. هو علم يوظف لخدمة الحاضر والمستقبل، وليس علما للتسلية. تفضل الأستاذ يسين بالإشارة إلى ما كتبه كلود كاهن في كتابه الأخير، وأشار أيضا إلى كتاب يوشع براور: The Latin Kingdom of Jerusalem ويوشع براور أشهر مؤرخ إسرائيلي تعرض لتاريخ الحركة الصليبية، وربما أشهر مؤرخ في العالم حاليا بعد رينسمان في تاريخ الحركة الصليبية، وهو أيضا من أساتذة الاستيطان الإسرائيلي. لكن هنا الفارق بين مؤرخ يملك أدوات البحث العلمي، ويملك الوعي السياسي بأهمية البحث العلمي في مجال التاريخ، وبين مؤرخين هم مجرد جامعين لأوراق عن طريق القص واللصق لا غير، أو مؤرخين يدغدغون الحواس القومية أو حتى حواسهم الذاتية ويهنأون بأن أسلافهم قد صنعوا التاريخ، وصنعوا الأمجاد دون أن يكلفوا أنفسهم عناء البحث في كيفية صنع هذه الأمجاد. وبالفعل فإن مواجهة الحركة الصليبية لم تكن مجرد انتصار ـ كما تفضل وذكر الأستاذ يسين ـ تختزل فيه النتيجة النهائية، ولكنها كانت معاناة على مدى جيلين، وكان على المنطقة العربية أن توجه كل مواردها على كل المستويات لخوض هذا الصراع الذي كان بالفعل صراع وجود، وتثبت التجربة أنه لا بد من توفير كل الامكانيات، ولا بد من العمل الايجابي، لأن التاريخ لا تصنعه الصدفة، وإنما يصنعه جهد الناس. وللأسف الشديد، فإن الوعي بالحركة الصليبية على المستوى العام في الوطن العربي، منخفض الى درجة تقرب من الصفر، بل اني لا أتجنى إذا قلت إن الوعي بأهمية دراسة الحركة الصليبية من منظور سياسي يخدم الحاضر والمستقبل في أوساط المؤرخين، يكاد يقترب أيضا من الصفر. ولكن كتاب يوشع براور، على سبيل المثال، يمثل دراسة لمصير الكيان الصليبي: الاستيطان، وأسباب الفشل. ومن اللافت للنظر أن يوشع براور يبدأ كتابه بسفر في العهد القديم، وهو الآية التي تعني أن الرب وعد يعقوب، وقال له هذه الأرض تعود إليها أنت وبنوك... كذا وكذا... إلخ. ثم يناقش جميع الجوانب في مصطلحات حديثة، مثل الحدود الآمنة والردع العسكري والمستوطنات، والقوات خفيفة الحركة، والمحيط البشري المعادي والظهير المساند.. وأهمية الجذور وعدم الغربة الحضارية، وأهمية توطين الصليبيين توطينا حقيقيا في الوسط الديمغرافي، وأهم من هذا هو ما أشار إليه الأستاذ سيد يسين من محاولة اختلاق استمرارية للوجود اليهودي. ولقد تحدث يوشع براور عن الغزو الصليبي كاستعمار أوروبي وكنوع من العدوان وقع على اليهود في فلسطين، وهذا غير حقيقي تاريخيا. وهنا ـ وعند الرد على تساؤل د. الغزالي عن دور اليهود في مواجهة الحركة الصليبية ـ إذا كان الدور السلبي يعد دوراً، فهذا هو كل دورهم. وحين خرجت قوات الحملة الصهيونية، وبالذات الحملة الأولى، لأسباب كثيرة شاع أنه إذا كانت الحملة قد خرجت لمحاربة أعداء المسيح الذين

يضطهدون المسيحيين وهم المسلمون، فأولى بنا أن نطهر البيت من الداخل، من الذين اضطهدوا المسيح نفسه، أي اليهود في حوض الراين، وكان هؤلاء أصحاب أموال كثيرة وأقرضوا أبناء المجتمع الاقطاعي بفوائد باهظة تزيد عن ٥٠ بالمائة، ولأسباب كثيرة اجتماعية واقتصادية تحولت جماهير الغوغاء التي كونت الطلائع الأولى فيما عرف باسم الحملة الشعبية ضد اليهود في وادي الراين واحدثوا بهم مذابح ضخمة، بل إن جيوش الأمراء أيضا ابتزت اليهود للحصول منهم على بعض الأموال الذهبية. وحين وصلت القوات إلى فلسطين كان هناك حي يهودي في القدس يعيش فيه اليهود، كما عاشوا في جميع أنحاء المنطقة العربية، وقامت قوات الصليبيين بارتكاب مذبحة تحدثت عنها كل المصادر، ضد السكان العرب أساسا الذين يميزهم اللباس العربي سواء من المسلمين أو المسيحيين واليهود. قالوا إن المدينة التي شهدت آلام المسيح، لا يجب أن تشاهد أو تحوي بين جدرانها من عذبوا المسيح أو من عذبوا اتباعه، ويقصدون بذلك اليهود والمسلمين. ولم يكن لليهود دور في مواجهة الصليبيين، وذلك ببساطة شديدة لأنهم كانوا في ظل دولة عاملتهم باعتبارهم «أهل ذمة» لا يجوز لهم حمل السلاح. والحرب كانت مهنة تتطلب التفرغ الكامل، لأنها كانت مهنة في ذلك الحين تعتمد على اللياقة البدنية والمهارات القتالية التي تتطلب تفرغا طوال الحياة. وحتى جماهير الناس العادية في ذلك الحين، لم تكن تدخل الجيوش وإنما كانت تقوم بدور سلاح التموين والإمداد.. إلخ. وفي حدود معرفتي وردود فعلي إزاء كتابات بعض الباحثين الاسرائيليين وعلى رأسهم يوشع براور الذين تحدثوا عن دور يهودي، بدأت أفتش مرة أخرى عن الوثائق، فلم أجد إطلاقا لا في حولية ولا في وثيقة أو مصدر عربي أو بيزنطي أو سرياني أو أوروبي أو لاتيني ما يؤكد أنه كان لهم دور.

إذاً لماذا هذه المسألة؟ في تصوري ان ذلك تنفيذ لمقولة هرتزل بضرورة استخدام التاريخ إلى جانب الفن لتغيير صورة اليهودي، ومحاولة انتحال دور على حساب الشعوب العربية، وسرقة التاريخ العربي من خلال المحاولات المستمرة حتى الآن، وسرقة التراث وسرقة الآثار.. إلى جانب سرقة الأرض، لتأكيد وجود يهودي مستمر في المنطقة، ودور مستمر لما يسمى بالشعب اليهودي، وتلك خرافة تدحضها كل الأسانيد العلمية ـ كما ذكر الأستاذ يسين.

وعيب النظرة العربية للتاريخ أنها تستكين بالفعل إلى ما أسماه زريق بالتاريخ العبء، لكن المفروض أن نخرج من دراستنا للحركة الصليبية بأن القضاء على هذا الخطر المصدر إلينا من الخارج، لم يتم سوى بحدود دنيا من وحدة العمل وبتكريس كل موارد المنطقة العربية تحت قيادة تعمل في اتجاه واحد لمحاصرة هذا المشروع الاستيطاني الذي يتكرر اليوم، بشكل وعى التجربة التاريخية، وزاد عليها، واستفاد من انجازات الحضارة البشرية في القرن العشرين. الرؤية الإسرائيلية تعي أن للتاريخ دورا حضاريا في تقدم المجتمع، وتحاول أن تستفيد منه بشكل عام، وليس في تاريخ الحركة الصليبية فقط.

● **د. أسامة الغزالي**: هل يفهم من هذا أن ذلك الادراك لدور اليهود في مواجهة الحملة الصليبية، مقصور على الباحثين التاريخيين أم هو شائع لدى اليهود بشكل عام؟

○ **د. قاسم عبده قاسم**: هو ادراك شائع، ولا يقف الأمر عند حدود الكتابات الاكاديمية، بل صيغت روايات من نوع الروايات التاريخية التي تتحدث عن وقائع معينة في اطار رومانسي، وقد شاعت هذه الروايات كما شاعت في مجتمعنا منذ فترة روايات جورجي زيدان مثلاً. ومن خلال

الروايات وتغليف التاريخ بالخيال، زرعت مفاهيم كثيرة حول دور اليهود واستمرارهم وبطولاتهم وعناصر التضحية ..الخ، لدرجة أن كتابات كثيرة أكاديمية أو صحفية تتحدث عن «الهولوكوست» الأول أي مذابح اليهود إبان الحركة الصليبية، كمقدمة «للهولوكوست» الذي تم أيام النازي، مع أن الظاهرة الأولى كانت لها ظروف وملابسات مختلفة تماماً عن الظروف والملابسات التي وقعت في النصف الأول للقرن العشرين، وذلك دور تلعبه الحركة الصهيونية بذكاء.

○ **أ. السيد يسين**: اعتقد أنه يجب أن نركز على الحقيقة التي ذكرها د. قاسم، وهي أن الوعي العام أو القراءة السياسية للحروب الصليبية ليست موجودة في الوطن العربي لا على مستوى الرأي العام ولا على مستوى الصفوة المتخصصة. هذه حقيقة مرة ينبغي أن نقف عندها طويلاً، على أساس أن المؤرخين الاسرائيليين يقومون بالقراءة السياسية للحوادث الماضية، أحياناً بغرض تشويهها وتقديم اتساق ايديولوجي للمشروع الصهيوني، على عكس الحال في الوطن العربي، حيث لا بد أن نقر بأن جهود الصفوة المفكرة في تجميع الجهد القومي للمواجهة لم تكن تؤخذ على سبيل الجد في كثير من الأحيان نتيجة للحرب التي شنتها النخبة الحاكمة العربية، وعلاقاتها المعقدة مع المثقفين. والقرار الخاص بالمواجهة، في كثير من الأحيان، لم يكن يأخذ في اعتباره الجهود الفكرية للمثقفين، اضافة إلى الافتقار إلى منهاج القراءة السياسية للتاريخ بغرض استخلاص دلالاته. هذه المسألة أساسية. وفي كثير من الأحيان، نجد الدراسات التاريخية العربية دراسات جزئية أو تكتيكية، وتقوم على الوثائق وتحقيقها، من دون النظرة الشاملة التفسيرية لحدث ما، أو وضعه في إطار التاريخ القومي العام.

○ **د. علي الدين هلال**: أستطيع أن أوجز ما ذكره د. قاسم فيما يتعلق بالنظرة الاسرائيلية في أمرين يتعلقان باسهام علم التاريخ في المشروع الصهيوني. الأمر الأول: هو مواجهة الصورة النمطية عن اليهودي كانسان غير مقاتل. ففي الكتابات الغربية وفي كتب التاريخ بشكل عام، الصورة هي أن اليهودي تاجر أو أن اليهودي يعمل بجمع المال. المؤرخ الاسرائيلي أراد في إطار الدولة التي يريد أن يبنيها، أو المجتمع الاحلالي الذي يريد أن يدعمه أن يغرس صورة اليهودي كمقاتل، أيضاً استخدام العلاقة مع الرومان وكل الأساطير التي بنيت حول (الماسادا) وتفسيرها كصورة للبطولة.. الخ. إذاً، هناك خط في التاريخ الاسرائيلي وهو طرح اليهودي كمقاتل. ثانياً: الاصرار على الأرض، أي أنهم يدافعون عن أرض فلسطين منذ أزمان بعيدة، وأنه عندما جاء اناس من أوروبا لاحتلالها قاموا بدورهم في الدفاع عن هذه الأرض، مما أيضاً يعطي شرعية البقاء والاستيطان. وهذا يعكس ما يمكن أن نسميه «التاريخ كجزء من المشروع القومي» وحيث يندرج علماء التاريخ في مشروع سياسي ما، ويوظفون معارفهم في هذا السياق.

والسؤال هنا: لماذا لم يحدث ذلك في الوطن العربي؟

وربما يجب أن نحترز بعض الشيء في هذا. فأولاً، هل صحيح أن المؤرخين العرب، والمؤرخين السياسيين منهم بالذات، لم ينتبهوا لهذا؟ ثم، إذا كانت الاجابة نعم.. فلماذا حدث ذلك؟ أول ما يتبادر إلى ذهني هنا، أن الشعور بالغزوة الصليبية لا يشترك فيه كل العرب، فاخواننا في الخليج واخواننا في ليبيا غرباً.. واخواننا في السودان، ربما لا يشكل موضوع الحروب الصليبية جزءاً من تكوينهم التاريخي، بالقدر الحادث في مصر والشام، ولا يمثل بالتالي جزءاً من الذاكرة الجمعية كما هو في مصر والشام.

○ **د. قاسم عبده قاسم**: ولكن هذا لا يسري مثلاً على المغاربة، بسبب الحملات التي قام بها لويس التاسع على تونس، والحملات الفرعية الأخرى على بلاد المغرب العربي.

○ **د. علي الدين هلال**: بالنسبة للسؤال عن عدم اهتمام المؤرخين في مصر والشام، هنا أتساءل ـ وسؤالي هذا موجه بشكل خاص للدكتور الدجاني ويتعلق بالذات بالمفكر القومي الأستاذ ساطع الحصري، الذي يمكن أن نعده «أب» الفكر القومي، والمؤرخ القومي الوحيد الذي تصدى لبناء مفهوم متكامل عن القومية العربية ـ إلى أي مدى دخل موضوع الحروب الصليبية ضمن تفكيره؟ ويمكن طرح السؤال نفسه بالنسبة للأستاذ ميشيل عفلق، وهكذا بالنسبة لغيرهما من المفكرين القوميين الكبار.. فاذا كان ساطع الحصري قد تحدث في ذلك الموضوع، فان ذلك سوف يعني أن هناك قطاعات عريضة من العرب تأثروا به.. والأمر أيضاً يسري على الأستاذ ميشيل عفلق وهكذا.

على أنني أتذكر جيداً أن الرئيس جمال عبد الناصر تحدث كثيراً عن هذا الموضوع، وعندما كان يتحدث عن القضية الفلسطينية، كان يطرح معنيين: الأول، إن الصراع العربي الاسرائيلي هو صراع حضاري، وكان عندما يقوم بافتتاح مصنع أو بتدشين مشروع أو عمل اجتماعي غالباً ما يذكر أن ذلك جزء من المواجهة مع اسرائيل، وأن التحدي هو بناء مجتمع قوي يواجه اسرائيل، أي أن المعركة مع اسرائيل معركة متداخلة، تدخل فيها الصناعة والزراعة والاقتصاد.. الخ، وليست مجرد معركة عسكرية.

المعنى الثاني، هو حتمية الانتصار، وأنه مثلما استمر الصليبيون فترة طويلة، فان مآل اسرائيل سوف يكون مآلهم نفسه.

● **د. أسامة الغزالي**: إذاً، ننتقل إلى السؤال الثالث عن العامل الحاسم في الانتصار العربي على الصليبيين، في اطار مجمل العوامل التي أدت إلى ذلك الانتصار.

○ **د. أحمد صدقي الدجاني**: في اجابتنا عن هذا السؤال، نستطيع أن نقول إن العامل الحاسم في الانتصار العربي الاسلامي على الغزاة الصليبيين هو «توطين النفس على متابعة الجهاد في صراع النفس الطويل، من خلال وعي بالذات وتمثل الهوية في مختلف دوائر انتمائها، ومن خلال ادراك حقيقة العدو وأهدافه، وبفعل حركة احياء روحي في المجتمع، وبروز قيادتين: فكرية وسياسية، تلاحمتا معاً، فوحدتا جميع طوائف المجتمع وأفراده فانطلقت طاقاتهم».

سأحاول بإيجاز شديد أن أفسر هذه الاجابة، بتناول عناصرها عنصراً عنصراً:

العنصر الأول: أنت أمام صراع نفسي طويل امتد على مدى قرنين من الزمن تقريباً، تتابعت فيهما المراحل،وفي خضم هذا الصراع الطويل تحول المجتمع العربي ـ الاسلامي الى مجتمع جهاد، وكأن الامارات المختلفة آنذاك تحولت إلى إمارات جهاد.

والشواهد على ذلك كثيرة، استذكر منها ما قاله «محمد كردعلي» في دراسته القيمة التي تناولت هذه الحروب، حيث يشير إلى أن المجتمع عني عناية فائقة بفنون الحرب التي عرفت أيامها، فاستكثروا من السلاح والعدة والخيل والمنجنيقات والدبابات، واخترعوا أشياء في هذا الباب أدهشت الفرنجة وبخاصة يوم حصار عكا.

واستشهد بعصارة الدراسة التي قام بها د. سعيد عاشور حول المجتمع العربي الاسلامي

في بلاد الشام إبان هذه الحروب، فهذا المجتمع احتفظ طوال القرنين بأصوله وتقاليده ومثله على عكس الفرنجة ـ حسب رأي المؤرخ «فوشيه» ـ وألاحظ من خلال دراسة سعيد عاشور أن المجتمع وطّن نفسه على الجهاد والحرب، ولم يعن هذا أبداً أن يتوقف عن ممارسة أي شيء من فنون الحياة الجميلة؛ كانت الأفراح تقام، وكان الناس يخرجون الى المنتزهات، وكانت الحمامات عامرة، وكانت الأسواق كأعظم ماتكون، وازدهرت التجارة أيما ازدهار، ولكن كل ذلك حُكِمَ بهدف واحد، هو متابعة الجهاد. أشرنا إلى تمثل الهوية في كلمة سعيد عاشور في عصارة دراسته، والهوية في مختلف دوائرها: كان هناك وعي عربي الى آخر مدى، وكان هناك وعي إسلامي الى آخر مدى ولم يحدث التصادم أبداً بين الدائرتين، وكان هناك وعي حضاري إلى آخر مدى شارك فيه الأخوة النصارى. والحق أن دراسة سعيد عاشور ذكرت عشرين طائفة كانت موجودة في بلاد الشام، ولكن كل هذه الطوائف شاركت في وقت الانطلاق والاحياء والصحوة في مواجهة العدو.

نركز على دور العقيدة لأنه في مثل هذه الحروب، لا بد من بروز هذا الدور، ونستشهد بأمثلة كثيرة من بينها شاعر عاش القرن الأول وهو «ابن القيصراني» ـ وقد تصدى لدراسته أكثر من باحث في رسائل جامعية في الدراسات العليا ـ نقرأ شعر هذا الشاعر الذي ولد في عكا، وظل فيها حتى سن التاسعة عشرة حينما سقطت، فنجد أنه ليس حديث حزن وبكاء، وإنما الحديث حديث جهاد يستمد طاقاته القوية من خلال العقيدة.

نقرأ ما كتبه العماد الأصفهاني، وما كتبه القاضي ابن شداد فنلاحظ ذلك، ولكننا نراها كأحلى ما تكون وكأعظم ما تكون في صدورها عن القيادات السياسية، وبخاصة ـ كمثل من الأمثلة ـ تلك الرسالة التي وجهها صلاح الدين، وكانت بمثابة وصية له وقد تركها لابنه الظاهر قبل موته، ولم يجدوا في خزانته الخاصة بعد موته إلا ديناراً واحداً. يقول في الرسالة.. «أوصيك بتقوى الله تعالى، فإنها رأس كل خير، وآمرك بما أمر الله به، فإنه سبب نجاتك. وأحذرك من الدماء والدخول فيها والتقلد بها، فإن الدم لا ينام. وأوصيك بحفظ قلوب الرعية والنظر في أحوالهم فأنت أمين، وأمين الله عليهم. وأوصيك بحفظ قلوب الأمراء وأرباب الدولة والأكابر، فما بلغت ما بلغت إلا بمداراة الناس. ولا تحقد على أحد، فإن الكون لا يبقى لأحد، ولا يبقي على أحد. واحذر ما بينك وبين الناس، فإنه لا يغفر إلا برضاهم. وما بينك وبين الله يغفره الله بتوبتك إليه، فإنه كريم» هذا نموذج من نماذج كثيرة تصور مفعول العقيدة.

ونرى هذا في عصارة كتاب **الاعتبار** الذي كتبه أسامة بن منقذ، بعد أن جاوز الخامسة والثمانين من العمر.

وأصل من بين هذه العناصر، إلى أهم عنصرين جمعا العناصر السابقة وهما: بروز القيادة الفكرية، والقيادة السياسية، وتلاحمهما معاً. وهنا لا بد أن نميز في تجربة حروب الفرنجة بين مرحلتين: مرحلة النكبة والهزيمة، ومرحلة الاحياء والصحوة. والبروز بدا جلياً بعد حدوث النكبة وحدوث الهزيمة.

لقد كتب الغزالي امامنا العظيم ـ رحمه الله ـ **إحياء علوم الدين** بعد بداية هذه المرحلة. وقد يقول البعض انه لم يتطرق فيه إلى الجهاد، ولكن مجمل الاحياء يصل إلى بناء فرد ينطلق في طريق الجهاد. القيادات الفكرية استمرت في الظهور، وكم تأثرت وأنا أراجع بعض ما كتب خلال تلك الفترة: لنقرأ ابن شداد، نرى قيادة فكرية واعية حرص صلاح الدين حين رآه أن يرجوه أن يكون إلى جانبه، وبقي إلى جانبه السنوات الخمس الأخيرة من حياته. نقف عند القاضي الفاضل واسمه «عبد الرحيم البيساني» أي من بيسان، نشأ هناك ثم جاء إلى مصر وقام بدوره الفكري في

عهد الفاطميين، ثم انتقل إلى متابعة دوره في عهد الأيوبيين. يكفي أن نقول شهادة صلاح الدين في هذه القيادة الفكرية، حيث قال مخاطباً الجمع كله الذي كان يحيط به جنوداً، ورعية، وقيادات، «لا تظنوا اني ملكت البلاد بسيوفكم بل بقلم الفاضل» والفاضل كتب يومياته كاملة، ولكن للأسف ضاعت كلها، ولم يبق منها إلّا شذرات. نقرأ ما كتبه العماد الأصفهاني، فنرى وعياً بالتاريخ، ونرى قلماً سيالاً، ونرى قدرة على تعبئة الناس.

تتالت هذه القيادات بعد عهد صلاح الدين، ففي عهد قطز كان العز بن عبد السلام، وفي عهد بيبرس كان هناك عشرات في مصر من العلماء ومن الأطباء وكلهم قاموا بدورهم. القيادة الفكرية نجحت في تعبئة الناس، ويلاحظ كردعلي وسعيد عاشور، وكل من درس تلك الفترة، أن الحكام حرصوا على الالتحام بهذه القيادات الفكرية في فترة الصحوة بالطبع.

نأتي إلى القيادات السياسية، فنرى سلسلة من الحلقات الذهبية بدأت بعماد الدين ثم بابنه نور الدين ثم بأسرة أيوب، أيوب وأخوه أسد الدين شيركوه وابن أيوب يوسف صلاح الدين، ثم أولاد صلاح الدين من الظاهر إلى العادل إلى الكامل ثم قطز ـ وكان شخصية كبيرة ـ ثم بيبرس وصولاً إلى قلاوون الذي أنهى حروب الفرنجه بتحرير «عكا» في عام ١٢٩٠. سنلاحظ أن هذه القيادات أدركت جيداً كيف تكون المواجهة، ووظفت جيداً حقيقة المكان ووعت قدراتها وذاتيتها، ووعت قدرة العدو وجوانب ضعفه، ولنأخذ أمثلة على ذلك: ما حصل للويس في دمياط وفي المنصورة وكيف تعامل صلاح الدين مع هؤلاء جميعاً. ومن قبله نور الدين. لنر كيف تحرك بيبرس في عين جالوت، حيث جاء المغل في الفترة الأخيرة من حروب الفرنجة، ثم كيف أخذ بعد عين جالوت حصن الأكراد.

نحن إذا أمام سلسلة من الحلقات المضيئة من القيادات التي وطنت نفسها على صراع النفس الطويل، وعلى متابعة الجهاد.

من خلال هذا، بوجود القيادة الفكرية والقيادة السياسية، حصلت وحدة المجتمع. وحين نحكي عن الوحدة، فإن هذا لا يعني أنه لم يكن هناك شذوذ، ولكننا نحكي عن الصورة الغالبة. والحق أن محمد كرد علي لاحظ إلى أي مدى ساد حديث الوحدة في تلك الفترة، حيث علمت الحرب المسلمين أنه لا حياة لهم إلا باتحاد الكلمة، ولقنتهم معنى «الجامعة الدينية» و«الجامعة العصبية القومية» وكلتاهما معاً. وحقيقة، لم تأخذ الناس ولا قادتهم هوادة فيمن كانوا يفتون في عضد المجتمع ويتهمون بأن هواهم مع الفرنجة، هناك أم هي الخاتون صفوة الملك علمت أن ابنها شمس الملوك اتفق مع الفرنجة، فما ترددت وأمرت بقتله، لأن الأمر هنا لا يحتمل، ولما شعر صاحب دمشق في عام ٥٢٣ هـ أن الباطنية بدأو يتحركون ضمن اتفاق معين مع الفرنجة أمر بقتل وزيره، وكان على صلة بهم. والمجتمع كله هب للقضاء على ذلك التحرك. المجتمع إذا حدد هدفه وصبر عليه.

نلاحظ هنا أن القيادة السياسية اتقنت الجمع بين متطلبات الحرب ومتطلبات الدبلوماسية، وشهادة المؤرخين في العالم أجمع أنها قدمت نموذجاً خالداً، ولم تقابل الآثام بمثلها. وفي موضوع حروب الفرنجة لا ننسى المجازر التي اقترفت في القسطنطينية وضد اليهود في أوروبا وقبل أن تصل إلى منطقتنا، وفي بلادنا: في انطاكية وفي معرة النعمان والقدس وغزة ويافا وعكا. ولكن صلاح الدين طرح نموذجاً أعلى لمفهوم الحرب والسلم، هذا المفهوم الذي شرحه الشيباني في كتابه العظيم عن

العلاقات الدولية، وعديد من الكتاب الغربيين تحدثوا عن هذا، والمؤرخون العرب المحدثون وقفوا أمام هذا النموذج.

بقي العنصر الأخير الذي أشير إليه، وهو أن مجمل هذه العناصر أطلق طاقات المجتمع وطاقات الأفراد فحصل الابداع. والحق أننا نقف أمام نموذج علي بن شيخ النحاسين في دمشق الذي جاء وفي رأسه أمر رئيسي واحد: أن يسهم في إسقاط عكا.. كيف؟ بالقضاء على الأبراج التي بناها الفرنجة والتي كانت مستعصية. وطوال عمليات كيماوية متصلة، وصل إلى المعادلة التي يذكرها لنا الأصفهاني، ونجح في القضاء على الأبراج.

نذكر ما يشير إليه ابن شداد والأصفهاني عن «العُوَّام» وهم بمثابة «الضفادع البشرية» الذين كانوا ينزلون تحت الماء، وقد تفننوا في اختراق الحصار والحصون. إذا كان هناك ابداع، وتحولت الصناعة العسكرية إلى صناعة متقدمة للغاية. حدث هذا في مدى زمني ليس بالقصير.

وعلينا إذاً أن نلاحظ حين نحكي عن حروب الفرنجة ـ كما تفضل وذكر الزملاء الأفاضل ـ المراحل المختلفة. فمثلاً حين نقف عند صلاح الدين نميز بين خمس سنوات تمثل المرحلة المصرية، وبين اثنتي عشرة سنة تلتها تمثل المرحلة الشامية، وبين السنوات السبع الأخيرة التي يمكن أن تميزها المرحلة الفلسطينية والتي بلغت ذروتها بعد حطين. في كل مرحلة، قام صلاح الدين بانجاز متطلباتها. ففي مصر رتب القاعدة ثم حقق الوحدة مع بلاد الشام، مجموعة خطوات أنجزت، وهي صعبة عندما ندخل في التفاصيل، ثم إذا به يتحول تماماً إلى الحرب. وحتى جاءه القاضي بن شداد وعاش في بلاطه، كان البلاط مجموعة قيم. وما أروع القاضي بن شداد وهو يسجل اليوميات: حطين، وما حصل بعدها.

بعد هذا، يمكننا أن نأتي لموضوع المشابهة، وهنا أبدأ بالتساؤل: لماذا نثير حديث حروب الفرنجة؟ الاجابة ترتبط بالحاجة الانسانية للوقوف أمام سنن الحياة، ولاستخلاص العبرة، وليس غريباً أن يكتب ذلك الفارس العظيم أسامة بن منقذ كتابه **الاعتبار** وهو يبحث عن العبرة. وبالمناسبة، العبرة التي يصل إليها: «لا يؤخر الأجل الاحجام، ولا يقدمه الاقدام». والسنن في الحياة الانسانية تحكمها عوامل الزمان والمكان وتفاعلهما. حقيقة، في نطاق الزمان كل ما يجري في الاجتماع الانساني، وفي نطاق المكان الأرض نفسها. ضمن هذه الحدود، تأتي المقارنات والمشابهات.

انتقل هنا رأساً إلى نقطة جديرة بالذكر، من واقع السؤال الذي طرحه د. الغزالي حول الاطار الدولي، وحول المشابهة. ونحن نقرأ العماد الأصفهاني، نلاحظ في المقدمة لكتابه **الفتح القسي في الفتح القدسي** أنه أول من يقف أمام المشابهة والمقابلة فيقارن هذا الفتح بالفتح الأول الاسلامي، ويرى فيه هجرة ثانية، وأرجو أن نقف أمام المقارنة، فيقول: «الفرق بين فتوح الشام في هذا العصر، وبين فتوحه في أول الأمر، فرق يتبين تبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر». وهو يرجح الفتح الثاني بالمناسبة، وليس هذا غريباً، لأنه عاشه وكان عليه أن يعبىء الناس. ففي الفتوح الأول «الروم حينئذ بغاث ما استنسر، والفرس يومئذ رخم ما استبصر والحديد ما تنوعت أشكاله الرائعة، ولا طبعت سيوفه هذه القاطعة، ولا نسجت ثيابه هذه اللامعة، والبروج تعرف مشيدة لا مجلدة، والمنجنيقات لا يتوسم ما يتوسم اليوم من خشبها المسندة، والأقران.. والأسوار»... الخ مقارنة طويلة. وهو يقوّل في الفتوح الثانية واصفاً الحال قبل مجيء صلاح الدين: «والشام الآن قد فتح حيث الاسلام قد وهن العظم منه، واشتعل الرأس شيباً»، هو

يلاحظ القوة الحضارية والكفار قد خشنت عزائمهم واتسقت ممالكهم،... «واستبصروا في الضلال وقاتلوا جندا ورعية». ويشير إلى عامل بالغ الأهمية كان سائداً في المجتمع العربي ـ الاسلامي وهو أن الناس يريدون الخروج ولكن ما أعدوا له عدة. والغدر على كل لسان، لكل قوم مدة. هناك عجز.. ويستشهد بالبيت:

إذا عجزوا قالوا مقادير قدرت وما العجز إلا ما تجر المقادر

ومع ذلك حصل ما حصل من انطلاق، وهنا العظمة. إذاً المقارنة حدثت في وعي مؤرخي ذلك الزمان. وكم تأثرت وأنا أعود إلى رأيه في التاريخ، وعودته إلى تاريخ البشرية، لأن هذا التاريخ متصل الحلقات، كما تتصل النطف في الأصلاب حتى آدم، وهو وعي إنساني عظيم.

أحب أن أشير هنا إلى اختلاف موقعنا من كل من التجربتين موضع المقارنة. فبالنسبة للأولى، نحن أمام تجربة اكتمل رسم خطها البياني، بينما نحن الآن أمام تجربة ما زال خطها البياني لم يكتمل. ومطلوب، ونحن نقارن أن نلاحظ أين نقف عند أية نقطة، في الخط البياني الثاني. الخط البياني الأول ـ وأنا من الذين يميلون دائماً لتمثيل حركات التاريخ بخط بياني، وفي أكثر من تجربة بدا لي مدى الجدوى من هذا الصعيد ـ أي الخط البياني في حروب الفرنجة، المدى الزمني له قرنان، وهو حصيلة قوى عربية نرسم خطها البياني وكيف صارت، وحصيلة قوى الفرنجة وكيف صارت أيضاً، والآن الصورة التاريخية ترينا النتيجة. بينما الخط البياني للصراع العربي الصهيوني لا يزال يتحرك.. فمطلوب إذاً بداية أن نرى أين نحن. أنا من الذين يقولون أننا نقف عند نقطة تحول في الصراع العربي الصهيوني، وأرى أن مرحلة الهزيمة والنكبة، في وعي أمتنا، انتهت وانتقل الوعي إلى مرحلة الاحياء والصحوة. لا يعني هذا أن ذلك الوعي عمَّ، ولكنه بات غالباً، وقد سبق في ندوة مماثلة ضمت الأخوة الأعزاء، وفي عدد من البحوث، أن شرحنا هذه النقطة، فلا حاجة لتفصيلها. ولكنني سأعلق على النقطة التي تفضل أحد الأخوة وطرحها، أي إلى أي مدى يرد الحديث عن حروب الفرنجة أو الحروب الصليبية في مجتمعنا العربي اليوم.. وإلى أي مدى يرسخ الوعي؟ سأضع ثلاثة مستويات: الأول، مستوى البحوث. والحقيقة أن الندوة أغرتني أن أعود إلى مكتبتي، وأراجع ما ورد فيها من كتب، ثم أراجع المراجع التي ذكرت في هذه الكتب. وأنا مطمئن إلى أن حداً لا بأس به من الأعمال صدرت عن حروب الفرنجة، خلال نصف القرن الماضي، بل يمكن القول خلال القرن الماضي.. فنجد حديثاً واعياً جداً عند شكيب أرسلان، وعند محمد كرد علي. ونجد أن الحديث بدأ يزداد قبيل نكبة فلسطين عام ١٩٤٨، د. حسن حبشي مثلاً، وكان لا يزال في بدايات تخرجه، حيث طبع كتابه عام ١٩٤٧ عن الحروب الصليبية الأولى، وأضاف جديداً وهو تقديم النصوص اللاتينية التي تصور وجهة نظر الصليبيين، وكان قد أنجز رسالتي الماجستير والدكتوراه حول الموضوع نفسه. في الخمسينات والستينات، زاد ذلك على صعيد الدراسة الجامعية وعلى صعيد تحقيق الكتب. فمثلاً د. سعيد عاشور قام بدور ليس بالقليل، وشاكر مصطفى قام بدور ليس بالقليل في سوريا، وحسن ابراهيم حسن تعرض لهذه الحروب في تاريخ الاسلام العام. ويلفت النظر أنه، في فترة ثورة ٢٣ تموز/يوليو حدث إقبال على تحقيق بعض الكتب التي تناولت تلك الفترة. فقد صدر مثلاً كتاب **الفتح القسي في الفتح القدسي** في طبعة شعبية عن دار الكتب القومية، ومن قبله صدر كتاب القاضي بن شداد في أوائل الستينات. نلاحظ مثلاً ـ في دمشق ـ وفي سلسلة التراث، أعيد طبع كتاب ابن شداد، وكتابه **الاعتبار**. وكان فيليب حتي أول من حقق كتاب **الاعتبار** في نسخته الأولى، تلك الكتب تناولت تاريخ الحروب

الصليبية، ولكن كتباً أخرى ظهرت بعد ذلك تناولت المشابهة، من بينها نشير إلى أن المرحوم الأستاذ أحمد الشقيري حرص على أن يكتب كتاباً بعد تركه العمل السياسي، بعنوان **ما أشبه اليوم بالبارحة**. وكان د. أنيس القاسم قد كتب كتاباً من هذا النوع. ثم برزت كتب على صعيد رسائل الماجستير والدكتوراه. كما أن مؤتمر بلاد الشام الذي قامت به الجامعة الأردنية وجامعة دمشق، حفل على مدى دوراته المتعاقبة ببحوث عن حروب الفرنجة. إذاً هناك حد أدنى من المعالجة على صعيد الفكرة، قد لا تكون عممت بعد، وقد لا تكون أخذت طابع العلوم السياسية الحديثة في أسلوبها، ولكنها قدمت «فرشة» أولى.

ماذا على صعيد القادة السياسيين؟ الحق أنني أتفق مع ما ذكره د. هلال من أن الرئيس الراحل عبد الناصر كان دائماً ينبه إلى هذه المقارنة ويلاحظها، ولكن يلفت النظر أن الأجانب الذين زاروا قصر الرئاسة في دمشق لاحظوا أن القاعة التي يلتقي فيها الرئيس هناك بهم خالية، إلّا من لوحة واحدة كانت دائماً مدار تعليقاتهم، عن موقعة حطين.

أنا أطمئن إلى الرأي الذي يقول إن استحضار المثل الفرنجي ـ الصليبي قائم على صعيد عامة الناس، من خلال المسجد. إذ لا تخلو خطبة جمعة في مناسبة الأحداث الراهنة، من الإشارة إلى صلاح الدين، حقيقة. ولكن يجب أن أتفق مع زملائي على أن الحديث هنا عام، ويقتصر فقط على الإشارة إلى دور العقيدة. ولكن المتحدثين لا يتعمقون في حديث هذه الحروب، ولا يأتون بأمثلة منها توظف لعصرنا الراهن، وهو أمر يجب التنبه إليه عند معالجة ذلك الموضوع. ويجب أن نلاحظ أن التنظيمات السياسية لا توظف بعد الدراسات التاريخية التي ذكرناها بالشكل الكافي. والأمر هذا مطلوب جداً على هذا الصعيد.

قد نقف أمام ما جرى الحديث عنه حول النظرة اليهودية للتاريخ والنظرة العربية، ولا أدري كيف نقيس هنا هذه النظرة لأنني، كممارس سياسي، أرى أن القادة الصهاينة هم أسرى نظرة تلمودية يلخصها قول اسحق شامير، في مطلع الانتخابات السابقة «إن القضية الرئيسية في هذه الانتخابات هي حدود اسرائيل، كما جاءت في التوراة». وصحيح أنه على صعيد شريحة من الأساتذة هناك من يناقش هذه القضايا، ولكني أرى بوضوح أن المحصلة من هذه المناقشات التي تصل إلى القيادة السياسية، هي محاولة تمكين هذا الاستعمار الاستيطاني، وعدم الاستفادة من أي عبرة من العبر، وهذا ليس بمستغرب، لأنه من طبيعة الاستعمار الاستيطاني. وأكاد أقول إنه لا جدوى هنا من الاستفادة من عبرة التاريخ، لأن هؤلاء المستعمرين المستوطنين موضوعون في وضع معين ولا بد أن يخوضوا الغمار إلى مداه، ولا مفر من أن يواجهوا الإحياء الذي حدث من قبل.

● **د. أسامة الغزالي**: شكراً للدكتور صدقي، وكما استمعنا فإنه لم يتحدث فقط عن عوامل النصر، ولكنه أيضاً سعى إلى رد الاعتبار إلى مؤرخينا العرب ـ القدامى والمحدثين ـ فيما يتعلق باستخلاص عبرة الحروب الصليبية. وأعتقد انه قد آن الأوان للانتقال للاستماع للدكتور هلال ليحدثنا عن دلالات المواجهة العربية الإسلامية ضد الصليبيين، بالنسبة لمستقبل الصراع العربي الإسرائيلي، وبالنسبة لمستقبل إسرائيل في المنطقة.

○ **د. علي الدين هلال**: ربما كان كثير من القضايا أو الموضوعات التي كنت أنوي تناولها، قد تم عرضها بالفعل، ولذا فإن ما سوف أفعله هو محاولة وضع بعض ما قيل في سياق منظم، وربما أضيف بعض الأمور الأخرى.

أتصور ـ قبل أن أبدأ ـ وفي باب التعليق المباشر على حديث د. الدجاني، أن كل ما تفضل به يفترض استشعار الخطر، والإحساس بالتحدي، وهذا هو الذي يؤدي إلى تلك الآليات والتطورات التي تحدث عنها من أيديولوجية مكافحة، ومن روح الجهاد، والقيادة.. إلخ. وربما كانت احدى القضايا التي يجب أن تستوقفنا تتعلق بالسؤال: إلى أي مدى هناك استشعار حقيقي بالخطر أو بالتهديد لدى المواطن العربي، ولدى القيادات العربية؟ وبعيداً عن الشعارات، ربما ينبغي أن نطرح السؤال: إلى أي مدى فعلاً تشعر تلك القيادات، ثم تنقل هذا إلى مواطنيها، بوجود خطر داهم أو خطر آني، علينا أن نتعامل معه؟

عندما نتحدث عن الدلالات، وإذا أردت أن أبدأ أيضاً من بداية منهجية ما، قريبة مما تفضل به الأستاذ يسين، أقول بالطبع التاريخ كما يقولون هو الماضي منظوراً إليه من وجهة نظر الحاضر. بعبارة أخرى: التاريخ مستودع للأحداث والوقائع والتطورات، وأن عين الحاضر، وهموم وتحديات وطموحات المجتمعات الحاضرة، هي التي تستنفر بعض الأحداث والقضايا دون غيرها، وتثير بعض الأسئلة دون غيرها. ليس في ذهني أبداً النظرة الانتقائية، أو تزوير التاريخ، ولكن السؤال هو: لماذا تثار أسئلة معينة دون غيرها؟ وهنا، فإن تلك الأسئلة يكون موضعها الحقيقي هو الحاضر ومشاكله. في هذا المقام، الحديث هو عن الحروب الصليبية، لأننا نعيش وضعاً نواجه فيه تحديات مماثلة، وتستشعر فيه أخطاراً مقابلة، وهنا التاريخ يأتي ليس دائماً ليلعب دوراً إيجابياً. ففي كثير من الأحيان يستخدم التاريخ لدينا للهروب من الحاضر، أي يستخدم لدينا للانغلاق والتباهي بالانتصارات السابقة، دون أن نبحث في أسباب هذا الانتصار، ودون أن نبحث في كيفية التشبه بتلك الأسباب، أو كيف نقتدي بتلك الأسباب. أيضاً، التاريخ في كثير من الأحيان يبدو لنا كسجن، وكأن باب الاجتهاد قد أغلق، وأن علينا أن نتحرك في إطار الصياغات والأفكار التي ابتدعت منذ سنوات طويلة. النظرة الأخرى للتاريخ، أي التاريخ كحافز أو التاريخ كدافع أو كمصدر للحلم التاريخي، في هذا المقام تحدثنا هنا حتى الآن عن البعد الزماني، فأول دلالة أننا ازاء معركة طويلة الأمد، ومن ثم فإن الحديث عن موقعة ما يُحسم فيها الأمر، هو حديث غير جاد. نحن ازاء نضال تتعدد أشكاله ومراحله ومواقعه. والدلالة الثانية، أو المعنى الثاني، هو ما نسميه أحياناً بـ «حضارية المعركة» أي أن هذه المعركة، وهذا النضال، جزء منه سياسي وجزء منه دبلوماسي، وآخر اقتصادي، وآخر عسكري، وآخر منه إقليمي ودولي.

المعنى الثالث، هو تعدّد أساليب المواجهة: أي أنه عبر هذه المواجهة، هناك حرب وهناك هدنة، وهناك قنوات مختلفة للتعامل مع العدو. الذي يبقى، هو أن الحرب من ناحية، أو الهدنة من ناحية أخرى لا بد أن تكون جزءاً من تصور كفاحي، أي: أنت تعقد الهدنة، ليس استسلاماً، وإنما إدراكاً منك أنك غير مستعدّ للمواجهة، وأنه حماية لمصادرك واستعداداً لموقعة أخرى، عليك أن توقف القتال، ولكن الذي يبقى أن هذه الهدنة ينبغي ألا تغلق الباب أمام المرحلة القادمة، إذا هناك تعدد للأدوات وللقنوات، في سياق هذا النضال.

ما هي مجالات هذا النضال الأساسية؟ في تصوري أنه لدينا ثلاثة مجالات، وهنا تبدو دلالة حروب الفرنجة: الدلالة الأولى تتعلق بالمجتمع الاستيطاني نفسه. بعبارة أخرى: علينا أن نتفهم ماذا يحدث في داخل هذا الكيان. ما هي مصادر قوته، وما هي مصادر تضامنه الداخلي؟ وأيضاً: ما هي مصادر ضعفه وتناقضاته ومشاكله؟ وعندما ندرس المجتمعات الصليبية من ناحية، وعندما

ندرس المجتمع أو الكيان الإسرائيلي من ناحية أخرى، نرى الكثير من عوامل الوحدة والتضامن، وأيضا عوامل التناقض والتفكك والتمزق. ففي إسرائيل مثلاً، لدينا قضية علاقة اليهود الشرقيين باليهود الغربيين، وعلاقة المهاجرين بجيل الصابرا أو المولودين على أرض فلسطين. ولدينا العلاقة الأهم بين العرب الذين يعيشون تحت الاحتلال، واليهود، بما في ذلك القضية الديموغرافية والمرتبطة بالتوازن السكاني بين العرب واليهود، والتي تركت دون أي تدخل طبيعي، ففي حدود سنة ٢٠٠٠ ـ إلى ٢٠١٠ وبالتعبير الصهيوني، تفقد الدولة الصهيونية «طبيعتها»، بتعبير هرتزل: اريد دولة يهودية تكون يهودية بقدر ما فرنسا فرنسية او بريطانيا انكليزية»، ويقصد بهذا دولة أغلبيتها يهودية. وبدون أي تدخل من الخارج، وإذا تركنا الأمر للتوازن السكاني الطبيعي ـ وأخذاً في الاعتبار عناصر الهجرة اليهودية إلى فلسطين ـ فإن هذه الدولة سوف تفقد شرعيتها الصهيونية. إذا الدلالة الأولى هي أن نتفهم ما هي فعلاً مصادر التفكك في هذا المجتمع، ودون مبالغة فيها، نرى الخط البياني لهذه التناقضات، وإلى أين تتجه.

الدلالة الثانية، أو المعنى الثاني، هي ما أثير في هذه المناقشة حول العلاقة مع الظهير الأجنبي، أو مع الدولة الأم الأجنبية.. أو مع مصادر التأييد الاجنبية والدولية. وهذه خصيصة لكل المجتمعات الاستيطانية، فهذه المجتمعات تنشأ وهناك معنى ما لدولة أم، تقدم البشر وأحيانا المال والعتاد.. وتقدم المساندة الدولية والسياسية في المراحل الأولى للعملية الاستيطانية. وفي هذا المقام، فإن سقوط الإمارات الصليبية ارتبط بتقلص العلاقة بين تلك الإمارات وأوروبا. معنى هذا أن احدى الدلالات هي أن نتمعن جيداً في الظهير المساند لإسرائيل، مثلاً على مستوى البشر ـ وهي قضية حاسمة إذا ربطنا بينها وبين ما قلته عن المسألة الديموغرافية ـ علينا أن نبحث: أين مخازن البشر الآن بالنسبة لإسرائيل؟ والأرجح أن الدبلوماسية الإسرائيلية والفكر الإسرائيلي يفكران في هذا. ولا بدّ أنه يعتقد أن احد مكونات الأمن الإسرائيلي في المرحلة القادمة ـ لمدة عشرين سنة ـ هو كيف يمنع ما قلت إنه تطور طبيعي، من أن يحدث، إما بالهجرة وإما بأساليب أخرى.

هذا يعني أنه إذا كان هناك من يرسم استراتيجية عربية في مواجهة إسرائيل، فإن عليه أن يمنع المستودع البشري هذا من أن ينطلق من عقاله، لأن هذا المستودع البشري، يمكن أن ينطلق من عقاله، ليس لأسباب إسرائيلية، وإنما لأسباب تتعلق بالتوازن الكوني. ومن هنا يلزم فهم الوضع العمالي، وإدراك جيوب الوجود اليهودي أو الجاليات اليهودية في العالم، والمناطق المرشحة للهجرة إلى إسرائيل.. والظروف التي يمكن أن تسمح فيها دولة ما بالهجرة.. وكيف نعمل لإغراء هذه الدولة بألا تفعل ذلك.

الدلالة الثالثة هي الإرادة العربية، أو ما أسميه إرادة القتال أو بناء مجتمع محارب، وتفكيري هنا لا يختلف كثيراً عما ذكره د. الدجاني، وربما فقط، اختلف في المصطلحات، فأنا أتحدث عن أيديولوجية جهادية وعن القيادة المحاربة وعن التضامن السياسي في المنطقة، وتحدث د. الدجاني طويلاً عن الأيديولوجية والقيادة، وربما نتوقف بعض الشيء أمام قضية: الإرادة الإقليمية، أي أنه لا يمكن مواجهة هذا الخطر انطلاقا من عاصمة واحدة أو من قطر أو بلد واحد، وأنه لا بد من تضامن إقليمي، وفي وقتنا الراهن هو تضامن عربي، لمواجهة هذا الخطر.

هذا يعني أنه إذا استشعر العرب الخطر يثور السؤال: ما هي مجالات الاستراتيجية العربية إزاء إسرائيل؟ من واقع المعرفة بما حدث في حروب الفرنجة، تبدو لنا على الفور ثلاثة أمور:

الأول، ماذا نفعل لتعميق الانقسامات في داخل هذا الكيان الاستيطاني، أو ماذا نتوقع فعله، لكي نسمح لتلك التداعيات بالاستمرار؟ وأقول هذا لأن بعض السلوكيات العربية من شأنها دعم الوحدة في داخل إسرائيل دون أن تقصد، وبعض التصريحات التي لا تؤدي سوى إلى مكاسب إعلامية يكون لها وقع السحر على وحدة وتضامن المجتمع الاستيطاني. والمكون الثاني لهذه الاستراتيجية: كيف نعمل على إضعاف الروابط مع الظهير الأجنبي؟ وهذا أيضاً موضوع متداخل، فالظهير الأجنبي قد يكون ظهيراً مالياً، وقد يكون سياسياً أو بشرياً، وفي رأيي أن هذا المكون ربما كان أكثرها أهمية. أما المكون الثالث: فهو تدعيم القوة الذاتية من خلال العناصر المختلفة التي تحدثنا عنها.

وهنا أريد أن أركز على أمرين: أولهما، أنه منذ وفاة الرئيس عبدالناصر لا يمكن القول إنه ظهرت زعامة عربية يمكن أن نسميها بالزعامة القومية. وهذا ليس انتقاصاً من شأن هذه القيادات، ولكنه إقرار لواقع أن الشعوب العربية ـ لأسباب قد نتفق أو نختلف عليها ـ لم تتطلع إلى زعيم ما، منذ عام ١٩٧٠، كما تطلعت إلى زعامة عبدالناصر، أي أن القيادات السياسية العربية، مع حسن نياتها ومع توجهاتها القومية، إلا أنها في واقع الأمر زعامات قطرية، أي أن الولاء السياسي لها هو أساساً ولاء قطري، وأعتقد أنه دون حل لهذه المسألة تظل لدينا مشكلة، لأن إحدى الدلالات لزعامة صلاح الدين، أو هذه السلسلة الذهبية من القيادات التي تحدث عنها د. الدجاني، تفترض وجود زعامة لها تأييد ولها ولاء في قطاعات شعبية عريضة. الأمر الثاني، هو التضامن العربي، لأنه من غير المتصور أي حديث عن أي مواجهة مهما تضاءل شأنها، في إطار وطن عربي مفكك، مشرذم، تتعارك زعاماته مع بعضها البعض، أكثر مما تنظر إلى الأعداء الخارجيين. والأرجح أن الموارد مخصصة للتنافسات والصراعات الداخلية أو للمعارك الجانبية، أكثر مما هي مخصصة لمواجهة العدو الرئيسي. والحقيقة أن الأمرين مرتبطان، أي أن وجود زعامة قومية مرتبط بوجود الاتفاق على الحد الأدنى، أو ظهور إرادة عربية تتجه تدريجياً نحو إرادة القتال.

○ **أ. السيد يسين**: مع تقديري الشديد للنقاط المهمة التي ذكرها د. هلال، أخشى أن يجرفنا جو الندوة، وإغراء المشابهات إلى تجاهل الواقع العربي الراهن، لعلي أشرت في كلمتي إلى خطورة اختزال الحروب الصليبية في واقعة واحدة، هي واقعة الانتصار، ولكن الحروب الصليبية سلسلة معقدة ومركبة من مراحل الصراع والمهادنة والحرب، ولو وضعنا هذا الموضوع أمامنا نستطيع أن نقترب من الواقع المعاصر. وأستطيع القول مستعيراً عنوان كتاب الفريق أول محمد فوزي، **استراتيجية المصالحة** أن المناخ السائد في الوطن العربي، بمعنى الخطاب السياسي للأنظمة العربية، يتبنى استراتيجية المصالحة، وليس استراتيجية الصراع، هذه حقيقة أولى ينبغي أن نقف عندها طويلاً.

وبالتالي، فإن كل الوصايا التي قدمها د. هلال قد لا تنطبق، وقد لا تكون قابلة للتطبيق في هذا المناخ السائد، هي قد تعتبر من باب التمنيات بالنسبة لنا كمثقفين عرب نتمنى لو استطاع الوطن العربي أن يحشد قواه الدولية للمجابهة. ولكن هذه التمنيات لا علاقة لها بالواقع، وبالخطاب السياسي للأنظمة الراهنة، ربما بغير استثناء، بغض النظر عن المزايدات الكلامية والخطب الحماسية والشعارات الثورية، التي تكشف الممارسات العملية عن زيفها، والتي تؤكد أن هذه الأنظمة لا تسير في اتجاه القتال أو اتجاه المصادمة الحاسمة مع العدو الإسرائيلي.

إذا كان هذا انطلاقا من الواقع، فيبقى أن نستخلص العبرة مما حدث في الحروب الصليبية، وعلينا أن نتساءل: هل كانت فترات الهدنة التي تمت في المسيرة الطويلة للحروب الصليبية إيذانا بانهاء القتال إلى الأبد، أم استسلاما للمكاسب الجزئية التي حققها العدو.. أم كانت فترات تعبئة وحشد للمجتمع العربي لجولات قادمة؟

وهنا تبدو أهمية المشابهة، لو أردنا استخلاص العبر والدروس وأشير إلى إشارة د. علي في كلمته أنه قد لا يكون مدانا أن يتجه الوطن العربي في لحظة ما إلى المساومة، بشرط أن يكون ذلك في إطار استراتيجية طويلة المدى ومن شأنها تعبئة القوى على المدى الطويل، حتى لحظة المواجهة القادمة، والسؤال هنا: هل استراتيجية المصالحة السائدة الآن في الوطن العربي، هي تسليم بشرعية الوجود الصهيوني وإقلاع نهائي عن جولة أو جولات قادمة من الصراع الحاسم مع العدو الصهيوني، أم أنها مجرد فترة لالتقاط الأنفاس، وحشد القوى وتعبئة الموارد لجولة قادمة؟ وإن كانت الإجابة عن السؤال بالشق الأول، أي أنها تسليم نهائي، فينبغي مناقشة هذه القضية الخطيرة، وإن كانت الاجابة بالشق الثاني، أي أن لدى القادة العرب وعيا حقيقيا بأهمية التخطيط طويل المدى للمجابهة مع المشروع الصهيوني، يكون علينا أن نثير النقاط الأساسية عن الاستراتيجية المثلى التي ينبغي اتباعها في فترة المصالحة أو الهدنة، استعداداً لجولة قادمة.

○ **د. علي الدين هلال**: لقد أحسن الأستاذ يسين كثيرا بمداخلته هذه، واعتقد أنه أفصح عن بعض ما أوردته، وأتفق معه فيما قال، ولكن إذا اتفقنا أن الصراع مع الكيان الاستيطاني هو صراع ممتد، وإنه صراع تتداخل فيه كل جوانب الحياة، وانه ليس معركة بين جيشين بل هو صراع بين مجتمعين: اقتصاد، سياسة، دين، ثقافة، قيم.. أيديولوجية، تربية وتعليم، نشء.. إلخ. والمواجهة ليست إقليمية بحتة، بل هناك ضغوط ومحدّدات دولية قد تفرض عليك وعلى الطرف الآخر، مواقف خارجة عن حدود التوازن بين طرفي القتال. وقد حدث هذا أكثر من مرة في جولات الحروب، أي لم تتحدد النتيجة بالتوازن على الأرض، وإنما بضغوط خارجية وبتهديدات مباشرة من أطراف دولية، وعندما نقول إننا نتحدث عن نضال، إذن نتذكر أننا نريد أن نخوض هذا النضال لننتصر فيه. وكما يقول مفكر استراتيجي صيني شهير «ان اعظم الانتصارات العسكرية هي تلك التي ينتصر فيها القائد، قبل ان يدخل المعركة» أي إذا انتصرت دون ان تدخل المعركة، فهذا هو أعظم انتصار، بمعنى إذا خلقت موقفا استراتيجيا (عسكريا وسياسيا ودبلوماسيا) من شأنه أن يقنع العدو بتغيير موقفه، دون أن تطلق رصاصة واحدة.

ولكن كيف نفهم روح المصالحة، قد يكون من الصعب أن ندخل في تفصيلات، ولكن إذا نظرنا لهذه المسألة نظرة تاريخية، وبغض النظر عن نيات من يتحدثون عن السلام أو المؤتمر الدولي، فإن ما يصلون إليه لن يكون سوى هدنة. حجتي على هذا هو ما ستفعله إسرائيل. وبعبارة أخرى، فإنه بغض النظر عما يتصوره بعض الزعماء العرب من أنهم يستطيعون الحصول على السلام، حتى بمعنى من المعاني، فإن تفاعلات الأحداث وتداعياتها، لن تجعل مما يتوصل إليه سوى هدنة، ونستطيع أن نرى تجربة التاريخ: عندما يصر مناحيم بيغن ذات مرة على لقاء الرئيس السادات في شرم الشيخ، وبعد اللقاء بثلاثة أيام تنطلق الطائرات الاسرائيلية لمهاجمة المفاعل النووي العراقي، وعندما تقوم اسرائيل بغزو لبنان عام ١٩٨٢، وعندما تثار الأزمة حول طابا.. وعندما ننظر في أعداد الجيش الإسرائيلي وخططه الإسرائيلية ومناوراته وحجم السلاح الذي يمتلكه، وعندما ننظر في الفكر الاستراتيجي الاسرائيلي حول تصورهم للمستقبل، ومنها الوثيقة

التي أشار إليها الأستاذ سيد يسين.. وعندما ننظر إلى تجربة ما سمي بالتطبيع سواء في لبنان أو في مصر، وماذا نتج عنها... إلخ.

أي بعبارة أخرى، بغض النظر عن نيات واجتهادات الذين يتصورون امكانية توقيع معاهدة ما، فإن المعطيات الموضوعية ومسار التفاعل الواقعي، وطموحات المشروع الصهيوني، تؤدي بهذه الأمور إلى أن تكون هدنة.

○ **د. قاسم عبده قاسم**: تعقيباً على كلام د. هلال، موقف الأنظمة العربية هو موقف سلبي، أو هو موقف رد فعل تجاه التصرفات الإسرائيلية، وهذه التصرفات الإسرائيلية ربما هي التي سوف تجعل العرب يعدلون استراتيجية المصالحة لتصير مجرد هدنة، وأعتقد أننا إذا استوحينا الدرس التاريخي، فإنه في كل مرة كان يعقد فيها أحد القادة هدنة ما، فإنما كان يفعل ذلك لغرض يخدم قضية الحرب، وذلك ينطبق على جميع حالات الهدنة التي وقعها المسلمون والعرب مع الصليبيين، حيث كانت عسكرية، أي تتعلق بالاعداد للحرب، وهذا ينطبق على حالات الهدنة التي وقعها صلاح الدين مع بعض الصليبيين والتي كانت موجهة ضد بعضهم الآخر. والنموذج الأمثل على هذا هو مجموعة اتفاقات الهدنة التي عقدها السلطان الظاهر بيبرس، حيث كان يعقد هدنة مع فلان.. لكي يضرب فلاناً الآخر.. وهكذا.

● **د. أسامة الغزالي**: شكراً يا د. قاسم، وأعتقد بذلك أننا قد وضعنا أيدينا على كثير من الدروس أو العبر التي تنطوي عليها المواجهة القديمة ضد الصليبيين، ودلالاتها فيما يتعلق بالمواجهة المعاصرة ضد الصهيونية وإسرائيل. وتبقى القضية، بعد ذلك، هي امكانية الاستفادة الفعلية أو الواقعية من تلك الدروس، وترجمتها في استراتيجية عربية واحدة، واضحة المعالم، في مواجهة التحدي الصهيوني والاسرائيلي□

صدر حديثاً عن

مركز دراسات الوحدة العربية

صورة العرب
في عقول الأمريكيين

الدكتور ميخائيل سليمان

هجرة المهنيين العرب
الى الولايات المتحدة

د. عباس النصراوي

استاذ الاقتصاد في جامعة فرمونت ـ الولايات المتحدة الامريكية.

ملاحظات تمهيدية

إن موضوع هجرة أصحاب المهن من الأقطار النامية، العربية منها وغير العربية، قد حظي باهتمام الباحثين والحكومات والمنظمات الدولية خلال العقود الثلاثة الماضية. مع هذا، لم نتوصل بعد الى حل لهذه الظاهرة الخطيرة، وما زلنا كما كنا عليه قبل ثلاثة عقود. ثمة تفسيرات متعددة لأسباب الهجرة. وتشمل هذه التفسيرات عوامل مختلفة منها شخصية واقتصادية وسياسية ودينية واثنية، وهي تفعل فعلها في القطر الخاسر (المهاجر منه) والقطر الكاسب (المهاجر اليه) معاً في الحث على هجرة المتهنين، ولكنها تفسيرات لا تقتصر على العوامل المذكورة. بعبارة أخرى، هناك، كما تفيد الأدبيات المكتوبة عن الموضوع، عوامل تدفع الأفراد الى ترك أوطانهم وعوامل تجذبهم اليها. نجد في الجدول رقم واحد ملخصاً لعوامل الدفع والجذب هذه. ومع أننا نقر جميعاً بوجود قوى دفع وجذب، ولكن من المهم ان نشدد على أن العالم يتألف من أقطار يعتمد أحدها على الآخر، وهي أقطار تختلف اختلافاً كبيراً في مستويات التطور والدخل القومي والتصنيع والتقدم التقني والموارد المكرسة للبحث والتطوير.

وانها لحقيقة واقعة من حقائق النظام الاقتصادي الدولي الحاضر أن تدفق ذوي المهن يكاد يكون باتجاه واحد، أي من الأقطار النامية الى بلدان يسود فيها اقتصاد السوق الصناعي، وخاصة الولايات المتحدة الامريكية.

إن هذا التدفق، كما جاء في دراسة حديثة أجريت برعاية منظمة الصحة الدولية حول الموضوع، يعكس نظاماً دولياً سياسياً واقتصادياً يخضع فيه الاقتصاد الأضعف الى اولويات الاقتصاد الأقوى. وتمضي هذه الدراسة الى القول: «إن التيار... في هذا الصدد... ينشأ عن قوة دافعة في منبعه وقوة جاذبة في الطرف الآخر... بيد أنه بدون القوة الدافعة في منبع التيار، وبصرف النظر عن القوة الجاذبة في الطرف الآخر، لن يكون هناك أي تيار يذكر. أما حجم التيار الناشىء عن قوة دافعة معينة فيمكن السيطرة عليه نظرياً بواسطة صمامات في أي من طرفي مجرى التيار. غير أن عدداً قليلاً جداً من الاقطار كانت راغبة عملياً، او قادرة على

جدول رقم (١)
بعض عوامل الجذب والدفع

عوامل الجذب	عوامل الدفع
١ ـ مستوى معيشة اعلى	١ ـ عدم التطور الاقتصادي العام للقطر
٢ ـ الهوة الاقتصادية	٢ ـ ضغط الاستعمار الجديد
٣ ـ الهوة التقنية	٣ ـ عدم الاستقرار السياسي
٤ ـ راتب اعلى	٤ ـ الهوة التقنية
٥ ـ تخصيص مبالغ كبيرة للبحوث	٥ ـ قلة فرص العمل للعمال ذوي المهن والماهرين
٦ ـ انظمة تعليمية حديثة	٦ ـ رواتب منخفضة
٧ ـ استقرار سياسي نسبي	٧ ـ تسهيلات عمل رديئة
٨ ـ فرص عمل جذابة	٨ ـ الافتقار لمساعدين في اعمال البحث
٩ ـ المجال المفتوح لوجود شركاء للعلماء	٩ ـ عدم وجود زملاء من العلماء
١٠ ـ تاثير الاسرة او الاصدقاء	١٠ ـ الافتقار للتقاليد العلمية
١١ ـ مطامح شخصية وآمال عن مستقبل المهنة	١١ ـ انعزال العلماء المحليين عن العالم الخارجي
١٢ ـ آمال عن استخدام معدات حديثة، باهظة الثمن عادة	١٢ ـ وسط مؤسّسي غير ملائم
١٣ ـ وجود دعم عام شامل	١٣ ـ مبالغ غير كافية للبحوث
١٤ ـ اعتبارات ثقافية واجتماعية	١٤ ـ توقعات مستقبل المهنة
١٥ ـ فرصة لمزيد من التدريب المهني	١٥ ـ الرغبة في السفر
١٦ ـ توفر الاستخدام	١٦ ـ تاثير الاسرة او الاصدقاء
١٧ ـ صيت الدراسة في الخارج	١٧ ـ الافتقار لسياسة واقعية للقوى العاملة
١٨ ـ توفر موظفين ذوي خبرة للمساعدة	١٨ ـ إجراءات الاستخدام
١٩ ـ مناخ العمل	١٩ ـ المركزية المفرطة
٢٠ ـ توفر خيار العمل الذي يحتاج الى مؤهلات	٢٠ ـ اخطاء في التخطيط
٢١ ـ القدرة على التنقل	٢١ ـ زيادة مفرطة في تخريج المتعلمين
	٢٢ ـ اعتبارات ثقافية واجتماعية
	٢٣ ـ قيود على حرية البحث
	٢٤ ـ نقص في استخدام المهارات المهنية
	٢٥ ـ الافتقار لسياسة توضع للعلم
	٢٦ ـ التفرقة على اسس اقتصادية
	٢٧ ـ عدم القدرة على التنقل

المصـــدر: Péter Vas-Zoltán, *The Brain Drain: An Anomaly of International Relations,* translated by Péter Tamási, translation rev. by Harvey Shenker (Leyden: Sijthoff; Budapest: Akadémiai Kiadó, 1976), pp. 41-44.

تطوير نظام فعال للسيطرة ضد اية قوى دافعة قد تكون موجودة؛ في حين أن عدداً أقل من الاقطـار، هذا إن وجـدت، قد نجحت في خلق وضع داخلي لا توجد فيه قوى دافعة وبالتالي لا تكون فيه السيطرة ضرورية. يترتب على هـذا، إذن، ان حجم التيار يتقرر الى حد كبير بـالطريقـة التي تستخدم بهـا آليات السيطـرة في الطرف الثـاني من مجرى التيـار القادم. وقد تبيّن هذا بوضوح من التذبذب الملحوظ في انماط الهجرة الخاصة بالقوى العاملة والمتجهة عموماً الى اقطار الرفاهية في العالم. يمثل تذبذب كهذا استجـابة للقـوانين المتغـيرة في تلك الاقطـار بشأن دخـول الأجانب؛ والقـوانين

المتغيرة تعكس، بدورها، التغيرات في سوق العرض والطلب الخاص بالقوى العاملة»[١].

وتمضي دراسة منظمة الصحة العالمية فتحدد محنة الأقطار النامية على النحو التالي:

«كانت الفترة منذ الحرب العالمية الثانية هي كذلك فترة تحرير سياسي في العالم الثالث: فقد ظهرت للوجود اكثر من ثمانين دولة جديدة، وتحرر أكثر من بليون نسمة من الاستعمار. ولكن الاستقلال السياسي لم يحرر تلك الشعوب بصورة آلية من الاعتماد الاقتصادي على الاقطار الغنية، ذلك الاعتماد الذي تضرب جذوره في منظومة المؤسسات الدولية والتي أوجدتها الأقطار الصناعية لغرض توفير الترقية والحماية للرفاه وأساليب الحياة التي تعودت عليها مجتمعاتها، والتي اسهم فيها العالم الثالث بحكم الضرورة إسهاماً كبيراً»[٢].

وفي حين ينبغي على المرء ان يقر بوجود قوى شديدة في المنطقة العربية، من شأنها أن تدفع ذوي المهن الى ترك أوطانهم، ولكن يجب التشديد على أن الولايات المتحدة الامريكية استخدمت نظامها القانوني بشكل متعمد لتحريض ذوي المهن تحريضاً نشطاً لكي يتركوا أوطانهم في العالم الثالث، فيغادروا أقطارهم النامية الى جهات أخرى. ومن المناسب، هنا، أن نقدم تلخيصاً مختصراً للقوانين الأمريكية الخاصة بهذا الموضوع، وكيف جرى تشريعها لتحقيق هذا الغرض. لم يكن هناك قبل سنة ١٨١٩ تقييد يذكر على دخول المهاجرين الى الولايات المتحدة الامريكية. كانت هذه السياسة تعتبر ضرورية بالنظر للحاجة العظمى للعمال لتنمية القارة الأمريكية، وتوسيع بنائها، وتوطيد أركانها. ومع أن أغلبية المهاجرين خلال القرن التاسع عشر جاءت من أوروبا، فقد دخل كذلك عدد كبير نسبياً من الصينيين. ولغرض المحافظة على التجانس الاثني، الأوروبي بالأساس، للمجتمع الأمريكي، صدر في سنة ١٨٨٠ أول قانون لاستبعاد الصينيين من دخول البلاد والمسمى Chinese Exclusion Act.

وكان هذا القانون واحداً من قوانين متعددة مشابهة صدرت في هذا الشأن. وفي ١٩٠٧ عقدت مع اليابان اتفاقية من النوع الذي يسمى عرفاً «اتفاقية الجنتلمان» منعت بموجبها الهجرة اليابانية الى الولايات المتحدة الأمريكية. وفي ١٩٢١ شرّع قانون نظام الحصص Quota Act ثم تلاه في ١٩٢٤ قانون الهجرة الذي شدد على تفضيل المهاجرين الأوروبيين. ومن المثير للاهتمام ان نشير الى ان الصين كانت حتى ١٩٥٢، وبعد أمد طويل من إلغاء قانون استبعاد الصينيين من دخول الولايات المتحدة الأمريكية لا تزال تتمتع بحصة قدرها مائة مهاجر فقط، كما كانت حصة اليابان في ذلك التاريخ تبلغ ١٨٦ مهاجراً. وعلى نقيض هذا أعطيت بريطانيا حصة تبلغ ٦٥٣٦١ لم يستخدم منها إلا ٤١٠٠٠[٣].

إن بروز الولايات المتحدة الامريكية في فترة ما بعد الحرب بصفتها الدولة العظمى الرئيسية ذات أكبر اقتصاد في العالم، تطلب إجراء تغيير في النظام القانوني الأمريكي بشأن الهجرة الأجنبية. أخذ التأكيد ينصب، في المرحلة الجديدة الخاصة بالحاجات المتغيرة للقوى العاملة، على تشجيع مجيء ذوي المهن الأجانب. وقد حدث أول تغيير رئيسي في سياسة الولايات المتحدة الامريكية نحو القوى البشرية المهنية من الأجانب في سنة ١٩٤٦ باصدار قانون فلبرايت Fulbright الذي نص على منح معونة تعليمية للطلاب الأجانب للدراسة في الولايات المتحدة،

(١) Alfonso Mejia, Helena Pizurki and Erica Rayston, *Foreign Medical Graduates: The Case of the United States* (Lexington, D.C.: Heath and Co., 1980), p. 65.

(٢) المصدر نفسه، ص ٦٦ ـ ٦٧.

(٣) انظر: Tai K. Oh, *The Asian Brain Drain: A Factual and Casual Analysis* (San Francisco: R. and E. Research Associates, 1977), p. 3.

وللطلاب الامريكيين للدراسة في الخارج، وللطلاب الأجانب للدراسة في معاهد امـريكية في الخـارج مثل الجامعة الأميركية في بيروت. إن هذا القانون، وهو لا يـزال نافـذ المفعول اليـوم، كان مسؤولاً كذلك عن برامج التبادل الضخمة التي تشجع البحاثة الأجانب على قضاء بعض الوقت في الولايات المتحدة الامريكية، والبحاثة الأمريكيين على قضائه في الخارج. وباختصار، فإن قانون فلبرايت خلق مجموعة جديدة من الروابط المهنية استمـد الاقتصاد الأمـريكي منها منـافع كثـيرة، وذلك بتـوفير الفرص لذوي المهن للهجرة الى الولايات المتحدة. إن الحاجة لـذوي المهن الأجانب لتلبيـة متطلبات الاقتصاد الأمريكي قد انعكست كذلـك في إصدار قـانون الهجـرة والجنسية لسنـة ١٩٥٢. أدخل هذا القانون عنصراً آخر من عناصر التفضيل في نظام الحصص لصـالح طـالبي الهجرة من ذوي التعليم العالي أو القدرات الاستثنائية.

أما التحول الرئيسي فقد حدث في أواخر الخمسينـات في أعقاب إطـلاق الاتحاد السـوفياتي لمركبة الفضاء سبوتنك. فقد أدرك الامريكيون ان الاتحاد السوفياتي يملك قدرة علمية هـائلة ممـا أضطر واضعي السياسة الامريكية الى البدء بزيادة كبرى في المصروفات العـامة في حقـول الفضاء والنمو الصناعي والدفاع والتعليم والبحث والتطوير. إن هذه الزيادة خلقت بدورها طلباً أكبـر على ذوي المهن، بحيث جرى تجاهل نظام الحصص لصالح السماح لعدد كبـير من المتهنين الأجـانب بالدخول كمهاجـرين أو بتغيير مـركزهم القـانوني بجعلهم مهـاجرين. ويكفي ان نقـول إن من بين الـ ٢,٢ مليون أسيوي دخلوا بين ١٩٤٧ و١٩٦٥ كان ١٧ بالمائة منهم تقريباً من ذوي المهن، أمـا في سنة ١٩٦٥ وحدها فقد كـانت النسبة ٢٢ بـالمائة. إن التغيير في تـركيب المهاجـرين حفز احـد المراقبين الى القول في ١٩٥٨:

«إن الهجرة الدولية في الخمس عشرة سنة الأخيرة تمثل صورة مختلفة جداً عن نمط القرن التاسع عشر. فبدلاً من الهجـرة العماليـة الكبيرة... يتصف المشهـد الآن بهجرة النخبـة من ذوي المهن وبتكوين راس المـال على قـاعدة العلم»[٤].

إن الشـح المستمر في القـوى البشرية من ذوي المهن دعا الـولايات المتحـدة الامريكيـة لاجراء تغيير آخـر في قوانينهـا لتشجيع مجيء المـزيد من ذوي المهن الأجـانب. فقد ألغى قـانون الهجرة والجنسية لسنة ١٩٦٥ نظام الحصص القائم على بلد المنشأ، وأحل محله نظام يؤكد عـلى الإنجاز التربوي والمهارات. أوجـز أحد التقـارير الصـادر عن لجنة تـابعة للكـونغرس الأمـريكي نصوص القانون الصادر في ١٩٦٥ كما يلي:

«ينص القانون على الإلغاء التدريجي، على مدى ثلاث سنين، للحصص القائمة على بلدان المنشأ، وتطبيق فئات مفضلة جديدة من المهاجرين محدودة العدد، ولا تفريق بينها بالنسبة لطالبي الهجـرة من أي مكان من نصف الكـرة الشرقي. ومن بين الفئات الجديدة من الهجرة المسموح بها، صنف يتكون من سبعة عشر الف شخص محجوز للعلماء وغيرهم من ذوي المهن المؤهلين تأهيلاً عالياً وأفراد اسرهم...»[٥].

حدث التغيير الأخير في قوانـين الهجرة لتشجيـع هجرة ذوي المهن الأجـانب في ١٩٦٨ حين الغي نظام الحصص القائم على بلدان المنشأ إلغاء تاماً، باستثناء عـدد لا يتجاوز عشرين ألفـاً من المهاجرين سنوياً كسقف للهجرة من أي قطر من أقطار العالم لا يجوز تخطيه.

---

(٤) المصدر نفسه، ص ٥.

(٥) المصدر نفسه، ص ٦.

أوجد القانون الجديد صنف تفضيل خاصاً لذوي المهن (التفضيل الثالث) ولأولئك...

«الذين سينفعون كثيراً، من جراء قدرتهم الاستثنائية في العلوم او الفنون، الاقتصاد القومي او المصالح الثقافية او الصالح العام للولايات المتحدة في المستقبل. ويشير أحد الجداول الادارية التفصيلية الى أن الافراد الذين يحملون درجة الماجستير او الدكتوراه من الولايات المتحدة او من معاهد اجنبية مضاهية، او الأفراد من ذوي الخبرة او من الذين يجمعون بين الخبرة والتحصيل الدراسي مما يعادل مثل تلكما الدرجتين العلميتين في حقول الحسابات والمحاسبة القانونية وهندسة الفضاء والعمارة والهندسة الكيماوية والكيمياء والهندسة المدنية والتغذية والهندسة الكهربائية والهندسة الالكترونية والهندسة الصناعية والرياضيات والهندسة الميكانيكية والمعادن وهندسة المعادن والهندسة النووية والتمريض والصيدلة والعلاج الطبيعي والفيزياء، يمكن إدخالهم في صنف التفضيل الثالث»[٦].

أولاً: النتيجة الناشئة عن هجرة ذوي المهن

أحدثت التغييرات الجارية في سياسة الهجرة للولايات المتحدة الامريكية والخاصة باجتذاب عدد كبير من ذوي المهن، آثاراً اجتماعية واقتصادية واسعة بالنسبة للأقطار العربية التي أخذت تفقد أصحاب المواهب من أبنائها. إن تلك التغييرات قد حدثت في وقت كانت معظم الأقطار العربية تمر بمرحلة بلوغها لاستقلالها السياسي، وتحاول ان تمضي في سبيلها على درب التنمية الاقتصادية والاستقلال الاقتصادي أيضاً. ولكن كان لفتح فرص الاستخدام في الاقتصاد الأمريكي من الأثر ما أربك عملية التنمية الاقتصادية وشوّهتها. ولا يحتاج الأثر المربك الناشىء عن هجرة المتهنين على التنمية وتخطيط القوى البشرية والسياسات التعليمية الى تأكيد. فقد وجدت السلطات الوطنية نفسها في وضع تواجه نتائج سياسية وضعت خارج حدودها، ومن لدن أكبر اقتصاد في العالم وأكثره تقدماً. وتفاقم الارتباك في سياسة تخطيط القوى البشرية في الأقطار العربية، وذلك لأن هذه الأقطار كانت ترسل خيرة تلاميذها للتزود من برامج الدراسات الجامعية والعليا. ويفيد ما لدينا من برهان أن هؤلاء التلاميذ ألفوا أكبر مجموعة كانت تتم منها فعلاً الهجرة الى الولايات المتحدة الأمريكية. وقد ظهرت، اضافة الى الآثار السياسية والاجتماعية للهجرة، آثار اقتصادية لها كذلك. أولاً، إن هجرة ذوي المهن تنحو، كما نوّهنا سابقاً، إلى تشويه عملية التنمية الاقتصادية وارباكها وذلك باجبار المخططين الاقتصاديين وغيرهم من واضعي الخطط للقوى البشرية على أن يأخذوا في عين الاعتبار أثر الجذب الآتي من الاقتصاد الأمريكي. ثانياً، ان مجرد النقص الحاصل في جماعة المتهنين الصغيرة أصلاً، والذي لا يمكن تعويضه في المدى القصير، كان له أثر من شأنه إبطاء معدل النمو الاقتصادي الذي كان يمكن بلوغه لولا خروج المتهنين. إن حجم الناتج المفقود بسبب الهجرة سيكون بالطبع أعظم لو أخذنا بنظر الاعتبار قيمة المضاعف في أي قطر بعينه.

والطريقة الأخرى لتخمين الخسارة الاقتصادية هي قياس كلفة التكوين الرأسمالي الخاص بالانسان الذي استثمر في إعداد هؤلاء المتهنين. وتشمل هذه الكلفة ليس فقط المصروفات الفعلية المترتبة على عملية الدراسة والتدريب، بل تشمل ايضاً الكلفة التي ترتبت على المجتمع في تنشئة هؤلاء الأفراد، وفي تولي أمورهم. أما الطريقة الثالثة لتخمين الخسارة الاقتصادية الواقعة على الأقطار العربية فهي تقدير كلفة الفرصة المقتنصة من الأقطار الأخرى، كالولايات المتحدة الامريكية، والتي كانت ستتحملها لولا هجرة المتهنين اليها. من المعروف، مثلاً، أن حوالى ربع الأطباء في الولايات المتحدة مولودون في أقطار أخرى، وتلقوا تعليمهم الطبي خارج الولايات

---

(٦) المصدر نفسه.

المتحدة الامريكية. ومن نافلة القول ان الولايات المتحدة كانت ستتحمل كلفة تقدر بمليارات الدولارات لاعداد ما يساوي ربع أطبائها في كليات الطب الأمريكية.

في دراسة اجرتها أنكتاد سنة ١٩٧٩ عن نقل التقنية المعاكس، ثم وضع تقديرات لما سمته أنكتاد «القيمة الراسمالية المنسوبة [للموضوع] Imputed capital value» عن المهارات الخارجة من الأقطار النامية الى ثلاثة أسواق صناعية هي أسواق الولايات المتحدة وكندا والمملكة المتحدة

جدول رقم (٢)

مقادير القيمة الراسمالية المنسوبة الخاصة بخروج المهارات من الاقطار النامية الى الولايات المتحدة الامريكية وكندا والمملكة المتحدة، ١٩٦١ ـ ١٩٧٢

القطر المهاجر اليه والاصناف المهنية	عدد المهاجرين الماهرين (١)	القيمة الراسمالية المنسوبة للمهاجر الواحد (بالاف الدولارات) (٢)	مجموع هذه القيمة (١)×(٢) (بملايين الدولارات) (٣)
الولايات المتحدة الأمريكية (١٩٦١ ـ ١٩٧٢)	٩٠١٩١	٣١٣	٢٨٢٣٣
مهندسون	٤٣٤٦٤	٢٢٧	٩٨٨٩
علماء	٢٩٤٦٤	١٩٨	٣٨٥٠
اطباء	٢٧١٠٠	d ٥٣٥	١٤٤٩٤
كندا (١٩٦٣ ـ ١٩٧٢)	٥٦٥٩٨	١٦٩	٩٥٥٦
مهندسون	٦٣٧٧	٢١٣	١٣٥٨
علماء	٣٣٩٤	٢١٤	٧٢٨
اطباء	٤٠٤٩	٣٨٥	١٥٦٠
آخرون	٤٢٧٧٨	١٣٨	٥٩١٠
المملكة المتحدة (١٩٦٤ ـ ١٩٧٢)	٨٤٠٤٠	٥٥	٤٦٠٣
مهندسون	٦٧٣٥	٦٣	٤٢٥
علماء	٢٤٩٠	٦٤	١٦٠
اطباء	١٥٦٥٥	٦٨	١٠٧٣
آخرون	٥٩١٦٠	٥٠	٢٩٤٥
المجموع العام	٢٣٠٨٢٩		٤٢٣٩٢
المعدل السنوي	١٩٢٣٦		٣٥٣٣

المصدر: United Nations Conference on Trade and Development, *The Reverse Transfer of Technology: A Survey of its Main Features, Causes and Policy Implications* (New York, UN, 1979), p. 15.

لثلاث مجموعات من ذوي المهن، هم المهندسون والعلماء والأطباء. وقد وجدت الدراسة ان القيمة الرأسمالية المنسوبة لكل طبيب مهاجر الى الولايات المتحدة الامريكية. تبلغ ٥٣٥,٠٠٠ دولار للفترة ١٩٦١ ـ ١٩٧٢؛ وانها تبلغ بالنسبة لكندا ٣٨٥,٠٠٠ دولار، وتبلغ بالنسبة لانكلترا ٦٨,٠٠٠ دولار[٧]. ويتضح من الجدول رقم(٢) أن هذه الأقطار الثلاثة وحدها تمكنت من اجتذاب ١٩,٢٣٦ ممتهناً في السنة خلال الفترة المذكورة (من ١٩٦١ الى ١٩٧٢) أو ما مجموعه ٢٣٠,٨٢٩ ممتهناً ذهب ٣١ بالمائة منهم الى الولايات المتحدة الامريكية. وقدرت مجاميع القيمة الرأسمالية المنسوبة للفترة ذاتها بمبلغ ٤٢,٤ مليار دولار أي بمعدل سنوي مقداره ٣,٥ مليارات دولار. كما وجدت الدراسة أخيراً أن مبلغ الـ ٤٢,٤ مليار دولار المذكور يمثل ٥٣ بالمائة من صافي ما ورّدته الأقطار الثلاثة للأقطار النامية.

١ ـ هجرة ذوي المهن العرب الى الولايات المتحدة: بعض النتائج الأولية

يقدم الجدول رقم (٣) بيانات عن اتجاهات هجرة ذوي المهن العرب الى الولايات المتحدة في الفترة من ١٩٦٠ الى ١٩٨٤. ومن المناسب أن نقول كلمة هنا قبل محاولة تحليل هذه البيانات. يلاحظ أن جميع البيانات قد قدمتها دائرة الهجرة والجنسية الأمريكية من مصادر غير منشورة. وينبغي التشديد على أن هذه البيانات تغطي فترة طويلة جداً كالفترة المذكورة لذلك نجدها غير شاملة، إذ لم ترتب بيانات سنتي ١٩٨٠ و١٩٨١ بجداول تفصيلية، وغير متسقة بالنسبة للأصناف المهنية. أما الجدول رقم (٣ أ) فيقدم ما يستدل به تفصيلاً عن المقصود بالمجموعات المهنية المختلفة.

والعيب الآخر والأهم جداً هو أن بيانات الهجرة تستند الى بلد الإقامة الأخير الذي قد يكون أو لا يكون هو بلد المنشأ. لذا فإن مصرياً أو عراقياً من ذوي المهن يدخل الولايات المتحدة من كندا أو من المملكة المتحدة لا يعتبر مهاجراً من مصر أو العراق. فالبيانات تقلل بهذا المقدار من حجم ظاهرة هجرة المتهنين. وقد وجد أن مدى هذه المشكلة خطير جداً. وهكذا اتضح من دراسة منظمة الصحة الدولية المشار اليها آنفاً أن نسبة ٢٢ بالمائة من الأطباء الذين دخلوا الولايات المتحدة كمهاجرين في سنة ١٩٧٢ لم يولدوا في البلد الذي اعلنوا انه بلد إقامتهم الدائمة الأخير. أما بالنسبة لكندا فقد وجدت الدراسة ذاتها أن ما يربو على ٥٠ بالمائة من الأطباء قد ولدوا في قطر آسيوي وأن ثلثي القادمين من المملكة المتحدة قد ولدوا في قطر آسيوي كذلك. إن هذه الظاهرة التي سمتها منظمة الصحة العالمية ظاهرة «محطة الطريق» شملت فيما اتضح من الدراسة نسبة ٥٠ بالمائة من الأطباء المصريين الذين هاجروا الى الولايات المتحدة في سنة ١٩٧٢.

ومع وجود هذه التحفظات وربما وجود غيرها أيضاً يمكن أن نتبين من الجدول رقم (٣) أن ما لا يقل عن ٣١,٦٩١ شخصاً من ذوي المهن قد هاجروا في الفترة ١٩٦٠ ـ ١٩٨٤ من الدول الأعضاء في الجامعة العربية الى الولايات المتحدة الأمريكية. وقد تزايد تيار هجرة هؤلاء المتهنين زيادة كبرى خلال عقد الستينات من مجرد ١٤٨ شخصاً في سنة ١٩٦٠ الى ٢٩٣٤ شخصاً في

(٧) United Nations Conference on Trade and Development, *The Reverse Transfer of Technology: A Survey of its Main Features, Causes and Policy Implications* (New York: U.N., 1979), p. 15.

جدول رقم (٣)

الوطن العربي: المهاجرون إلى الولايات المتحدة الأمريكية حسب صنف المهنة

السنة	مجموع المهنيين	أطباء	ممرضات	صحيون	علماء طبيعيون	علماء الرياضيات والكمبيوتر	مهندسون وفنيون	محامون وقضاة	مدرسو كليات	مدرسون آخرون واستشاريون	علماء اجتماع	مختصون بالمكتبات	الشاريون	كتاب وفنانون ورجال رياضة بنشة	المدراء الاداريون	العاملون في الحقل الاجتماعي
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧
١٩٦٠	١٤٨	٣٠	١٤	٩	٨	٣	٦٩	-	١٢	-	-	-	-	٣	-	-
١٩٦١	٢٥٢	٢٧	١٧	٢٥	٢١	-	٤٢	٣	٨	٥٤	١٠	١	-	١٢	١٣	١٩
١٩٦٢	٣٦٠	٣٣	٢٦	٣١	٢٢	٢	٧٩	-	٢٤	٦٥	١٦	٣	٣	٢١	٢٨	٧
١٩٦٣	٣١٤	١٩	١٥	٢٤	٣٠	٣	٩٩	-	١٩	٥١	١٠	٥	١	١٦	١٨	٤
١٩٦٤	٣٩٥	٤١	١٦	٣١	٢٦	١	١٠٥	٥	١٩	٧٩	١١	٣	٣	٢٩	١٤	١٢
١٩٦٥	٣٩٤	٣١	١٩	١٧	٢٦	١	١٠٠	١	٢٧	٦٧	١١	٧	٤	٤١	٣٣	٩
١٩٦٦	٥٩١	٥٩	٢١	٧١	٢٧	١	١٠٦	٢	٤٠	١٠٠	١٩	٥	٢	٥١	٦٠	٢٧
١٩٦٧	٨٩٧	١١٥	٤٧	٦٦	٥٣	٢	١٩٦	١	٧٤	١٤٢	٢٨	٦	١٢	٦٩	٨	٧٨
١٩٦٨	١٠٣٠	١٠١	٣٢	٨٩	٦٣	٩	٢٩٩	٢	٥٣	١٥٨	٢١	٦	١٢	٨٥	٨٥	١٥
١٩٦٩	١٩٩١	١٧٣	٦١	١٥٣	١٦٦	١	٥١٨	٢٥	١٠٥	٢٥٩	٤٥	١٣	٣٧	١٤١	٢٧٦	١٨
١٩٧٠	٢٩٣٤	٢٣٧	٧٩	٢٠٢	٢٦٤	٤	٧١٧	٣٧	١٠٤	٣٥٨	٦٤	٢٣	٦٨	١٥٦	٦٠٣	١٨
١٩٧١	٢٠٩٣	٢٠٦	٦٦	١٨٦	١٥٩	١	٣٩١	٣٨	٩٥	٢٦٩	٦٦	١١	٣٣	١٢٩	٤٢٩	١٤
١٩٧٢	١٦٢٨	٢٧٧	٩٢	٩٤	١٢٣	-	٢٨٦	٢٣	٩٢	٢٤٧	٣١	١٢	٢٥	٢٨	٢٦٤	٣٤
١٩٧٣	١٣٦٦	٣٢٥	٩١	٩١	٥٩	-	٢٨٩	١١	٦١	١٦٨	٤	٢٠	٢٩	٢٦	١١٧	٤٥
١٩٧٤	١٢١٥	٢٩١	١٣٥	٣٤	٤٠	١١	٢٤٤	١٢	٦٧	١٠٩	٢٢	١١	٢٤	٨٦	١٣٧	٥٢
١٩٧٥	١٢٧٠	٣٠٩	١٣٤	٢٣	٤٤	٩	٢٤٨	٨	٥٨	١٤٧	١٣	١١	١٥	٧٥	١٢٣	٥٣
١٩٧٦	١٣٩٨	٤٢٦	١١٥	٢٢	٣٦	٢٢	٢٧٥	١٥	٤٤	١٤٦	١٦	١٠	٢٠	٦٥	١٢١	٦٥
١٩٧٧	١٨٠١	٥٢٧	١٢٩	٢٧	٤١	١٨	٣٦٣	١٩	٦٥	٢٢٣	١٩	٨	١٩	٩٥	١٨٣	٦٥
١٩٧٨	١٥٢٦	٢٩٩	٨٣	٣٠	٦٢	٢٦	٣٢٧	٢١	٣٥	٢٤٣	١٦	٧	١٤	١٠١	٢٠٤	٥٨
١٩٧٩	١٦٥٩	٢٥٦	٧٢	٢٦	٦١	٢٤	٣٨٥	٦٤	٦٨	٢١٤	١٤	١١	٢٩	١١٥	٢٥٦	٦٤
١٩٨٠	١٦٥٩	٢٥٦	٧٢	٢٦	٦١	٢٤	٣٨٥	٦٤	٦٨	٢١٤	١٤	١١	٢٩	١١٥	٢٥٦	٦٤
١٩٨١	١٤٠١	٢٥٩	٦٠	٤٣	٦٧	٤٦	٣٦٥	١٦	٧٧	١٦٤	١٤	٢	٢٨	٨٢	١٤٩	٢٩
١٩٨٢	١٤٠١	٢٥٩	٦٠	٤٣	٦٧	٤٦	٣٦٥	١٦	٧٧	١٦٤	١٤	٢	٢٨	٨٢	١٤٩	٢٩
١٩٨٣	١٧٣٠	١٥٥	٥٠	٢١٦	٥٩	٢١	٤٠٣	١٩	١٠٠	١١٧	-	٣	٢١	٦٨	٤٦١	٣٧
١٩٨٤	٢٢٢٢	١٥٥	٥٠	٣٠٠	٤٨	١٥	٤١٠	١٩	٩٩	١٨٠	١٢	٧	٣٠	٧٦	٧٩٥	٢٦
المجموع	٣١٦٩١	٤٨٦٦	١٥٥٦	١٨٧٩	١٦٣٣	٢٩٠	٧٠٦٦	٤٢١	١٤٩١	٣٩٣٨	٤٩٠	١٩٨	٤٧٦	١٧٦٧	٤٨٢٨	٧٧٢

ملاحظة عامة: تشير العلامة (ـ) إلى أن المعلومات غير متوافرة.

المصدر: من بيانات سنوية غير منشورة تنظمها دائرة الهجرة والجنسية الأمريكية.

ملاحظة: لم تنظم الدائرة المذكورة بيانات لعامي ١٩٨٠ و١٩٨١. استخدمت ارقام عام ١٩٧٩ لعام ١٩٨٠ وارقام عام ١٩٨٢ لعام ١٩٨١. لم تجدول الدائرة الأطباء والممرضات لعام ١٩٨٣ استخدمت ارقام ١٩٨٤ عوضاً عنها.

سنة ١٩٧٠. على أنه ينبغي التشديد على أن نسبة عدد المهاجرين في النصف الأول من الحقبة المذكورة وان كانت أعلى بكثير منها في النصف الثاني ولكن العدد الفعلي للمهاجرين كان أعلى بكثير في النصف الثاني منه في النصف الأول. وهكذا فبينما غادر ١٢,٢١٣ من ذوي المهن الى الولايات المتحدة في النصف الأول من تلك الحقبة نجد أن ١٩,٠٠٠ منهم قد غادروا اليها في النصف الثاني. وبعبارة أخرى فإذا كان ما يقرب من ٣٩ بالمائة من المهاجرين قد غادروا الوطن العربي بين ١٩٦٠ و١٩٧٢ فإن أكثر من ٦١ بالمائة من ذوي المهن غادروا الى الولايات المتحدة الأمريكية بين ١٩٧٢ و١٩٨٤. ومن النتائج الابتدائية التي يمكن استخلاصها من هذه الظاهرة هي أنه كلما زاد عدد ذوي المهن الذين يدربون في الوطن العربي زاد حجم عدد من يخسره منهم بالهجرة،

جدول رقم (٣ ١)

ايضاحات عن الجدول رقم (٣)

رقم العمود	الايضاحات
٢ ـ مجموع ذوي المهن	المجموع الكلي لكافة ذوي المهن المجدولين في الأعمدة من (٣) الى (١٧)
٣ ـ الأطباء	اطباء وجراحون واطباء اسنان
٥ ـ ذوو المهن الصحية	خبراء التغذية، صيادلة، اختصاصيون في الطب وطب الاسنان، معالجو العمود الفقري يدوياً، اطباء العظام، اطباء العيون، البياطرة
٦ ـ علماء الطبيعة	كيماويون فيزيائيون، رياضيون (لسنين معينة)، علماء الاحياء وعلماء الزراعة
٨ ـ مهندسون وفنيون	مهندسون كيماويون، مدنيون، ميكانيكيون، صناعيون، كهربائيون، فضائيون، معدنيون، وخبراء في المبيعات. تشمل هذه المجموعة الطيارين وعمال الراديو والفنيين الكهربائيين والالكترونيين، والرسامين الهندسيين والمخمنين
١٠ ـ مدرسو الكليات	اساتذة الكليات والجامعات في الفروع كافة
١١ ـ مدرسون آخرون ومستشارون	معلمو المدارس الابتدائية والثانوية في الفروع كافة وكذلك المستشارون المدرسيون
١٢ ـ علماء الاجتماع	اقتصاديون، علماء النفس، علماء السياسة... الخ
١٥ ـ الكتّاب، الفنانون، الرياضيون البدنيون	ويشمل الموسيقيين ومعلمي الموسيقى والمصممين ومحرري الصحف
١٦ ـ المدراء الاداريون	إداريون، مدراء حقول زراعية وغير زراعية، محاسبون، مدققون قانونيون
١٧ ـ العاملون في الحقل الاجتماعي	عاملون في حقل رعاية الصالح العام، وفي الحقل الديني

وهذا عامل يجب أن يحسبَ له حساب، بالطبع، في سياسة التخطيط الخاصة بالقوى البشرية.

يستحق الهيكل الذي يؤلف بنية المتهنين المهاجرين أن نبدي بشأنه بضع ملاحظات. إن الأشخاص الذين درسوا المهن الصحية والهندسة والتكنولوجيا يؤلفون ٤٨ بالمائة من المجموع.

فإذا أضفنا الى هؤلاء أولئك الذين صنفوا كمدراء إداريين فسترتفع النسبة الى ٦٣ بالمائة. بعبارة أخرى يمكن القول ان حوالى ثلثي المهاجرين ينتمون الى أصناف من القوى البشرية التي هي جوهرية جداً في عملية التنمية الاقتصادية والنمو الاقتصادي.

والملاحظة الأخرى هي أن أكثرية المتهنين جاءت من خمسة أقطار هي مصر ولبنان والأردن وسورية والعراق. هذه الأقطار الخمسة تمثل ٨٢ بالمائة من جميع المتهنين المهاجرين، و٨٤ بالمائة من الأطباء، و٨٢ بالمائة من المهندسين و٨٢ بالمائة من المدراء الإداريين.

ومع أن عدد ذوي المهن العرب قليل نسبياً بالنسبة لحجم القوى البشرية الأمريكية، ولكن المهاجرين منهم يؤلفون عنصراً مهماً في الموارد البشرية لبلدانهم وخسارة خطيرة لها. إن عدد الأطباء المصريين في الولايات المتحدة هم حوالى ٣ بالمائة من الأطباء في مصر. أما النسب المقارنة للأقطار الأخرى فهي ٣,٤ بالمائة بالنسبة للعراق و١٣ بالمائة للأردن و١٦ بالمائة لسورية و٤٥ بالمائة للبنان.

ينبغي أن نتذكر ان هذه الأرقام تنحو الى التقليل من الخسارة الفعلية الواقعة وذلك من جراء عامل «محطة الطريق» المشار اليه آنفاً.

من المهم كذلك ان نشير الى ظاهرة أخرى ينبغي أن تثير اهتماماً كبيراً، أو كان يجب لها أن تثيره، وهي ظاهرة انعكاس الاتجاه. يمكننا أن نتبين من الجدول رقم (٣) أن عدد ذوي المهن العرب الذين هاجروا الى الولايات المتحدة قد بلغ ذروته في سنة ١٩٧٠ فوصل الى ٢٩٣٤ ممتهناً. وتناقص العدد في السنين الخمس التالية ثم استأنف تصاعده ليصل الى ٢٢٢٢ ممتهناً في ١٩٨٤ وهو أعلى ثاني رقم في عشرين سنة.

لا توجد تفسيرات جاهزة لهذا اللغز، فالفترة منذ ١٩٧٤ قد شهدت ما يمكن وصفه بمعدل سريع للنمو الاقتصادي أو على الأقل معدل سريع للانفاق في أجزاء عديدة من المنطقة العربية. حدث هذا الانعكاس في الاتجاه كذلك في وقت وجدت فيه أقطار عربية متعددة أن من الضروري لها جلب ذوي المهن الأجانب بأعداد كبيرة من خارج المنطقة العربية.

٢ ـ القيمة الرأسمالية المنسوبة لخروج ذوي المهن العرب

في بيانات أنكتاد الواردة في الجدول رقم (٢) قدرت القيمة الرأسمالية المنسوبة بمقدار ٥٣٥,٠٠٠ دولار أمريكي لكل طبيب مهاجر و٢٢٧,٠٠٠ دولار لكل مهندس و١٩٨,٠٠٠ دولار، لكل عالم في الفترة ١٩٦١ ـ ١٩٧٢. كما قدرت تلك القيمة بمقدار ١٣٨,٠٠٠ دولار لجميع المهارات الأخرى. فإذا طبقنا هذا على هجرة المهارات العربية الى الولايات المتحدة الأمريكية، نجد ما يلي:

يتضح من هذه الأرقام ان مقدار ما انتقل من رأس المال من المنطقة العربية الى الولايات المتحدة الأمريكية، بلغ ما يربو على سبعة مليارات من الدولارات في الفترة من ١٩٦٠ الى ١٩٨٤، أي بمعدل سنوي مقداره ٢٨٠ مليوناً من الدولارات الأمريكية.

صنف المهنة	عدد الماهرين المهاجرين	القيمة الراسمالية المنسوبة لكل مهاجر (بالاف الدولارات)	مجموع هذه القيمة (بملايين الدولارات)
اطباء	٨٤٦٦	٥٣٥	٢,٦٠٣
مهندسون	٧٠٦٦	٢٢٧	١,٦٠٣
علماء	١٦٣٣	١٩٨	٣٢٣
آخرون	١٨١٢٦	١٣٨	٢,٥٠١
المجموع	٣١٦٩١	—	٧,٠٣٢
المعدل السنوي	١٢٧٧	—	٢٨٠

ثانياً: عودة ذوي المهن العرب: بعض المقترحات

إن أية مناقشة لمقترحات خاصة بتشجيع التباطؤ في عملية هجرة ذوي المهن العرب، أو عكس اتجاه هذه الهجرة، يجب أن تأخذ بالاعتبار عدداً من القوى البنيوية المهمة في النظام الاقتصادي العالمي. إن نزوح الأدمغة، ابتداء، هو في التحليل النهائي ظاهرة سياسية تعكس قوى الجذب في الأقطار الصناعية وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية. وهذه الظاهرة ذات أهمية خاصة بسبب طبيعتها الانتقائية، نظراً لأنها تركز على شريحة من القوة العاملة مدربة جداً وماهرة جداً، وقد استثمرت في إعدادها مليارات الدولارات على مدى السنين. ويجدر بنا أن نذكر بحقيقة مفادها أن نزوح الأدمغة يمثل تياراً يجري في اتجاه واحد من الأقطار العربية الى الأقطار الصناعية. وقد أمسى نزوح الأدمغة شيئاً ضخماً، واكتسب قوى محركة خاصة به. بيد أن عملية النزوح تدار من قبل الأقطار الصناعية بواسطة أجهزتها القانونية والادارية. يشمل ذلك البعثات الدراسية والزمالات الدراسية، برامج التدريب، برامج قصيرة الأجل وطويلة الأجل لتبادل الاساتذة، وبرامج تدريبية تضم اناساً متعددي الجنسيات.

والعامل المساعد الآخر والأهم في ظاهرة هجرة ذوي المهن، هو تدفق الطلاب العرب على الولايات المتحدة الامريكية طلباً للتدريب المكثف العالي المهارة. يكوّن هؤلاء الطلاب، كما ذكرنا سابقاً، أهم مجمّع تستمد منه الولايات المتحدة الامريكية المتهنين المهاجرين. وهؤلاء إما انهم هاجروا بعد إكمال برامجهم الدراسية مباشرة في الولايات المتحدة أو بعد قضاء بعض الوقت في اوطانهم. من الجدير بالذكر في هذا الصدد ان عدد الطلاب الأجانب في الولايات المتحدة في ١٩٣٨/ ١٩٣٩ كان مقداره ٦٠٠٤ طلاب ولكن ١٩٥ طالباً منهم فقط أي ما يساوي ٣ بالمائة كان مشمولاً ببرنامج تبادلي. وبحلول سنة ١٩٦٦ قفز الرقم الى ١٠٠,٢٦٢ طالباً، منهم ستون الفاً كانوا مشمولين بنوع أو آخر من البرامج التبادلية[٨]. ومن الجدير بالذكر كذلك ان ما يناهز ٤٣

(٨) انظر: Péter Vas-Zoltán, *The Brain Drain: An Anomaly of International Relations,* translated =

بالمائة من العلماء المهاجرين الى الولايات المتحدة الامريكية، في سنة ١٩٦٧ وحدها كانوا من الطلاب الذين سمح لهم بتعديل السمة التي يحملونها من سمة طلاب الى سمة مهاجرين. وبالنسبة لبلد كالهند، كان معدل العلماء المهاجرين الذين عدلوا سماتهم على ذلك النحو كبيراً إذ بلغ ٧٥,٤ بالمائة في تلك السنة[٩].

وماذا بشأن عوامل الدفع وعلاقتها بعودة محتملة للمهاجرين من ذوي المهن؟ هذه العوامل لا تقل أهمية بالطبع عن عوامل الجذب. وسواء أكان السبب وراء الهجرة هو عدم الاستقرار السياسي، أو قلة الاحترام، أو انخفاض المرتّب، أو الافتقار للحرية الفكرية والشخصية، هناك عوامل يجب أخذها بالاعتبار عند وضع الخطط لتشجيع العودة الى الأوطان. ومع أن عدداً من الأقطار العربية قد حاولت تقديم حوافز لأبنائها المهاجرين من ذوي المهن لعودتهم اليها، ولكن خططها لم تصب نجاحاً.

أما ما هو الاقتراح أو الاقتراحات التي يمكن تقديمها، فإن من الضروري للجواب عن ذلك ان ننظر في أغراض السياسة المطلوبة. بعبارة أخرى، ينبغي ان نسأل هل ان الأقطار العربية معنية بالتوقف التام في نزوح الأدمغة، أو بعكس اتجاه الهجرة، أو بمجرد الانتفاع الموقت بخدمات المتهنين؟

إن الحل الأمثل لمشكلة هجرة ذوي المهن هو بالطبع إيقاف هذه الهجرة إيقافاً تاماً. ولكن هذا لا يمكن عمله، إلا إذا اخذت الأقطار العربية بتجديد أنماط علاقاتها السياسية والثقافية والاقتصادية والتقنية والتعليمية والتجارية تجديداً تاماً وتحوير اتجاهها تحويراً كاملاً، والمقصود بتلك العلاقات ما يتصل بالقوى الدافعة التي تخلق ظاهرة نزوح الأدمغة ابتداء. وبكلام صريح لا لف فيه ولا دوران، سيكون على البلدان العربية ان تصفي كل هذه العلاقات كما هي عليه الآن مع الأقطار الصناعية، وتقيمها على أساس مختلف كل الاختلاف. وهذا يعني ان على البلدان العربية أن تقطع صلاتها الحالية بالنظام الاقتصادي الدولي، وتنشىء نظاماً جديداً من شأنه أن يحفظ لها أبناءها من ذوي المهن. بعبارة أخرى، إذا اردنا حقاً ان ننهي خروج المتهنين، فيجب علينا أن نبدأ بخلق ظروف تتيح لهم أن يطوروا مواهبهم في بلدانهم ذاتها. ولكن مثل هذه التغييرات سيترتب عليها إجراء عملية كاملة في إعادة هيكلة الأولويات القومية والقيم الاجتماعية. فلنمض، لغرض الجدل، مع هذا الخط من التفكير لكي نرى ما ستترتب عليه من نتائج. إنه يعني، ابتداء، سحب جميع الأجانب من الفنيين والشركات المتعددة الجنسيات والمكاتب الاستشارية والمختصين بوضع الخطط النظرية والمسوّقين لدراسات الجدوى ومشاريع التقنية العالية المكثفة ذات الرأسمال الضخم، سحب جميع هؤلاء من الاقتصاد العربي. كما يجب وضع الأنظمة التعليمية وترتيب أولوياتها، وفق الحاجات والموارد المحلية، لا وفق مناهج الجامعات في الأقطار الصناعية. ولا بد، بداهة، من قيام مزيد من التعاون في جميع حقول المساعي الانسانية بين الأقطار العربية، وبينها وبين الأقطار النامية الأخرى. كما يجب تنسيق مهام المعرفة وتدريب الأفراد بشكل ينسجم مع الظروف المحلية. وسيكون على البلدان العربية، بالطبع، ان توقف ما تعودت عليه من إرسال التلاميذ والمتدربين الى الخارج لاكتساب المهارات في الأقطار الصناعية.

---

by Péter Tamási, translation rev. by Harvey Shenker (Leyden: Sijthoff: Budapest: Akadémiai Kiadó, = 1976), p. 54.

(٩) المصدر نفسه، ص ٥٦/٢.

فهل من المعقول، إذا كنا معنيين جدياً بإبطاء هجرة المتهنين، أن نستمر في إرسال التلاميذ الى الولايات المتحدة الامريكية ليحصلوا على شهادات الدكتوراه وغيرها من الدرجات العلمية العليا، لقاء كلفة باهظة تتحملها أقطارهم، ومنافع كبيرة لأنفسهم بالذات؟ إن هذا سؤال جوهري تدور حوله المعضلة، ويجب ان يحلل تحليلاً عميقاً جداً.

من الواضح ان اتخاذ مثل هذه الإجراءات الجذرية، ليس خياراً مفتوحاً في الوقت الحاضر، بالنظر للاتجاه السياسي والاقتصادي والثقافي لواضعي القرارات في الاقطار العربية. وطالما استمر هؤلاء ينظرون الى الولايات المتحدة الامريكية، باعتبارها نموذجاً يحتذى، إن لم نقل النموذج النهائي الوحيد، فإن اتخاذ إجراءات سياسية لقطع الصلات مع الولايات المتحدة الامريكية والاقطار الصناعية الأخرى لا يمكن اعتباره خياراً واقعياً. بعبارة أخرى علينا أن نأخذ الوضع القائم كشيء مفترض، ونحاول العمل ضمن الظروف القائمة حالياً.

ثمة مجموعتان من الاجراءات السياسية يمكن النظر فيهما. الأولى لإبطاء هجرة المتهنين، والثانية للانتفاع من مواهب المهاجرين أصلاً. وبما أن المجموعة الأولى من الاجراءات تخرج عن إطار المحور الرئيسي لهذا البحث، فسأوجزها باختصار تام. من البديهي ان أهم إجراء سياسي هو العمل على ان يتلقى التلاميذ أكثر ما يمكن من التعليم والتدريب في أكبر عدد ممكن من الفروع في أوطانهم. وهذ مسألة تتعلق بتخطيط التعليم والقوى البشرية. لا بد لهذه السياسة أن توضع بدقة، بحيث تلبي حاجات التنمية. وفي الحالات التي يجب فيها أن يدرس التلاميذ في الخارج، فإن برنامج الدراسة يجب أن يحدّد بدقة، فيما يتعلق بفرصة عمل بعينها في الوطن الأم الذي سيعود اليه التلميذ. وباختصار، فإن صوغ سياسة التعليم والقوى البشرية وأغراضها، ينبغي ان يكون ذا صلة بخصوصيات خطط التنمية وأغراضها في القطر المعين.

أما بالنسبة للمجموعة الأخرى من الإجراءات، وهي التي تهدف الى الانتفاع من خدمات المهاجرين الى الولايات المتحدة الأمريكية أصلاً، فمن الممكن تقديم عدد من المقترحات بشأنها.

يجب ان تتوفر، ابتداء، رغبة صادقة وحاجة ملموسة في الأقطار العربية للاستفادة من خدمات المهاجرين من ذوي المهن. وأهم إجراء في هذا الصدد هو استمرار العلاقة بين المهاجرين والمنطقة العربية. ينبغي علينا ألا نقلل أبداً من أهمية الندوات والزيارات الدورية والمحاضرات والاشتراك في المؤتمرات القطرية والاقليمية. وباختصار، ينبغي ألا يتاح لنقاط الاتصال بين المهاجرين والاقطار العربية بالزوال. والحق ان تراث المرء ومشاكل شعبه من الأهمية بحيث لا يسهل نسيانها أو تناسيها. بل يمكن ان نقول، وبشكل مقنع جداً، ان عدداً من المتهنين العرب ـ بالرغم من تكيّفهم اجتماعياً واقتصادياً وحرفياً وشخصياً، لا بل حتى سياسياً ـ شعروا بالاندفاع لتولي قضايا العرب في الولايات المتحدة الامريكية وهذا مؤشر، إن كنا بحاجة اليه أصلاً، على أن الهجرة لم تعن التخلي عن الوطن، على الأقل بالنسبة لبعض المهاجرين. ويعني ذلك ان الهجرة، في منظور عدد من المهاجرين، لم تكن لتعني الفصال التام عن الوطن العربي ومشاكله. كما ينبغي ان ينبئنا ذلك ايضاً أن مهمة إعادة المتهنين يجب الا تعتبر مهمة صعبة جداً. ان الذي حال دون عودة ذوي المهن العرب الى الوطن العربي، ليس الافتقار الى الموارد، بل الافتقار الى الاهتمام والافتقار الى الإرادة.

إننا لنندهش عند نظرنا في شتى الدساتير والأنظمة لشتى الوكالات العربية المتخصصة، فلا نجد أية إشارة واضحة للمهاجرين من ذوي المهن العرب. ومع ان هذه الوكالات والمنظمات، سواء داخل إطار الجامعة العربية أو خارجها، تشدد على أهمية التعاون بين علماء البحث والمتهنين في أقطار أو منظمات أخرى، فإنها جميعاً وبدون استثناء، لم تجد من الضروري ان تأتي على ذكر ذوي المهن العرب خارج المنطقة العربية. لعل هذا السهو يشير الى القطيعة المؤسفة بين الوطن العربي وألوف المتهنين العرب الذين يعملون خارجه.

ولتصحيح هذا الخلل، نقترح إنشاء منظمة خاصة تكلف بمهمة تسهيل عودة ذوي المهن العرب الى الوطن العربي. وقد نسميها، على سبيل المثال «**مجلس هجرة المتهنين العرب**». ويمكن تأليف هذا المجلس من مدير تنفيذي مع هيئة صغيرة من الموظفين، ومجلس أمناء يتألف من ممتهنين عرب من المنطقة العربية، ومن المتهنين المهاجرين. تكون مهمة مجلس الأمناء وضع الخطوط العامة لأغراض السياسة المقصودة في حين يتولى المدير التنفيذي تطبيق هذه السياسة. وأهم مهمة تقع على عاتق المجلس هي تشخيص ذوي المهن العرب الذين يرغبون بتقديم خدماتهم في الوطن العربي، وتكون مهمة المجلس الأخرى العمل على تنسيق الحاجة للخدمات والخبرة وتلبيتها بما هو معروض من مواهب ذوي المهن في الخارج.

ومن أسهل المهمات التي قد يتولاها هذا المجلس، والتي تبشر بأكبر الفوائد، العمل مثلاً على تسهيل التعاقد مع الأساتذة العرب في الجامعات والكليات العربية، إذ يمكن دائماً العثور على أساتذة يرغبون في قضاء سنة أو أقل أو أكثر في قطر عربي. بعبارة أخرى، ان يبدأ المجلس المقترح بالعمل على غرار برنامج فلبرايت، وذلك بإعادة البحّاثة العرب الى المنطقة العربية. وأرى أن هذه الخطوة الأولى ستكون سهلة الترتيب والتطبيق، كما ستكون كذلك ناجحة جداً ومن شأنها تثبيت مصداقية المجلس فوراً. يكون من مهام المجلس أيضاً إيجاد أطباء عرب للمستشفيات العربية. وقد حدث هذا، فعلاً، ولكنه تم على أسس شخصية وفردية بالدرجة الأولى لا على أسس نظامية واقليمية. وإني اشدد على عودة الأساتذة والأطباء، لأن هاتين المجموعتين من المتهنين معروفتان بالتنقل في أرجاء العالم. إن تعبئة هؤلاء للعمل في الوطن العربي، من شأنه ان يسهل على المجلس تيسير عودة غيرهم من المتهنين.

إن هذه المقترحات لا تستبعد بالطبع وجود نماذج أخرى للاقتداء بها في العمل. ومن المهم ان أي برنامج من هذا النوع، ينبغي ان يبدأ على نطاق محدود لضمان نجاحه، ويأخذ بالنمو التدريجي بحيث يوسع من مجاله، استناداً الى ما يحققه من نجاح. أما تمويل هذا المجلس فاعتقد ان عليه أن يبدأ بميزانية متواضعة تقوم على منحة خاصة. وليس هناك ما يدعو الى الاعتقاد بأن الموارد غير متوفرة. إن الأقطار العربية التي أسهمت بالكثير على مدى السنين في التنمية الخارجية، عن طريق صناديق وطنية أو متعددة الجنسيات، لا بد أن تكون في وضع يمكنها من توفير منحة للمجلس المقترح. ويجب أن يسهم القطاع الخاص في هذه المنحة، إذ انه سيكون المستفيد الأول من برامج المجلس. ومن المهم واللازم ان يتمتع المجلس بمنحة خاصة به، وليس عن طريق رصد مبلغ من خلال دورة الميزانية السنوية. إن الاستقلال المالي لا يقل أهمية عن وضع السياسة، وعن الاستقلال في ادارة العمل.

أخيراً، من المفيد ان نكرر ان الأمر المهم، هو أن نبدأ، مهما كان الأمر الذي نبدأ به متواضعاً□

الدراسات الشرق الأوسطية في اليابان(*)

ياسوماسا كورودا

جامعة هاواي في الولايات المتحدة.

و

نوبوؤ آسائي

معهد الشرق الاوسط في اليابان.

ملاحظة

كُتبتْ هذه الدراسة بالاشتراك بيننا نحن الاثنين. فقد قام نوبوؤ آسائي بتوفير أكثر المواد والملاحظات التي اعتمدها ياسوماسا كورودا في كتابة النص الانكليزي، كما استمد آسائي معلوماته بالدرجة الأولى من مقابلاته مع عدد من الأفراد في اليابان وخارجها، فضلاً عن مصدرين آخرين هما: «ندوة عن الوضع الحاضر للدراسات الشرق الأوسطية في بلادنا، ومجالات ذلك: مقتطفات من التقارير والمناقشات» (أوساكا، ١٩٧٩)؛ و «حوار عن الشرق الأوسط بشأن التبادل الثقافي» (طوكيو، ١٩٧٧). يشكر كورودا كل من «Yugo Itagaki» و «Tsugitaba Sato» من جامعة طوكيو و «Yoshiki Hatanaka» من المعهد الياباني لاقتصاديات الشرق الأوسط، و «Farideh Farhi» من جامعة هاواي، و «Manabu Shimizu» من معهد الاقتصاديات النامية في القاهرة، دون أن يحمّل أحداً منهم مسؤولية ما ورد في هذه المقالة.

مقدمــة

«محمد مدفون في القدس، وهو مؤسس المسيحية».

إن مستوى فهم اليابانيين لغربي آسيا يتمثل بمقطع من أول كتاب عن المنطقة نشر أواخر القرن التاسع عشر. ومع أن اليابان قد تعتبر متخلفة عن الغرب في دراسة غربي آسيا، ولكن علينا أن نتذكر أن اليابان قد تقدمت كثيراً في فهم ما يجري في هذه المنطقة وذلك في المائة سنة الأخيرة، في حين كان للغرب تاريخ طويل في العلاقات مع غربي آسيا منذ زمن الاغريق والرومان. والواقع أن الغرب يدين بكثير من أسس حضارته للمشرق.

(*) كتبت هذه الدراسة بالاصل بالانكليزية وقام المركز بترجمة النص كاملاً إلى العربية.

والغرض من هذه الدراسة هو وصف وتقويم وضع الدراسات الغرب آسيوية في اليابان بشكل يقوّم منجزاتها نقدياً، ويرفع من شأن مستقبل هذه الدراسات في اليابان خاصة، وفي العالم عامة[1].

فيما يلي تاريخ موجز للدراسات الغرب آسيوية في اليابان، ويتبع ذلك تقويمنا لوضع الجهود اليابانية الخاصة بفهمهم لاخوانهم الآسيويين الذين هم قريبون منهم جداً من بعض النواحي، وبعيدون في الوقت نفسه من نواح أخرى. وقد بذلنا في هذا الصدد جهوداً لتحديد النماذج والاتجاهات السائدة في هذا المضمار، وكيف تؤثر في حالة الدراسات الغرب آسيوية في اليابان. ووضعنا في نهاية هذه الدراسة ملحقاً بأهم مراكز البحث المتخصصة بالمنطقة المذكورة.

أولاً: الدراسات الغرب آسيوية من منظور تاريخي

مع الأخذ بعين الاعتبار قلة الاتصالات التي كانت لليابان بغربي آسيا منذ القرن الثامن، فإن اليابان لم تقم بأي اتصال مهم بالمنطقة حتى فتحت لها الأبواب في ١٨٦٨. وحتى في ذلك الوقت كانت أعين اليابان مركزة كل التركيز على الغرب الذي ستتعلم منه، بحيث ان قلة من اليابانيين فقط قد أعاروا اهتمامهم للتعلم من غربي آسيا، وكانت هذه المنطقة قد خبرت الاستعمار الغربي والشرقي في الماضي القريب.

إن الشكل رقم (١)، بعنوان «المنشورات عن غربي آسيا حسب السنين»، قد نظم بشكل يبين مدى اهتمام اليابان بغربي آسيا، كما يتضح ذلك من حجم المنشورات المكونة من مقالات ورسائل علمية ومعاجم وكتب عن غربي آسيا[2]. والفترة التي يغطيها الرسم تمتد لأكثر من مائة سنة، ابتداء من ١٨٧٥ حتى ١٩٧٩. لم ينشر في سبعينات وثمانينات القرن التاسع عشر إلا بضع مقالات وكتب تتناول غربي آسيا (ولا يزيد عددها عن أربع في السنة). وبحلول ١٩٧٩ بلغ مجموع عدد المقالات والكتب المنشورة (٤٥١) في سنة واحدة.

إن نظرة واحدة نلقيها على الرسم تتيح لنا أن نقسم الفترة التي تلت عودة أسرة ميجي للحكم إلى ثلاث مراحل: (١) مرحلة ما قبل الحرب العالمية الثانية، (٢) مرحلة ما بعد تلك الحرب و (٣) مرحلة ما بعد أزمة الطاقة. لقد تزايد الاهتمام بغربي آسيا تزايداً تدريجياً منذ أواخر القرن التاسع عشر وحتى العشرينات من القرن الحالي. ثم حدثت قفزة في اهتمام اليابانيين حين بدأت اليابان تسير في طريقها نحو الحرب العالمية الثانية. حدث بعد ذلك انخفاض مفاجىء

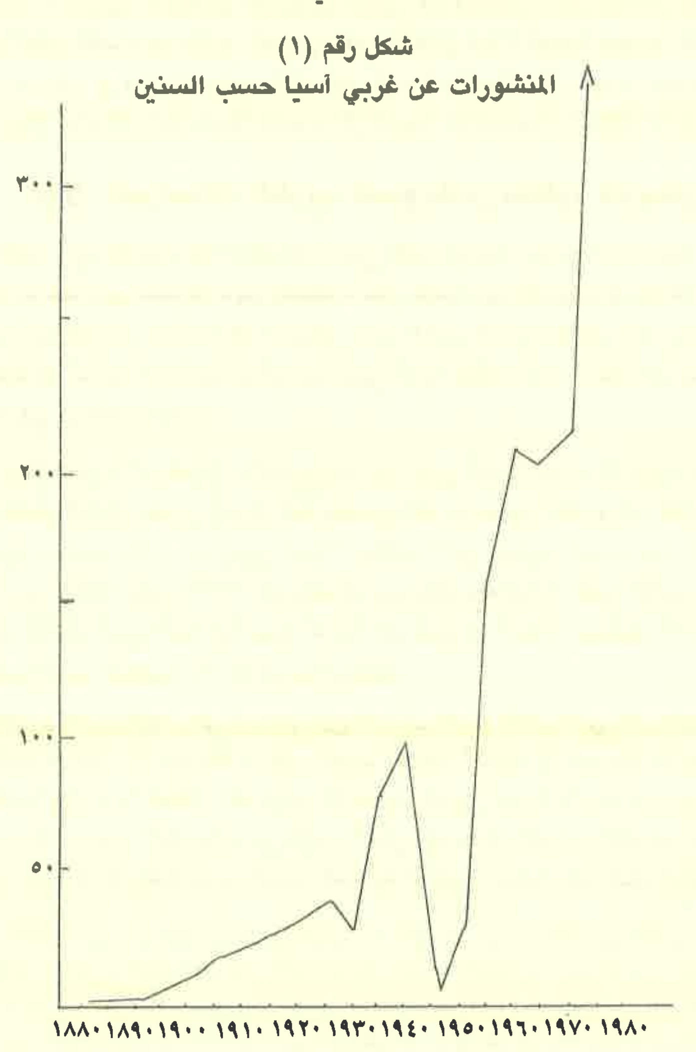
---

(١) من المعقول، ونحن في مكاننا في هاواي وطوكيو، أن نطلق على موقع المنطقة التي نتناولها اسم منطقة غرب آسيا وليس الشرق الأدنى أو الشرق الأوسط، وكلاهما مصطلح ابتدعه الأوروبيون ذوو النزعات العرقية. ونحن نعلم أن مصطلحنا لا يستعمل على نطاق واسع، ولكن البعض يستعمله، بمن فيهم بعض اليابانيين المشتغلين في بحوث غرب آسيوية. ولغرض استعراض وضع الدراسات الشرق الأوسطية من جديد فقد قررنا استعمال مصطلح «غرب آسيا» بناء على إصرار احد الكاتبين، وهو كورودا، وموافقة آسائي. وبموجب هذا ستعتبر اليابان والصين من شرق آسيا والأقطار العربية من غرب آسيا ـ وهذا مفهوم بسيط جداً ومقبول من أولئك الذين لا ينوؤون تحت عبء العلم التقليدي. ويذكّر آسائي وكورودا أن المغرب لا يؤلف جزءاً لا يتجزأ من الثقافة العربية. السنا نحن، إذاً من ذوي النزعة العرقية على طريقتنا الخاصة بتسميتنا شمال افريقيا جزءاً من غرب اسيا؟ يقر كورودا بضيق مفهوم غرب آسيا ولكنه يرى أن فوائده تفوق ذلك.

(٢) اخذت البيانات الواردة في الشكل رقم (١) من: ياسوماسا كورودا، «الرؤيا اليابانية للعالم العربي: طبيعتها وآفاقها،» **المستقبل العربي**، السنة ٨، العدد ٨٢ (كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٥)، ص ٨٨.

وبخاصة في ١٩٤٥ حين انتهت الحرب. وظهرت قفزة مفاجئة أخرى بعد انتهاء الحرب حين أخذ اقتصاد اليابان ينمو سريعاً في أواسط الخمسينات أو قبيل أزمة السويس. كانت اليابان تستهلك ٣١ ألف برميل من النفط يومياً في ١٩٥٠، وبحلول ١٩٧٥ قفز استهلاك اليابان من النفط بنسبة ١٦٥ ضعفاً إلى ٥,١٢٣,٠٠٠ برميل يومياً![٣]، أما بعد أزمة الطاقة الأولى فقد انخفض استهلاك النفط في اليابان في حين تضاعف ما نشر فيها عن غربي آسيا ضعفين.

شكل رقم (١)
المنشورات عن غربي آسيا حسب السنين



(٣) أخذت هذه البيانات من الأرقام الواردة في:
Congressional Quarterly Inc., *The Middle East,* 6th ed. (Washington, D.C.: Congressional Quarterly, 1986), P.100.
أمّا استهلاك العالم غير الشيوعي ككل من النفط فقد ازداد بنسبة أربعة اضعاف ونصف، في حين بلغت الزيادة في الولايات المتحدة الامريكية ضعفين ونصف فقط، كما بلغت الزيادة بالنسبة إلى الأعضاء الأوروبيين في الـ (OECD) ١٢ ضعفاً خلال الفترة نفسها البالغة ٢٥ سنة.

١ ـ مرحلة ما قبل الحرب العالمية الثانية

خلال هذه الفترة الأولى من الاتصال بغربي آسيا بدأت اليابان تظهر بالتدريج اهتماماً بهذه المنطقة وبالإسلام، وكان هذا بسبب اهتمامها القومي/الاستعماري في مناطق آهلة بسكان من المسلمين كالصين. بعبارة أخرى كان الدافع وراء اهتمام اليابان بغربي آسيا والاسلام من التقليد الغربي التوسعي/الامبريالي الذي شرحه ادوارد سعيد في كتابه **الاستشراق**، مع الأخذ بعين الاعتبار إعجاب بعض القوميين العرب بانتصار اليابان على روسيا القيصرية في ١٩٠٥[٤].

كانت اليابان مهتمة استراتيجياً بثلاثة أقطار في غربي آسيا هي بالتحديد: إيران وتركيا ومصر. ويكمن أحد أسباب اهتمام اليابان بإيران وتركيا في جمع وتحليل المعلومات التي تجمع عن الاتحاد السوفياتي والذي له حدود مشتركة مع القطرين المذكورين. أما مصر فسبب أهميتها الاستراتيجية لليابان هو موقعها في الوطن العربي ووجود قناة السويس فيها. والسبب الآخر لهذا الاهتمام هو وجود جامعة الأزهر في القاهرة كمركز للعلم الإسلامي.

فلنسجل الآن مجهودات البحث المنظم الجارية قبل نهاية الحرب العالمية الثانية لكي نرى كيف تطورت ولماذا.

أ ـ ١٩٣٢: «**معهد الدراسات الاسلامية**» الذي طوره الأستاذ هاجيمي كوباياشي. وقد حرر هذا الأستاذ وأصدر العدد الأول والأخير من مجلة باسم «دراسات اسلامية» في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٣٢.

ب ـ ١٩٣٧: «**جمعية الثقافة الإسلامية**» التي ظهرت كنتيجة لقرار المعهد المذكور آنفاً بتغيير اسمه وبنشر مجلة فصلية جديدة باسم «الاسلام»، والتي استمرت في الصدور لبضع سنين.

ج ـ ١٩٣٨: «**معهد دراسات العالم العربي**» الذي قام بتنظيمه الأستاذ كوجي أوكوبو (خبير بالشؤون التركية) بصفته رئيساً للمعهد، مع الأستاذ هاجيمي كوباياشي (خبير بالشؤون العربية)، كمدير للبحوث فيه، وتوشيو ماتسودا كرئيس لقسم البحوث المادية. نشر المعهد مجلته «العالم الاسلامي» من ١٩٣٨ حتى ١٩٤٤، وقد احتوت على مقالات حربية عن أثر ظهور العسكرية.

د ـ ١٩٣٨: «**جمعية الدراسات الإسلامية لعموم اليابان**» التي جرى تنظيمها وبدأت بنشر مجلة «العالم الاسلامي» في نيسان/ابريل ١٩٣٩. وضمت الجمعية عدداً من الضباط

---

(٤) Edward W. Said, *Orientalism* (New York: Vintage Books, 1979).

ثمة عرب حيّوا انتصار اليابان على روسيا القيصرية. ومن المفارقات أن تحقيق ذلك النصر الياباني انما تم عن طريق تمويل قواتها البحرية من ممول يهودي في نيويورك.

Ben-Ami Shillony, «Japan and Israel: A Special Relations,» in: Ronald A. Morse, ed., *Japan and the Middle East in Alliance Politics* (Washington, D.C.: [n.pb.], 1986), p.81.

ولكن، بالطبع، كان العرب آنئذ قد بدأوا، كما بدأ اليهود، يستيقظون لتوهم للقومية الحديثة. من العرب الذين أظهروا اعجابهم باليابانيين الشاعر المصري حافظ ابراهيم الذي صور اخلاص «العذارى اليابانيات» اللاتي رافقن الجنود من أبناء بلدهن إلى الجبهة كممرضات في الحرب الروسية ـ اليابانية. كما كتب مصطفى كامل كتاباً عن اليابان لإيقاظ المصريين لكي ينتبهوا إلى قوميتهم.

العسكريين، وورد في العدد الأول من مجلتها بيان افتتاحي ذكر صراحة نيتها في اتباع هدف حكومة الحرب والمتعلق باستخدام المعرفة لغرض دفع قضية اليابان إلى الأمام نحو إقامة نظام آسيوي جديد يخلو من النفوذ الاستعماري الغربي. على أنه ينبغي أن نتذكر أن مجلتها لم تكن تحت السيطرة الكلية للعسكريين والغلاة منهم في وطنيتهم، بل ضمت بعض المسلمين اليابانيين المخلصين في اهتمامهم بابتغاء المعرفة الدينية.

هـ ـ ١٩٣٨: «**الجماعة الإسلامية، معهد شرقي آسيا**» التي جرى تنظيمها في ١٩٣٨ وقد واصلت بحوثها حتى نهاية الحرب العالمية الثانية.

و ـ ١٩٣٨: «**جماعة الدراسة الإسلامية**» التابعة لوزارة الخارجية والتي تأسست داخلها. وقد أوقفت نشر مجلتها الفصلية «الشؤون الاسلامية» في ١٩٤١.

ز ـ ١٩٣٨: «**مكتب البحوث للشؤون الاقتصادية الغرب آسيوية**» الذي تأسس في شركة سكة حديد منشوريا لدراسة شؤون المسلمين الصينيين خصوصاً. ونظم شوميئي أوهكاوا «الجماعة الغرب آسيوية» داخل المكتب المذكور لنشر مجلة «آسيا الجديدة» وذلك كجزء من أهداف أخرى كان يسعى لتحقيقها. وقد اجتذب عدداً من القراء بمهارته في تفسير العالم الاسلامي للجمهور. حُلَّ هذا المكتب في ١٩٤٥.

ج ـ ـ؟: «**معهد الدراسات لمنطقة المحيط الهادي**»، رغم أنه قد تأسس قبل نهاية الحرب العالمية، فليس لدينا الآن تفاصيل أخرى عنه.

يشير تأسيس «معهد الدراسات الاسلامية» في ١٩٣٨ إلى توسع اليابان الاقليمي ليس في الصين فقط بل في جنوبي شرق آسيا كذلك. ربما كانت هناك حاجة بالنسبة للعسكريين لفهم الإسلام وما ينطوي عليه قبل إقدامهم على العدوان على جيرانهم الآسيويين، وكثير منهم يدين بالديانة الاسلامية. والمثل الأوضح في هذا الصدد هو تطوير قسم البحوث الاسلامية ضمن شركة سكة حديد منشوريا في دائرة البحوث الاقتصادية الشرق آسيوية، في سنة ١٩٤٠. والظاهر أن اهتمام اليابان بهذه البحوث الخاصة بغربي آسيا ناجم أساساً عن رغبتها في فهم الإسلام لكي تستطيع السيطرة على معتنقيه بشكل أكثر فعالية. على أننا نضيف عاجلاً أن الجهود اليابانية لفهم غربي آسيا والإسلام لم تكن ناجمة كلياً عن اهتمامها الاستعماري. مثلاً، إن تدريس اللغة العربية الذي بدأ سنة ١٩٢٥ في كلية أوساكا للغات الأجنبية، (المسماة الآن جامعة أوساكا للدراسات الأجنبية)، كان أقل صلة بالاستعمار الياباني لما قبل الحرب من صلة معاهد البحوث التي نشأت مع تزايد قوة الامبريالية اليابانية في الثلاثينات. وقد بدأت كل من وزارة التعليم ووزارة الخارجية بالاهتمام بغربي آسيا في أوائل العشرينات. ففي ١٩٢٢ أرسلت وزارة التعليم الاستاذ شيفيكو ماتسوموتو لدراسة اللغة العربية لمدة سنتين في ألمانيا. وقد عاد وبدأ يدرس العربية في ١٩٢٥. وفتحت وزارة الخارجية قنصلية عامة في الاسكندرية في سنة ١٩٢٦. وفي تلك السنة ذاتها أرسلت الوزارة نفسها أول متدرب إلى مصر ليتعلم العربية فيها. وعلى المرء أن يتذكر أن العسكريين لم تكن لهم شعبية في أوائل العشرينات بعد مهزلة الحملة في سيبيريا. كان على الجنود أن يخلعوا بدلاتهم الرسمية عند تمتعهم بالاجازة وذلك لتحاشي انتقاد الجمهور المفرط للعسكريين ونعتهم «بأكلة الضرائب» خلال تلك الحقبة من التاريخ. إن اهتمامات اليابان الاستعمارية لا يمكن إنكارها، ولكن عناية وزارة التعليم ببدء تدريس اللغة العربية في سنة ١٩٢٢

يوحي بأن نيتها في الأغلب كانت جزءاً لا يتجزأ من جهودها لتحديث معاهد التعليم في اليابان ورفع المستويات الأكاديمية.

٢ ـ مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية (١٩٤٥ ـ ١٩٧٣)

كما أشرنا سابقاً، انخفض مقدار البحوث عن غربي آسيا إلى ما كان عليه في أواخر القرن التاسع عشر، أي بضعة أعمال في السنة الواحدة، وذلك بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية. ولكنه بدأ بالارتفاع مرة أخرى بعد أن تحققت صحوة اليابان الصناعية وابتدأت فيها فترة من التنمية الاقتصادية السريعة منذ أواسط الخمسينات. واتفق أن صحب هذه الفترة كذلك قرار اليابان بتحويل مصدر طاقتها الرئيسي من الفحم إلى النفط. على أن الارتفاع في معدل البحوث والنشر لم يكن بنسبة ارتفاع الاستهلاك في النفط التي بلغت ١٦٥ ضعفاً من ١٩٥٠ إلى ١٩٧٣ كما ذكرنا سابقاً، في حين بلغ ارتفاع نشر البحوث خلال الفترة نفسها أقل من ١٣ ضعفاً[٥]. لعل هذا يشير إلى أن اليابان افترضت أن من المسلّم به أن النفط رخيص وكثير وذلك لأن الدول المنتجة له تبيعها ما تحتاج إليه منه عند الطلب.

ظهر إلى الوجود مركز واحد على الأقل من معاهد البحث المتخصصة بالدراسات الغرب آسيوية، ومعهد آخر يضم قسماً عن غربي آسيا وذلك في خلال فترة النمو الاقتصادي السريع التي شهدتها اليابان في حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية. والأول هو «المعهد الياباني للشرق الأوسط» الذي تأسس برعاية وزارة الخارجية اليابانية في أعقاب أزمة السويس في ١٩٥٦[٦]. إن مساهمة الوزارة في ميزانية المعهد الحالية لا تتجاوز نسبة ضئيلة. والمعهد الثاني هو «معهد الاقتصاديات النامية»، ويضم قسماً عن غربي آسيا وقد تأسس في سنة ١٩٥٨ ضمن سلطة وزارة التجارة والصناعة الدولية[٧]. والظاهر أن الذي حفز على نشوء هذين المعهدين هو حاجة الحكومة اليابانية إلى المعرفة بالمنطقة. بيد أن المعهد الأول نشأ نشأة مختلفة عن الثاني، إذ كانت بدايته كمجموعة دراسية من أساتذة الجامعة المهتمين بغربي آسيا وشمالي افريقيا. وكان تطور هذه المنظمة نتيجة مباشرة لنجاح جمال عبدالناصر في تأميم قناة السويس سنة ١٩٥٦. وقد قام بعض أعضائها، ومنهم المرحوم هاجيمي كوباياشي، باجراء بحوث لوزارة الخارجية اليابانية أدت إلى تأسيس «المعهد الياباني للشرق الأوسط» في سنة ١٩٦٠.

كتب تاكيشي هاياشي، وقد تقاعد مؤخراً (آذار/مارس ١٩٨٦) كرئيس لقسم غربي آسيا في معهد الاقتصاديات النامية، كتب معلقاً في ١٩٨٦ على حاجة المعاهد المختلفة في اليابان ليجد كل منها موقعه الخاص في حقل الدراسات الغرب آسيوية. وقال إن دراسات المعهد عن شؤون غربي

---

(٥) بلغ عدد البحوث التي نشرت عن غربي آسيا في عام ١٩٥٠، ١٥ بحثاً فقط. وبحلول عام ١٩٧٣ ارتفع العدد إلى ١٩٣، أي بمقدار ١٣ ضعفاً. لمزيد من التفاصيل أنظر: كورودا، «الرؤيا اليابانية للعالم العربي: طبيعتها وآفاقها،» ص ٨٨.

(٦) للإطلاع على مزيد من المعلومات التفصيلية عن المجهودات الرئيسية المنظمة في حقل البحوث في اليابان انظر الملحق. لا تضم القائمة الواردة في الملحق جمعيات البحث، بل تقتصر فقط على معاهد البحوث ومراكزها. ولا ندعي أن القائمة شاملة وكاملة لكنها تمثل طبيعة ومدى فعاليات البحوث المنظمة عن غربي آسيا في اليابان.

(٧) سيشار إليه فيما بعد بـ (MITI).

آسيا هي من فروع الدراسة الفريدة في بابها والتي لا تنتمي إلى أي دراسة أخرى قائمة[٨]. ومن المحاور الحالية في هذه الدراسة محور «الاثنية» الذي يسري في عدد من الدراسات وله صلة بعدد من المشاكل التي تواجه أقطار غربي آسيا.

ثمة معهد آخر ظهر إلى الوجود خلال هذه المرحلة وهو «معهد دراسة اللغات والثقافات لآسيا وافريقيا» في جامعة طوكيو للدراسات الأجنبية. يضم المعهد في نطاق بحوثه عن غربي آسيا وشمالي افريقيا اللغات العربية والفارسية والتركية. وهذا المعهد هو المعهد الوحيد الذي يستخدم مصطلح «غربي آسيا» للاشارة إلى الشرق الأوسط. ومع أن تركيز المعهد ينصب على اللغات إلا أنه يتجاوز ذلك إلى دراسات ثقافية أيضاً. على أن طبيعة البحوث عامة مع التأكيد الخاص على اللغة.

وباختصار، ظل نشاط البحوث المنظمة عن شؤون غربي آسيا نشاطاً غير فعال نسبياً، رغم اعتماد اليابان المتزايد جداً على غربي آسيا كمصدر أساسي للطاقة.

٣ ـ مرحلة ما بعد أزمة الطاقة (١٩٧٥ ـ)

أجبرت اليابان على أن تواجه الواقع في أعقاب أزمة الطاقة الأولى، وذلك كما تنبأ الملك فيصل الذي نسق لقيام وحدة غير معهودة بين البلدان العربية في خريف ١٩٧٣. كان نذير وقوع الأزمة هو قرار أوبك برفع أسعار النفط في أيلول/سبتمبر ١٩٧٣، وأعقب ذلك اندلاع الحرب العربية ـ الاسرائيلية الرابعة في تشرين الأول/اكتوبر. وبتنفيذ الحصار النفطي العربي حولت اليابان، هي وأوروبا الغربية، سياستها الخارجية نحو الاهتمام بالأزمة المتطاولة في المنطقة.

والذي حدث بعد أزمة الطاقة الأولى، هو ارتفاع كبير في معدل نشر المقالات والكتب. يبين الشكل رقم (١) الارتفاع الكبير في عدد المنشورات من ١٩٧٣ (وكان عددها ١٩٣) إلى ١٩٧٤ (وعددها ٢٤٦) و ١٩٧٥ (وعددها ٣٨٩). وازداد عدد المسلمين كذلك زيادة هائلة وبمقدار عشرة أضعاف في الفترة من أزمة الطاقة الأولى إلى الثانية.

وظهر إلى الوجود «مركز اليابان التعاوني للشرق الأوسط» في ٢٠ تشرين الأول/اكتوبر إبان حرب رمضان، وكان هذا خير توقيت لافتتاح أعماله. وقد حظي المركز بعطف وزارة التجارة والصناعة الدولية (MITI)، ولكن زعماء زايكاي (Zaikai) مثل سوهي ناكاياما أرادوا في الواقع تأسيس هذا المركز. ومن هنا كان تشديده في معاونة المشاريع في المنطقة عن طريق، الندوات التوجيهية والمناقشات مع الزوار من غربي آسيا.

أسست الوزارة المذكورة أي (MITI) وقد أيقظتها أزمة الطاقة، بالتعاون مع وكالة التخطيط الاقتصادي ممثلة بشيغيكي كوياما وغيره من الأطراف المعنية يمثلهم كيوشي تسوشيا وهو معلق واقتصادي شهير، أسست «معهد البحوث الاقتصادية للشرق الأوسط» في ١٠ أيلول/سبتمبر ١٩٧٤. وقد غير المعهد في ١٩٨٥ اسمه بالانكليزية فأضحى «المعهد الياباني لاقتصاديات الشرق الأوسط». ويبدو أن هذا المعهد قد صمم ليكون أكاديمياً بدرجة أكبر مما هو عليه «مركز اليابان التعاوني للشرق الأوسط» ولكن على ألا يكون في ذلك «كمعهد الاقتصاديات النامية». إن دراسات

---

(٨) تاكيشي هاياشي، «الدراسات الشرق الأوسطية في معهد الاقتصاديات النامية،» **اخبار معهد الاقتصاديات النامية**، العدد ٦٦ (آذار/مارس ١٩٨٦)، ص ٣.

المعهد ذات طبيعة شمولية، وتتعلق بأمور جوهرية أكثر مما هو عليه الحال في دراسات «مركز اليابان التعاوني للشرق الأوسط». يتراوح عدد الباحثين فيه من ثلاثين إلى أربعين ويضم أشخاصاً من وكالة التخطيط الاقتصادي والوزارة (MITI). وأكبر عدد منهم، ويبلغ حوالى العشرين، هم من الشركات الكبرى. والمعهد هو أكبر معاهد البحوث طراً في اليابان المشتغلة بشؤون غربي آسيا. ويشير الاستعراض الخاطف لبعض منشورات المعهد إلى مستوى البحث الرفيع نسبياً، وبخاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار أن هؤلاء الباحثين إنما يمثلون الجيل الأول من الاختصاصيين بشؤون غربي آسيا في اليابان وكان أغلبهم يمتهن فروعاً مختلفة قبل تخصصه بغربي آسيا. إن عدداً متزايداً منهم يتعلم كذلك لغات هذه المنطقة من العالم.

ورغم الجهود المتزايدة المبذولة لتفهم غربي آسيا فقد ظل عدد من المناطق فيها خارج هذا النطاق بحيث لم يكن يُعرف في اليابان طبيعة الديناميّات المتفاعلة فيها. وكان أبرز مثل على الافتقار للمعرفة عن تلك المناطق هو إيران، حيث كانت شركة متسوي، بالتعاون مع الحكومة اليابانية وغيرها من الجهات المعنية، قد بدأت بانشاء مشروع ضخم للبتروكيماويات، تعاونها في ذلك حكومة ايران. كانت الولايات المتحدة الامريكية، معتمدةً جداً على وكالة استخباراتها وعلى السافاك بالطبع، هي أيضاً كان لديها معلومات خاطئة عما يجري هناك، شأنها في ذلك شأن اليابانيين الذين ربما تسلموا تقارير الاستخبارات ذاتها. وفي ١٩٧٨ زار تاكيو فوكودا - رئيس الوزراء يومئذٍ - طهران وقابل الشاه. وكان أهم حدث أثر فيه هو ما صادفه في طريقه من تظاهرات معادية للشاه، فصدمته مشاعر الايرانيين المناهضة للشاه بحجمها وخطورتها،* كما صدمه جهله هو نفسه بالحالة في ايران. وكان جهله يعني بالطبع أن حكومته كانت كذلك في الظلام بشأن ديناميّات القوة الايرانية وتفاعل علاقاتها. فلام رئيس الوزراء افتقار بلاده لفهم أقطار غربي آسيا وأوصى مسؤوليه بتحسين نوعية الدراسات الجارية في اليابان عن تلك الأقطار. ونتيجة لذلك أرسلت بعثة الى المنطقة تتألف بالدرجة الأولى من الباحثين العلماء لوضع التوصيات اللازمة لتصحيح هذه الحالة المؤسفة. وكان من نتائج أعمال هذه البعثة اقتراح بتأسيس معهد وطني لدراسة غربي آسيا. وقد رصدت وزارة التعليم، في ميزانيتها لسنة ١٩٧٩ - ١٩٨٠ ما يكفي لإقامة هذا المعهد. بل إنها هيأت كذلك قائمة بأسماء الباحثين الذين سيعملون فيه. ولسوء الحظ اتفق هذا مع خطة الحكومة في تقليص الميزانية بجميع بنودها، مما أدى إلى تأجيل مشروع إقامة المعهد إلى أجل غير مسمى.

ومع هذا حدثت بعض التطورات الايجابية الجديدة التي تهدف إلى تحسين الدراسات الخاصة بغربي آسيا. مثلاً، قامت منذ ذلك الحين جامعة طوكيو بوضع منهاج للدراسات الاسلامية، وأسست جامعة اليابان الدولية معهد دراسات الشرق الأوسط، وبدأت جامعات عديدة بتدريس مواضيع عن غربي آسيا. وكان من أهم ما جرى تأليف الجمعية اليابانية لدراسات الشرق الأوسط في سنة ١٩٨٥، وقد نشرت تقريرها السنوي الأول في آذار/مارس ١٩٨٦. كذلك عادت إلى الظهور في ١٩٨٤ مجلة دراسات غربي وجنوبي آسيا بعد احتجاب دام ١٣ سنة.

وتقوم جامعة طوكيو، لمصلحة المهتمين بعرض سنوي للمؤلفات التاريخية عن غربي آسيا وشمالي أفريقيا، بتحرير «مجلة التاريخ» وهي تتضمن مثل هذا العرض لجميع المؤلفات التاريخية المهمة التي تنشر سنوياً والمتعلقة بالإسلام وغربي آسيا وشمالي افريقيا. والمجلة مصدر ممتاز للمعلومات للراغبين بعرض عاجل وتحليل للاتجاهات في أعمال الباحثين اليابانيين في موضوع

تاريخ غربي آسيا. وقد بدأ العرض السنوي للأعمال المنشورة في ١٩٧٥ وذلك بمجلد المجلة رقم (٨٥)، عدد (٥). وعكس هذا العرض، كما ذكر ماكوتو هاتشيوشي في مراجعته السنوية لعام ١٩٨٢، نمو حركة البحث اليابانية عن غربي آسيا وذلك كماً ونوعاً معاً. ويتفق تحليل كورودا الكمي بالتأكيد مع ملاحظات هاتشيوشي وذلك بشأن ما نشر من مطبوعات عن شؤون غربي آسيا. يقول هذا الأخير إن الأعمال المنشورة عن الأحوال المعاصرة لهذه المنطقة يعكس طبيعة الأحداث الأخيرة الواقعة مثل تصاعد الاسلام في المنطقة.

سيجد المهتمون بالدراسات الجارية في اليابان عن غربي آسيا ما لا يقل عن تسع مجلات تصدر باللغات الغربية، مما يساعد الذين لا يعرفون اللغة اليابانية. وهذه المجلات هي:

Annals of Japan Association for Middle East Studies; Books and Articles on Oriental Subjects; Bulletin of the Society for Near Eastern Studies on Japan; Journal of Asian and African Studies; Mediterraneus; Memoirs of the Research Department of the Toyo Bunko; Middle East Studies; Orient, and *the World of Islam.*

وهناك بضعة أعمال أخرى ألفها علماء باحثون يابانيون وأخذت تنشر بالانكليزية في الخارج.

ثانياً: ملاحظات وتقويمات

نتفق من حيث الأساس مع رؤوف عباس حميد، الذي صنف الخبراء بشؤون غربي آسيا في اليابان فقسمهم إلى ثلاث مجموعات وذلك بعد تدقيق النظر في حالة الدراسات العربية في السبعينات: (١) «المستشرق» الغربي، (٢) الخبير الاسلامي الياباني، و (٣) الخبير الغرب آسيوي الحديث.

المجموعة الأولى تتألف ممن لا يقتصر اعتمادهم على العلم الغربي في تلقي المعلومات، بل ويعتمدون عليه كذلك في كامل اتجاههم دون اعتبار يذكر للمؤلفات العلمية المحلية. والمجموعة الثانية تتناول دراسة غربي آسيا من خلال البعد الاسلامي بشكل قاطع. إن بعض الباحثين ضمن هذه المجموعة هم من البوذيين المهتمين بالإسلام لغرض مقارنته بديانتهم. أما المجموعة الثالثة، والتي يأخذ عددها بالتزايد فيما يبدو، فإنها ترفض ناموس الاستشراق دون إغفال العلم الغربي كلياً مع إظهار الاستعداد لتقبل العلم المحلي في المنطقة.

وقد حدثت ردود فعل ضد العلم الغربي وناموسه الاستشراقي، أبداه المعهد المؤسس حديثاً وهو «معهد دراسات الشرق الأوسط» في جامعة اليابان الدولية، والذي افتتح سلسلة من مشاريع الترجمة من اللغة العربية إلى اللغة اليابانية. ومن الواضح أنه ما من عالم من علماء البحث يغفل، أو ينبغي له أن يغفل العلم الغربي كلياً ويحتضن كل شيء يكتبه أبناء غربي آسيا.

إن استعراضاً خاطفاً لمحتويات العدد الأول من «سجلات الجمعية اليابانية لدراسات الشرق الأوسط» تشير إلى وجود اتجاه واضح نحو المدخل الذي يتبعه الخبير الغرب آسيوي الحديث. هناك في هذا المطبوع أربع مقالات من أصل تسع، وقد كتبها كتاب غير يابانيين: باحث مصري، ودبلوماسي ظبياني، وعالم اسلامي، وآخر أمريكي من أصل ياباني. واللغات المستعملة في هذا المطبوع هي العربية والانكليزية واليابانية والروسية مما يوحي بوجود توجه دولي متعدد اللغات، الأمر الذي يلاحظ على المجلات الأمريكية المتخصصة بغربي آسيا. إن أكثر مقالات المطبوع

وهوامش البحث تتناول مواضيع معاصرة.

كان تأليف الجمعية اليابانية لدراسات الشرق الأوسط نبأً طيباً للمهتمين بتطور الدراسات الغرب آسيوية في اليابان. وقد جاء في نظام الجمعية صراحة أن نيتها قد انعقدت على تجاوز «الاستشراق» المتسم بالاستعلاء العرقي في الغرب وذلك في سعيها لطلب المعرفة عن طريق التعاون بين جميع الفروع الدراسية والمتخصصين فيها كالهندسة والعلوم، إضافة إلى الدراسات الموقعية التقليدية التي تجريها الفروع المألوفة من الانسانيات وعلم الاجتماع. إننا نرحب بمثل هذا التوجه المفتوح لأننا مقتنعون أن مستقبل الدراسة للمنطقة ينبغي أن يضم جميع الفروع، وذلك لغرض الفهم الكامل لها، كما هو شأن دراسة المستقبل لأي منطقة جغرافية في العالم.

يلاحظ هنا وجود بضعة ميول. فإلى جانب العدد المتزايد من المؤلفات الخاصة بدراسات غربي آسيا التي وضعت في السنين الأخيرة هناك تزايد في عدد السياح اليابانيين الذين يقصدون غربي آسيا عامة ومصر وتركيا خاصة. كان الأمر في السابق هو توقف أغلبية السياح في غربي آسيا إما في طريقهم إلى أوروبا أو خلال عودتهم منها. أما وسائل الإعلام الجماهيرية فهي تغطي الآن من أخبار هذه المنطقة أكثر من أي وقت مضى، وذلك فيما يتعلق بكمية الأخبار دون شك، ولكن هناك قليل من التحليل العميق للمشاكل التي تواجه المنطقة بالذات.

هل ان الجماهير اليابانية مهتمة بغربي آسيا؟ أولاً، إن بروز المنطقة في أذهان الناس في اليابان يعكس، فيما يحتمل، الأحداث الجارية[٩]. ثانياً، يبدو أن طبيعة الاهتمام تجعل رغبة الجماهير بالمعرفة محدودة بمستوى أولي عن شؤون غربي آسيا، وليس بمستوى علمي كما يتوقع. مثلاً، لا يباع من أكبر الكتب العلمية عن المنطقة إلا بضعة آلاف من النسخ في سنين عديدة، في حين بيع من الكتاب المبسّط الذي وضعه أسائي للتعريف بغربي آسيا وكتبه للجماهير بعنوان: **آراء بشأن الشرق الأوسط**، بيع منه أربعون ألف نسخة في الشهر الأول من صدوره. وكُتب ككتاب منهجي لبرنامج تلفزيوني ثقافي لمحطة اليابان(.Japan Broad casting Corp)، وقدم الكاتب اثنتي عشرة محاضرة عن غربي آسيا من هذه المحطة الحكومية من نيسان/ابريل حتى حزيران/يونيو، وقُدر عدد المشاهدين للمحاضرة الواحدة بحوالى المليون، ويعتبر هذا عدداً كبيراً.

وقد حدثت بضعة أمور ايجابية نأتي على ذكرها هنا. أولاً، جرت دراسات شاملة عديدة عن الإسلام في السنين الأخيرة، وقد استغرق اكمالها أعواماً عديدة بالنظر لحجمها الكبير. على سبيل المثال نشرت مؤسسة (Toyo Bunko) المكتبة الشرقية مؤخراً مصنفاً بجميع الكتب العربية الموجودة في مكتبتها، وتضم هذه المؤسسة أكبر مجموعة من الكتب العربية في اليابان، وبلغ عدد صفحات المصنف (٦٨٧) صفحة. وكان قد نشر قبل بضع سنين مصنف مشابه بالكتب التركية. وفي سنة ١٩٨٢ حرر كل من شيمودا وإيتاغاكي وساتو معجماً إسلامياً نشرته مؤسسة (Heibonsha) وبلغ عدد الذين أسهموا في كتابة هذا المعجم حوالى مائة من الكتاب. أما كتاب **شعوب العالم الاسلامي** فقد حرره ميكي مع آخرين من جامعة طوكيو للدراسات الأجنبية وجاء بأربعة مجلدات. وقد استغرق إكمال هذا المشروع أكثر من عشر سنين. وهذه الكتب إنما هي مؤشر على مستوى البحث العلمي في اليابان عن الإسلام، والذي تقدم كثيراً خلال فترة وجيزة نسبياً بالقياس إلى ما يجري في الغرب.

---

(٩) كورودا، «الرؤيا اليابانية للعالم العربي: طبيعتها وآفاقها،» ص ٨١ ـ ٨٢.

لقد أخذ علماء البحث اليابانيون ينتجون مقالات مبدعة ذات نوعية رفيعة، ولو أنها كتبت بالانكليزية لأمكن عرضها على القائمين بالدراسات عن غربي آسيا في العالم. ويقوم الأستاذ توشيهيكو ايزوتسو، وهو حجة معروفة في الفكر الإسلامي ومشهود له بعلمه، بإلقاء محاضرات عن الاسلام في الغرب، ولعله الوحيد الذي يحاضر هناك في معاهد مثل جامعة ماكيّل[١٠]. وهناك في فرع التاريخ دراسة كوسيئي موريموتو عن نظام الضرائب في العصرين الأموي والعباسي، ودراسة ساتو عن المجتمعات الفلاحية في حكم المماليك، ودراسة يوزو ناغاتا عن الحقبة العثمانية، ودراسة هيروشي كاتو عن الجماعات الفلاحية في مصر في القرن التاسع عشر.

ويظل حتى حقل تاريخ غربي آسيا الذي جرت عنه دراسات عديدة نسبياً، حقلاً غير متوازن. فمثلاً يكاد لا يوجد أي مؤرخ مهتم بتاريخ المجتمع العربي في ظل الامبراطورية العثمانية. وهناك بضعة كتب وضعت بالانكليزية وهي تثير الاهتمام في الغرب. مثلاً الدراسة الموقعية الشاقة التي قامت بها موتوكو كاتاكورا عن البدويين في السعودية وهي تمثل عملاً إبداعياً من نوعية رفيعة. أظهرت هذه الكاتبة مهارة كبيرة كعالمة اجتماعية كما أظهرت شفقةً كإنسانة في دراستها لموضوعها.

فلنعدد الآن ما نعتبره من المشاكل والقيود التي تواجه دراسات غربي آسيا في اليابان.

أولاً، هناك حاجة لمزيد من الدراسة الأكاديمية المستقلة عن غربي آسيا. كانت هذه الدراسات في اليابان في مرحلة ما قبل الحرب تسيطر عليها، كما قلنا سابقاً، الامبريالية، في حين اهتمت بها بعد الحرب المؤسسات الاقتصادية. كانت الامبريالية اليابانية فيما قبل الحرب تتصف بصفات الاستعمار الغربي وكأنها نسخة منه وذلك لما اتسمت به من توسع عسكري وسياسي واقليمي واقتصادي. وقد تخلت اليابان بعد الحرب عن كل أشكال الهيمنة الامبريالية باستثناء ما يقع في إطار التوسع الاقتصادي. إننا بالطبع لا نرى مأخذاً في التوسع الاقتصادي طالما كان يخدم التنمية الاقتصادية المحلية للأقطار المحلية وذلك وفق التقليد الديمقراطي[١١]. لذا فإننا لا نرى مأخذاً كذلك في ترويج الشركات اليابانية لدراسات غربي آسيا طالما كانت مثل هذه الدراسات تروّج **وبالتساوي** مصلحة جميع الأطراف المعنية. وبل ونذهب أبعد من هذا إلى حد القول ان

(١٠) التقينا في مؤتمر كالغري اثنين على الأقل من طلاب الاستاذ إيزوتسو السابقين فتحدثا بحنين إلى الماضي عن ذكرياتهما معه. وهما الأستاذة شيلا ماكدونالد من جامعة كونكورديا والأستاذ معن زيادة من الجامعة اللبنانية في بيروت.

(١١) غالباً ما يقوم نقاد التنمية الاقتصادية بمعادلتها بالتوسيع الرأسمالي الذي لا يمكنه بطبيعته أن يوفر المساواة للجميع. نود أن نبين أن توزيع الدخل والثروة يجري بأعلى درجات المساواة في اليابان من بين الدول غير الشيوعية. انظر مثلاً:

Martin Schnitzen, *Income Distribution: A Comparative Study of the U.S., Canada, West Germany, East Germany and Japan* (New York: [n.pb.], 1972), pp.224-228.

تاتي السويد في المرتبة الثانية، والولايات المتحدة الامريكية وفرنسا في الأخير. إن اليابان والسويد هما بالتأكيد على طرفي نقيض في السلسلة، من نظام راسمالي جداً إلى نظام اشتراكي جداً، وذلك فيما يتعلق بمصروفات الحكومة في كل منهما بالنسبة إلى الناتج القومي الاجمالي فيهما. كان الفارق بين مرتب المستخدم الجديد والموظف الكبير يبلغ مائة ضعف في العشرينات، فانخفض إلى اقل من ثماني أضعاف في ١٩٨٠. لذا فالفارق يمكن مقارنته بالدول الاشتراكية. أنتج نظام اليابان الرأسمالي حتى الآن مجتمعاً يتمتع بالمساواة نسبياً. وباختصار إننا مهتمون بنتائج تعاوننا مع زعماء دنيا الأعمال. ولعل نقاد التنمية الاقتصادية يسندون مزايا مفرطة بالنظام سواء أكان رأسمالياً أم اشتراكياً.

تبادل الأفكار بين رجال الأعمال والعلماء يؤلف أساساً مساعداً مهماً في تنمية الثقافة الابداعية، كما أثبت ذلك الاغريق منذ أمدٍ طويل عندما تعلموا استخدام اداتين تجريديتين من أدوات ذلك الزمان هما النقود والكتابة من التجار والمسافرين القدامى القادمين من شرق المتوسط. أما وقد قلنا هذا فإننا نأسف أن نلاحظ التناقص في المساعدة التي يقدمها «المركز الياباني للتعاون لشؤون الشرق الأوسط» بعد أن واجهت اليابان فائض النفط وانخفاض أسعاره في العالم.

ومن العقبات المهمة التي تثبط قطاع الأعمال من تقديم مزيد من الأموال إلى جماعات البحث العلمي لدعم فعالياتها نظام الضرائب في اليابان الذي لا يعطي سماحات لمن يقدم مالاً لمنظمات علمية لا تسعى إلى الربح. وسيساعد الإصلاح الضريبي في هذا الباب على نمو دراسات غربي آسيا.

ثانياً، ثمة نقطة تتصل بهذا الصدد وهي الطبيعة المغلقة للمجتمع الياباني والتي لا تشجع على التنقل من وإلى الجماعة المشتغلة بالبحث العلمي. لقد كانت الجامعات الوطنية في اليابان تحرم استخدام أساتذة أجانب لديها حتى وقتٍ قريب، ولكن ليس هذا فقط بل **ليس هناك في أي معهد من معاهد دراسات غربي آسيا واحد من أبناء هذه المنطقة كباحث نظامي**، الأمر الذي صدم الكاتب المشارك لهذه الدراسة، وهو كورودا. إنه بالطبع معتاد على ما يجري في مراكز الدراسات الخاصة بمناطق العالم في الولايات المتحدة حيث يعمل العلماء من أبناء المنطقة المعنية جنباً إلى جنب مع زملائهم الأمريكيين. وتتضح هذه الظاهرة أيضاً في عدم الاقتباس من المواد المكتوبة بلغات غربي آسيا الأصلية في الكتب التي تنشرها معاهد البحوث المنظمة. **إن مطبوعاتها قد بلغت مرحلة لا يمكن معها أن تتحسن في نوعيتها من دون مساهمة علماء ذوي مهارات بلغات غرب آسيا ومن دون اشتراك علماء من المنطقة ذاتها كباحثين نظاميين في هيئة العاملين بالمعاهد المذكورة**. نجد في هذا الصدد أن المؤرخين يتقدمون على المشتغلين بشؤون الحاضر والمستقبل الخاصة بغربي آسيا وذلك فيما يتعلق ببحوثهم. إن مؤلفات المؤرخين تعتمد بالدرجة الأولى على مصدرين: المواد المكتوبة بلغة غربية والتقارير التي يكتبها الباحثون في غربي آسيا، إضافة إلى المواد المكتوبة باليابانية. إن جميع اليابانيين، اعتباراً من رئيس الوزراء ناكاسوني فما دون، يتكلمون عن الحاجة إلى تدويل اليابان. وإننا نتفق بأن هذا التدويل ينبغي أن يشمل دراسات غربي آسيا.

أضف إلى ذلك، وكما هو الحال في أقطار أخرى، أن رجال الأعمال ومراسلي الصحف والدبلوماسيين غالباً ما يحملون آراء استعلائية عن العلماء بحجة ضيق أفقهم، كما أن هؤلاء ينظرون نظرة ازدراء إلى أولئك بحجة ضحالتهم. وهذه المشكلة لا تقتصر على اليابان وحدها بالتأكيد، ولكن من المؤكد أنها تعيق دراسة غربي آسيا كمنطقة. وعلينا أن نتذكر أن أغلب علماء البحث المشتغلين بدراسات غربي آسيا في اليابان اليوم إنما يمثلون الجيل الأول من العلماء المختصين بهذه المنطقة، ولم يكن حقل اختصاصهم الأصلي منطقة غربي آسيا. لقد أخذوا يهتمون بالمنطقة لأسباب شتى. إن عدداً من الباحثين في شؤون المنطقة في اليابان اليوم كانوا في السابق من رجال الأعمال والصيارفة والدبلوماسيين والصحفيين.

ثالثاً، إن عدداً كبيراً من علماء البحث المتخصصين في غربي آسيا هم مؤرخون وعلماء آثار وغيرهم من المهتمين بغربي آسيا القديمة والقروسطية. وبعض هؤلاء هم أعضاء في جمعية

المستشرقين اليابانية. إنهم كما هو متوقع غالباً ما يكوّنون، وربما بحق، رأياً قاتماً عن بعض الدراسات المدفوعة بدوافع المصلحة الاقتصادية القصيرة المدى. حتى أن بعضهم ذهب بعيداً إلى حد القول بعدم الحاجة إلى تأليف الجمعية اليابانية لدراسات الشرق الأوسط في ١٩٨٥. ومع أن عدداً متزايداً من الكتب عن غربي آسيا المعاصرة أخذ ينشر باللغة اليابانية فهناك عدد قليل منها يتناول التحليل السياسي(١٢). لم يتصد لهذا الموضوع إلا أحد رجال علم السياسة الأمريكيين المختصين بسياسة اليابان الخارجية، فقام بنشر أول كتاب عن السياسة الخارجية اليابانية نحو غربي آسيا(١٣). والقيد في هذا المضمار يأتي من الحكومة اليابانية التي لا تسمح بنشر الوثائق الحكومية المطلوبة للتحليل السياسي. ولعل ما تحتاج إليه اليابان على المستوى القومي هو إصدار **قانون لحرية المعلومات** كالذي شرِّع في الولايات المتحدة والذي انتفع منه بشكل واسع مؤلفون مثل ستيفن غرين في إثباته لأحقية صنع السياسة الأمريكية في غربي آسيا(١٤).

رابعاً، إن اليابان هي على العكس من الولايات المتحدة إذ لا يوجد فيها جماعات ضغط سياسي تؤثر في صياغة سياستها نحو غربي آسيا كما تؤثر في ترويج الدراسات عن تلك المنطقة. إن الحالة في دولة كبرى هي الولايات المتحدة تصل إلى حد يكشف فيه دونالد مكهنري، السفير الأمريكي الأسبق في الأمم المتحدة، للنائب السابق بول فندلي، قائلاً: «لسوء الحظ وبسبب اللوبي [الاسرائيلي] لا تتمكن الولايات المتحدة من تتبّع مصالحها القومية في تلك المنطقة [غربي آسيا]».

ومهما يكن التقييد الذي تضعه الضغوط القائمة في حقل دراسات غربي آسيا في اليابان، فهو في حده الأدنى بالقياس إلى ما هو موجود **في الولايات المتحدة، حيث لا تستطيع الحكومة كما يقال تتبّع مصلحتها القومية**. ومن رأينا أن اليابان هي في وضع يمكنها من تطوير علم البحوث بمستوى عالمي وبحد أدنى من الضغط السياسي وحد أعلى من الحرية إذا كانت مستعدة، ومستعدة فقط، لتمويل دراسات عن غربي آسيا، وذلك لعدم وجود مثل ذلك الجدار الذي يصفه بكل قوة غسان كنفاني في روايته **رجال في الشمس**. وعلى اليابان أن تنتفع من غياب هذا الضغط السياسي المحلي. إن العدو الوحيد الذي على اليابان أن تكافحه هو الخمول.

إن جامعة طوكيو، ولديها برنامج عن غربي آسيا، ليس فيها سوى قلة من المتخصصين بشؤون هذه المنطقة ولا توفر إلا بضعة دروس اختصاصية عنها.

خاتمة

باختصار، قد يكون لدينا مبرر لتعميم القول إن اليابان بدأت متأخرة في دراستها لغربي آسيا ولا يزال أمامها الكثير لتطوير دراسات هذه المنطقة. بيد أنها تتمتع بميزتين، الأولى: ليس لديها تقليد في «الاستشراق» الذي عانى منه الغرب كثيراً. والثانية: لا يوجد فيها ضغط ضد ما يبتغيه خبراء المنطقة المذكورة في رغبتهم لطلب المعرفة.

(١٢) Nobuo Asai, «Strength and Weakness in Policy: Oriented Studies,» *Middle East Bulletin* (January 1984), pp.26-34.

(١٣) Michael M. Yoshitsu, *Caught in the Middle East: Japan's Diplomacy in Transition* (Lexington, Mass.: Lexington Books, ©1984).

(١٤) Stephen Green, *Taking Sides: America's Secret Relations with a Militant Israel* (New York: Morrow and Co., 1984).

كانت اليابان قد ابتغت المعرفة عن الإسلام وذلك لغرض إدخال نظام امبريالي جديد إلى آسيا. ولكنها بعد الحرب تخلت عن طموحاتها العسكرية والسياسية والاقليمية. بيد أن **المصلحة الاقتصادية لا تزال مهيمنة في التاثير على طبيعة ووجهة الدراسات الخاصة بغرب آسيا إلى** حدٍ ما، وهذه ظاهرة لا نعترض عليها إذا تحققت شروط معينة. **لا توجد ضوضاء تنطلق من مكيف الهواء فتخنق صيحة الاستغاثة من أجل العدالة في التيه والتي صوّرها توفيق صالح في إخراجه السينمائي لرواية رجال في الشمس لغسان كنفاني**[١٥]. وربما تكون اليابان في وضعٍ أفضل من وضع عدد من البلدان العربية التي لا تسمح بالحرية الأكاديمية والسياسية المطلوبة لتطوير دراسات غربي آسيا، وهي دراسات حط من قدرها الاستشراق الغربي.

ولا تقدم فصول دراسية عن غربي آسيا في عدد من الجامعات. والبرامج الدراسية المختصة بهذه المنطقة غير موجودة إلا في بضع جامعات في اليابان. إن اليابان، على العموم، متخلفة عن الغرب في دراسات غربي آسيا، ولكن لديها ما تمتاز به على الغرب في هذا الصدد.

لقد اتضحت الصيغ والاتجاهات السائدة في دراسات غربي آسيا في تاليف الجمعية اليابانية لدراسات الشرق الأوسط التي تأسست سنة ١٩٨٥. إن مشرب هذه الجمعية، وهو

---

(١٥) أخرج توفيق صالح هذه الرواية فيلماً، وغيَّر النهاية فيها قليلاً عما كانت عليه في النص الأصلي وذلك لكي يظهر أن الرجال في الشمس قد نطحوا الجدار فعلاً كالمجانين حتى يعرف العالم بشقائهم في الوقت الذي يعيش الآخرون في بحبوحة المكيفات. أنتج الفيلم في سوريا في عام ١٩٧٨، وعرض في اليابان في عام ١٩٨٥. إن صيحات الموت التي يطلقها الفلسطينيون لا يسمعها أحد في ضوضاء مكيفات الهواء التي خنقت أصواتهم ـ وهي نهاية قوية تستفز الفكر وتنظر إلى العالم بأسره نظرة ناقدة من جراء ما يبذل من جهود منظمة لقمع الشعب المضطهد. للاطلاع على تعليق ممتاز عن ذلك أنظر: رويجي هيروكاوا، «رجال يدقون على الجدار،» **العالم** (كانون الثاني/يناير ١٩٨٦)، ص ٢٨٨ ـ ٣٠٠.

يكتب هيروكاوا، في مقالته المنشورة في مجلة ذات نفوذ في أوساط المثقفين، بأسلوب بليغ عن رواية كنفاني وفيلم صالح بشفقة على المضطهدين. ويرأس هذا الكاتب «لجنة الدراسة الفلسطينية واليهودية» في اليابان. إن السائق الفلسطيني الذي يكتشف ثلاثة من أبناء جلدته وقد ماتوا في خزان الشاحنة الملتهب بحرارة الشمس يصرخ صائحاً، «لماذا لم تدقوا على الجدار؟ لماذا؟لماذا؟»فيتردد صدى الصرخة في أرجاء الصحراء لماذا؟ لماذا؟... وهكذا تنتهي الرواية.

حين أخرجت الرواية فيلماً وكان مخرجه مصرياً وهو توفيق صالح جرى تعديل بعض الأجزاء. لعل أهم تعديل هو الذي وقع في نهاية الرواية. تركز الكاميرا على خزان الماء تحت الشمس المحرقة. ويسمع المشاهدون ضجيج الرجال الثلاثة وهم يدقون جنونياً على الجدار. وتترك الكاميرا المشهد سريعاً لتركز على «دائرة الهجرة» حيث يعمل مكيف الهواء بأقصى طاقته ليجعل الحياة مريحة لمن في الدائرة. وواأسفاه، فضوضاء مكيف الهواء يخنق الصراخ المنطلق لطلب العون. إن العالم يجري على نحو يجعل من المستحيل سماع صوت الفلسطينيين. لعل الذي حفز المخرج صالح على هذه النهاية هو أحداث أوائل السبعينات حين بدأ الفلسطينيون من الفدائيين بخطف الطائرات. إن المضطهدين يحتجون ولكن نظام العالم قد أقام جداراً سميكاً في كل مكان لكي نعيش في بحبوحة الراحة. مع هذا فحتى شمس الصحراء في غربي آسيا لا تستطيع أن تزيل صوت الفلسطينيين. لقد اغتيل الكنفاني ولكن روحه باقية. ذكرت صحيفة **«الفجر»** مؤخراً أن «اثنين من الجنود الاسرائيليين قد قتلا وجرح تسعة آخرون في مصادمة بحرية بين زورق دورية اسرائيلي وفدائيين فلسطينيين»، **الفجر**، ١٩٨٦/٧/١٠، ص ١. وسميت العملية باسم «غسان كنفاني» وادعت مسؤوليتها الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وكذلك الحزب القومي السوري في دمشق. ولكن المأساة هي أن الجدران أخذت تصير اسمك فأسمك، وضوضاء مكيف الهواء أصبحت أعلى فأعلى كما تشهد بذلك الأحداث الأخيرة في المنطقة. إن كلمات السفير دونالد مكهنري تعكس وجود الجدار، وبدرجة من السمك بحيث أن دولة كبرى هي الولايات المتحدة «لا تتمكن من تتبّع مصالحها القومية في تلك المنطقة».

دولي في نطاقه، يتجه بالتأكيد وجهة «الخبير الغرب ـ آسيوي الحديث». ولا تقتصر خلفية الكثير من أعضاء الجمعية على علم البحوث فقط بل يتمتع عدد من الأعضاء بخبرات في دنيا المال والأعمال والصحافة والدين والدبلوماسية في غرب آسيا. وبين أعضائها مؤرخون وغيرهم من المختصين في فروع أخرى.

وبالنظر لتركيز اهتمام اليابان الاقتصادي على غربي آسيا لا تتلقى اسرائيل إلا قليلاً من الاهتمام العلمي. هناك الآن إثنا عشر إسرائيلياً متخصصين باليابان يدرّسون على المستوى الجامعي في اسرائيل[١٦]. وبالمقارنة يبدو أن اهتمام اسرائيل باليابان يفوق اهتمام اليابان بها.

لقد بيّنا مجالات التحسين التي يمكن إتاحتها لجعل دراسات غربي آسيا في اليابان دراسة تخص المنطقة موقعياً وبمستوى عالمي، وأخيراً وليس آخراً ثمة حاجة لجعل هذه الدراسات ليس ذات توجه معاصر كما يريدها قطاع رجال الأعمال أن تكون، بل ذات توجه مستقبلي مما سيساعد على زيادة عدد الطلاب المهتمين بغربي آسيا. إننا بحاجة إلى تعليم الجيل القادم من علماء البحث المختصين بهذه المنطقة ليس ما هو عليه حال الماضي والحاضر فقط، بل ما ينبغي أن يكون عليه حال المستقبل، ذلك لأننا إذا لم نشترك في صياغة مستقبل العالم فإن غيرنا سيحدد لنا شكله. إننا بحاجة إلى تعليم طلابنا ما هو نافع لهم ووثيق الصلة بشؤونهم حين يبدأون بممارسة أعمالهم المهنية. وينبغي أن نلاحظ، لكي لا يساء فهمنا، أن ما يسمى بالبحوث الأساسية هي بحاجة إلى التأكيد دون شك، ولكنها غير كافية وحدها للجيل القادم.

الملحق

اسم المنظمة: تويوبنكو (المكتبة المشرقية)
تاريخ تأسيسها: ١٩٢٤
العنوان: .28-21 Hom-Kamagome 2-Chome, Bunkyo-ku, Tokyo 113
الموظفون: المدير العام: كازيو اينوكي
برعاية: وزارة التعليم.
الصنف: مكتبة، بحوث.
الميزانية: مائة وخمسون مليون ين.
الأغراض: جمع مصادر مكتبية، وإجراء بحوث، ونشر مواد ذات علاقة بالمشرق.

النشاط: ادارة مكتبية وطبع حوالى عشرة كتب/تقارير سنوياً. صنفت مؤخراً مجموعتها من المطبوعات العربية، ونشر المجلد الذي يقع بـ (٦٧٨) صفحة في ١٩٨٦. ويمثل هذا جهداً لجمع المواد العربية/الإسلامية الصادرة خلال الـ (٢٧) سنة الماضية. استغرق انجاز المجلد المنقح الحالي ثلاث سنين باشراف الاستاذ ساتو، ويشدد على شؤون آسيا الوسطى والصين والإسلام.

عدد الباحثين: ٣ (متفرغون)
باحثون مشاركون: ٦٠ (غير متفرغين).

ملاحظات: بين هؤلاء البالغ عددهم ٦٣ هناك عشرة منهم متخصصون بغربي آسيا. يلاحظ

(١٦) اشكر الأستاذ بن ـ أمي شيلوني من الجامعة العبرية في القدس لتزويدي بهذه المعلومات.

أن الباحثين المشاركين في هذه المكتبة هم من ذوي المناصب المتفرغة في الجامعات وغيرها من المعاهد.

اسم المنظمة: المعهد الياباني للشرق الأوسط.
تاريخ تأسيسها: ١٩٥٦.
العنوان: Mori Bldg. No.15, 8-10-2, Toranomon, Minato-Ku, Tokyo 105, Tel. (3)-591-0955/591-0958.

الموظفون: رئيس المجلس: ميزوكامي، المدير: يوشيرو ناكاياما، عضو المجلس: نوبوؤ آسائي.

برعاية: مجموعة من الباحثين ووزارة الخارجية اليابانية.
الصنف: بحوث، تعليم، وصداقة.
الميزانية: حوالى سبعين مليون ين.

الأغراض: خدمة نشاط البحث العلمي ونشر نتائجه لغرض تحسين العلاقات مع أقطار غربي آسيا بضمنها شمالي أفريقيا.

النشاط: إجراء البحوث، جمع البيانات، حفظ المصادر، رعاية المحاضرات والندوات والمؤتمرات، ونشر مجلات وكتب.

المطبوعات: مجلة دراسات الشرق الأوسط (كل شهرين)، النشرة السياسية الاقتصادية عن الشرق الأوسط (كل أسبوعين)، السجل السنوي للشرق الأوسط وشمالي افريقيا، تقرير الشرق الأوسط (كل أسبوعين عن الأقطار الرئيسية في المنطقة: السعودية، مصر، الجزائر، الكويت، ايران، العراق، الامارات العربية المتحدة، وعمان).

عدد الباحثين: ٥ (متفرغون).
باحثون مشاركون: ٨ (غير متفرغين)

ملاحظات: بدأ المعهد في أعقاب أزمة السويس سنة ١٩٥٦، كمجموعة دراسية من اختصاصيين جامعيين عن الشرق الأوسط وشمالي افريقيا. كتب أعضاؤها تقارير إلى وزارة الخارجية وغيرها. إن الطلب على مثل هذه الدراسات أدى إلى تأسيس المعهد الياباني للشرق الأوسط الذي أنشأته وزارة الخارجية في الثالث من تشرين الأول/اكتوبر ١٩٦٠. ورغم أن بعض مشاريع البحوث تتم عن طريق التعاقدوالنشر، ولكن معظم الندوات والمناقشات والمحاضرات تدار إما من موظفي الخدمة الخارجية الحاليين أو المتقاعدين وإما من سفراء وزوار من غربي آسيا، بضمنهم علماء وصحفيين.

اسم المنظمة: معهد الاقتصاديات النامية، (يغطي المعهد منطقة غربي آسيا).
تاريخ تأسيسها: ١٩٥٨.

العنوان: 42 Honmura-Cho, Ichigaya, Shinjuku-Ku, Tokyo 162.
الموظفون: رئيس المجلس: ميو هيئي شينوهارا
المدير: هيساتوشي موريساكي.

برعاية: تأسس ابتداء في ١٩٥٨. ثم ألحق في ١٩٦٠ بوزارة التجارة والصناعة الدولية.
الصنف: بحوث اقتصادية.

الميزانية: ٣,٠٨٢,٥١٨,٠٠٠ ين (١٩٨٤ ـ ١٩٨٥)، (٢,٧٥٦,٤٨٠,٠٠٠ ين منها مساهمة من الحكومة: ٨٩ بالمائة).

الأغراض: جمع البيانات الأساسية والشاملة عن اقتصاديات آسيا وزيادة التفاهم عن المنطقة لغرض توسيع الاقتصاد الياباني الذي يعتمد كثيراً على التجارة الخارجية، والتعاون لمساعدة تنمية الاقتصاديات الآسيوية.

النشاط: إجراء البحوث، جمع البيانات، رعاية المحاضرات والندوات، إدارة مكتبة، وطبع دوريات وكتب. تشمل المطبوعات ما يلي: (الاقتصاد الآسيوي، مجلة شهرية بحوالى ١٠٦ صحائف)، (التقرير الشهري ببيانات عن الاقتصاد الآسيوي، يصدر شهرياً بحوالى ٨٠ صحيفة)، (اتجاهات آسيوية ـ مجلة ربع سنوية، بحوالى ٩٠ صحيفة)، (السجل السنوي للاتجاهات الآسيوية والشرق أوسطية، مطبوع سنوي بحوالى ٧٥٠ صحيفة) و (نشرة المعهد، وهي شهرية عن فعاليات المعهد، تصدر بحوالى ٣٢ صحيفة. يفيد مصنف المنشورات لسنة ١٩٨٤ أن المعهد نشر ٢٤٣ جزءاً من البحوث و٣٢٤ كتاباً عن غربي آسيا و١١٦ دراسة عن التعاون الاقتصادي و١٣ دراسة عن مشاريع محلية و٨ دراسات عن الاستثمار في الخارج، و٦٥ كتاباً اقتصادياً عن آسيا، و٤٥ تقريراً احصائياً وخمس مواد عن تجارة جنوب شرق آسيا، و٢٨ ترجمة وسبعة تقارير عن بحوث و٣٠ مادة مصادر وخمس سلاسل ببليوغرافيا، (٨٨٩ كتاباً: ١٩٦٠ ـ ١٩٨٤). وتتضمن كتب المعهد بالانكليزية ما يلي: تسعة تقارير عن بحوث وثمانية محاضر ندوات و١٩ ورقة متفرقة و١٢ تقريراً خاصاً و٤٥ سلسلة من البيانات الاحصائية (٩٣ كتاباً: ١٩٦٠ ـ ١٩٨٤). ومن بين ٩٨٢ كتاباً نشرت من ١٩٦٠ إلى ١٩٨٤ هناك ١٦ كتاباً عن غرب آسيا على العموم وكتاب واحد عن أفغانستان وآخر عن السعودية وستة كتب عن إيران وكتابان عن العراق وواحد عن سورية وكتابان عن تركيا وواحد عن لبنان وأربعة كتب عن مصر. المجموع ٣٤ كتاباً من أصل ٩٨٢ أي ٣,٥ بالمائة ركزت على غربي آسيا. ويشير تقرير المعهد السنوي، الذي نشر في ٢٠ حزيران/يونيو ١٩٨٥ عن فعالياته في سنة ١٩٨٤ ـ ١٩٨٥، إلى تزايد الاهتمام بغربي آسيا في السنين الأخيرة (منذ ١٩٨٠). مثلاً، بدأ قسم تحليل الاتجاهات في المعهد يضم غربي آسيا كمنطقة لتحليل اتجاهات المخاطر فيها. وضمت مطبوعات المعهد مزيداً من المقالات. ومن بين ٢٧ عالماً من علماء البحث الذين أرسلوا إلى الخارج في مهمات دراسية شتى لغاية ٣١ آذار/مارس ١٩٨٥، (وكل واحد منهم يرسل إلى الخارج لمدة سنتين)، هناك خمسة من المختصين بغربي آسيا أرسلوا إلى القاهرة ولندن وتركيا والقدس وصنعاء. وبلغ عدد الباحثين من الخارج ٢١ باحثاً خلال السنة المالية ١٩٨٣ ـ ١٩٨٤ بضمنهم باحث واحد مختص بمنطقة الخليج.

عدد الباحثين: حوالى العشرة من المختصين بغربي آسيا.
الباحثون المشاركون: لا يوجد.

الملاحظات: مع أن علاقات اليابان بآسيا كانت وثيقة تاريخياً وجغرافياً، فثمة حاجة لفهم الاقتصاد الآسيوي بشكل أفضل وذلك لتوفير أساس للتعاون الاقتصادي مع الأقطار الآسيوية، وهو الأمر الذي أدى إلى تشكيل المعهد. ولكي تتمكن اليابان من اتخاذ قرارات مفيدة متبادلة فقد

أضحت الحاجة لبيانات تطبيقية مستقلة وموثوقة حاجة مهمة جداً. كانت الشركات العاملة في آسيا تقوم باجراء الدراسات لحسابها. بيد أن جهودها غالباً ما كانت متكررة وغير وافية. لقد جرى تأسيس المعهد ككيان غير حكومي وذلك لتلبية حاجة قومية لفهم اقتصاديات آسيا فهماً أفضل عن طريق التعاون بين الوكالات الحكومية والقطاعات المالية/الاقتصادية وعلماء البحث. لا يزال المعهد يعتمد على الوكالات الحكومية لتمويل ٨٩ بالمائة من ميزانيته الأمر الذي يوحي بالدور المهيمن الذي تلعبه الحكومة (وزارة التجارة والصناعة الدولية بالدرجة الأولى) في عمليات المعهد. ولعل في هذا الدور ضعف المعهد وقوته معاً وهو يجعل إدارته تواجه تحدياً حقيقياً. ركزت النشرة الشهرية للمعهد الصادرة في آذار/مارس ١٩٨٦ (عدد ٦٦) على غربي آسيا. ويوحي هذا العدد الخاص بأن قسم غرب آسيا يتجه نحو إجراء بحوث أكثر شمولاً وتكاملاً عن شؤون المنطقة وذلك نتيجة لنجاح القسم في الحصول على أموال إضافية لهذا الغرض في ١٩٨٦. يذكر تاكيشي هاياشي في هذا العدد أن حاجة قد ظهرت تدعو المعهد إلى التخصص وذلك ضمن دراسات غربي آسيا. ويواصل هاياشي في الوقت الحاضر بحوثه مع مجموعة من الباحثين وأحد محاور دراساتهم هو مشكلة الاثنية التي تتصل اتصالاً وثيقاً بعملية بناء الأمم. مثل هذه الدراسة تقتضي أن يقوم بالعمل فريق من علماء البحث وأصحاب الأعمال ذوي الخبرة المعيشية في المنطقة، بتعاون من المدربين جيداً على أعمال المكتبات والأعمال الكتابية الكفوءة وتحت إشراف فعال. ليس للمعهد علاقة مباشرة بالمعهد الياباني لاقتصاديات الشرق الأوسط ولو أن وزارة التجارة والصناعة الدولية تلعب دوراً في عمليات كلا المعهدين. ويعتبر معهد الاقتصاديات النامية أكاديمياً ونظامياً في مدخله لدراسة المنطقة أكثر مما هو عليه المعهد الياباني لاقتصاديات الشرق الأوسط.

اسم المنظمة: معهد دراسة اللغات والثقافات لآسيا وأفريقيا، جامعة طوكيو للدراسات الأجنبية.

تاريخ تأسيسها: ١ نيسان/ابريل ١٩٦٤.

العنوان: 4-51-21 Nishigahara, Kita-Ku, Tokyo 114.

الموظفون: ؟

برعاية: جامعة طوكيو للدراسات الأجنبية (جامعة وطنية).

الصنف: إجراء البحوث والتدريب.

الميزانية: ٦٠٣,١٠٦,٠٠٠ ين (١٩٨٤).

الأغراض: (١) إجراء البحوث عن آسيا وافريقيا، وبخاصةً فيما يتعلق بلغاتها وثقافاتها. (٢) تصنيف ونشر القواميس وغيرها من المطبوعات التي تهدف إلى تسهيل اكتساب اليابانيين للغات الآسيوية والأفريقية. (٣) تدريب مختصين باللغات.

النشاط: (١) البحوث، بما فيها المشروع الخاص عن استعمال الحاسبات في اكتساب لغة أجنبية وفي الترجمة، (٢) تدريس اللغات، (٣) العمل الموقعي في الخارج، (٤) إدارة مكتبة، (٥) إصدار مطبوعات. ينشر المعهد: مجلة الدراسات الآسيوية والافريقية وغيرها من الدوريات، ونشرة المعهد. تتضمن المطبوعات الأخرى كتباً منهجية عن اللغات وقواميس ورسائل بحث علمية وكتباً.

عدد الباحثين: ٣٩ (١٩٨٦).

الباحثون المشاركون: اثنان من الباحثين الأجانب من الصين والولايات المتحدة.

الملاحظات: يلاحظ المراقب الخارجي أن المعهد هو أكثر معاهد البحث استقلالاً في البلاد، وهو يسعى إلى الارتقاء بدراسة اللغات والثقافات الآسيوية والافريقية. والشيء الفريد أن المعهد هو الوحيد الذي يطلق على المنطقة اسم غربي آسيا. ثم ان تشديده على البعد اللغوي في فهم غربي آسيا لهو أمر محمود وبعيد النظر. ولا شك أن المعهد هو من أكثر المعاهد في صفته الأكاديمية وفي اتجاهه المستقبلي، وهو مكرس لدراسة شؤون غربي آسيا شأنه في ذلك شأن المكتبة المشرقية.

اسم المنظمة: مركز اليابان التعاوني للشرق الأوسط.
تاريخ تأسيسها: ٢٠ تشرين الأول/اكتوبر ١٩٧٣.
العنوان: No. 33 Mori Bldg; 8th Floor, 8-21 Toranomon 3-Chome, Minato-Ku, Tokyo 105, Tel.(3)438-1811.

الموظفون: رئيس المجلس: كيزو تاماكي، المدير: كوكيجي تاكاهاشي.

برعاية: أغلب المؤسسين هم من قطاع الأعمال، بضمنهم قادة المال والأعمال والصيرفة المهتمين بغربي آسيا. تأسس المركز بتوجيه واشراف وزارة التجارة والصناعة الدولية.

الصنف: ترويج فعاليات الأعمال.
الميزانية: ٣١٧,٠٠٠,٠٠٠ ين (١٩٨٥ ـ ١٩٨٦).

الأغراض: «التعاون مع أقطار غربي آسيا لتنمية الاقتصاد والتجارة، وبذلك دفع التعاون وأقطار المنطقة المذكورة إلى الأمام».

النشاط: يهدف إلى التعاون مع غربي آسيا في جهودها لتطوير اقتصادها، وتوفير المعلومات التي تحتاجها التنمية الاقتصادية في المنطقة، ومساعدة المهتمين بالقيام بأعمال فيها. يعقد المركز مؤتمرات، ويجري بحوثاً، ويعقد سلسلة من المحاضرات، ويرسل بعوثاً تجارية إلى الخارج. وهو ينشر نشرة شهرية بعنوان «نشرة مركز اليابان التعاوني للشرق الأوسط».

عدد الباحثين: ٨ (وكلهم أرسلوا إلى المركز من مؤسسات اقتصادية وعلى حسابها الخاص).

الباحثون المشاركون: ـ

الملاحظات: أسس المركز بالدرجة الأولى لغرض مساعدة ذوي الأعمال المهتمين بغربي آسيا. ويبدو أنه يهتم بالنشاط المتعلق مباشرةً بمؤسسات الأعمال من مؤسسيه ومشجعيه. وتعتبر البحوث العلمية في المركز في حدها الأدنى.

اسم المنظمة: معهد البحوث الاقتصادية للشرق الأوسط/غيّر اسمه في ١٩٨٥ إلى المعهد الياباني لاقتصاديات الشرق الأوسط.
تاريخ تأسيسها: ١٠ أيلول/سبتمبر ١٩٧٤.

العنوان: .25 Ichibam-cho, chiyoda-ku, Tokyo 102. Tel.(3)264-3141 (2,3,4).

الموظفون: رئيس المجلس: كيوشي تسوجيا، المدير: يوكيو مياكي.

برعاية: وكالة التخطيط الاقتصادي التابعة لوزارة التجارة والصناعة الدولية. إن هذا المعهد منفصل تماماً عن معهد الاقتصاديات النامية.

الصنف: إجراء البحوث.

الميزانية: ٢٤٠,٠٠٠,٠٠٠ ين (١٩٨٥).

الأغراض: الغرض الرئيسي هو مساعدة مؤسسات الأعمال في المنطقة عن طريق «البحوث الأساسية والشاملة».

النشاط: يقوم المعهد بين حين وحين بتحليل الأنباء والاتجاهات والعوامل الموقعية وذلك لاعطاء تقارير للشركات الأعضاء فيه والمعنية بتقويم الأخطار في فعاليتها. وأحدث دراسة شاملة وضعها المعهد هي بعنوان «هياكل سلطات الحكم وعملية صنع السياسة في الشرق الأوسط»، والذي استغرق انجازها مدة سنة ونصف. ومن منشوراته الدولية:

(١) أخبار الشرق الأوسط الاقتصادية، وهي مجلة شهرية تتضمن أنباء الشرق الأوسط الاقتصادية والسياسية، (٢) المجلة الفصلية لمعهد البحوث الاقتصادية للشرق الأوسط، وتنشر عما يحدث في الشرق الأوسط بتحليل عميق وتحوي باباً لمراجعة الكتب وتسجيلاً للأحداث... الخ، (٣) التقرير القطري، وهو نشرة تصدر بين آن وآخر عن قطر معين فتركز على وضع الاستقرار السياسي فيه والمخاطر الاقتصادية، (٤) نشرات خاصة عن الأحداث المهمة في المنطقة، (٥) سلسلة بحوث الشرق الأوسط، وهي سلسلة بتقارير عن مواضيع ذات اهتمام خاص وبتحليل عميق، و(٦) سلسلة رسائل البحوث العلمية، وتصدر من آن لآخر عن شتى المواضيع مثل المشكلة الفلسطينية.

عدد الباحثين: ٢٨ (١٨ منهم من مؤسسات الأعمال، و١٠ من الباحثين المحترفين). إن مركز أحد أعضاء المعهد هو القاهرة. وكان فرع الكويت يضم ثلاثة من أعضائه لمدة من الوقت، وهذا الفرع مغلق الآن.

الباحثون المشاركون: -

الملاحظات: كان المعهد في البداية تحت رعاية وكالة التخطيط الاقتصادي، ثم ضم إلى وزارة التجارة والصناعة الدولية في ٧ تموز/يوليو ١٩٧٦، فأخذت هاتان الدائرتان الحكوميتان منذئذٍ بتطويره. كان عدد موظفيه ابتداءً أحد عشر شخصاً منهم ثلاثة من الحكومة والقطاع الخاص. وبحلول ١٩٨٤ بلغ العدد ٣٨ شخصاً، ١٩ منهم من الجهتين المذكورتين (وهم ٣ من وكالة التخطيط الاقتصادي، ٢ من طوكيو الكتريك، وواحد من كل من بنك اليابان وبنك الاعمار الياباني وفوجي بنك وسوميتومو بنك وشركة النفط العربية وشركة سي. ايتو للتجارة وشركة نفط ماروزن). في ١٩٨٠ فتح المعهد فرعاً له في الكويت اداره عادة ثلاثة أشخاص. كان عدد الشركات التي دعمت المعهد في البداية ٣٠، وارتفع هذا العدد بحلول ١٩٨٤ إلى ٧٠. ويغطي المعهد ثلاث مناطق لغوية: عربية وفارسية وتركية. لذا ففي الاطار الجغرافي يهتم المعهد بمنطقة تمتد من أفغانستان شرقاً إلى مراكش غرباً وتركيا شمالاً والسودان جنوباً. فضلاً عن ذلك يشمل إطار المعهد مناطق ليست غرب آسيوية، مثل الأقطار المنتجة للنفط كالمكسيك ونيجيريا، كما تقتضي الأولوية. وينقسم جميع أعضاء المعهد بصورة عامة إلى ثلاث مجموعات: مجموعة السياسة، والطاقة (النفط)، والاقتصاد، وينتظر

من كل عضو من الأعضاء أن يلم بشؤون قطر واحد أو قطرين. وأضاف المعهد إليه اعتباراً من نيسان/ابريل ١٩٨٤، جماعة للادارة الاعلاميةً مسؤولة عن جمع البيانات والإدارة. (المعلومات أعلاه مستقاة من هامش ورد في كتاب بقلم شيغيكي كوياما نشر مؤخراً بعنوان «اتجاهات الشرق الأوسط ومستقبل النفط»، ١٩٨٤، ص ٤١٩ ـ ٤٢٠). ومنذ ١٩٨٥ وسع المعهد منطقة اهتمامه لتشمل أقطاراً من جنوبي شرق آسيا أيضاً مثل اندونيسيا ومليزيا وبروني. والظاهر أن هذا يعود، إلى حدٍ ما على الأقل، إلى استمرار التخمة النفطية. كذلك توسعت قائمة العضوية في المعهد لتضم ١٠٥ من المؤسسات.

اسم المنظمة: معهد دراسات الشرق الأوسط.
تاريخ تأسيسها: ١ أيار/مايو ١٩٨٥.

العنوان: .Yamato-machi, Minami-Uonuma-gun, Niigata 972

الموظفون: عضو مجلس الإدارة توشيو كورودا.
برعاية: جامعة اليابان الدولية.
الصنف: بحوث أساسية وترجمة.
الميزانية: ليس للمعهد ميزانية منفصلة.
الأغراض: تسهيل إجراء البحوث الأساسية عن طريق استخدام المصادر الرئيسية.
النشاط: يسعى المعهد لتحقيق أغراضه إلى شراء كتب المصادر الرئيسية ويشجع الترجمة. وينشر كذلك مجلة ونشرة اخبارية.

عدد الباحثين: ٦ من المتفرغين + ١٠ من غير المتفرغين.
الباحثون المشاركون: ٤.

الملاحظات تأسس المعهد ضمن الجامعة المذكورة، حيث يشترك تلاميذ الدراسات العليا، المرسلين من شركات لغرض القيام بدراساتهم في المنطقة، يشتركون في فعاليات المعهد. وقد أنشىء المعهد للتغلب على مشكلة إدارة البحوث الأصيلة عن المنطقة وذلك نظراً إلى أن اليابان متخلفة جداً عن الغرب في دراستها □

ابراهيم ابراش

البعد القومي للقضية الفلسطينية: فلسطين بين القومية العربية والوطنية الفلسطينية

(بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٧)، ٢٧٣ ص.
(سلسلة اطروحات الدكتوراه، ١٠)

فكتور سحاب

كاتب واذاعي،
ماجستير في التاريخ.

أصدر مركز دراسات الوحدة العربية ضمن «سلسلة أطروحات الدكتوراه»، كتاباً للدكتور إبراهيم أبراش عنوانه: **البعد القومي للقضية الفلسطينية ـ فلسطين بين القومية العربية والوطنية الفلسطينية.**

والكتاب في ثلاثة أقسام هي:

القسم الأول: الوطنية والقومية في النضال الفلسطيني حتى عام ١٩٤٨، ويتفرع ثلاثة فصول:

١ ـ الحركة القومية العربية الناشئة والمسألة الفلسطينية، وهو يتناول بداية ظهور المخاطر الصهيونية وبداية مواجهتها في فلسطين والجوار العربي.

٢ ـ من القومية العربية الشاملة الى الاقليمية القومية، وهو يتناول تنازع الحركة الفلسطينية بين النزعتين القومية العربية والوطنية في مرحلة اشتداد الهجرة اليهودية وخيبة الأمل حيال ما تمخضت عنه الحرب العالمية الأولى.

٣ ـ جامعة الدول العربية والقضية الفلسطينية، وهو يقتصر على ما قبل ١٩٤٨.

القسم الثاني: الحركة القومية العربية والقضية الفلسطينية، ويتفرع ثلاثة فصول ايضاً:

٤ ـ تصور الحركة القومية العربية لطبيعة الصراع وأطرافه. وهو يقصد بالحركة القومية العربية الحركة الناصرية وحزب البعث وحركة القوميين العرب.

٥ ـ تصور الحركة القومية العربية لمنهجية حل الصراع.

٦ ـ الحركة القومية العربية واستقلالية العمل الفلسطيني.

القسم الثالث: الوطنية والقومية في الفكر السياسي لحركة المقاومة الفلسطينية، وهو في فصلين:

٧ ـ طبيعة الصراع وأطرافه.

٨ ـ منهج حل الصراع (الكفاح المسلح وحرب التحرير الشعبية).

ولا بد من الاعتراف أولًا بأن العنوان أوحى ان الكتاب يتناول تفاعلات القضية الفلسطينية في عمق الأطراف العربية، أو التفاعل بين العوامل القومية العربية والعوامل

الوطنية الفلسطينية في القضية وفي تطورها السياسي والعسكري. إلاّ أن الدراسة تناولت في الواقع تاريخ تطور الفكر العربي في معالجته للقضية الفلسطينية، مرة من الزاوية القومية، ومرة من الزاوية الفلسطينية الخاصة.

بدأ أبراش، وهو من مواليد غزّة سنة ١٩٥٢، ويعمل أستاذاً محاضراً في العلوم السياسية في جامعة محمد الخامس في الرباط، بطرح سؤال تقليدي حول خطورة الموضوع الذي خصّ أطروحته به، على النحو التالي: «بينما كانت الثورة الفلسطينية تتمسك باستقلالية القرار الفلسطيني القائمة على خصوصية المسألة الفلسطينية، كانت قوى «قومية» أخرى ترفض من «منطلق قومي وحدوي» التفسير الفلسطيني لاستقلالية القرار، باعتباره نوعاً من الاقليمية المناقضة لجوهر القضية الفلسطينية كقضية قومية. ومن هنا تتبدّى على ما أرى أهمية هذا الموضوع. ومن هنا ايضاً يفرض السؤال التالي نفسه، هل الوطنية الفلسطينية المجسدة باستقلالية القرار الفلسطيني واستقلالية العمل الفلسطيني تتناقض مع التوجهات القومية الوحدوية العربية؟» (ص ٨).

ولم يتأخر جواب أبراش عن هذا السؤال: «بعد سقوط الحكومة الفيصلية.. بدأت الحركة الوطنية الفلسطينية تعبّر عن نفسها بصورة خجلة ومترددة في البداية، ثم بدأت تتوطد دعائمها كلما تراجعت الحركة القومية العربية، أي أن العلاقة بين الوطنية «القطرية» الفلسطينية وبين القومية العربية هي علاقة عكسيّة، فتصاعد هذه الأخيرة وازدهارها كان يصاحبه تراجع في القطرية الفلسطينية والعكس صحيح» (ص ٨ و٩).

وفي رأي أبراش إذاً أن الحكومة الفيصلية هي القومية العربية، وأن القطرية الفلسطينية هي الحركة الوطنية الفلسطينية، وأن الحركتين متناقضتان.

فإذا ضُرب صفح عن عدم جواز الإجابة في مقدمة الأطروحة عن التساؤل الأساسي الذي تطرحه، فإن غموض التعريفات وما ينتج عن هذا الغموض، يطالعك في المقدمة، حتى قبل بداية الأطروحة نفسها.

وعلى رغم أن أبراش تنبّه نظريّاً الى احتمال الوقوع في خطأ التسميات الخاطئة أو التعريفات غير المدقّقة، إلاّ أنه لم يحجم عن أخذ الحركة القومية العربية بجريرة من ادّعوا النطق باسمها، فقال (ص ١١): «كانت عملية الفصل بين الطروحات الجادّة التي تعبّر عن حقيقة الفكر السياسي القومي العربي أو الفلسطيني، وبين الطروحات الموجّهة للاستهلاك الشعبي وللتعبئة الجماهيرية دون أن تعبّر فعلاً عن حقيقة السياسة الرسمية للجهة المعنية بالأمر، كانت عملية الفصل هذه جد صعبة وشاقّة، حيث كنت مضطراً في كثير من الحالات إلى عدم التسرّع في إصدار أحكام أو استخلاص تأويلات...».

لكنه مع ذلك لم يظهر هذا الوقار الأكاديمي حين نسب عدداً من الحكّام الى الفكر القومي أو التيار القومي، فلم يدقق بين «الطروحات الموجهة للاستهلاك الشعبي» وبين «حقيقة السياسة الرسمية للجهة المعنيّة بالأمر».

من هؤلاء الحكام من تحالف مع بريطانيا، فنسبهم أبراش الى الحركة القومية العربية، بل جعلهم قادتها، إذ قال (ص ٢٦): «هذه الرؤية القومية بعيدة المدى التي عبّر عنها الفلسطينيون من خلال إظهار خصوصية قضيتهم كانت ـ كما يبدو ـ غائبة عن أذهان قادة الحركة القومية العربية الذين تحالفوا مع بريطانيا وراهنوا عليها لتساندهم في

مواقفهم لإقامة حكم عربي في البلاد العربية الخاضعة للحكم العثماني». ولم يكتف «قادة القومية العربية» بالتحالف مع بريطانيا، بل تفاوضوا مع الحركة الصهيونية، إذ إن فيصل الأول تفاوض «باسم الحركة القومية العربية مع حاييم وايزمان» (ص ٢٨).

فإذا كان أبراش كما قال (ص ١٠)، قد جعل «مقياس الحكم على مصداقية أي فكر هو مدى فعله»، فبموجب أي فعل إذاً حكم أن حلفاء بريطانيا من الساسة العرب الذين تفاوضوا مع الحركة الصهيونية، هم قادة الحركة القومية العربية؟ وكيف ينسب الحكومات العربية سنة ١٩٣٦ الى القومية العربية بمعناها التاريخي والفكري (ص ١٠٨)، وهو لا ريب يعلم أن جميع الحكومات التي أنشئت بعد الحرب العالمية الأولى في الديار العربية، إنما أنشئت باتفاقات مع الدول الاستعمارية، وفق مواثيق اقتسام الدول الأوروبية الميراث العثماني؟

وفي أحسن الأحوال، أهْمل أبراش الاعتناء بصياغة كتابته، على النحو الذي جعله يبدو متحمساً ضد العرب والعروبة، بدلاً من أن يوجه التهمة الى ساسة عرب أو تيار عربي بعينه ويعفي العروبة كلها من تهمه. فهو إذ يرتقب بشغف ظهور «الوطنية الفلسطينية»، يؤكد ان الاعتماد الفلسطيني الأول على النجدة العربية لم يُجْد نفعاً، فيقول: «بيد أن مناشدة العرب [لا يقول أي عرب] لم تجد آذاناً صاغية لانشغال القائمين بأمور الحركة [القومية العربية] آنذاك بهمومهم مع السلطات التركية» (ص ٢٣). ولتأكيد هذا الموقف الاجمالي من «العرب»، يقول: «في تلك الفترة الحرجة ارتفعت أصوات عربية تدعو إلى التفاوض مع الحركة الصهيونية» (ص ٢٤).

وقد أعرب عن ايمانه الضمني بتناقض «الوطنية الفلسطينية» مع «القومية العربية»، إضافة الى عدم وضوح تعريفه لكلتيهما، فقال: «لذلك لم يجد الفلسطينيون ان الفكر القومي في مراحله الأولى [سماها المراحل التبشيرية] يمكن ان يشكل تهديداً لمصالحهم الخاصة... إلا أنه ـ لسوء حظ شعب فلسطين ـ ترافق ظهور الحركة القومية العربية بتصاعد واتساع الأطماع الصهيونية، بحيث أصبحت [الحركة القومية العربية] تشكل عبئاً متزايداً عليهم، إضافة الى المعاناة اليومية من وطأة السيطرة التركية» (ص ٢٧ و٢٨).

ويكاد يقينه بتضاد القومية العربية مع الوطنية الفلسطينية، يصل الى يقينه بتواطؤ الحركة القومية العربية (دون تعريفها بوضوح) مع الحركة الصهيونية، فيقول: «إلا أن ولوج الفلسطينيين الحركة القومية العربية لم يجعلهم يغفلون أخطار الصهيونية المحدقة ببلادهم... وكان إحساسهم بالخطر الصهيوني لا يمثل تهديداً لعروبتهم فحسب، بل شعروا به كنقيض للقومية العربية وكمعرقل لسير الحركة القومية العربية» (ص ٢١).

واذا شئنا الافصاح، لترجمنا هذا التلميح الى صيغة أصرح لعلها تكون مثلاً: إن الفلسطينيين لم يغفلوا المخاطر الصهيونية، رغم أنهم انخرطوا في الحركة القومية العربية. وكأن العروبة والحركة القومية العربية تفترضان حكماً الانصراف عن مواجهة المخاطر الصهيونية. ولذا يقول إن الصحف الفلسطينية كانت تحض «الحركة القومية العربية على إيلاء القضية الفلسطينية قدراً أكبر من الاهتمام» (ص ٢٣).

إن الخطأ الأكاديمي والعلمي الأفدح الذي وقع فيه أبراش هو فوضى التعريف في أطروحته. فهو إذ يتحدث عن الملك فيصل

الأول في معظم ما سبق أن عرضنا من تحليلاته، يصفه بأنه «الحركة القومية العربية»، أو «قيادة الحركة القومية العربية». ولو التزم التسميات المبسطة المباشرة لأمكن له، في اعتقادنا، اجتناب كثير من الزلل العلمي. فكيف يكون قومياً عربياً من يغفل عن فلسطين وقضيتها؟ وكيف يوصف بقيادة القومية العربية أولئك الذين اسهموا في تسهيل تفكيك السلطنة العثمانية وانتقال السلطة في أراضيها الى الدول الاستعمارية؟

التبعات بالنكبة

وبلغ خطأ التعريفات المتسرعة غاية مداه، حين خلط أبراش مراحل تطور الحركات الفكرية السياسية. بمراحل التاريخ نفسه. فالمرحلة القومية عنده هي مرحلة ظهور الحركات القومية. وهذا الخلط يؤدي الى إلقاء التبعات بفشل الأحزاب القومية، على عاتق العروبة نفسها. وبنتيجة منطقه هذا، فإن فشل حزب قومي، ينبغي أن يؤدي الى إحجام الناس عن الحل القومي لمشكلاتهم التاريخية.

يقول: «كانت الفترة الممتدة من عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٦٥ تشكل المرحلة القومية بالنسبة للقضية الفلسطينية وللفكر السياسي الفلسطيني. فتصدت هذه الحركة [القومية العربية] بفصائلها الثلاثة: حركة القوميين العرب، حزب البعث العربي الاشتراكي، الحركة الناصرية لمعالجة القضية الفلسطينية. وانعكس [يقصد: ظهر أثر] الفكر القومي العربي على الفكر السياسي الفلسطيني، أو ما تبقّى منه واستوعبه، إلا أن الحركة القومية العربية والفكر القومي العربي، كان أعجز من أن يتمكن من فعل شيء جدي للقضية الفلسطينية، بل ضاعت البقية الباقية من فلسطين إضافة الى أجزاء من بلاد عربية أخرى... في ظل هذه الأجواء انبثقت الوطنية الفلسطينية من جديد وفرضت وجودها على الساحة الفلسطينية والعربية» (ص ٩).

ولقد أحسن أبراش لدى قوله: «انبثقت الوطنية الفلسطينية من جديد». إذاً فهي كانت موجودة قبل النكبة، فلماذا لم تقو على منعها؟ ولماذا تُلقى التبعات على الفكر القومي وحده؟ لقد عجز الفكر القومي فعلاً حتى الآن عن تحرير فلسطين وعن اتيان تبدل حاسم في تطور القضية. لكن كل أنواع الفكر الأخرى موجودة في الساحة: الفكر «الوطني» (أي الاقليمي) والفكر التغريبي والفكر الاشتراكي والشيوعي، والفكر الاسلامي. فماذا فعلت كل هذه المدارس. ان الحالة التاريخية العربية كلها هُزمت في هذا المعيار. فعلى أي أساس يحاسب أحد تياراتها ولا يحاسب الآخر؟ هل يحاسب الفكر القومي على أساس أنه كان الفكر السائد في وقت النكبة أو في زمن النكسة، بين الناس، أم يحاسب على أساس انه عقيدة الحكام؟ وهل كان الفكر العربي القومي حاكماً حين صدر وعد بلفور وتوافد اليهود على فلسطين وأقيمت اسرائيل؟ ألم يكن الفكر القومي مجرد فكرة بين الناس، مثل الفكر الشيوعي أو الاسلامي أو التغريبي، وكان الحكم الحقيقي للقوى الاستعمارية؟ ثم كيف تكون الهزيمة حجّة على الفكر القومي وهو في الحكم، ولا يكون الضعف والوهن حجّة على التيارات الأخرى، ولو كانت خارج الحكم؟

إن الخلل الاساسي في هذا التحليل الذي طالعنا به أبراش، هو أنه ـ على ما أسلفنا ـ يخلط مراحل التاريخ بمراحل تطور فكر الأحزاب والحركات. فإذا هُزم حزب ما، فالحكم لا يصدر في قيادته أو في هذه المرحلة دون غيرها، بل يصدر حكم مبرم في عدم جدوى المدرسة الفكرية أو التاريخية كلها.

لا شك طبعاً في أن فلسطين ضاعت فيما كان الفكر السائد بين الناس فكراً قومياً

عربياً بالمعنى العام للعبارة. ولا شك في أن ما بقي عربياً من فلسطين بعد النكبة، قد ضاع فيما كان الفكر القومي العربي بالمعنى الدقيق للعبارة، يحكم أكبر وأقوى وأهم بلد عربي. لكن فشل الفكر القومي في هذه المرحلة، لا يبيح إصدار شهادة فشل مؤبد لهذا الفكر، ولا يسمح بإصدار شهادة نجاح غيابية لأي من المدارس الفكرية والتاريخية الأخرى، إذا لم تكن قد اجتازت الامتحان، فكيف وقد اجتاز معظمها امتحانات هنا وهناك في بلاد عربية عديدة، من أقصى يسار المدارس الفكرية والتاريخية، الى أقصى يمينها، فأدت كلها الى حالات من الفشل الذريع.

إننا ممن يؤمنون أن فشل القومية العربية ليس فشلاً للفكرة بل لتطبيقها ولفكرها التنفيذي في مرحلة زمنية وحسب. فضياع فلسطين لم يكن سببه العمل القومي الوحدوي، بل على وجه التعيين نقص العمل القومي الوحدوي. وفلسطين ضاعت، لا بسبب العروبة، بل بسبب الإحجام عنها، أو قلة الإقدام عليها وعلى مقتضياتها اليومية. ذلك أن «قومية القضية الفلسطينية حقيقة يجب أن تكون واردة عند أي تعامل معها»، كما يقول أبراش (ص ٧١)، على رغم أن الفكرة العامة السائدة في كتابه هي تنافر «الوطنية الفلسطينية» مع «القومية العربية»، وأنه يميل إلى الأولى لأنها تلبّي «خصوصية الوضع الفلسطيني» (ص ٧١ و١٠٣).

عبد الناصر وفلسطين

وقد بلغ أبراش ذروة الخطبة السياسية، لا العلمية حين قال: «مثلت فترة الخمسينات وحتى منتصف الستينات المرحلة القومية في النضال الفلسطيني... وقد ساهم في تزاوج الفكر السياسي الفلسطيني وتوحّده مع الفكر القومي العربي السائد، أن هذا الاخير أفرد للقضية الفلسطينية مكاناً مرموقاً في اهتماماته وجعلها محور نضالاته السياسية محاباة للجماهير أو تغطية لفشل الانظمة العربية في تأكيد شرعية وجودها» (ص ٨٩).

إذاً فهو يرى أن احتمال الصدق في التوجه القومي غير وارد. فالقيادة القومية العربية في الخمسينات والستينات (هل يصعب تخمين من يعني؟) كانت على واحد من اثنين: تحابي الجماهير، أو تسعى الى تغطية فشلها في تأكيد شرعيتها (عبد الناصر عسكري انقلب على الملك الشرعي فاروق!).

فإذا تذكّرنا ان النكبة حدثت في ظل الحكام «القوميين العرب»، فإن عبد الناصر يصبح قائداً قومياً عربياً، انقلب على ملك قومي عربي. ثم إن قومية عبد الناصر غير صادقة، لأنه يحابي الجماهير أو يسعى الى شرعية ليست له. فكيف إذن يمكن والحال هذه ان تحاسب القومية العربية بذنوب مدّعيها غير الصادقين؟

ويوضح أبراش بلا التباس ادعاء العروبة والقومية هذا إذ يقول: «من هنا كان الموقف صعباً بالنسبة الى الوطنيين الفلسطينيين الذين وعوا عدم مصداقية مدّعي القومية العربية وعلى اقليميتهم المغلّفة بالشعارات القومية» (ص ٨٩). وبذلك يناقض معاييره نفسها التي اختارها طائعاً. فهو حين ينظر الى الحركة «الوطنية الفلسطينية»، فهي تحظى برضاه لأنها تلبّي «خصوصية الوضع الفلسطيني»، فإذا جاء دور الحديث على الثورة العربية في مصر سنة ١٩٥٢، انقلبت خصوصية الوضع المصري الى «انعزال عن الحركة القومية العربية» (ص ٩٨). على رغم أنه يقرّ بأن مشاعر وحدة المصير العربي استيقظت لدى عبد الناصر وهو يقاتل في فلسطين، قبل الثورة بأربع سنوات.

وإذا كان عبد الناصر في مرة «غير صادق» في قوميته العربية، فهو قد يصبح بعد سطور

صادقاً ولو مقصّراً، إذ يقول أبراش: «إن الحركة القومية العربية [هنا يعني عبد الناصر لا الملك فيصل]مع وعيها الواقع القومي، فإن فعلها القومي لم يكن بمستوى هذا الوعي». ومع ذلك فان عبد الناصر «ركب موجة» الفكر القومي (ص ٨٩).

والواقع أن اضطراب التحليل السياسي وتناقض الأقوال يبلغ ذروة من التركيز، في الحديث عن عبد الناصر، إذ يقول أبراش عنه إنه يشكو «عدم استيعاب لحقيقة العلاقة القائمة بين إسرائيل وبين الاستعمار» (ص ٩٨). ولا تقلب صفحتين حتى يقول إن «تصور عبد الناصر في تلك المرحلة للخطر الاسرائيلي يقوم على أساس أنه خطر تابع للخطر الأساسي وهو الاستعمار» (ص ١٠٠). ثم يؤكد هذا القول مع بعض إيضاح إذ يقول: «لم يفصل عبد الناصر بين الاستعمار والصهيونية، وإن كان في المرحلة الأولى قبل حزيران/ يونيو ١٩٦٧ يعطي أهمية أكبر لمواجهة الاستعمار» (ص ١١٠).

أما لماذا حارب عبد الناصر الاستعمار، فلدى أبراش تفسير مفاده «ايهام الجماهير العربية بأن المعركة الأساسية موجهة ضد الاستعمار»، وكذلك «تطلعه نحو قيادة الوطن العربي وتركيز دعائم حكمه في داخل مصر دون الاضطرار لخوض حرب فعلية مع اسرائيل» (ص ١١٠).

إذاً فمعاداة اسرائيل هي محاباة للجماهير، اما معاداة الاستعمار فهي ايهام لها وخدمة لأطماع بالزعامة العربية. وبذا لا يعود عند القارىء اي مجال لاحتمال ان يكون عبد الناصر صاحب قضية حقيقية.

ولكن ما ان يهمّ القارىء للاقتناع برأي أبراش (وأمره الى الله) ان عبد الناصر كان محابياً غير صادق في مقاتلة اسرائيل والاستعمار، حتى يعترضه أبراش نفسه ليقول: «لجأت الدول الغربية وعلى رأسها بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية الى محاولة حصار الثورة المصرية من خلال ربط بعض البلدان العربية بشبكة الأحلاف الامبريالية، وخصوصاً حلف بغداد، تحت شعار مواجهة الخطر الشيوعي على المنطقة. وقد مورست ضغوط كبيرة على عبد الناصر لإجباره على الاشتراك في سياسة الأحلاف، إلا انه رفض الأمر بشدّة، واضطر الى شن حملة معادية ضد البلدان العربية التي اشتركت في الحلف العراقي [يقصد حلف بغداد] أو التي أبدت استعدادها لمجاراة السياسة الغربية» (ص ١١١).

لم يكن عبد الناصر إذاً سيئاً الى هذا الحد. صحيح أنه «اضطر» الى معاداة الأحلاف، وصحيح أن الغرب هو الذي عاداه (لماذا؟)، إلا انه (هنا!) عدو للاستعمار الغربي، ويخط أبراش (ص ١٣٧) صفحة كاملة في الاشادة بعبد الناصر، حتى ليكاد يقنعك نهائياً، لولا انه في الصفحة التالية يطالعك بقوله: «كان مستعداً للاعتراف بوجودها [اسرائيل] كأمر واقع والتفاوض معها» (ص ١٣٨). وإذ يقول هذا، لا يُلحقه بأي حاشية أو إشارة الى مصدر، تؤيد هذا القول الخطير. ويصبح مؤتمر الخرطوم سنة ١٩٦٧، الذي تبنّى، وعبد الناصر في عز هزيمته، لاءاته الثلاث: «لا صلح لا تفاوض لا سلام»، يصبح هذا المؤتمر ظاهرة لا معقولة لا منطقية لا مرتبطة بكل هذه العقيدة التي يحللها أبراش في فكر عبد الناصر.

وتكاد تعثر مع بعض الصعوبة على أدلة على «اعتراف عبد الناصر باسرائيل»، إذ يشير أبراش الى خطب عبد الناصر التي كان يتحدث فيها عن تحرير فلسطين، فيما كان يؤكد في أحاديثه للصحافة الأجنبية، أن الأسلحة التي يشتريها هي للدفاع عن مصر.

أما تفسير أبراش لهذا «التناقض» (ص ١٣٩ و١٤٠) فهو أن حديث التحرير هو للاستهلاك الشعبي المحلي، أما الرغبة في الدفاع عن مصر فهي الموقف الحقيقي لعبد الناصر، وهو موقف غير قومي، لأنه يعني، كما يقول أبراش، أن عبد الناصر لم يكن يريد محاربة إسرائيل. ونعترف بأن هذا تفسير محتمل لتصريحات عبد الناصر المتفاوتة الألوان. لكن أبراش لم يترك مجالاً للاشتباه بأي تفسير آخر. فماذا لو كان حديث التحرير هو الموقف الحقيقي، وحديث الدفاع عن مصر هو حديث مخاطبة الإعلام الغربي؟

وفي موقف عبد الناصر من حرب التحرير، التي تقتضي مهام رسمية تتحمّلها البلدان العربية. ومهام شعبية تقوم بها المنظمات الفلسطينية، يقول أبراش إن: «الاستراتيجية القومية كانت مقيدة بمفهوم الحرب النظامية» (ص ١٦٠)، على رغم اعترافه قبل صفحات بأن «جهود عبد الناصر هي التي أفضت الى تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية» (ص ١٥٣).

كذلك يتسم موقف أبراش من مفهوم عبد الناصر للوحدة العربية بالتشوّش وعدم الدقة، إذ يقول: «ولم يكن يعني عبد الناصر الخوض في محتوى دولة الوحدة والقوى الفاعلة فيها وموقف الفئات والطبقات المختلفة من الوحدة، المهم هو أن تتحقق الوحدة العربية» (ص ١٤٢).

لقد تفاوض عبد الناصر مرتين للوحدة على الأقل. مرة سنة ١٩٥٨، ومرة سنة ١٩٦٣. ولو راجع أبراش وثائق المفاوضات في المرتين لوجد أن عبد الناصر كان هو المتردد في الحالتين، لأنه لم يكن يسعى الى الوحدة كيفما اتفق، وانه كان أشد المتفاوضين تمحيصاً في مضمون الوحدة قبل الإقدام عليها. وكانت المبادرتان تسعيان إليه في أمر الوحدة، مرة بادرت بها القيادة السورية، ومرة القيادتان السورية والعراقية. وكان من أهم أسباب عدم قيام الوحدة سنة ١٩٦٣، أن عبد الناصر تفاوض وهو نادم على رضوخه لاستعجال الضباط السوريين سنة ١٩٥٨.

واذا كانت المقتضيات الاكاديمية لا تبيح لأبراش ان يصدر الآراء دون العودة الى الوثائق، فإن ثمة نزعة خطيرة شائعة بين صفوف المفكّرين العرب، فتصرفهم باسم «التقويم الموضوعي»، عن التفريق بين الزعماء والرؤساء والملوك الذين نسّقوا مع قوى الاستعمار، وبين رؤساء ثبتت مناهضتهم لمخططات الاستعمار. وخطة «المساواة الموضوعية» هي اعتماد معيار النجاح والفشل. فطالما أن عبد الناصر «فشل»، فإنه يتساوى بالآخرين. فما هو معيار الفشل والنجاح في معركة أرضها الوطن العربي الواسع، وزمانها القرون تلو القرون، وغرضها صراع المصالح والارادات. إن معركة كهذه، لا تنتهي. وقدر الأجيال ان تتوارثها جيلاً بعد جيل، على ان تواجه في طريقها النكسات والانتصارات، وأن تعثر فتنهض من عثرتها. والزعيم الناجح هو ذاك الذي يفلح في بث ارادة النهوض في شعبه وفي انارة معالم المعركة. فإن لم تكن تلك هي الحقيقة التاريخية، فمن هو الزعيم الناجح في التاريخ؟ هل أحرز زعيم ما، يوماً ما، النصر «النهائي» لشعبه. وكم يدوم هذا النصر «النهائي»؟

ان الانتصار والهزيمة عنصران من عناصر تقويم الزعامات التاريخية، لكن الموقف من الاستعمار هو عنصر أيضاً. فلماذا يغفل «الموضوعيون» في دراساتهم هذا الشأن الخطير حين يشاؤون؟

«استراتيجية» الكفاح المسلح

ويبدي أبراش تأييداً متحمساً «لاستراتيجية» الكفاح المسلح وحرب الشعب

(ص ١٩٧ و١٨٠)، في مقابل الفكرة القومية العربية التي «كبّلت» الشعب الفلسطيني «بأغلال الوصاية والتبعيّة».

هل حمل السلاح استراتيجية؟ وهل عثر أبراش في كل مدارس الفكر الاستراتيجي في العالم على ما يمكن تسميته «استراتيجية الكفاح المسلح»، بغض النظر عن مضمون فكري سياسي ما؟ وهل يمكن لفكرة حمل السلاح ان تصبح في ذاتها مضموناً سياسياً؟

ان الحرب والقتال المسلح في كل المدارس الاستراتيجية، إن هما إلا مرحلة من مراحل الصراع السياسي، وأداة بين أدواته. فإذا كان يمكن لأحزاب أو منظمات أو سياسيين أن يتحدثوا عن «استراتيجية» الكفاح المسلح، فإن الأطروحة الأكاديمية لا تستطيع ذلك حرصاً على المصطلح العلمي على الأقل.

هذا من الناحية النظرية. أما من الناحية العلمية فإن اعتناق مبدأ حمل السلاح دون التدقيق في الفكر السياسي لحملة هذا السلاح، ولا نظر في المضمون الفكري لمنظمات الكفاح المسلح، كانت له عواقب لا تزال المقاومة الفلسطينية تعانيها الى اليوم، دون أن يخطر ببال، أن هذه «الاستراتيجية» المزعومة إنما كانت ذريعة سياسية لتجنّب الحساب السياسي بالاختباء خلف العمل المسلح. لقد سمحت «استراتيجية» الكفاح المسلح لعدد من المنظمات، أن تصدر بيانات عسكرية عن هجمات ضد العدو، ثم ان تفعل بعدئذ ما تشاء. وفي المقابل سمحت هذه «الاستراتيجية» لعدد من البلدان العربية أن تدفع اسهامات مالية لعدد من المنظمات المقاتلة، وان تقول بعدئذ إنها أدت واجبها القومي، فلا تحاسب في شأن من الشؤون. وباسم «استراتيجية» الكفاح المسلح، وُزّعت شهادات براءة ذمة على حكومات كانت في مقابل «فدية» اسهامها المالي، تفتح أراضيها لإقامة قواعد عسكرية لدول الغرب، أو تبيح اقتصادها لسيطرة الشركات التي كانت مصالحها أصلاً سبباً من أهم اسباب تأسيس إسرائيل.

وتسلّحت منظمات بسحر الكفاح المسلّح لتسخّف الاستراتيجية القومية في الصراع مع العدو، فحملت بقوة هذا السحر راية «الوطنية الفلسطينية» (الاقليمية الجديدة) وأخذت تروّج «لاستقلالية البندقية» الفلسطينية في تعبير البعض، فيما اختبأ بعض آخر خلف شعار «الحياد» الفلسطيني حيال النزاعات العربية. ولم تكن هذه كلها إلا فكاكاً عن الفكرة العروبية، والتزاماً لسياسة بعض الحكومات العربية ضد بعضها الآخر. وأفضت ممارسة هذه الشعارات الى ظهور عقيدة من عقائد السلوك الاقليمي اللاقومي، الذي صوّر للبعض ان عدم التدخّل الفلسطيني في شؤون الحكومات العربية يضع القضية الفلسطينية فوق النزاعات العربية المستعصية.

غير أن تشييع هذا النمط من الفكر «الاستقلالي» العربي، حوّل المقاومة الى «دولة» عربية أخرى، وسهّل لكل حكومة عربية على حدة، أن تضرب المقاومة، وأن تواجه الحكومات الأخرى الراغبة في التوسط أو في حماية المقاومة، بمنطق «استقلالي» يرفض تدخل البعض في «شؤون البعض الآخر». ولم يعد هذا المنطق الانفصالي مستهجناً: أفلم تعتنقه المقاومة نفسها؟

إن على الفكر السياسي العربي ان يلغي إلغاء نهائياً الخطأ المنطقي الذي وقع فيه عندما أعتّد البعض الكفاح المسلح عقيدة فكرية وسياسية. فالكفاح المسلح مرحلة من مراحل العمل السياسي على ما سلف. والحرب الرسمية والحرب الشعبية هما وسيلتان من وسائل الكفاح المسلح والعمل الحربي، فيُعتمد أحدُهما أو الآخر وفقاً لمقتضيات تحليل الموقف السياسي والعسكري. وربما

أعتُمدا معاً في ظروف ما.

لقد حولت بعض المنظمات الفلسطينية الكفاح المسلح الى عقيدة سياسية، وحوّلت العقائد السياسية إلى أدوات اتصال بالحكومات. فهذا اليساري صلة وصلنا بالدول الاشتراكية، وهذا الاسلامي النزعة مدخلنا الى الدول الاسلامية. وهذا الاستاذ الجامعي في تلك الجامعة الغربية مفتاح علاقتنا بواشنطن... وهكذا. وكأن الفكر السياسي أصبح هو أداة في خدمة البندقية الصماء، بعدما كانت البندقية الملتزمة أداة في يد الفكر السياسي الواضح غير الملتبس ولا المتلوّن.

وثمة إحساس أنه آن أوان إزالة الالتباس الذي استمر اثنتين وعشرين سنة، فصوّر ان الكفاح المسلّح والفكر القومي أمران متناقضان. لقد كان ممكناً لهذه الفكرة أن تظهر وتزدهر بعد نكسة حزيران/ يونيو، حين استُخدمت النكسة حجة فكرية وعقيدية. وأما اليوم، بعدما أجليت القيادة القومية عن الحكم في أكبر بلد عربي بالموت ثم الانقلاب المدبّر، وأخذت المقاومة الفلسطينية فرصتها الكافية لإثبات صحة نظرياتها أو خطئها، أكانت مقاومة «وطنية» فلسطينية، أم «يسارية»، أم ما إليها، لم يعد يجوز القول: إضرب رصاصة ثم افعل ما شئت. ولم يعد يجوز لمن يقاتل في فلسطين ان يغفل عما يُعقد في هذا البلد العربي أو ذاك من تحالف وتواطؤ مع القوى التي تساند العدو. والنظرة القومية الشاملة اضحت ضرورة تاريخية، بعدما استُهلكت الحجج المناقضة جميعاً.

لقد قيل في الماضي، وردد أبراش، ان التيار القومي العربي حال دون الفلسطينيين وتولّي قضيتهم بأنفسهم [في أحد فصول الكتاب ان جامعة الدول العربية هي التيار القومي العربي]. والآن بعدما تولّى الفلسطينيون القضية مباشرة، و«كُفّت» يد القوميين العرب فما الذي تبدّل؟

هل ساعد تجريد الحركة الفلسطينية من الفكرة القومية في تحسين الوضع؟ ان بعض الفصائل المتخاصمة مع البلدان العربية المجاورة لفلسطين تلقي بتبعات تقلّص العمل الفدائي على عاتق هذه البلدان. فهل هذه حجة للقول «بالحياد» الفلسطيني والاقليمية الفلسطينية، أم هي سبب آخر للقول بقومية المعركة؟

يقول أبراش بمرارة (ص ١٩٥): «خاضت الثورة الفلسطينية أشرس معركة تخوضها وأطول معركة عربية، وهي حرب بيروت، ولم يهرع إليها فرسان العرب، بل وقفوا موقف المتفرج». أفلم يخطر بباله وهو يكتب هذه السطور، أن المقاومة الفلسطينية سقطت في فخ «الاقليمية» و«الحياد» و«الاستقلالية» الذي حفرته بعض فصائلها؟ ثم ألم يسائل نفسه: وما البديل اذاً؟ أوليس البديل هو ان يسارع فرسان العرب، باسم العروبة إياها، الى نجدة إخوانهم الفلسطينيين؟

أوليست الفكرة العربية القومية هي الحافز على ذلك؟ أوليست الفكرة العربية هي ضمانة المقاومة الفلسطينية وحاميتها؟ أوليست الفكرة القومية هي بطاقة انتساب كل العرب الى المقاومة الفلسطينية؟ أوليست عروبة فلسطين والقضية هي الميثاق الذي يبيح لكل عربي أن يحاسب كل حكومة عربية تمد يدها لوأد الثورة الفلسطينية؟

إن أرض الاقليمية الفلسطينية أرض مكشوفة تماماً، ولا تستطيع المقاومة أن تبقى عليها طويلاً. أما أرض العروبة والفكرة القومية، فهي أرض تنعم فيها المقاومة بحماية كل العروبيين. غير أن الوقوف عليها يقتضي ان تستعيد المقاومة طابعها العروبي، وان تكف عن استخدام مناهج الفكر السياسي

المختلفة قطع غيار للتشاطر في العلاقات مع الدول، وأن تحجم عن سلوك المنحى الاقليمي وعن إلقاء التهم على العروبة والفكر القومي.

لقد اختصر د. ابراهيم ابراش الحقيقة القومية (ص ٢١١) بقوله: «إن الحقيقة الحاضرة الغائبة هي ان لا حياة لثورة فلسطينية في ظل غياب ثورة عربية، وخصوصاً في بلدان الطوق المحيطة بفلسطين». فناقض بعبارته هذه روح كتابه بأكمله.

وبعد، قد يسأل امرؤ عن سبب تخصيص مقالة في هذا الحجم بالكتاب. إن سببين يحدوانا على هذا الاهتمام غير المتناسب مع رأينا في الكتاب:

ـ الأول ان العنوان والموضوع المطروح فيه هما أمران يحظيان باهتمام عظيم، وقلما يمر كاتب اليوم بمثل هذه العناوين والمواضيع مرور الكرام.

ـ الثاني هو أن مركز دراسات الوحدة العربية لم يدرج على نشر كتب دون تدقيق، بل تميّزت منشوراته بوقار أكاديمي يوحي بالثقة، وتخصصت بالوحدة العربية وقضاياها، وهذا عصر الحاجة إليها.

ولذا لا نجد مفراً من مناشدة المركز ان يدقق كعادته في منشوراته حتى لا يصدر فيها تحت الغطاء الجليل للمركز، زلات تأليفية عظيمة، كما في قول أبراش (ص ١٠٧):

«إن القوميين العرب قدّسوا فكرة القومية العربية، وأحاطوا الأمة العربية بهالة من التمجيد والتبجيل بحيث اعتبروها مصدر كل إلهام. وهذا يعني رفض أي قومية أخرى تنافس العرب في أرضهم، ولن يقبلوا بأي شعب يدّعي الحق في السيادة على أي جزء من أرض العرب. من هنا فالقومية بمفهومها المغلق اليقيني والشوفيني أحياناً كان يرفض أي خوض في التحليلات الفكرية حول التفرقة بين اليهودية والصهيونية لأن مثل هذه التفرقة كانت ستؤدي في النهاية الى القبول بالعيش مع اليهود غير الصهاينة، وبصورة أدق ستعني الإقرار لليهود بالسيادة على فلسطين أو على جزء منها»□

سمير عبده

البطالة المقنعـة في الوطن العربي

(دمشق: منشورات طلاس، ١٩٨٤)، ٢٨٠ ص.

اميرة حجو

كاتبة من حلب ـ سوريا.

لا تـزال الدراسـات التي تتناول الـواقـع العـربي من نظرة مـوضوعيـة قليلـة جـداً في المكتبـة العـربيـة، ومعظم الـدراسـات التي اطلعنا عليها كان مضمونها احادي الجـانب، كـأن تتناول الاقتصـاد، بمعزل عن العـوامل الاجتماعية او النفسيـة، وحتى السياسيـة في الوطن العربي.

ومن هنـا تـأتي أهميـة كتـاب **البطـالـة المقنعة في الوطن العربي** من تأليف الكـاتب السـوري سمير عبـده ليضيف بعدا جـديـدا للتـرابط مـا بـين الاقتصـاد والاجتمـاع، في مـوضـوع من أشق المـواضيـع التي تنـداح أمامها المـواضيع الأخـرى، الا وهي البطالـة المقنعة في الوطن العربي.

وسيذكر هـذا الكتاب دائمـاً، كلما وضعت الخطط الاقتصادية لهـذا القطر أو ذاك، دون الاخـذ بخطورة البطـالة المقنعـة، ومعالجتهـا بالشكل الذي يبعد خطرها السرطـاني في هذه المنطقة من العالم.

والكتاب صدرت ترجمة حـديثة لـه باللغـة الـروسية في صيف العـام الفـائت، وهـو أول كتـاب في مـوضـوعـه يتـرجم للـروسيـة عن العربية.

يـذكر المؤلف في مقـدمته ان دراستـه هذه امتـدت الى عشر سنوات من البحث والتنقيب وقياس الانتاجية في هذا البلـد، مع مقـارنتها ببلـد أجنبي، حتى كـانت المحصلـة مـذهلـة لحقائق الارقام التي افصـح عنها، من خـلال فصـول الكتاب. ولا بـأس من ايـراد بعض الارقـام التي توصـل اليها الكـاتب من خلال بحثـه، ومن ثم نقـدم عـرضـاً لأهم فصـول الكتاب.

ـ ٢٥,٥ بـالمـائـة فقط من سكـان الـوطن العربي يعملون.

ـ ٩ بالمائة من نساء الـوطن العربي يعملن مقـارنة بنسبـة ٢٦ بالمـائة في بلـدان نـاميـة أخرى.

ـ فيمـا تصل انتـاجية الفـلاح او العامـل الزراعي في البلدان المتقدمة الى تأمين غذائه، وغذاء حوالى عشرين شخصـاً، تكاد انتـاجية الفلاح العربي ان تسد غذائـه وغذاء شخص أو شخصين فقط.

ـ تصل انتاجية الجهاز البيروقراطي العربي الى ٢٠ بالمائة فقط من قوة العمل، بالمقارنة مع الدول المتطورة.

ـ يزداد، في الوقت الراهن، عدد العاملين في الجهاز الاداري العربي زيادة سنوية تقارب ٢٥ بالمائة فيما لا تزيد عن ٦ بالمائة في دولة متقدمة اقتصادياً كالمملكة المتحدة.

ـ تبلغ رواتب الموظفين في الأقطار العربية ما بين ٣٠ ـ ٥٣ بالمائة من الموازنة، بينما لا تتجاوز ٦ بالمائة في اقطار غربية.

والارقام التي اوردناها هي غيض من فيض، لما تضمنه كتاب البطالة المقنعة من ارقام ومعلومات.

يقسم الكتاب الى ستة أبواب سنعرض لها بشكل سريع.

١ ـ جذور البطالة المقنعة

يبدأ المؤلف بابه الأول بهذا العنوان، متناولاً في الفصل الأول واقع البطالة المقنعة، معرفاً بهذا المصطلح الذي اطلق للمرة الأولى عام ١٩٣٦ لوصف حالة العمال في الدول المتقدمة، والذين ينخفض الناتج الحدي لعملهم انخفاضاً كبيراً ربما وصل الى الصفر (ص ١٨) علماً ان نسبة الاشخاص البالغة اعمارهم ١٥ سنة أو أقل تشكل ما يزيد على ٤٨ بالمائة من العدد الاجمالي لسكان الوطن العربي. كما أن ٥٠ ـ ٦٦ بالمائة وسطياً من العمال الزراعيين ليسوا عمالاً دائمين بل مؤقتين.

وفي الفصل الثاني، يعالج الكاتب موضوع البطالة المقنعة كظاهرة اجتماعية، معتبراً التركيب الاجتماعي عاملاً مهماً في تغير النسق الاقليمي، وايجاد مواقف تتناقض فيها القيم التي تحكم سلوك الافراد لدى القيام بأدوارهم الاجتماعية. ويمكن النظر الى هذا التناقض على انه مصدر من مصادر الكثير من المشاكل الاجتماعية، مثل البطالة المقنعة، والتفكك الاجتماعي.

وكانت الهجرة الريفية والبطالة المقنعة موضوع الفصل الثالث، حيث اثار التقدم التقني واسطورة المدينة هجرة ريفية واسعة، دون أن يكونا على صلة بحاجة المدن الى السكان العاملين، مما زاد من الاعمال الطفيلية كماسحي الاحذية، والشغالات، وبائعي اليانصيب والباعة المتجولين، حيث تشكل هذه الاعمال صمام امان للبطالة في المدن. وفي هذه الحالة، تكون العمالة الناقصة في الريف قد تحولت الى عمالة ناقصة في المدن.

٢ ـ البيروقراطية العربية وعلاقتها بالبطالة المقنعة

في هذا الباب ثلاثة فصول هي خلفيات البيروقراطية العربية، والبيروقراطية ودورها المعرقل للتطور، وكيف نبعد خطر البيروقراطية عن القطاع العام. من الملاحظ ان العادات والتقاليد كثيراً ما انعكست في مجتمع ما على واقعه البيروقراطي. يلاحظ المؤلف (ص ٥٤) انه في مجتمعنا العربي نلمس مدى السلطة المطلقة التي يتمتع بها الأب على أولاده، وقد عزز ذلك ما جاء به القرآن الكريم من اقرار لحقوق الآباء، وتنظيم لعلاقتهم بالابناء. ان ذلك نابع من ان نظام العائلة عندنا، كنظام المجتمع في كل مؤسساته، نظام هرمي يقوم على السلطة والعنف، ويحتل الأب فيه المركز الرئيسي والأول فيما يحتل الطفل المركز الأدنى.

والنتيجة، ان كل ذلك اورثنا جهازا اعتاد ان يؤمر فيطيع فحسب، ترسم له القواعد وهو ينفذ. اعتاد ان يحفظ اللوائح لا ان يفكر في طبيعتها، اعتاد ان يجمد حيث هو لا ان يتطور مع دورة الزمن. لقد نشأ في الاقطار العربية كافة جهاز حكومي اهم ما يميزه انك

لا تستطيع ان تتبين فيه مستويات من شأنها التوجيه واخرى من شأنها التنفيذ، وتتركز فيه المسؤوليات حين يقتضي الأمر البت في الأمور، فبضعة قروش مثلاً لا يمكن ان تنفق إلا إذا أمر بذلك المدير العام، بينما يستطيع الجميع الهرب من المسؤولية حين وقوع الخطأ، والقاءها على اصغر الموظفين (ص ١٠٤)

٣ ـ تنمية انتاجية العمل في الوطن العربي

بعد ان عرض المؤلف لعلاقة البيروقراطية العربية بالبطالة المقنعة، انتقل الى موضوع تنمية انتاجية العمل في الوطن العربي عبر اربعة فصول: ١ ـ انتاجية العامل العربي، ٢ ـ تناسب الكم التعليمي مع قوة العمل، ٣ ـ مردود التعليم العالي على قوة العمل، ٤ ـ توفير الانتاجية الأفضل.

فانتاجية العامل متدنية في الأقطار العربية، وبدرجات مختلفة، في جميع القطاعات. ويشير المؤلف الى انه حتى الآن ـ وبكل أسف ـ لم تتم دراسة تطبيقية شاملة لمستوى الانتاجية في أي قطر عربي. وأي اعداد لليد العاملة المؤهلة، لا بد ان يمر عبر حد ادنى من التثقيف العام. واضافة الى ان التعليم في الوطن العربي لم يتعمم بعد بما فيه الكفاية، فانه يعتبر وسيلة لبلوغ الوظائف الادارية، لا كعملية تهيئة وتحضير لمزاولة نشاط انتاجي.

ولعدم توفير الانتاجية الفضلى، وجه أخر يتبين لنا من العامل الامي الذي دخل سوق العمل، دون مروره بمركز تدريب مهني او ما شابه. ان هذا العامل، امام المشاريع التي دخلت الانتاج والتي تتطلب مستوى تقنياً عالياً كالورق والاطارات والمصابيح، يعتبر عاملاً ضعيف الانتاجية، ان لم يكن معرقلاً لتطور الانتاج.

٤ ـ نحو تخطيط للقوى الانتاجية في الوطن العربي

يتم هذا التخطيط عبر ثلاثة فصول: ١ ـ القوى الانتاجية وعلاقتها بالانتاج، ٢ ـ رفع الانتاجية ام زيادة الانتاج، ٣ ـ الاختيار المهني في زيادة الكفاية الانتاجية.

تشكل القوى الانتاجية وعلاقات الانتاج، وحدة جدلية وثيقة تترابط فيما بينها بعلاقات متبادلة بصورة مشتركة، كما يرتبط الأساس بالبنيان الفوقي، كذلك يرتبط البنيان الفوقي بالقوى الانتاجية، وان كان ذلك بطريقة غير مباشرة من خلال الأسس الاقتصادية. ويمكن القول ان مستوى المعيشة في أي مجتمع يرتبط ارتباطاً طردياً مع مقدار السلع والخدمات التي ينتجها هذا المجتمع، ويمكن زيادة مقدار تلك السلع والخدمات عن طريقين: اما بزيادة التوظيف أو برفع الانتاج. وابسط تعريف للانتاجية هو انها النسبة بين قيمة المنتج وقيمة العناصر التي تضافرت لانتاجه، ويصلح هذا التعريف للتطبيق سواء على مستوى المشروع الواحد، او على مستوى قطاع يضم عدة مشروعات، وايضاً على مستوى اقتصاد مجتمع بكامله.

لقد اصبح سهلاً، في الوقت الراهن، قياس انتاجية آلة أو اي عامل بعدد الوحدات التي تنتجها الآلة أو يقوم العامل بانتاجها، خلال عدد معين من ساعات العمل. وواضح ان ذلك المقياس يرتبط بعنصر الزمن، وتالياً فان زيادة الكفاية الانتاجية لأي منهما يرتبط بامكانية تخفيض الوقت اللازم لانتاج الوحدات المنتجة نفسها الى اقل قدر ممكن. ويمكن تحقيق ذلك بالقضاء ما أمكن على الوقت الضائع، وتقليل الوقت غير الانتاجي خلال مراحل الانتاج، وما يتشعب عن ذلك.

٥ ـ الرقابة العلمية لنشاطات المجتمع

عالج الباحث هذا الباب بثلاثة فصول: ١ ـ العمل كظاهرة اجتماعية، ٢ ـ التخلف الاجتماعي وانعكاسه على التنمية الاقتصادية، ٣ ـ الوعي الاقتصادي وعلاقته بالعمل.

ان العمل هو احدى خصائص الانسان المهمة الذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالوعي والتنظيم الاجتماعي للحياة البشرية ولا يمكن الفصل بين العمل والتنظيم الاجتماعي والوعي، حيث تؤثر هذه العناصر بعضها بالبعض الآخر. كما يعتبر العمل الشرط الاساسي لسيرورة البشرية وتطورها في المستقبل. ولقد استطاع الانسان، بواسطة العمل وقابليته على المحاكاة والتقليد، السيطرة رويداً رويداً على الطبيعة وسد حاجاته في المأكل والملبس والمسكن. وقد كان العمل منذ القدم مصدر غنى الانسان وثروته. والعنصر البشري، بما يمثله من امكانيات عمل وقدرة على الخلق والابتكار، وقدرة على التعلم من تجاربه والتكيف مع ظروف حياته المتغيرة، يجعل امكانية تحويل نفسه من مشكلة اقتصادية الى قوة منتجة امراً ممكن التحقيق.. بل هدفاً حيوياً يصعب الخيار فيه.

يعكس الوعي الاقتصادي، فعالية البشر وروابطهم في عملية الانتاج والتوزيع والتبادل والاستهلاك. ولقد ذهب الاقتصاديون الى ان الانتاج يشكل الأساس لمجمل الحياة الاقتصادية للمجتمع، وان كان لا يستنفدها، فمفهوم (الحياة الاقتصادية) اكثر شمولاً في محتواه من مفهوم (الانتاج) وتنشأ في عملية الانتاج ضرورة قيادة وتنظيم العمل، وتأهيل واعداد الكادر المناسب.

٦ ـ تعاون المجتمع والحكومة في البناء الاقتصادي

تم هذا التخطيط عبر اربعة فصول: ١ ـ العلاقة بين المجتمع والحكومة، ٢ ـ تحديد امكانيات التخطيط الجماعي، ٣ ـ القيم الاجتماعية وعلاقتها بالبطالة المقنعة، ٤ ـ تنمية المواطن العربي.

لا يمكن ان يتحقق اي تقدم اقتصادي لأي قطر من الأقطار العربية، ما لم يكن الجو مهيأً وصالحاً له، فلا بد للمجتمع المراد النهوض به اقتصادياً ان تكون عنده الرغبة في هذا التقدم، وبجانب ذلك، يجب ان تضع الحكومة النظم السياسية والاقتصادية والقانونية التي تحفز على هذا التقدم الاقتصادي. ويتوقف الجانب التكنيكي التنظيمي للتخطيط على الجانب الاقتصادي الاجتماعي، ولا يجب اعتباره أمراً مطلقاً، لأن هذا يؤدي الى محاولات تطوير نوع العلم الشكلي للإدارة، بغض النظر عن الطابع الاقتصادي والهيكل الاجتماعي للمجتمع، الأمر الذي يتناقض مع جوهر التخطيط العلمي للمجتمع ذاته.

كما لا يمكن اغفال القيم الاجتماعية التي تسيطر على الافراد، في علاقتهم بالمجتمع، حيث لا تكون جزءاً من تركيبهم الغريزي، وانما هي نتاج لوضع اجتماعي معين. فمن الطبيعي ان نتوقع تغير هذه القيم بتغير الظروف المادية التي يتعرض لها المجتمع في اثناء تطوره. فالدوافع والانطباعات والقيم التي تعكس وضعاً اجتماعياً معيناً، والتي ترسبت في حياة الافراد واصبحت بحكم العادة جزءاً من كيانهم، تتعارض مع أي تجديد يؤدي الى تغيير الوضع القائم الذي تبلورت في نطاقه، وبالتالي منع اي تخطيط، اذ ان التخطيط يقوم بالضرورة على تغيير الأساس المادي لهذا الوضع، في صورة أو في أخرى. لهذا، كانت تنمية المواطن العربي ودراسة الطاقة الانتاجية للمواطنين المحك الأول والاخير في بناء التنمية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

ربما اكون قد اطلت في عرض اهم النقاط التي اثارها عبده في كتابه **البطالة المقنعة في الوطن العربي**، بيد انني اشعر اني ربما اغفلت الكثير من المعاني التي تضمنها الكتاب.

والمحصلة التي يخرج منها قارىء الكتاب ان الجانب الاجتماعي من البطالة المقنعة كان على حساب الجانب الاقتصادي، بفعل الاختصار في ايراد البيانات التي تتعلق بكل قطر عربي على حدة، وربما عاد ذلك الى الندرة في البيانات.

والكتاب يطرح علينا اسئلة عدة من نوع التأثير الاجتماعي أو الاقتصادي وحتى الديني على سلوك المواطن العربي، وأثر ذلك في عمله وتفكيره ووعيه. لا بل يجعلنا الكاتب نتساءل، ونحن نمضي معه عبر صفحات الكتاب: أين كان تفكير الناس، وما الذي عملوه؟ وفي أحيان نصل الى التساؤل: ما الذي يعملونه الآن؟ ما الذي سيعملونه؟ أو ما سيعملون اذا...؟

هذه التساؤلات تجعلنا نعود الى فقرة من مقدمة الكتاب يقول فيها عبده «البطالة المقنعة في الوطن العربي هي بلا شك اكثر تعقيداً من الاستخدام العملي للانشطار النووي، كما ان العلم الاساسي ليس متقدماً قدر تقدم العلم النووي، ولكننا نعرف اين نبدأ في البحث عن حلول.. وهو ما نأمل ان نكون قد وفقنا اليه».

إن الكاتب منا حين يكتب، يمتاح عناصر موضوعه من التحامه بحياة مجتمعه. ومهما تكن موهبته الشخصية، ومهما يكن علمه، فإن قدرته على تجاوز ما في مجتمعه محللاً مصطفياً، تبقى محدودة، مقيدة الى حد بعيد بما قدمه له مجتمعه ومصادره واجتهاده من زاد ومادة. وسمير عبده لا يبتعد عما ذكرناه فيما عرضه في كتابه، بل هو في مقدمته يشير إلى أن الدراسات التي تهتم بمواضيع كالبطالة المقنعة تأتي حصيلة جهد مزدوج: جهد الباحثين والدارسين السابقين في الموضوع ذاته، وجهد الذين يعايشهم الباحث أو الكاتب ويبادلهم النظر والاهتمام والمعرفة. كما لا ينفي ان تكون دراسته هذه مقدمة لدراسات في هذا المجال، مما يجعلنا نعتز بتواضعه في ما يشير اليه.

السؤال الأكبر الذي ينبغي ان يسأل، بعد ان نطوي صفحات الكتاب هو: الى متى تبقى امورنا الجوهرية دون دراسة أو دراية، حتى بتنا على ما نحن عليه من تخلف وأمية لأمورنا الحيوية؟

من المؤسف اننا، في معظم الاقطار العربية، بتنا نتهرب من هذا السؤال الأساسي، عبر زخرفة لفظية لأمورنا الحيوية لا تبعدنا عن بؤسنا قيد انملة.

لقد بين الاستاذ عبده، عبر صفحات كتابه، الكثير الكثير من الخلل الذي يعتور حياتنا الاجتماعية، وانعكاس ذلك على تخلفنا الاقتصادي، من خلال التخلخل الحاصل في الشرائح الاجتماعية لمجتمعنا العربي، وانعكاس ذلك على الواقع البيروقراطي، مستفيضاً في معالجة موضوع انتاجية العمل، والعوامل الاجتماعية والنفسية المحفزة لذلك، معرجاً على ما يجب عمله لتخطيط القوى الانتاجية في الوطن العربي، مشدداً على الرقابة العلمية لنشاطات المجتمع، في ظل تعاون المجتمع والحكومة في البناء الاقتصادي وارساء دعائمه.

فهل نجح المؤلف في شرح هذه الموضوعات ومعالجتها بالقدر الذي تتيحه له معلوماته ومصادره أم انه انكفأ عن ذلك، نظراً لندرة المصادر والإحصائيات؟

في رأيي، ان هذا الكتاب يشكل دراسة مهمة، ومهمة جداً، لأي دراسات لاحقة سوف تكتب في هذا الموضوع، من حيث ترسيخه لمنهجية في البحث، نادراً ما اطلعنا عليها في المكتبة العربية. لكن ذلك لا ينفي ان الجانب الاجتماعي من البطالة المقنعة كان على

حساب الجانب الاقتصادي مع الاختصار في ايراد البيانات التي تتعلق بكل قطر عربي على حدة.

ان موضوع البطالة المقنعة، ودراسة جذورها وتعميق البحث عن مكنوناتها وطرح آراء لمعالجتها، سواء بشقها الاجتماعي أو الاقتصادي، تبقى من المواضيع الصعبة والمهمة في أي تصد لتخلفنا العربي□

صدر حديثاً عن

مركز دراسات الوحدة العربية

مشروع استشراف مستقبل الوطن العربي

محور «العرب والعالم»

العرب ودول الجوار الجغرافي

الدكتور عبد المنعم سعيد

■ مؤتمرات

ندوة «الدولة والمجتمع المدني في المغرب العربي»

باريس، ١٠ ـ ١٢ نيسان/ ابريل ١٩٨٧

قيس خزعل جواد

معاون مدير التحرير في مركز دراسات الوحدة العربية سابقاً.

عقد مركز الدراسات العربية المتوسطية بالتعاون مع جامعة باريس ٣ (شعبة الدراسات العربية الاسلامية) وبدعم من مركز دراسات الوحدة العربية ندوته الثالثة(*) حول «الدولة والمجتمع المدني في المغرب العربي» في البيت المغربي في المدينة الجامعية في باريس، واستمرت أعمال الندوة ثلاثة أيام ١٠، ١١، ١٢ نيسان/ ابريل ١٩٨٧، وقسمت اعمالها الى محاور ثلاثة عملياً. تناول المحور الأول «الدولة القطرية والدولة الوحدوية» وبحث المحور الثاني في «الفضاء السوسيو ثقافي المغاربي» وعالج المحور الثالث «الفضاء الاقتصادي والدولة الاتحادية».

أولاً: الدولة القطرية والدولة الوحدوية

قدم في هذا المحور ثلاثة ابحاث، الأول عن نشأة وتطور الدولة في المغرب العربي من الاستقلالات الى اليوم، وكان تحت عنوان «الدولة والأمة والنظام» وقدمه د. محمد عبد الباقي الهرماسي (جامعة تونس). وقدم البحث الثاني د. سعيد بنسعيد (جامعة محمد الخامس، الرباط) وكان عن «المغرب العربي والوعي النظري لدى الحركة الوطنية المغربية» وختم المحور د. برهان غليون (باحث سوري) ببحث عن «الدولة والمجتمع والنظام العالمي للتقسيم الدولي».

تناول الهرماسي مفاهيم الدولة والأمة والنظام من خلال عرض لمقولته الأولى الخاصة بتوطيد الدولة وتشكل نسق اقليمي من الدول الوطنية مصطلحاً على الكيانات الأقليمية نزعة «التقومن» التي يرى انها اصبحت ظاهرة عربية بعد الحربين العالميتين. فهذه النزعة كما يراها الباحث واضحة

(*) تأسس مركز الدراسات العربية المتوسطية عام ١٩٨٥ واتخذ من مدينة اميان الفرنسية مقراً له. وقد نظم المركز ندوته الأولى عن «الهجرة واشكالية العودة» في ٢ ـ ٣ آذار/مارس ١٩٨٥، كما أقام ندوته الثانية عن «وحدة المغرب العربي» في اميان في ٣٠ تشرين الثاني/نوفمبر ـ ١ كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٥ بالتعاون مع جامعة البيكاردي وبلدية اميان ودعم من مركز دراسات الوحدة العربية.

تبرزها جملة من المقاييس والمؤشرات هي: تعدد أجهزة الدولة وتضخم الوظائف والمجهودات المبذولة لكسب الشرعية. وللدولة دور تلعبه في أقلمة الثقافة العربية، عبر انشاء شبكة ودائرة ثقافية واعلامية قطرية مغلقة، وهذه الشبكة بدورها ـ بصحفها واذاعاتها وتلفزتها ـ تخلق هوية اقليمية تتميز عن الهوية القومية.

انتقل الباحث الى مقولته الثانية المتعلقة بأزمة الشرعية، فالدولة الحديثة منفصلة عن المواطنين لا تستمد شرعيتها لا من الشرع ولا من الجماهير، وتالياً فالحلم بالدولة العربية الكبرى غير قابل للتحقيق، لأن الدولة لا شرعية هنا. فالوحدة ككل مشروع سياسي لا يمكن تصورها خارج جهاز دولة يتبناها، ويخضع المطالب المحلية لاهدافها. ولكن المفارقة ان كل عمل وحدوي يقوي البيروقراطية الاقليمية التي تتبناه، يقوي بالضبط الجيش والادارة والاقتصاد ووسائل الاعلام. يخلص الباحث في هذا الباب الى ان مجتمعات المشرق العربي التي حددت قضايا العرب لمدة ربع قرن مثل الاشتراكية والانماء السريع وتحرير فلسطين وتكوين الدولة العربية الكبرى الموحدة، فشلت، بل ان الدولة التي راهنت اكثر من غيرها على هذه الاهداف، هي التي اهتزت اكثر بفشل مشروعها هذا وحل خطر البلقنة فيها.

ينتقل الباحث، بعد ذلك، الى المغرب العربي ليبحث في الدولة والشرعية السياسية في المغرب العربي، فيقرر ان المغرب بالمقارنة مع المشرق العربي يتسم بشرعية الدولة الوطنية على صعيد المبدأ. وهذا لا يعني طبعاً نقص الانتماء الى الأمة العربية وانما العكس، فمن الناحية الاجرائية لا يتصور البناء القومي العربي وكأنه نقض الانتماء الى الدولة الوطنية الموجودة (...) فالدولة من زاوية تاريخها وتكونها تمثل حلم الوطنيين الوحيد خلال ما يسمى «الليل الاستعماري» الطويل. ففي المشرق العربي تنتشر ايديولوجية تنظر الى الدول ككيانات اصطناعية خلقها الاستعمار لتكريس التجزئة السياسية للأمة العربية، لكن اطار الدولة الوطنية في المغرب العربي مقبول تماماً وإن كان الناس لا ينظرون اليه كإطار نهائي، وهو اطار مقبول وان وجدت الأنظمة صعوبات كبرى في اثبات شرعيتها. ولكن وبعد ان فشلت حكومات ما بعد الاستقلال بتنفيذ برامجها الوطنية، فقد أخذ الرأي العام المغربي يغير تصوره لرجال السياسة الذين يعيشون من السياسة اكثر مما يعيشون من اجلها. فالى جانب الاستقطاب الاجتماعي وانعدام الثقة تجاه الأنظمة، نجد بدايات التمرد على قواعد المجموعة الوطنية، فالجماعات الاسلامية لا تكتفي بادانة قصور الحكومات، وعدم قدرتها على تحسين الأوضاع وفتح باب الحوار، وانما تدين أيضاً أحزاب المعارضة وتعتبرها شريكة الحكومة في مسؤولية الحكم، وتتطور هذه الادانة باتجاه العنف السياسي الذي أصبح ظاهرة عالمية، ذلك ان فشل الايديولوجية القومية العربية لم يخدم الدول «الوطنية» وانما غذى تقليداً آخر مناهضاً للدولة، وهو المتمثل في الحركة الاسلامية.

البحث الثاني في هذا المحور قدمه الباحث المغربي سعيد بنسعيد عن «المغرب العربي والوعي النظري لدى الحركة الوطنية» فتحدث عن مساهمة الحركة الوطنية المغربية في نقل المغرب الى عتبة الأزمنة الحديثة وجعله أمام معركة الحداثة، بل داخلها، بقدر ما كانت تستهدف تخليصه من السيطرة الاستعمارية. فالأمران كانا متداخلين في الواقع اذ لا يمكن خوض معركة التحرير دون أن يخوض الشعب المغربي كله معركة أخرى، هي معركة محاربة الاسباب والدوافع التي جعلت

استعمار البلاد واقعاً ممكناً. لذلك لا بد من اضافة عامل ثان، وهو أن العمل الاستعماري في المغرب، منذ مطلع القرن العشرين وقبل واقع الاستعمار الفعلي، كان عملاً يستهدف التشكيك في الرابطة العضوية التي تربط ابناء المغرب العربي بعضهم ببعض من جانب أول، ويسعى الى فصل المغرب عن باقي البلاد العربية الاخرى، عن طريق التشكيك في انتمائه العربي أو العروبي الى المجموعة العربية من جانب ثان. والتركيز على الفردية أو «الخصوصية» المغربية من جانب ثالث. والحركة الوطنية التي وجدت نفسها تعي ذاتها، من خلال قيامها بمجموعة من ردود الأفعال تجاه هذه المبادرات الاستعمارية المتعددة الوجوه، أدركت وبقوة شديدة ضرورة توافرها على وعي نظري قوي ومتماسك بكسب العمل السياسي، ثم عمل المقاومة المسلحة.

وخلص الباحث الى ان الوعي النظري عند الحركة الوطنية المغربية يمكن استخلاصه من المواقف العملية المتنوعة من جانب أول، كما يجب تبينه، من جانب ثان، من كتابات رجال تلك الحركة لا باعتبارها كتابات «سياسية مباشرة» تهدف الى ايجاد الحل العملي والعاجل لقضية مستعجلة، بل باعتبارها كتابات تنتمي الى استراتيجية التحرر التي هي بحسب منطق الاشياء استراتيجية التحديث. وهذا الاخير لا يكون الا بالدفاع عن الهوية المهددة، والتي لا تقوم في «خصوصية» اقليمية بقدر ما تتجلى في العمق العروبي. لذلك يكون البحث في شروط الوعي النظري ومكوناته عند الحركة الوطنية، قراءة واعية في الفكر العربي المعاصر برمته.

البحث الثالث والأخير في هذا المحور قدمه د. برهان غليون عن «الدولة والمجتمع والنظام العالمي للتقسيم الدولي» وكان من أبرز بحوث الندوة وأشملها، فأشار أولاً الى ان برنامج الحركات الوطنية كان قد ربط الاستقلال ببناء الدولة الحديثة القومية. وفي ظل نظرية البناء القومي، نشأت وتطورت الدول العربية الحالية لتقود مجتمعاتها نحو التلاحم الداخلي والتقدم الحضاري. سعى مشروع البناء القومي الى انشاء دولة مستقلة وذات سيادة تحقق التنمية وتحدّث هياكل الاقتصاد والمجتمع. وترسخ الانتماء الى الوحدة. قاد هذا المشروع الى أمرين: الأول جعل بناء الدولة محور النشاط التاريخي للمجتمع، والثاني توكيل الدولة الجديدة إعادة تشكيل المجتمع بأكمله، المجتمع المدني والسياسي.

ولكن، وبعد اكثر من قرن من انتشار ايديولوجية التحرر الوطني، وبعد اكثر من ثلاثة عقود من وهم البناء القومي، لم يتحقق الهدف المنشود وانما تحقق عكسه بالضبط، ويتساءل الباحث لماذا أصبحت دولة البناء القومي دولة الخراب القومي، ولماذا تحولت دولة المجتمع والأمة الى دولة العداء للمجتمع وقهر الأمة، وكيف اصبحت الدولة الوطنية وكالة دولية وقوة أجنبية؟ ويجيب الباحث ان العلة تكمن في المنطق الداخلي لهذا التحول. فالمسألة الاساسية كانت في عدم فهم مفهومي السيادة الخارجية والسيادة الداخلية، وتالياً فلا يكفي ان نقول بعدم ظهور نظرية للدولة، ولا التركيز على نظرية الامبريالية، حيث تتم مناقشة مسألة الدولة في اطار المنطق الاقتصادي فحسب. وحتى حين تم تجاوز ذلك الى دراسة بنية الطبقات السائدة في البلاد النامية، فقد وجد أنها مرتبطة بحكم بنيتها الكمبرادورية بالسوق العالمية، واصبح من العسير القطع مع الامبريالية، وهنا تظهر قوى جديدة يمكنها ان تكون حاملة للدولة القومية الحديثة وهي الشعب، ولكن لماذا لم ينجح هذا الشعب بفرض ارادته على هذه الطبقة، وما هي احتمالات نجاحه في المستقبل؟ وهنا انتقل محور التحليل من

الدولة والطبقة السائدة الى المجتمع، واصبح تحليل العلاقة بين الدولة والمجتمع الموضوع الرئيسي، واكتشف الجميع ما أطلق على تسميته ازمة الدولة ـ الامة في العالم الثالث.

وفي الباب الثاني من الدراسة «الدولة والمجتمع المدني» يخلص الباحث الى أن المجتمع المدني في الادبيات السياسية العربية الحديثة، يبدو وكأنه وجود قائم بذاته يقف وجهاً لوجه أمام الدولة، كما تبدو الدولة بالضرورة وكأنها مؤسسة مستقلة عن المجتمع المدني، وقائمة فوقه أو خارجه أو ضده، وتصبح المشكلة الأولى في النظرية السياسية العربية هي اقامة الجسر المطلوب بين هذا المجتمع المدني والدولة التي هي خارجه. وتحت عنوان «المجتمع السياسي والدولة» يقرر الباحث ان الدول لا تولد كأثر اضافي لوجود الشعب وتميزه الثقافي والاقوامي، ولعل افضل مثال على ذلك هو الجماعة العربية نفسها التي لم تتكون كأمة إلا في إطار امبراطورية لا قومية، دمجت في دائرة نفوذها شعوباً متميزة، وصهرتها في بوتقة واحدة وخلقت منها مجتمعاً سياسياً جديداً لا علاقة له بمجتمع الجزيرة العربية الأول، فكونت منها أمة واحدة. ويتساءل الباحث هنا كيف نفسر وجود الدولة السوفياتية والصينية والهندية، وميل الجماعة الأوروبية الى التوحيد مع اختلاف لغاتها وثقافاتها وتاريخها، وهي كلها امبراطوريات، اليست هناك علاقة بين طبيعة هذه الدول الامبراطورية الكبرى وبين الموقع الذي تحتله في النظام الدولي؟

ويخلص الباحث في القسم الأخير من بحثه الى ان الدول ليست بالضرورة التعبير النوعي السلبي أو الايجابي عن مجتمعات مدنية متميزة ومتفردة ومستقلة، وانما هي مرتبطة بحقائق أكبر، تاريخية وموضوعية اي بتاريخ السياسة العالمية، تاريخ الدول والصراعات والسيطرة العالمية والقوة. إن النظام الدولي ـ حسب الباحث ـ يفقد استقلالية اي دولة تحاول تجاوز حدود الدولة الوطنية، ويفرغها من اي مضمون، فالدولة في واقع الأمر ليست دولة سياسية، بقدر ما هي سياسة دولية ودولوية تستمد مبرر وجودها من الجماعة، وتؤسس شرعيتها، وهي شرعية خارجية، على نجاحها في احتواء مقاومتها وتحطيمها.

ثانياً: الفضاء السوسيوثقافي المغاربي

تضمن هذا المحور بحثين قدمهما د. محمد اركون (جامعة باريس ٣) عن «انماط الوجود الاسلامي في المغرب الاسلامي» ود. نذير معروف (جامعة وهران) عن «انثروبولوجيا المغرب العربي».

تحدث اركون عن موضوع العلاقة بين الشرعية الاسلامية والسلطات السياسية منذ بداية التاريخ الاسلامي، وذكر بأن المجتمع المدني العربي لم يكن موحداً، بل انه لم يكن متشكلاً أصلاً. وعليه، فمن العسير تصور أنه تشكل واختار سلطته السياسية، وانه ينبغي علينا العمل لذلك شرط أن يتم ذلك وفق تعددية تجعل هذا الاختيار ديمقراطياً. وكرر الباحث مقولاته الخاصة بضرورة عدم الخلط بين ما هو مدني وما هو ديني، فالاسلام اقام نظاماً خاصاً بالمعاملات وآخر بالعبادات.. وأشار الى ان على العقل الاسلامي ان يعيد اسمى وظائفه وهي الاجتهاد الذي به يتم التطور، وفي هذا الشأن تحدث عن ان سيطرة المذهب المالكي على مدرسة القرويين، بل على المغرب، لم يسمح بانتشار مذاهب اسلامية اخرى، فحتى وقت قريب لم تكن غالبية المغاربة مثلاً تعرف بوجود مذهب شيعي، وفضلاً عن ذلك فإن المالكية قد قفلت باب الاجتهاد كلياً. وحرم الاجتهاد داخل المغرب وخارجه حتى أن أشهر فيلسوف

مغربي وهو ابن رشد لم يعرف في المغرب حتى وقت قريب جداً إلا بدراساته الفلسفية، أما أفكاره الفقهية فقد أهملت تماماً، ولا يعلم كثير من المثقفين المغاربة بأنه كان قاضياً وله مؤلف فقهي مهم وهو **بداية المجتهد** ذلك لأن الأفكار الواردة فيه اجتهادية يخشاها المذهب المالكي.

النقطة الثانية التي اثارها د. اركون هي ان اعتناق الاسلام يفرض مسؤوليات والتزامات على المسلم، فالشهادة مثلاً تتضمن اقراراً والتزاماً بحرفيتها ومعناها، في حين ان منع الاجتهاد والتفكير قد جعلا من المغربي مسلماً وراثياً يكرر كلاماً لا يفقه فيه... وكان لذلك انعكاساته في ما بعد على التاريخ المغربي ككل، فلم يفكر الثوار الجزائريون ابان ثورتهم مثلاً بما ستكون عليه دولة الجزائر فيما بعد الاستقلال، لم تدرس طبيعة الدولة الجزائرية واسلاميتها، وحين كان السؤال ماثلاً ومطروحاً عليهم رفضوا الانتباه اليه وأخذوا من الجهاد أصغره وهو الجهاد بمعناه التحرري السياسي، في حين اهملوا الجهاد الأكبر، جهاد النفس. وحتى في تاريخ المغرب ككل، بقيت فكرة الجهاد الأصغر مهيمنة منذ انهيار الاندلس وحتى يومنا هذا. فالدولة الحالية تعتبر نفسها في حال جهاد دائم ضد الغزو الاجنبي، والحكام منعوا اي اجتهاد بدعوى التعبئة لمواجهة العدو الخارجي. فالشعار هو جهاد التهديد الخارجي من دون أن يلقى جهاد النفس مجاله للتحقق، وهكذا أوقف شعار الجهاد ضرورة الاجتهاد ووصلنا الى ما نحن عليه الآن.

وكالعادة، اثارت مقولات اركون عاصفة من النقاشات التي كم كان بامكانها ان تكون مفيدة، لو انها تناولت جوهرياً البحث نفسه أو التزمت موضوع الندوة، غير انها في الغالب تناولت موضوعات عامة وخاصة تتعلق بحال الجزائر ابان الثورة وبالتقاعس عن الجهاد. كما أنها تطرقت الى موضوع مادة المؤرخ والتاريخ والمؤرخ ذاته والدراسات التاريخية، وهي أمور نافعة لا شك، غير انها خارج اطار الندوة وموضوع البحث.

البحث الثاني كان متميزاً جداً، ولقي استحساناً عاماً من الحضور وهو الذي قدمه د. نذير معروف الذي استخدم مجموعة من المصطلحات التقنية الخاصة التي قد لا تكون في دائرة اهتمام أو دائرة معرفة غالبية الحاضرين، ولكنه اجاد التحليل كسوسيولوجي انثروبولوجي.. اشار الباحث الى ان الدولة الجزائرية بعد الاستقلال كانت ترعى نوعاً من العلاقات الاجتماعية التي اصطلح على تسميتها علاقات توزيع وليست علاقات انتاج، فالدولة توزع عائدات النفط من خلال توزيعها للوظائف والاستخدامات الاخرى. انها من حيث كونها ربة العمل تحمل مسؤوليات لا يتمكن الفرد من مجادلتها فيها، وبالتالي من العسير على الافراد تجاوزها، بخاصة وانهم عمال لديها، وهي ترسم منهجية البلاد الاقتصادية وتشرف على توزيع الثروة.

قاد هذا التحليل الى البحث عن شرعية النظام في المغرب العربي، فالدولة التونسية مثلاً تجد مشروعيتها في شخص رئيسها الذي لا منازع له، والذي اكتسب قيادته من فترة الكفاح ضد الاستعمار، وتالياً فعلى رأس الدولة رجل واحد يملك كل القرارات. اما الدولة الجزائرية فان على قمتها تقف رؤوس عدة: الرئيس وقيادات الحزب والمجاهدون. هناك مجموعة قيادة، وهذه المجموعة تحكم دولة تجد مشروعيتها في المليون ونصف المليون شهيد الذين سقطوا في حرب التحرير من ناحية، وفي العائد النفطي من ناحية أخرى. ولكن هذه الدولة تعاني اليوم ازمة خطيرة سببها النفط. فانخفاض العائد

النفطي، قلل من امكانات الدولة المادية والعملية في كونها ربة عمل قادرة على توزيع الاعمال. ان عدم تمكنها من توفير ما يجب من اعمال للسكان، يهز من شرعيتها، وبالتالي فقد لجأت كأجراء أولي الى اعادة ترتيب مواطنيها. وبالذات المجاهدين الذين يحتفظون ببعض الامتيازات، فقسمت هؤلاء الى مجاهد اصيل ومجاهد حزبي وآخر مشارك وهكذا. اي انها اضطرت الى ترسيم سلمية اجتماعية جديدة داخل فرق المجاهدين وغيرهم ممن يلتفون حولها، وهو أمر جديد في التشكيلة الاجتماعية للجزائر.

ثالثاً: الفضاء الاقتصادي والدولة الوحدوية

لم يكن المحور الثالث مدرجا في برنامج الندوة او في مخططها الأول، ولكن غياب بعض الباحثين مع أبحاثهم ووجود الخبير الاقتصادي التونسي د. محسن التومي في الندوة أفسح في المجال لتعديل في البرنامج مفيد ومجد. فقد القى التومي بحثاً بعنوان «الفضاء الاقتصادي والدولة الوحدوية» اكد فيه نظريته الخاصة بالمنهج الاقتصادي الوحدوي. ويتساءل الباحث لِمَ لم تنجح أي وحدة في المغرب أو المشرق العربيين على رغم المحاولات العديدة؟ ما هي الاسباب: هل هي سياسية، داخلية، أو كما يقال الصهيونية الامبريالية، ام هي كل ذلك مضافاً اليها غياب النهج الاقتصادي الوحدوي؟... ان هناك ـ حسب الباحث ـ تبريرات جغرافية سياسية مقنعة تبرر ضرورة المنهج الاقتصادي في اي عملية توحيدية، ان هذا المنهج قد وحد شعوباً مختلفة في لغاتها وعاداتها وتاريخها وعروقها، فكيف لو طبق على المجموعة العربية.

لقد كان المغرب العربي، عشية الاستقلال، مهيأ للوحدة تماماً، حركة التحرر الوطنية كانت مقتنعة، وفرنسا كانت تعبر عن ان المغرب كتلة في سبيلها الى التوحد، لكن غياب التكامل الاقتصادي بين أقطار المغرب جعل الدولة الوطنية تنمو بمعزل عن دائرتها القومية، وكان الغرب وفرنسا بالذات يريدان المغرب موحداً في تبعيته الاقتصادية لهما، وليس موحداً في تكامله الاقتصادي، لذلك شجعت وما زالت تشجع شخصيات مغربية وسياسات تؤكد على النمو القطري والتفكك.

من ينظر الى الحالة الاقتصادية لاقطار المغرب العربي، سيجد التالي: مساحة هائلة مكونة من ٥٧ مليون كيلومتر مربع، والسكان حسب تقديرات ١٩٨٧ يبلغون ٥٥ مليون نسمة. وتشير التقديرات الى انهم سيصلون الى ٨٥ مليون نسمة عام ٢٠٠٠. لكن الملاحظ ان التبادل التجاري بين اقطار المغرب: المغرب والجزائر وتونس وليبيا وموريتانيا لا يتجاوز ٤ بالمائة، في حين يصل بين كل قطر مغربي وفرنسا مثلاً الى نسبة تتراوح بين ٤٠ و٥٠ بالمائة والباقي موزع على الولايات المتحدة وباقي دول أوروبا الغربية. انه انكشاف اقتصادي كامل ازاء الغرب.

وكمثال آخر، نأخذ مسألة حيوية جداً، وهي التنقل بين مدن وبلدان المغرب العربي. فالرحلات الجوية مثلاً تشير الى انها تصل بين مدن المغرب وفرنسا مثلاً الى عشر رحلات يومياً، في حين لا تتعدى الرحلات بين تونس والجزائر رحلة واحدة يومياً، وبين باقي الدول تتراوح بين رحلتين الى ثلاث اسبوعياً. واذا اراد مغربي التنقل بين مدينة مغربية وأخرى جزائرية مثلاً، فلا بد له من المرور بمدينة اوروبية أولاً... حتى مشروع السكة الحديد الذي كان عليه ان يربط عاصمة تونس بالرباط، وصل الى عاصمة الجزائر وتوقف، نظراً للخلافات بين الجزائر والمغرب.

يقترح الباحث، وهو الخبير بالتنظيم

الاقتصادي القطري والاقليمي بين دول افريقيا، ان يصار الى الاهتمام بالوضع الاقتصادي اكثر من الوضع السياسي، بمعنى ان لا يتأثر القرار الاقتصادي بما تؤول اليه السياسة. ويركز الباحث على مسألة حيوية وهي انه لا بد من علاقة متينة بين الأمة والدولة، وذلك لا يتم الا عبر مشروع طموح يساهم في عملية التوحيد. فالولايات المتحدة مثلاً كان مشروعها الطموح هو الذهاب الى الغرب الى الباسيفيك، في حين كان مشروع الاتحاد السوفياتي الطموح هو الغزو الاقتصادي لسيبيريا. ان على المغرب العربي ان يكون صاحب مشروع طموح للأمة هو الغزو الاقتصادي للصحراء مثلاً، هذه الصحراء التي تمتلك موارد اقتصادية ضخمة وهائلة لو استغلت، والوحدة لا تتحقق من دون تحقيق مصالح، لا بد ان تؤسس لدى الأفراد والجماعات والمؤسسات طموحات تربط مصالحهم وتحقق وحدتهم.

خاتمة

ثلاثة ايام من العمل المتواصل هيأت لنا تسجيل الملاحظات التالية:

ـ ان الانطباع الأساسي الذي يسجله مراقب للندوة هو انها نجحت تماماً، فقد عقدت في المدينة الجامعية، وكانت مفتوحة للجميع، الأمر الذي جعل درجة الحيوية السياسية فيها ملحوظة. وتلك سمة صبغت نشاطات مركز الدراسات العربية المتوسطية وندواته. فالاشكاليات المطروحة عندما تكون بين أيدي باحثين متخصصين وبمتابعة ومشاركة المهتمين من الطلبة وغيرهم، تولّد تأثراً وتأثيراً مهمين بين مستويين ثقافيين.

ـ لقد لاحظ المؤتمرون غياب عدد من الباحثين الذين أدرجت اسماؤهم في اللوحات الاعلانية عن الندوة. ولقد اصاب اللجنة المنظمة للندوة دهشة واستغراب شديدان لما حدث، فمما يؤسف له ان بعض الباحثين حضر الى باريس وسافر، قبل بدء اشغال الندوة، استمر البعض الآخر يعلن عن عزمه الحضور برقياً من دون ان يحضر. في حين غاب باحث من دون اعتذار. إن هذه الملابسات اربكت اللجنة المنظمة التي لم تتمكن من استبدال عدد من الباحثين لأنها انتظرت وصولهم حتى النهاية. انها بادرة سلبية للغاية، نأمل ان لا تصبح سلوكاً معتاداً من فئة الاكاديميين الفاعلة في العقل العربي.

ـ تمكن منظمو الندوة، عبر الابحاث التي القيت وحيوية المواد والجهد الملحوظ الذي قام به المركز الدولي للترجمة، الذي كان وما زال احد ابرز الداعمين لمركز الدراسات المتوسطية، من تجاوز الارباك الذي حدث في اليوم الأول، وسارت جلسات الندوة على احسن ما يرام حتى النهاية.

ـ من المفيد التذكير ان معظم الباحثين لم يرسلوا بحوثهم قبل انعقاد الندوة، باستثناء بحث د. برهان غليون، الذي كان من اخلص البحوث لموضوع الندوة واشملها تغطية.

واخيراً تبقى ملاحظة ان غالبية الابحاث القيت باللغة الفرنسية وكذلك الحوار، في ندوة بين عرب، وموضوع يخص مجتمعهم المدني والدولة. ونأمل أن تأخذ اللغة العربية دورها في الندوات المقبلة □

موجز يوميات الوحدة العربية
أيار (مايو) ١٩٨٧

إعداد: قسم التوثيق
في مركز دراسات الوحدة العربية

١ ـ جامعة الدول العربية والمنظمات المتخصصة في إطارها

أ ـ القمة العربية

ـ توقع ياسر عرفات، رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، أن تعقد القمة العربية خلال شهر ايلول / سبتمبر القادم. وابدى عرفات تفاؤلاً بالوضع العربي الحالي وقال إن الجهود الخيّرة العربية المبذولة حاليا إذا سارت في مسارها الصحيح فإن من شأنها أن تحقق هذا الهدف. ودعا عرفات، في مؤتمر صحافي عقده في المنامة، الأمة العربية إلى التوصل إلى موقف عربي موحد ولو بحد أدنى. وأشار إلى أن الجهود العربية بدأت منذ القمة الإسلامية الخامسة في سعيها من أجل تحقيق تضامن عربي وكان آخرها الاجتماع الذي تم بين قادة الجزائر والمغرب والمملكة العربية السعودية (**الثورة**، صنعاء، ١٩٨٧/٥/٧). وأكد راديو الرياض أن الجهود التي تبذلها المملكة العربية السعودية لمصالحة الجزائر والمغرب ولتحسين العلاقات الفلسطينية ـ المغربية تهدف إلى عقد قمة عربية في الرياض (**الوطن**، الكويت، ١٩٨٧/٥/٧). وصرّح الشاذلي القليبي، الأمين العام لجامعة الدول العربية، في حديث لصحيفة **الصباح** أن ما يعزز الأمل في انعقاد القمة العربية الثالث عشرة بالرياض، ظهور بعض الانفراجات في العلاقات العربية تجلت مؤخرا بالإجماع العربي على دعم فكرة المؤتمر الدولي للسلام في الشرق الأوسط، وباتخاذ الوزراء العرب في الدورة الأخيرة لمجلس جامعة الدول العربية قرارا بالإجماع يقضي بمطالبة إيران بوقف القتال، ودعوة المجموعة الدولية إلى اتخاذ تدابير فعّالة لتنفيذ القرار ٥٨٢ الخاص بالحرب العراقية ـ الايرانية (**الصباح**، تونس، ١٩٨٧/٥/٢٣). كذلك قالت **وكالة الأنباء الأردنية** (بترا) إن الملك حسين، العاهل الأردني، أجرى مع الملك فهد بن عبدالعزيز، العاهل السعودي، محادثات في الرياض تناولت الجهود المبذولة لتنقية الأجواء العربية، ورأب الصدع في الصف العربي تمهيداً لعقد القمة العربية المقبلة (**الدستور**، عمان، ١٩٨٧/٥/٢٦).

ب ـ الأمانة العامة

ـ أكد الشاذلي القليبي، الأمين العام لجامعة الدول العربية، لدى عودته أمس الأول إلى تونس من جولة شملت غانا والكونغو وزامبيا، أن مباحثات الوفد العربي في إطار المهمة التي كلفته بها اللجنة السباعية العربية لمتابعة تطورات الحرب العراقية ـ الايرانية مع القادة الأفارقة كانت ناجحة ومثمرة. وقال القليبي إنه وجد لدى القادة الأفارقة تجاوبا وتفهما لوجهة النظر العربية إزاء الحرب العراقية ـ الايرانية، والتعاطف مع موقف العراق السلمي والارتياح العام للقرار الجماعي العربي الذي صدر عن مجلس الجامعة في السادس من الشهر الماضي بشأن وقف الحرب (**الدستور**، عمان، ١٩٨٧/٥/٣).

ـ وصف الشاذلي القليبي، الأمين العام لجامعة الدول العربية، الدور الذي تقوم به الدول الاشتراكية

في البحث عن حل سلمي لمشاكل الوطن العربي بأنه ايجابي جداً، وأشار، في حديث للصحافيين قبل مغادرته براغ في طريقه إلى وارسو في زيارة رسمية، إلى أن «الحل الوحيد لتسوية أزمة الشرق الأوسط هو العودة إلى القانون الدولي الذي يحدّد بوضوح حق كل دولة في تقرير مصيرها وفي الحرية والاستقلال» (**الاتحاد الاشتراكي**، الدار البيضاء، ١٠/٥/١٩٨٧).

ـ ذكر **التقرير الاقتصادي العربي الموحد لعام ١٩٨٦** الذي أصدرته الأمانة العامة لجامعة الدول العربية وصندوق النقد العربي، ان البلدان العربية لم تستفد كثيراً من الانتعاش النسبي الذي شهدته اقتصاديات الدول المصنعة منذ العام ١٩٨٣، وهو الانتعاش الذي تحقق على حساب البلدان العربية المصدرة للنفط، اثر تدهور أسعار النفط في السوق الدولية. وأوضح التقرير أن الاقتصاديات العربية شهدت نمواً بطيئاً خلال العام ١٩٨٥، إذ ارتفع الناتج المحلي الإجمالي بالأسعار الجارية من ٤٠٥ مليارات دولار العام ١٩٨٤ إلى ما يقرب من ٤١١ مليار دولار العام ١٩٨٥. وقال التقرير إن التبادل التجاري بين الأقطار العربية ما زال دون المستوى المطلوب، ولا يستجيب لقوة الطلب السوقية العربية الكبيرة التي لا تزال تحتكرها الواردات من البلدان المصنعة أو غير العربية. ودعا التقرير إلى تنشيط إقامة المشاريع العربية المشتركة في مجال الانتاج الزراعي، وبناء شبكة للسكك الحديدية تربط الاقطار العربية، وتبسيط الاجراءات الجمركية في وجه المصدرين العرب (**العمل**، بيروت، ٢٢/٥/١٩٨٧).

ـ أكّد عدنان عمران، الأمين العام المساعد لجامعة الدول العربية، أنه بحث مع جميع أعضاء المجموعة الأوروبية موضوع المؤتمر الدولي حول الارهاب الذي اتخذ مجلس الجامعة في دورته الأخيرة قراراً بشأنه بناء على طلب سوريا. وأوضح أنه تم خلال المباحثات التأكيد على الموقف العربي الذي اتخذه مجلس الجامعة بالاجماع، والداعي إلى عقد مؤتمر دولي يحدد مفهوم الارهاب، لأن هذا الموضوع يتصف بالأهمية في وقت تحاول فيه القوى الاستعمارية والصهيونية تشويه نضال حركات التحرر عن طريق وصفها بالارهاب (**تشرين**، دمشق، ٢٤/٥/١٩٨٧).

ج ـ المنظمات والمؤسسات والاتحادات واللجان المتخصصة

ـ أشار زكي جابر، مدير الاعلام بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، في محاضرة ألقاها في أبو ظبي، إلى ضرورة استثمار القمر الاصطناعي العربي لكي يحقق الغاية التي من أجلها أطلق. وقال إنه رغم انفاق العرب نحو ٣٠٠ مليون دولار على المؤسسة العربية للاتصالات الفضائية (عربسات) فإنهم لم يستفيدوا منها كما يجب. وأضاف أن الاستثمار القائم حاليا للقمر الاصطناعي العربي في مجال الثقافة لا يتجاوز ٤ بالمائة من طاقة القمر، وهو ما أدى بالتالي إلى عجز مالي وصل إلى أكثر من مائة مليون دولار في ميزانية المؤسسة (**العلم**، الرباط، ٣/٥/١٩٨٧).

ـ قال عبدالله الجازي، رئيس الاتحاد العربي للسكك الحديدية، إن الاتحاد سيقوم بدعوة ممثلي شبكات السكك الحديدية العربية إلى الاجتماع لدراسة إقامة مركز عربي للتوثيق والمعلومات في مجال السكك الحديدية. وأضاف أن المجتمعين سيبحثون ايضا إنشاء معهد عال للسكك الحديدية لخدمة مختلف الدول الأعضاء. وقال الجازي إن إحداث مركز معلومات، وإنشاء المعهد العالي، أصبح أمرا ضروريا لتطوير مرافق السكك الحديدية في الوطن العربي، وأنه سيجري تنفيذ هذين المشروعين بتعاون مشترك بين الخبرات العربية المتوافرة والخبرات الأجنبية (**الدستور**، عمان، ٥/٥/١٩٨٧).

ـ تم في الكويت افتتاح المعهد النفطي العربي للتدريب التابع لمنظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول (أوابك). وصرّح علي الخليفة الصباح، وزير النفط الكويتي، أن من أهم مهام المعهد هو إعداد الكوادر العربية التي تحتاجها الصناعة النفطية. وأوضح أن منظمة (الاوابك) كانت قد قررت تأسيس هذا المعهد بعد أن تحققت من وجود نقص في بعض الاختصاصات التي يحتاجها القطاع النفطي، على الصعيدين القطري والقومي. وبيّن الخليفة الصباح أهمية اكتساب المعرفة التكنولوجية والفنية التي سيوفرها المعهد، من خلال إقامة برامج للتدريب في إدارة الصناعة النفطية، واكد أن المعهد يفتح أبوابه لجميع كوادر الأقطار الاعضاء في (الأوابك) لتأمين حاجاتها من المتدربين لإدارة الصناعة النفطية، كما يسعى المعهد إلى تحقيق التعاون فيما بين هذه الكوادر العربية، لتحقيق التأثير الايجابي في عملية الصناعة النفطية القومية (**هيئة الاذاعة البريطانية**، لندن، برنامج حول العالم العربي، ٧/٥/١٩٨٧).

ـ اكد قيس عبدالجبار شريدة، الأمين العام للاتحاد التعاوني العربي، الذي يتخذ من بغداد مقراً له، ان

الاتحاد منذ تأسيسه عام ١٩٨١ وحتى الآن، يعمل بهدف رفع مستوى الحركة التعاونية في الوطن العربي، اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا، ويعمل على توحيد التنظيمات والاتحادات التعاونية قطريا وقوميا، ونشر الوعي التعاوني وتشجيع وتدعيم نشاط التدريب والتعليم التعاوني، ويسهم في الجهود الرامية لتوحيد الاقطار العربية. وأوضح أن الاتحاد التعاوني هو أحد الاتحادات النوعية المتخصصة العاملة تحت مظلة مجلس الوحدة الاقتصادية العربية، وينسق مع الاتحادات الأخرى المتخصصة لتحقيق التكامل الاقتصادي العربي. وقال إن الاتحاد الآن بصدد اعداد تشريع موحد للحركة التعاونية العربية، وقد شكّل لجنة تضم مجموعة من الخبراء لوضع التشريع الموحد (**العرب**، لندن، ١٩٨٧/٥/٢٨).

٢ ـ قضايا عربية

ـ ذكرت وزارة الدفاع الإسرائيلية أن ١٦ الفا و٢٠٠ جندي ومدني اسرائيلي لقوا مصرعهم واصيب ٣٦ الفا و٦٨٤ آخرين بجراح خلال الحروب التي خاضتها اسرائيل منذ عام ١٩٤٨. وقالت الاحصائية إن ٦٠٨٧ عسكريا قتلوا في حرب ١٩٤٨ و٢٦٧٦ قتلوا خلال حرب تشرين الأول / أكتوبر ١٩٧٣، بينما قتل ٧٨٥ خلال حرب حزيران / يونيو ١٩٦٧ و٢٣٢ خلال حرب السويس عام ١٩٥٦ و١١٥٤ خلال حرب لبنان و١٤١٤ خلال حرب الاستنزاف. ومما يذكر ان الاحصاءات الإسرائيلية الرسمية للقتلى لا تشمل المفقودين (**اخبار الخليج**، المنامة، ١٩٨٧/٥/١).

ـ استعرض حسني مبارك، الرئيس المصري، في خطاب شامل القاه بمناسبة عيد العمال، الجهود التي بذلتها مصر من أجل القضية الفلسطينية. وحذّر من أنه إذا حدث تطاول على مصر وشعبها فإن مصر ستتخذ اجراءات إضافية بحق منظمة التحرير الفلسطينية (**الاهرام**، القاهرة، ١٩٨٧/٥/١). من جهة اخرى، أعلنت **وكالة الانباء الفلسطينية** ان معمر القذافي، الرئيس الليبي، أبلغ خليل الوزير، نائب القائد العام للقوات المسلحة الفلسطينية، خلال اجتماع عقد بينهما في طرابلس، قراره بإعادة فتح مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في طرابلس (**الثورة**، صنعاء، ١٩٨٧/٥/٥). وعلى صعيد آخر، أعلن الشيخ صباح الأحمد الصباح، نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية الكويتي، أن الكويت تبذل جهوداً مكثفة من أجل تسوية الخلاف بين مصر ومنظمة التحرير (**الاهرام**، القاهرة، ١٩٨٧/٥/٦). أما عن العلاقات بين سوريا والمنظمة، فقد كان الحدث الأبرز لقاء حافظ الأسد، الرئيس السوري، مع جورج حبش، الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، بعد عودته من الدورة الأخيرة للمجلس الوطني الفلسطيني التي انعقدت في الجزائر، واطلاعه منه على تفاصيل ونتائج اتصالاته الأخيرة على الساحة الفلسطينية (**تشرين**، دمشق، ١٩٨٧/٥/٦). وقد أكد الرئيس السوري خلال الاجتماع ان دورة المجلس الفلسطيني تشكل «خطوة ايجابية» (**الوطن**، الكويت، ١٩٨٧/٥/٧)، بينما نقل حبش عن الرئيس السوري ان اعادة العلاقة بين سوريا والمنظمة إلى سابق عهدها يتوقف على الممارسة العملية لقيادة المنظمة خلال الأشهر المقبلة (**النهار**، بيروت، ١٩٨٧/٥/٨). من جهته أعرب ياسر عرفات، رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير، عن تفاؤله بقرب انتهاء الخلاف بين المنظمة وكل من مصر والمغرب (**الاهرام**، القاهرة، ١٩٨٧/٥/٩). وقد اختتمت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية اجتماعاتها في تونس، وأصدرت بيانا قالت فيه إن اللجنة ناقشت آخر التطورات في العلاقة مع مصر، في ضوء قرارات المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الثامنة عشرة بالجزائر، وما آل إليه الوضع من اجراءات أدت إلى اقفال مكاتب المنظمة في القاهرة. وأوضح البيان «أنه بالرغم من الألم الذي شعرت به اللجنة من هذه الاجراءات، فإنها تؤكد موقفها الثابت من تقدير دور مصر ورئيسها حسني مبارك وتضحياتها في الدفاع عن الشعب الفلسطيني وقضيته الوطنية». وأضاف البيان «أن اللجنة قررت تشكيل لجنة داخلية برئاسة ياسر عرفات لمتابعة موضوع العلاقة مع مصر، ومعالجته في إطار الالتزام بالحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني بما فيه حقه في العودة وتقرير المصير وإقامة الدولة المستقلة، والتمسك بالمنظمة ممثلاً شرعيا ووحيداً، ومشاركتها في المؤتمر الدولي على قدم المساواة مع الأطراف المعنية الأخرى» (**الاهرام**، القاهرة، ١٩٨٧/٥/١٨). ودعا البيان إلى فتح صفحة جديدة مع سوريا، وأشاد بالنضال اللبناني ـ الفلسطيني ضد العدو الصهيوني. كما اشاد بالقرار الليبي بإعادة فتح مكاتب المنظمة في طرابلس وبالجهود التي بذلها معمر القذافي، الرئيس الليبي، من أجل إعادة توحيد الصفوف الفلسطينية، وانعقاد المجلس الوطني الفلسطيني الأخير في الجزائر (**السفير**، بيروت، ١٩٨٧/٥/١٨). من جهة أخرى الغى مجلس النواب اللبناني «اتفاق القاهرة» الموقع بين لبنان ومنظمة التحرير عام ١٩٦٩ كما الغى

المجلس القانون الذي أجاز للحكومة اللبنانية إبرام «اتفاق ١٧ أيار / مايو» مع إسرائيل عام ١٩٨٣ (**النهار**، بيروت، ١٩٨٧/٥/٢٢). وقد رفض عرفات قرار مجلس النواب اللبناني إلغاء «اتفاق القاهرة» واعتبر أن القرار «غير قانوني» وقال: إن منظمة التحرير ستدعو جامعة الدول العربية إلى بحث قرار مجلس النواب بهدف التوصل إلى اتفاق مشترك بشأن الوجود الفلسطيني في لبنان (**السفير**، بيروت، ١٩٨٧/٥/٢٥).

ـ اجتمع رونالد ريغان، الرئيس الامريكي، في واشنطن، مع وفد اللجنة السباعية المكلفة بمتابعة الحرب العراقية ـ الايرانية، برئاسة عبدالكريم الارياني، نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية بالجمهورية العربية اليمنية (**الثورة**، بغداد، ١٩٨٧/٥/٩). وأعلن ريغان بعد الاجتماع أن بلاده ستعمل مع الجامعة العربية في مجلس الأمن لاتخاذ الاجراءات الكفيلة لإنهاء الحرب «حتى لو اضطررنا إلى فرض عقوبات على الطرف الذي يرفض قبول قرارات مجلس الأمن». وقال ريغان للوفد العربي إن الإدارة الأمريكية ملتزمة بحرية الملاحة الدولية، وضمان أمن المنطقة وضرورة إنهاء الصراع بالمنطقة. وأعلن المتحدث الرسمي باسم البيت الأبيض أن الولايات المتحدة لم تعد تقوم بأية عملية امداد بالأسلحة لطرفي الحرب (**الاهرام**، القاهرة، ١٩٨٧/٥/٩).

ـ أكد خافيير بيريز دي كويار، الأمين العام للأمم المتحدة، أنه لا يوجد اتفاق كاف في الوقت الحالي يسمح بعقد مؤتمر دولي للسلام في الشرق الأوسط، تحت إشراف الأمم المتحدة. وأضاف دي كويار، في تقرير له، أنه يشعر بالتشجيع بسبب دلائل المرونة في مواقف الأطراف. وأشار الأمين العام إلى استمرار وجود خلافات عميقة جداً في وجهات النظر بين أطراف النزاع. وأوضح دي كويار أن الولايات المتحدة أسقطت اعتراضاتها مبدئيا تجاه عقد مؤتمر دولي للسلام، وان إسرائيل مستعدة لدراسة اختيارات لصيغة مفاوضات مقبولة (**النهار**، بيروت، ١٩٨٧/٥/١٢). وفي هذا الصدد أجرى شمعون بيريز، وزير الخارجية الاسرائيلي، محادثات في واشنطن مع جورج شولتز، وزير الخارجية الأمريكي، تركزت على موضوع المؤتمر الدولي والتطورات الأخيرة في الشرق الأوسط (**النهار**، ١٩٨٧/٥/١٧). وذكرت صحيفة **هيرالد تريبيون** ان مشروع بيريز لعقد المؤتمر الدولي «لا يلاقي التأييد الكامل من قبل الزعماء اليهود في إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية» (**انترناشيونال هيرالد تريبيون**، واشنطن، ١٩٨٧/٥/١٧).

ـ أعلنت واشنطن رسميا أن طائرة «ميراج» عراقية مزودة بصواريخ «إكزوسيت» أطلقت خطأ صاروخين على الفرقاطة الاميركية (ستارك) أثناء قيامها برحلة روتينية في اتجاه البحرين، قادمة من شمال الخليج، مما أسفر عن مصرع ٢٨ بحارا وإصابة ٧ آخرين بجروح (**انترناشيونال هيرالد تريبيون**، واشنطن، ١٩٨٧/٥/١٩). وقال طارق عزيز، نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية العراقي، في لقاء صحافي مع شبكة التلفزيون الامريكية **ان.بي.سي** «إن العراق لم يكن يقصد ضرب أي هدف في الخليج غير الأهداف الايرانية، وما حصل للفرقاطة الامريكية (ستارك) جاء نتيجة للتداخل واللبس في المنطقة التي سبق وان كانت فيها نشاطات عسكرية استهدفت اهدافا إيرانية». وعبر عزيز عن «أسف الحكومة العراقية للحادث» وأكد «أن الحادث غير المتعمد للفرقاطة (ستارك) لن يؤثر على علاقاتنا مع الولايات المتحدة الامريكية» (**الثورة**، بغداد، ١٩٨٧/٥/٢٠). وقد أكد الشيخ جابر الأحمد الصباح، أمير دولة الكويت، في كلمة وجهها إلى الشعب الكويتي «أن شرارات حرب الخليج تتناثر الآن على ضفافه، وأخطارها أصبحت لا تقتصر على الذين يحملون مسؤولياتها المباشرة، وإنما امتدت حتى إلى الدول الكبرى وهددت حرية الملاحة الدولية، وخرجت من إطارها المحلي وأمست من الهموم العالمية». وأوضح «أن الطريق المفتوح والقريب أمام انهاء هذه الحرب هو لقاء الجار مع جاره... لأن قدر العراق وإيران وقدر الخليج كله هو حسن الجوار» (**الوطن**، الكويت، ١٩٨٧/٥/٢٤). من جهة ثانية قال رونالد ريغان، الرئيس الامريكي، إن «الوجود الامريكي في الخليج أمر حيوي، وان بلاده ربما ستزيد من وجودها العسكري لتوفير الحماية لناقلات النفط» (**الوطن**، الكويت، ١٩٨٧/٥/٢٤).

ـ اقترح خافير بيريز دي كويار، الأمين العام للأمم المتحدة، التجديد لقوات الأمم المتحدة بمرتفعات الجولان المحتلة لمدة ستة أشهر أخرى تنتهي في ٣٠ تشرين الثاني / نوفمبر المقبل. وقدم دي كويار تقريراً إلى مجلس الأمن قال فيه «رغم الهدوء الحالي في القطاع الاسرائيلي ـ السوري، فإن الوضع في الشرق الأوسط ككل لا يزال خطرا بصورة محتملة، وقد يظل كذلك ما لم يتم التوصل إلى تسوية شاملة تشمل جميع جوانب مشكلة الشرق الأوسط» (**السفير**، بيروت، ١٩٨٧/٥/٢٣).

ـ اعتمدت لجنة البرامج والعلاقات والخارجية التابعة للمجلس التنفيذي لليونسكو مشروع قرار يتعلق بالمؤسسات التعليمية والثقافية في الأراضي العربية المحتلة. وتعرض المدير العام للمنظمة، في بيان تلاه أمام المجلس التنفيذي للمنظمة إلى عدد من القضايا من بينها الحرب العراقية ـ الايرانية وقضية احتجاز الرهائن الغربيين في لبنان. وأكد مشروع القرار مجمل القرارات التي اتخذتها اليونسكو بشأن الأراضي العربية المحتلة، وأعرب عن رغبة قوية في أن يتمتع سكان الأراضي المحتلة بتعليم ملائم لاحتياجاتهم وذاتهم الثقافية، وذلك أسوة بجميع الشعوب الأخرى. وأشار المشروع إلى مجموعة من البلاغات التي أرسلتها اليونسكو إلى الحكومة الاسرائيلية، بشأن الأحداث المفجعة التي تتعرض لها المؤسسات الثقافية والتعليمية في الاراضي المحتلة، والتي لم تتلق رداً عليها من السلطات الاسرائيلية حتى الساعة. وطالب القرار بإعادة فتح الجامعات فوراً في الأراضي المحتلة، وان تحترم السلطات الإسرائيلية اتفاقية جنيف والاعلان العالمي لحقوق الانسان. وعن الحرب العراقية ـ الايرانية، حذّر البيان من الأخطار التي تتهدد التراث الثقافي والطبيعي نتيجة الأعمال الحربية بين البلدين واضاف انه أوفد في بحر العام الجاري بعثة إلى إيران، وانه سيرسل بعثة مماثلة إلى العراق في حال موافقته على ذلك (**هيئة الإذاعة البريطانية**، لندن، برنامج حول العالم العربي، ١٩٨٧/٥/٣٠).

٣ ـ علاقات عربية

أ ـ تكتلات عربية

ـ اختتمت لجنة التعاون الصناعي لدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية اجتماعها السادس بالرياض. وصرّح عبدالعزيز الزامل، وزير الصناعة السعودي، بأن الوزراء اتفقوا على وضع مبادىء لنظام موحد يعكس احتياجات المنطقة في المجالات الصناعية ويدعو لتسهيل عملية التنمية الصناعية والتنسيق بين الدول الأعضاء. وقال إنه تقرر ان تجتمع لجنة فنية من وكلاء وزارات الصناعة بدول المجلس خلال شهرين لوضع أسس تنسيق المشروعات المشتركة، وهي مشروع الاطارات بالبحرين ومشروع أجهزة الهاتف بالكويت، ومشروع الكابلات بمدينة جدة (**اخبار الخليج**، المنامة، ١٩٨٧/٥/١٤).

ـ أصدرت وزارة الاعلام المغربية بيانا أعلنت فيه أن حكومة المغرب قررت إطلاق سراح ١٠٢ من العسكريين الجزائريين وقعوا عام ١٩٧٦ في الأسر بالصحراء الغربية. وجاء هذا القرار بعد أن أعلنت الجزائر أمس الأول قرار الافراج عن حوالى ١٥٠ من الجنود المغاربة كانت قد أسرتهم اثر انتهاكم الحدود الجزائرية (**الخليج**، الشارقة، ١٩٨٧/٥/٢٥). وأعرب رشيد صفر، رئيس الوزراء التونسي، عن ارتياح الحكومة التونسية «للمبادرة الطيبة» التي قام بها الشاذلي بن جديد، الرئيس الجزائري، والملك الحسن الثاني، العاهل المغربي، بإطلاق سراح الأسرى من الجنود المغاربة والجزائريين بمناسبة عيد الفطر المبارك. وصرّح صفر أن المبادرة الجزائرية ـ المغربية مؤشر خير في اتجاه مزيد من الانفراج في منطقة المغرب العربي، وهي تساعد في توحيد الجهود للتغلب على التوترات وتجاوزها، تهيئة لدعم التوجه إلى بناء المغرب العربي (**العمل**، تونس، ١٩٨٧/٥/٢٧).

ـ قال عبدالله القويز، الأمين العام المساعد للشؤون الاقتصادية لدول مجلس التعاون الخليجي، في حديث **لهيئة الاذاعة البريطانية**، إن الاجتماعات المكثفة التي يعقدها حاليا تهدف إلى تغيير أسلوب عملنا إلى حد كبير، والسبب في التغيير هو حاجة الدول ان تراجع مسبقا تلك القرارات التي ينتظر عرضها على المجلس الأعلى لقادة دول المجلس». وعن المدى الذي قطعته الاتفاقية الاقتصادية الموحدة بين دول المجلس بعد مرور حوالى أربع سنوات على تنفيذها، قال القويز «إن المجلس قطع أشواطا لا بأس بها خصوصا في مجال المواطنة والمساواة بين المواطنين في ممارسة مختلفة الأنشطة، وتوحيد القوانين وتوحيد الاجراءات والنظم. واضاف القويز أنه تم إعداد الكثير من النماذج أقرّ البعض منها والبعض الآخر في طور المناقشة. أما في مجال المشاريع المشتركة، قال القويز، فقد ركّزت دول المجلس منذ البداية على دور هذه المشاريع كأداة رئيسية لربط المصالح بين المواطنين، وقد أعدت دراسات كثيرة في هذا المجال بينما لا تزال دراسات أخرى في طور الاعداد (**هيئة الاذاعة البريطانية**، لندن، برنامج حول العالم العربي، ١٩٨٧/٥/٢٦).

ـ أعلن الصادق المهدي، رئيس الوزراء السوداني، أن محادثات سودانية ـ مصرية حول «ميثاق الإخاء» الموقع بين الجانبين في القاهرة في شهر شباط / فبراير الماضي ستعقد في الخرطوم عقب تشكيل الحكومة السودانية الجديدة المتوقع أن يعلن عنها قبل نهاية الشهر الحالي. وقال المهدي في تصريحات أذاعها راديو «أم درمان» إن «ميثاق الاخاء» سيحل محل كل الاتفاقات التي أبرمت في ظل النظام السوداني

السابق، ومنها «الدفاع المشترك» لعام ١٩٧٦ (**الاهرام**، القاهرة، ١٩٨٧/٥/٢٧).

ب ـ علاقات بين قطرين عربين أو اكثر

ـ اجتمع الملك الحسن الثاني، العاهل المغربي، والشاذلي بن جديد، الرئيس الجزائري، والملك فهد، العاهل السعودي، ببلدة العقيد لطفي على الحدود الجزائرية ـ المغربية (**العمل**، تونس، ١٩٨٧/٥/٥)، إلاّ أن مصدراً في وجدة شرقي المغرب ذكر أن محادثات الثلاثة لم تعقد كما ذكرت **وكالة الأنباء المغربية** الرسمية في قرية العقيد لطفي الجزائرية، وإنما على الحدود بين البلدين. ولم ترشح عن القمة أية معلومات حول ما دارت حوله النقاشات أو النتائج التي توصلت إليها، إلاّ أن **وكالة الأنباء الجزائرية** قالت إن القمة تركزت حول النزاع في الصحراء الغربية (**الدستور**، عمان، ١٩٨٧/٥/٥). وصدر بكل من الرباط والجزائر بلاغ مشترك على اثر اللقاء الذي جمع العاهل المغربي، مع الرئيس الجزائري، بحضور العاهل السعودي. ومما جاء في البلاغ أن الرئيس الجزائري والعاهل المغربي قد اتفقا على مواصلة اللقاءات بين البلدين الشقيقين بهدف حل المشاكل القائمة» (**العلم**، الرباط، ١٩٨٧/٥/٦). وقال راديو الرياض «إن مجرد عقد اجتماع بين الجزائر والمغرب هو في حد ذاته انجاز عظيم. وليس من الممكن انهاء جميع الخلافات في اجتماع واحد». ومن جهة ثانية، أثنت الولايات المتحدة الامريكية على القمة الجزائرية ـ المغربية. وقال الناطق باسم الخارجية الأمريكية إن حكومته شجعت مراراً زعيمي البلدين على مواصلة حوارهما بشأن الصحراء الغربية (**الوطن**، الكويت، ١٩٨٧/٥/٧).

ـ تم في دمشق التوقيع على البرنامج التنفيذي للاتفاق الثقافي بين الجمهورية العربية اليمنية والجمهورية العربية السورية للعام ١٩٨٧ ـ ١٩٨٨ والذي سوف ينظم أوجه التعاون الثقافي والتربوي والفني بين البلدين الشقيقين. وقد وقع الاتفاق عن الجانب اليمني، عبدالهادي حسين الهمداني، القائم بأعمال السفارة اليمنية في دمشق، وعن الجانب السوري، عيد عبده، نائب وزير التربية السوري (**الثورة**، صنعاء، ١٩٨٧/٥/٦).

ـ أقرت اللجنة المغربية العراقية المشتركة للتعاون في المجال الديني، على ضوء وثيقة العمل التي تقدم بها المغرب والتي تناولت مختلف المجالات المرشحة لأن يشملها التعاون بين المغرب والعراق، ضرورة تبادل الزيارات على مستوى المجالس العلمية في القطرين لإلقاء الدروس الدينية ودروس الفقه والعلوم الإسلامية. كما أقرت اللجنة، التي رأسها كل من عبدالله فاضل، وزير الأوقاف والشؤون الدينية العراقي، وعبدالكبير العلوي، نظيره المغربي، ضرورة التعاون من أجل إحياء التراث الإسلامي، وإقامة معارض للكتاب الاسلامي في كل من العراق والمغرب، وكذلك تعزيز التعاون على صعيد مختلف المجالس الدينية الأخرى (**الثورة**، بغداد، ١٩٨٧/٥/١١).

ـ أقّرت الحكومة الأردنية اتفاقية قرض مع الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية. وتبلغ قيمة القرض ٤٫٣ مليون دينار كويتي يخصص لتمويل انشاء طريق وادي اليتم ـ العقبة. وكان بدر مشاري الحميض، مدير الصندوق الكويتي للتنمية، وطاهر كنعان، وزير التخطيط الأردني، قد أقرا مشروع هذه الاتفاقية يوم الخميس الماضي (**العرب**، لندن، ١٩٨٧/٥/١٨).

ـ تم في القاهرة التوقيع على عقد صفقة تجارية متكافئة بين مصر والعراق لعام ١٩٨٨ بمبلغ ٢٠٠ مليون دولار بواقع ١٠٠ مليون دولار لكل طرف. وقد وقع الصفقة عن الجانب المصري يسرى مصطفى، وزير الاقتصاد والتجارة الخارجية، وعن الجانب العراقي، حسن علي، وزير التجارة. وقد رحّب الجانب العراقي بالتعاون مع الشركات المصرية العاملة في العراق، وبالعمل على حل مشاكل ومستحقات مؤسسة مصر للطيران. وتم الاتفاق على عقد اتفاقية للتأمينات الاجتماعية، وتسهيل تحويل مستحقات العاملين المصريين في العراق، كما تم دراسة المجالات المشتركة للتعاون الزراعي والصناعي، والاتفاق على تأسيس شركة صناعة مشتركة بين البلدين (**الاهرام**، القاهرة، ١٩٨٧/٥/٢٢).

٤ ـ اتحادات عربية ومنظمات شعبية

ـ وجه اتحاد المؤرخين العرب نداء إلى أعضائه في الوطن العربي نبّه فيه إلى خطر «مؤتمر معركة حطين» الذي تنوي اسرائيل عقده في الأراضي العربية المحتلة. وجاء في البيان أن اسرائيل ترى في حركة التاريخ العربي الخطر الحقيقي الذي سيزيلها ويقتلع جذورها، لأن ما فيه من قيم ومبادىء وحقائق وشواهد يكفي

لبعث الهمم والعزائم لمواجهة هذا التيار الخطير على الانسانية عامة، والعرب والمسلمين خاصة. ويضيف البيان: «لذلك فاجأتنا (إسرائيل) بعزمها على عقد مؤتمر حول معركة حطين في الأرض المحتلة في ذكراها الـ ٨٠٠.... وهو أمر في غاية التحدي للعرب وتاريخهم» (**تشرين**، دمشق، ٩/٥/١٩٨٧).

ـ أصدرت منظمة الخليج للاستشارات الصناعية تقريرا حول دور القطاع الخاص الخليجي في التنمية الصناعية، قالت فيه إن دور القطاع الخاص في التنمية ما زال محدوداً ومقتصراً على المشاريع الصغيرة لسد حاجيات الاستهلاك المتزايدة. وأوضح التقرير أن اعتماد مشاريع الاستثمار الهادفة إلى الربح السريع، أدى إلى تقليص دور القطاع الخاص في التنمية، في وقت يزداد فيه الانفاق على الحاجيات الاستهلاكية. ودعا التقرير في هذا السياق إلى قيام المشاريع الاستثمارية البعيدة المدى والهادفة إلى الانتاج (**هيئة الإذاعة البريطانية**، لندن، برنامج حول العالم العربي، ١٦/٥/١٩٨٧).

ـ تم في القاهرة التوقيع على اتفاقية بين مصر والجمعية التأسيسية للمجلس العربي للطفولة لإنشاء مقر المجلس في العاصمة المصرية. ويهدف المجلس الذي يرأسه الأمير طلال بن عبدالعزيز، رئيس برنامج الخليج لدعم منظمات الأمم المتحدة، إلى دراسة مشاكل الطفولة لتأمين الرعاية والتنمية والعناية للأطفال في الأقطار العربية، من خلال اقامة برامج وندوات ترفع توصياتها إلى الحكومات العربية لاتخاذ اجراءات بتنفيذها. وسيقوم المجلس بدراسة الخطط والنشاطات الخاصة بتحسين مستقبل الطفل العربي التي ترفع إليه من قبل المؤسسات العربية القطرية بهدف التنسيق فيما بينها، ويعتمد المركز في تأمين مصادره المادية على التبرعات العربية (**هيئة الإذاعة البريطانية**، لندن، برنامج حول العالم العربي، ١٨/٥/١٩٨٧).

ـ اختتمت في عمان «ندوة الازدواجية في اللغة العربية» التي نظّمها مجمع اللغة العربية الأردنية، بالتعاون مع المجامع العربية اللغوية، وبحضور ممثلين عن مؤسسات التعليم العالي والتربية والجامعات العربية. وصدر عن الندوة عدة توصيات دعت إلى الاهتمام بالنحو العربي وتيسير أساليب تدريسه لتقريبه إلى الطلاب، وتحرير الكتب المدرسية المقررة تحريراً لغويا، يبرئها من كل خطأ لغوي أو طباعي، وجعل اللغة الفصيحة لغة التعليم في جميع المراحل التعليمية، في كل المقرارات الدراسية، وكذلك إلى تعريب التعليم الجامعي في جميع مجالاته ومستوياته، واستخدام المعجمات التي أقرّتها المجامع اللغوية العربية ومؤتمرات التعريب، في إطار برنامج شامل لتعريب التعليم الجامعي (**الخليج**، الشارقة، ٢٤/٥/١٩٨٧).

صدر حديثاً عن

مركز دراسات الوحدة العربية

يوميات ووثائق الوحدة العربية

١٩٨٦

ببليوغرافيا الوحدة العربية

اعداد: قسم التوثيق
في مركز دراسات الوحدة العربية

أولاً: المصادر العربية

مصنفات عامة، مراجع ووثائق

كتب

١ ـ دليل الاطباء العرب. الكويت: المركز العربي للوثائق والمطبوعات الصحية، ١٩٨٧. ١٦٠٠ ص.

٢ ـ الطباع، عبد الله انيس. علم الاعلام: الوثائق والمحفوظات. بيروت: الشركة العالمية للكتاب، ١٩٨٦. ٦٣٩ ص.

٣ ـ مجمع اللغة العربية الأردني. المصطلحات العسكرية: مصطلحات سلاح الهندسة. عمان: المجمع، ١٩٨٧. ٨١ ص.

انظر ايضاً: ٢٢

دوريات

انظر ايضاً: ٣٠

مراجعة كتب

٤ ـ المرعشلي، احمد (واخرون) (محررون). «الموسوعة الفلسطينية.» نشرة ابحاث بيرزيت: العدد ٤، شتاء ـ ربيع ١٩٨٧. ص ٧٩ ـ ٨١. (صالح عبد الجواد)

٥ ـ مركز دراسات الوحدة العربية. «ببليوغرافيا الوحدة العربية، ١٩٠٨ ـ ١٩٨٠.» المستقبل العربي: السنة ١٠، العدد ١٠١، تموز/ يوليو ١٩٨٧. ص ١٤٤ ـ ١٦٣. (عبد الله انيس الطباع)

تاريخ وجغرافيا

كتب

٦ ـ خصباك، شاكر. الجغرافيا عند العرب. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٦. ١٣٨ ص.

انظر ايضا: ١٤

دوريات

٧ ـ برج، محب عبد الرحمن. «محب الدين الخطيب ودوره في الحركة العربية، ١٩٠٦ ـ ١٩٢٠.» المستقبل العربي: السنة ١٠، العدد ١٠١، تموز/ يوليو ١٩٨٧. ص ٥٢ ـ ٦٧.

٨ ـ جلول، البرت. «الحفريات الأثرية في فلسطين اليوم: القسم الأول.» نشرة ابحاث بيرزيت: العدد ٤، شتاء ـ ربيع ١٩٨٧. ص ٤٥ ـ ٦٠.

٩ ـ العزاوي، محمد عبد الله. «التحالفات الفارسية الأوروبية ضد عرب الخليج، ١٦٩٥ ـ ١٧٢٢ م.»

الخليج العربي: السنة ١٥، العدد ١، ١٩٨٧. ص ٤٩ ـ ٦٢.

مراجعة كتب

١٠ ـ صليبي، كمال. «التوراة جاءت من جزيرة العرب.» **نشرة ابحاث بيرزيت**: العدد ٤، شتاء ـ ربيع ١٩٨٧. ص ٨٧ ـ ٩٢. (يونس عمرو، كمال عبد الفتاح، عادل يحيى، مروان ابو خلف، محمد اشتيه)

انظر ايضاً: ٨١

سياسة وفكر قومي

كتب

١١ ـ احمد، ضياء الدين. **حركة القومية العربية: دراسة موضوعية في ميلادها ووسائل انتشارها**. قم (ايران): المركز الاسلامي للابحاث السياسية، ١٩٨٦. ١٦٩ ص. (الدراسات السياسية، ٥)

١٢ ـ بحبح، بشارة وليندا بتلر. **اسرائيل وامريكا اللاتينية: البعد العسكري**. ترجمة اسامة البابا. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٧. ٢٤٦ ص.

١٣ ـ حماد، مجدي. **العسكريون العرب وقضية الوحدة**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٧. ٤٦٦ ص.

١٤ ـ الدباغ، مصطفى مراد. **من هنا وهناك**. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٦. ١١٩ ص. (فلسطينيات، ٦)

١٥ ـ الدجاني، احمد صدقي. **بداية الصحوة العربية في مواجهة الغزوة الصهيونية العنصرية**. القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٨٦. ٢٦٩ ص.

١٦ ـ ـــ . **عن شعب فلسطين العربي: منظمته، ميثاقه، مشكلاته**. القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٨٦. ١٤٧ ص.

١٧ ـ الريس، رياض نجيب. **الخليج العربي ورياح التغيير**. لندن: رياض الريس للكتب والنشر، ١٩٨٧. (سلسلة قضايا راهنة)

١٨ ـ السراج، نادرة (وآخرون). **الفلسطينيون العرب في مصر العربية: بحوث ودراسات**. تقديم احمد صدقي الدجاني. القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٨٦. ١٦١ ص.

١٩ ـ سلامة، غسان. **نحو عقد اجتماعي عربي جديد: بحث في الشرعية الدستورية**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٧. ١٠٨ ص.

٢٠ ـ الشريف، ماهر. **الشيوعية والمسالة القومية العربية في فلسطين، ١٩١٩ ـ ١٩٤٨**. دمشق؛ نيقوسيا: مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي، ١٩٨٦. ٢٠٦ ص.

٢١ ـ شعبان، عبد الحسين. **القضايا الجديدة في الصراع العربي ـ الاسرائيلي**. بيروت: دار الكتبي للمطبوعات، ١٩٨٧. ٣٨٧ ص.

٢٢ ـ عبد الناصر، هدى جمال. **الرؤية البريطانية للحركة الوطنية المصرية، ١٩٣٦ ـ ١٩٥٢**. القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٨٧. ٤٢٥ ص.

دوريات

٢٣ ـ الاتاسي، جمال. «الناصرية ايديولوجية الثورة العربية.» أجرى الحوار مجدي رياض. **الموقف العربي**: السنة ١١، العدد ٨٥، ايار/ مايو ١٩٨٧. ص ٣٨ ـ ٤٧.

٢٤ ـ اركون، محمد. «من أجل مقاربة نقدية للواقع.» اجرى الحوار هاشم صالح. **المستقبل العربي**: السنة ١٠، العدد ١٠١، تموز/ يوليو ١٩٨٧. ص ٤ ـ ١٥.

٢٥ ـ الأزهري، محمد خالد. «المجموعة الأوروبية وقضية فلسطين: ١٩٦٤ ـ ١٩٨٥.» **المستقبل العربي**: السنة ١٠، العدد ١٠١، تموز/ يوليو ١٩٨٧. ص ٦٨ ـ ٨٥.

٢٦ ـ أ محمد، مالكي. «حول مشروع وحدة المغرب العربي الكبير: مقاربة لبعض عناصر الخطاب.» **شؤون عربية**: العدد ٤٩، آذار/ مارس ١٩٨٧. ص ١٦ ـ ٤١.

٢٧ ـ امين، سمير. «القوى النظامية والقوى المناهضة للنظام: تعدد ابعاد الممارسة السياسية ـ العودة الى معضلة القوى الفاعلة في التاريخ.» **المستقبل العربي**: السنة ١٠، العدد ١٠١، تموز/ يوليو ١٩٨٧. ص ٤٤ ـ ٥١.

٢٨ ـ بشور، معن. «الغزو الاسرائيلي عام ١٩٨٢: البداية الفعلية للحرب اللبنانية: ملامح المشروع الوطني والقومي المطلوب.» **المنابر**: السنة ٢، العدد ٦، حزيران/ يونيو ١٩٨٧. ص ٤ ـ ١٧.

٢٩ ـ بلقرين، عبد الاله. «في نشوء واخفاق الدعوة العلمانية في العالم العربي.» **الوحدة**: السنة ٣، العددان ٢٦ ـ ٢٧، تشرين الثاني/ نوفمبر ـ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٦. ص ٦٢ ـ ٨٠.

٣٠ ـ البوني، عفيف. «صورة العرب في العقل الغربي

من خلال الموسوعات العلمية العربية.» **المستقبل العربي**: السنة ١٠، العدد ١٠١، تموز/ يوليو ١٩٨٧. ص ١٦ ـ ٣١.

٣١ ـ جاد، عماد. «اليهود العرب والصراع العربي الاسرائيلي.» **الموقف العربي**: السنة ١١، العدد ٨٦، حزيران/ يونيو ١٩٨٧. ص ١٦ ـ ١٩.

٣٢ ـ جبر، عزيز.«الاعلام الاسرائيلي الموجه الى اليهود في الداخل.» **الأرض**: السنة ١٤، العدد ٣، كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٦. ص ١٧ ـ ٣٧.

٣٣ ـ جبور، سمير. «اسرائيل ـ الولايات المتحدة: قضية بولارد امام استحقاقات جديدة.» **نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية**: السنة ١٤، العدد ٥، ايار/ مايو ١٩٨٧. ص ٣٣٨ ـ ٣٤٢.

٣٤ ـ جريس، صبري. «حوار من نوع آخر حول الحوار والوحدة الوطنية.» **شؤون فلسطينية**: العددان ١٧٠ ـ ١٧١، أيار/ مايو ـ حزيران/ يونيو ١٩٨٧. ص ٣ ـ ٣٢.

٣٥ ـ الحافظ، صلاح الدين. «الصحافة والسلطة في الوطن العربي: حرية الصحافة تحت سنابك الاحتلال.» **الدراسات الاعلامية**: العدد ٤٦، كانون الثاني/ يناير ـ آذار/ مارس ١٩٨٧. ص ٣ ـ ١٢.

٣٦ ـ حجازي، حسين. «حول الانقسامات الفلسطينية.» **شؤون فلسطينية**: العددان ١٧٠ ـ ١٧١ ايار/ مايو ـ حزيران/ يونيو ١٩٨٧. ص ٣٣ ـ ٥٧.

٣٧ ـ حسان، سيد. «الناصرية والتراث.» **الموقف العربي**: السنة ١١، العدد ٨٥، ايار/ مايو ١٩٨٧. ص ١٠٤ ـ ١١١.

٣٨ ـ الدجاني، احمد صدقي. «كيف تستعيد مصر دورها العربي؟.» أجرى الحوار سعيد الشحات. **الموقف العربي**: السنة ١١، العدد ٨٦، حزيران/ يونيو ١٩٨٧. ص ٢٦ ـ ٣١.

٣٩ ـ دكروب، محمد حسين. «لبنان والصراع الحضاري بين العرب واسرائيل: مقاربة عامة أولية.» **الحوار**: السنة ١١، العدد ٨٥، أيار/ مايو ١٩٨٧. ص ٦٧ ـ ٧٨.

٤٠ ـ الزعبي، حلمي عبد الكريم. «التعاون العربي في مجال استخدام التكنولوجيا النووية كضرورة استراتيجية.» **شؤون عربية**: العدد ٤٩، آذار/ مارس ١٩٨٧. ص ٢٥٣ ـ ٢٥٧.

٤١ ـ زهران، سيد (معد). «اللوبي الصهيوني وصنع القرار الامريكي.» **الموقف العربي**: السنة ١١، العدد ٨٥، أيار/مايو ١٩٨٧. ص ٥٦ ـ ٦٨.

٤٢ ـ الزنتاني. عبد الوهاب. «حدود القانون وحدود السيف.» **الموقف العربي**: السنة ١١، العدد ٨٥، أيار/مايو ١٩٨٧. ص ٩٠ ـ ٩٣.

٤٣ ـ الزيات، محمد عبد السلام. «حرب ١٩٦٧ والصراع بين المشروع الحضاري المصري والمخطط الامبريالي الصهيوني.» **الموقف العربي**: السنة ١١، العدد ٨٦، حزيران/ يونيو ١٩٨٧. ص ٩٠ ـ ٩٥.

٤٤ ـ ــــ. «المؤتمر الدولي للسلام: صيغة معدلة لكامب ديفيد.» **الموقف العربي**: السنة ١١، العدد ٨٥، ايار/ مايو ١٩٨٧. ص ٨٠ ـ ٨٤.

٤٥ ـ السعدي، خليل. «يوم الأرض: مهرجانات وتظاهرات وصدامات.» **شؤون فلسطينية**: العددان ١٧٠ ـ ١٧١، ايار/ مايو ـ حزيران/ يونيو ١٩٨٧. ص ٧٢ ـ ٨٠.

٤٦ ـ سعيد، محمد. «لماذا الحل العربي ـ الوطني للمسألة اللبنانية؟.» **الموقف**: العدد٤٧، نيسان/ ابريل ١٩٨٧. ص ١٢ـ ١٧.

٤٧ ـ شريف، حسين. «نقاش في المسألة القومية: الجزء الأول.» **المنابر**: السنة ٢، العدد ٦، حزيران/ يونيو ١٩٨٧. ص ٥٠ ـ ٥٧.

٤٨ ـ الشريف، محمد رشاد. «لقاء بخارست وردود الفعل الاسرائيلية عليه.» **الأرض**: السنة ١٤، العدد ٣، كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٦. ص ٦١ ـ ٦٦.

٤٩ ـ الشعار، غسان. «بديهيات في مفهومي الوحدة والتجزئة.» **المنابر**: السنة ٢، العدد ٦، حزيران/يونيو ١٩٨٧. ص ٤٤ ـ ٤٩.

٥٠ ـ شفيق، منير «التسليح النووي الاسرائيلي والشرق الأوسط والسلم العالمي.» **الحوار**: السنة ١، العدد ٤، شتاء ١٩٨٦. ص ٩٥ ـ ١١٠.

٥١ ـ الظاهر، حسن محمد. «الأطار العام للعمل العربي المشترك.» **شؤون عربية**: العدد ٤٩، آذار/ مارس ١٩٨٧. ص ٤٢ ـ ٦١.

٥٢ ـ عايد، خالد. «المجلس الوطني الفلسطيني في الصحافة الاسرائيلية.» **نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية**: السنة ١٤، العدد ٥، أيار/ مايو ١٩٨٧. ص ٣٣٤ ـ ٣٣٧.

٥٣ ـ عبد العليم، عبد العليم محمد. «بعض مشكلات التطور الايديولوجي في العالم العربي.» **الحوار**: السنة ٢، العدد ٥، ربيع ١٩٨٧. ص ١٤٩ ـ ١٧٣.

٥٤ ـ عبد الله، صلاح. «صيغة التفاهم الامريكية ـ

الاسرائيلية: ضجيج اسرائيلي للمؤتمر الدولي ودعم اميركي لسبل التعاون.» **شؤون فلسطينية**: العددان ١٧٠ ـ ١٧١، أيار/ مايو ـ حزيران/ يونيو ١٩٨٧. ص ٨٠ ـ ٩٢.

٥٥ ـ العزاوي، محمد عبد الله. «الموقف الأوروبي من الحرب العراقية الايرانية.» **الخليج العربي**: السنة ١٥، العدد ١، ١٩٨٧. ص ١٥٩ ـ ١٦٣.

٥٦ ـ العسل، بسام. «الجاسوسية الاسرائيلية والاعداد للحرب.» **الدفاع العربي**: السنة ١١، العدد ٣، كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٦. ص ٢٠ ـ ٢٥.

٥٧ ـ علي، عادل. «امام ضياع الفرص: الانقاذ أولا.. والأرض قبل النظام.» **الموقف**: العدد ٤٧، نيسان/ ابريل ١٩٨٧. ص ٦ ـ ١١.

٥٨ ـ عمارة، محمد. «الهوية الحضارية.» **الحوار**: السنة ١، العدد ٣، خريف ١٩٨٦. ص ٧٩ ـ ٩٢.

٥٩ ـ الفانك، فهد. «ندوة الصحوة الاسلامية وهموم الوطن العربي، عمان، ١٤ ـ ١٦ آذار/(مارس) ١٩٨٧.» **المنتدى**: السنة ٢، العدد ٢٠، أيار/ مايو ١٩٨٧. ص ٤ ـ ١٠.

٦٠ ـ الفتوى، حسين امين. «الاستراتيجية الصهيونية ـ الاسرائيلية.» **الفكر العسكري**: العدد ٦، تشرين الثاني/ نوفمبر ـ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٦. ص ٤٠ ـ ٥٥.

٦١ ـ قابيل، محمد ماهر. «المؤتمر الدولي وحل الصراع العربي الاسرائيلي.» **الموقف العربي**: السنة ١١، العديد ٨٦، حزيران/ يونيو ١٩٨٧. ص ١٠٨ ـ ١١١.

٦٢ ـ الكسواني، سالم. «نحو اتحاد فدرالي عربي.» **شؤون عربية**: العدد ٤٩، آذار/ مارس ١٩٨٧. ص ٧ ـ ١٥.

٦٣ ـ مسرة، انطوان نصري. «ثقافة الوحدة الوطنية في المجتمع المتنوع: الحالة اللبنانية.» **المستقبل العربي**: السنة ١٠، العدد ١٠١، تموز/ يوليو ١٩٨٧. ص ١٢٥ ـ ١٤٣.

٦٤ ـ ـــــ. «المسألة اللبنانية: دراسة حالية في احتمالية البلقنة.» **حاليات**: السنة ١٠، العدد ٤٤، خريف ١٩٨٦. ص ١٥ ـ ٥٥.

٦٥ ـ المسيري، عبد الوهاب. «العربي الحقيقي في العقل الصهيوني: دراسة في حدود الادراك.» **شؤون فلسطينية**: العددان ١٧٠ ـ ١٧١، أيار/ مايو ـ حزيران/ يونيو ١٩٨٧. ص ٥٨ ـ ٧١.

٦٦ ـ معوض، جلال عبد الله. «ندوة العنف والسياسة في الوطن العربي، القاهرة، ٢٧ ـ ٢٨ شباط (فبراير) ١٩٨٧.» **المستقبل العربي**: السنة ١٠، العدد ١٠١، تموز/ يوليو ١٩٨٧. ص ١٦٧ ـ ١٧٦.

٦٧ ـ مقداد، عطية. «آفاق الصراع العربي ـ الصهيوني.» **الأرض**: السنة ١٤، العدد ٣، كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٦. ص ٣ ـ ١٦.

٦٨ ـ مناف، عبد العظيم. «امريكا من ليبرتي الى ستارك.» **الموقف العربي**: السنة ١١، العدد ٨٦، حزيران/ يونيو ١٩٨٧. ص ٤ ـ ٩.

٦٩ ـ مناف، عبد العظيم. «السلام بين المؤتمر والمؤامرة.» **الموقف العربي**: السنة ١١، العدد ٨٥، ايار/ مايو ١٩٨٧. ص ٤ ـ ٩.

٧٠ ـ الموعد، حمد. «المؤتمر اليهودي العالمي وعلاقته باسرائيل والمنظمة الصهيونية العالمية.» **الارض**: السنة ١٤، العدد ٣، كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٦. ص ٥٠ ـ ٦٠.

٧١ ـ ناصيف، جورج. «في علاقات الواقع ومهمات الفكر التغييري.» **الوحدة**: السنة ٣، العددان ٢٦ ـ ٢٧، تشرين الثاني/نوفمبر ـ كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٦. ص ١٧٧ ـ ١٨٠.

٧٢ ـ ندوة الاعلام... والتطبيع بين مصر واسرائيل، القاهرة. «الصحافة المصرية والتطبيع.» شارك في الندوة: محمود المراغي، صلاح الدين حافظ، عبد الستار الطويلة، حازم هاشم؛ أعد الندوة غالي شكري. **الدراسات الاعلامية**: العدد ٤٦، كانون الثاني/يناير ـ آذار/مارس ١٩٨٧. ص ١٤٩ ـ ١٦٠.

٧٣ ـ ندوة الوحدة حول العقلانية في المجتمع العربي، الدار البيضاء، ١٤ آذار (مارس) ١٩٨٦. «العقلانية في المجتمع العربي.» شارك في الندوة: حسن صعب، هشام جعيط، حليم بركات، سالم يفوت؛ ادار الندوة محمد مصطفى القباج. **الوحدة**: السنة ٣، العددان ٢٦ ـ ٢٧، تشرين الثاني/ نوفمبر ـ كانون الاول/ ديسمبر ١٩٨٦. ص ٩٤ ـ ١١٠.

٧٤ ـ نعمان، عصام. «الحاجة الى لبنان.» **المنابر**: السنة ٢، العدد ٦، حزيران/يونيو ١٩٨٧. ص ٣٥ ـ ٤٢.

٧٥ ـ هويدي، أمين. (وآخرون). «عرب ما بعد النفط: شرعية الدولة على المحك والأمن العربي تتضاعف تحدياته.» **المنابر**: السنة ٢، العدد ٦، حزيران/يونيو ١٩٨٧. ص ٢٣ ـ ٣٤.

٧٦ ـ وقيدي، محمد. «عقلانية العالم المعاصر: صراع

القوة والعقل.» **الوحدة**: السنة ٣، العددان ٢٦ ـ ٢٧، تشرين الثاني/ نوفمبر ـ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٦. ص ٢١ ـ ٣٠.

٧٧ ـ يعتة، علي. «حول حركة التحرر العربية وقضايا التنسيق والكفاح الايديولوجي.» **النهج**: السنة ٤، العدد ١٣، ١٩٨٦. ص ٢٥٠ ـ ٢٥٤.

٧٨ ـ يعقوب، محمد حافظ. «الايديولوجيا العربية السائدة.. فلسطين: لبس العلاقة واشكالية الأزمة.» **الحوار**: السنة ١، العدد ٣، خريف ١٩٨٦. ص ٤٩ ـ ٦٥.

٧٩ ـ روجان، يوجين. «نظرة نقدية حول تقرير كامبل بنرمان.» **المجلة الثقافية**: العدد ٩، ١٩٨٥/ ١٩٨٦. ص ١٠٢ ـ ١١٢.

انظر أيضاً: ١٤٠، ١٥٣، ١٩٧

مراجعة كتب

٨٠ ـ أوبرين، لي. «المنظمات اليهودية الاميركية ونشاطاتها في دعم اسرائيل.» **دراسات عربية**: السنة ٢٣، العددان ٨ ـ ٩، حزيران/ يونيو ـ تموز/ يوليو ١٩٨٧. ص ١٢٧ ـ ١٢٨.

٨١ ـ بن طلال، الحسن. «السعي نحو السلام.» **المنتدى**: السنة ٢، العدد ١٩، نيسان/ ابريل ١٩٨٧. ص ١٥ ـ ١٦.

٨٢ ـ البيطار، نديم. «هل يمكن الاحتكام الى امريكا؟.» **الموقف العربي**: السنة ١١، العدد ٨٥، ايار/ مايو ١٩٨٧. ص ٦٩ ـ ٧٧. (جورج المصري)

٨٣ ـ الخولي، لطفي (محرر). «المأزق العربي.» **المنتدى**: العدد ١٦، كانون الثاني/ يناير ١٩٨٧. ص ٨ ـ ١١. (سعد الدين ابراهيم)

٨٤ ـ شعيبي، عماد فوزي. «النهضة والسياسة.» **المستقبل العربي**: السنة ١٠، العدد ١٠١، تموز/ يوليو ١٩٨٧. ص ١٦٤ ـ ١٦٦. (زكريا حسن فؤاد)

٨٥ ـ ملاح، فوزي. «في الوحدة العربية: محاولة تأويل نقدي.» **شؤون عربية**: العدد ٤٩، آذار/ مارس ١٩٨٧. ص ٢٦٢ ـ ٢٦٨. (سعيد بنسعيد)

٨٦ ـ Klieman, Aaron. «Israel Global Reach: Arms Sales as Diplomacy.» **شؤون فلسطينية**: العددان ١٧٠ ـ ١٧١، ايار/ مايو ـ حزيران/ يونيو ١٩٨٧. ص ٩٣ ـ ٩٧. (يزيد خلف)

٨٧ ـ Laffin, John. «The Arab Mind.» **المنتدى**: السنة ٢، العدد ١٨، آذار/مارس ١٩٨٧. ص ١٣ ـ ١٤. (عبد القادر ياسين)

انظر أيضاً: ١٨٨

قانون وادارة عامة

كتب

٨٩ ـ اتحاد الحقوقيين العرب. **وقائع المؤتمر الثاني لإتحاد الحقوقيين العرب، عمان، ٢٨ ـ ٣٠ نيسان (ابريل) ١٩٨٥**. بغداد: الاتحاد، ١٩٨٦. ٣٣٣ ص. (الحقوقي العربي، ٥ ـ ٧)

٩٠ ـ الصائغ، حنا رزوقي. **الادارة المالية العامة ودورها في التنمية الادارية**. عمان: المنظمة العربية للعلوم الادارية، ١٩٨٧. ٨٨ ص.

٩١ ـ الكثيري، مصطفى. **الخصوصية التاريخية والحضارية لبلدان المغرب العربي ومدى انعكاساتها على التنمية الادارية**. عمان: المنظمة العربية للعلوم والادارة، ١٩٨٦. ١٠٢ ص.

٩٢ ـ نصير، نعيم. **القيادة في الادارة العربية وموقعها من النظريات المعاصرة والتراث العربي الاسلامي**. عمان: المنظمة العربية للعلوم الادارية، ادارة البحوث والدراسات، ١٩٨٧. ١٧٢ ص. (سلسلة البحوث والدراسات، ٣١٦)

انظر أيضاً: ١٣٥

دوريات

٩٣ ـ أبو غزالة، طلال. «إقرار أصول المحاسبة والتدقيق في مختلف البيئات والثقافات ـ العالم العربي.» **المحاسب القانوني العربي**: العدد ١١، كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٦. ص ٤٤ ـ ٥٤.

انظر أيضاً: ١٥٩

مراجعة كتب

٩٤ ـ حسين، محمد علاء الدين. «العقوبات في اطار المنظمات الاقليمية للدول النامية: حالة جامعة الدول العربية ومنظمة الوحدة الأفريقية.» **شؤون عربية**: العدد ٤٩، آذار/ مارس ١٩٨٧. ص ٢٦٩ ـ ٢٨٠. (العيشاوي عبد العزيز)

انظر أيضاً: ١٥٦

اقتصاد

كتب

٩٥ ـ الامم المتحدة. اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا. **نشرة التجارة الخارجية لمنظمة**

اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا: العدد الرابع. بغداد: اللجنة ۱۹۸٦. ۲۷٥ ص.

۹٦ ـ الاتحاد العام لغرف التجارة والصناعة والزراعة للبلاد العربية. الأمانة العامة. **التقرير الاقتصادي العربي.** بيروت: الاتحاد، ۱۹۸۷. ٥۷۲ ص.

۹۷ ـ خلاق، خلاف عبد الجابر. **الاجراءات الحمائية والتمييزية التي تواجهها صادرات الدول العربية الى السوق الصناعية، ۱۹۷٥ ـ ۱۹۸٥.** القاهرة: دار النهضة العربية، ۱۹۸٦. ۱۲۷ ص.

۹۸ ـ **الزراعة العربية.** المنامة: دار الصقر، ۱۹۸٦. امج.

۹۹ ـ السيد علي، عبد المنعم. **الولايات المتحدة الامريكية وعلاقاتها الاقتصادية مع اقطار الخليج العربي.** بغداد: جامعة البصرة، مركز دراسات الخليج العربي، ۱۹۸۷. ۱٤۹ ص. (الخليج العربي والعالم، ۲)

۱۰۰ ـ صندوق النقد العربي. **التقرير السنوي، ۱۹۸٦.** ابو ظبي: الصندوق، ۱۹۸۷. ٦۲ ص.

۱۰۱ ـ منظمة الاقطار العربية المصدرة للبترول. **تقرير الأمين العام السنوي الثالث عشر، ۱٤۰٦ هـ. ـ ۱۹۸٦ م.** الكويت: المنظمة، ۱۹۸۷. ۲۲۱ ص.

۱۰۲ ـ المؤسسة العربية لضمان الاستثمار. **تقرير مناخ الاستثمار في الدول العربية لعام ۱۹۸٦.** الكويت: المؤسسة، ۱۹۸۷. ٤۰۷ ص.

انظر ايضاً: ۱۳۰

دوريات

۱۰۳ ـ أبو غزالة، طلال. «حماية الاستثمارات العربية.» **الموقف العربي:** السنة ۱۱، العدد ۸٥، ۱۹۸٦. ص ۲۰ ـ ۲۹.

۱۰٤ ـ بن بركة، ابراهيم. «الأمن الغذائي العربي في دورة المجلس الاقتصادي والاجتماعي، ٤۱، عمان، ۷ ـ ۱۰ أيلول (سبتمبر) ۱۹۸٦.» **شؤون عربية:** العدد ٤۹، آذار/مارس ۱۹۸۷. ص ۲٤۷ ـ ۲٥۲.

۱۰٥ ـ الجواهري، عماد احمد. «حول بعض ابعاد التعاون العربي في تجربة الاصلاح الزراعي في العراق، ۱۹٥۸ ـ ۱۹٦۸.» **دراسات عربية:** السنة ۲۳، العددان ۸ ـ ۹، حزيران/يونيو ـ تموز/يوليو ۱۹۸۷. ص ۲٦ ـ ۳۷.

۱۰٦ـ الحمد، فاروق محمود. «تطور محاولات الاندماج الاقتصادي العربي مع الاشارة الى أهم مشكلاته.» **شؤون عربية:** العدد ٤۹، آذار/مارس ۱۹۸۷. ص ۱٥٤ ـ ۱۷۸.

۱۰۷ ـ حمودة، شوكت ومظفر البرازي. «تأثير التغير في الصادرات النفطية على اقتصاديات الدول العربية المصدرة للبترول وعلى تجارتها الخارجية.» **النفط والتعاون العربي:** السنة ۱۳، العدد ۲، ۱۹۸۷. ص ۸۰ ـ ۱۳۲.

۱۰۸ ـ دياب، عبد الله. «قطاع الدولة في مصر في عهد جمال عبد الناصر.» **النهج:** السنة ٤، العدد ۱۳، ۱۹۸٦. ص ۱٦۳ ـ ۱۸٦.

۱۰۹ ـ زكي، رمزي. «الخروج من مأزق المديونية الخارجية بين الأفكار الرومانسية والتصور الموضوعي.» **النفط والتعاون العربي:** السنة ۱۳، العدد ۲، ۱۹۸۷. ص ۱۷ ـ ٦۲.

۱۱۰ ـ الشاوي، خالد وبي. بي. بهاني (معدان). «ندوة فرص التعاون بين الدول العربية ودول جنوب آسيا، نيودلهي، ۱٦ ـ ۱۸ شباط (فبراير) ۱۹۸۷: التقرير النهائي.» **النفط والتعاون العربي:** السنة ۱۳، العدد ۲، ۱۹۸۷. ص ۱۷٦ ـ ۱۹۳.

۱۱۱ ـ الشطي، مراد. «مظاهر ومبادىء في الاقتصاد العربي: خصائص ومشكلات.» **الاقتصاد:** السنة ۱۹، العدد ۲۷۲، ايلول/ سبتمبر ۱۹۸٦. ص ٥۰ ـ ٥۷.

۱۱۲ ـ الشيبي، حميد. «التنمية والتدريب ودور القطاع المصرفي فيهما مع الاشارة الى التدريب المصرفي في دولة الامارات العربية.» **آفاق اقتصادية:** السنة ۷، العدد ۲۸، تشرين الأول/ اكتوبر ۱۹۸٦. ص ۲۷ ـ ٥٥.

۱۱۳ ـ عبيدة، عبد الواحد. «مفهوم العقلانية الاقتصادية في مواجهة التخلف والقطرية في العالم.» **الوحدة:** السنة ۳، العددان ۲٦ ـ ۲۷، تشرين الثاني/ نوفمبر ـ كانون الأول/ ديسمبر ۱۹۸٦. ص ۸۱ ـ ۹۳.

۱۱٤ ـ القيسي، حميد. «تفاقم مشكلة المديونية العربية الخارجية.» **اليرموك:** العدد ۱۸، ۱۹۸٦. ص ٤۰ ـ ٤٥.

۱۱٥ ـ الكواري، علي خليفة. «قراءة أولية في الأوضاع النفطية الراهنة.» **المستقبل العربي:** السنة ۱۰، العدد ۱۰۱، تموز/ يوليو ۱۹۸۷. ص ۸٦ ـ ۱۰۱.

۱۱٦ ـ المبيض، اكثم. «آفاق التعاون المصرفي العربي.» **الاقتصاد:** السنة ۱۹، العدد ۲۷٥، كانون الأول/ ديسمبر ۱۹۸٦. ص ۲٦ ـ ۳٤.

۱۱۷ ـ المصري، عبد الوهاب. «ندوة تطوير الحبوب (القمح والشعير) في الوطن العربي: الخلفية، الوقائع، النتائج والتوصيات.» **الزراعة والمياه**

بالمناطق الجافة في الوطن العربي: السنة ٣، العدد ٥، نيسان/ ابريل ١٩٨٧. ص ٨٣ ـ ٨٧.

١١٨ ـ مصطفى، عدنان. «تصعيد جهد الاستكشاف النفطي العربي المشترك: وجهة نظر.» **شؤون عربية**: العدد ٤٩، آذار/مارس ١٩٨٧. ص ٨٣ ـ ١٠٠

١١٩ ـ المعتاز، ابراهيم صالح. «تحسين نوعية المياه الجوفية للاستعمال الزراعي والبشري.» **الزراعة والمياه بالمناطق الجافة في الوطن العربي**: السنة ٣، العدد ٥، نيسان/ابريل ١٩٨٧. ص ٣٤ ـ ٤٦.

١٢٠ ـ النشاشيبي، حكمت. «موقع المصارف العربية في السوق المالية الدولية.» **الاقتصاد والاعمال**: العدد ٨٩، كانون الثاني/ يناير ١٩٨٧. ص ١٦ ـ ٢٠.

١٢١ ـ نوفل، احمد سعيد. «البعد الخارجي لاستراتيجية العمل الاقتصادي العربي المشترك.» **شؤون عربية**: العدد ٤٩، آذار/ مارس ١٩٨٧. ص ١٢٥ ـ ١٤٦.

١٢٢ ـ هندي، عادل ابراهيم. «المحددات الرئيسية لاستراتيجية الأمن الغذائي بالوطن العربي.» **شؤون عربية**: العدد ٤٩، آذار/ مارس ١٩٨٧. ص ٦٢ ـ ٨٢.

انظر ايضاً: ٢٧، ١٤٥، ١٩٩

مراجعة كتب

١٢٣ ـ زكي، رمزي. «التضخم المستورد.» **المنتدى**: السنة ٢، العدد ١٩، نيسان/ ابريل ١٩٨٧. ص ١٨ ـ ١٩ (فهد الفانك)

١٢٤ ـ الشمري، ناظم محمد نوري سلمان. «الائتمان المصرفي في أقطار الخليج العربي.» **الخليج العربي**: السنة ١٥، العدد ١، ١٩٨٧. ص ٢٢٩ ـ ٢٣٢. (عبد السلام ياسين الادريسي)

١٢٥ ـ عبد الله، اسماعيل صبري. «في التنمية العربية.» **الفكر العربي**: السنة ٧، العدد ٤٥، آذار/ مارس ١٩٨٧. ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤. (حسين حيدر)

١٢٦ ـ ــــ. **مجلة العلوم الاجتماعية**: السنة ١٤، العدد ٤، شتاء ١٩٨٦. ص ٢٦٧ ـ ٢٧٢. (رمضان الصباغ)

١٢٧ ـ الكواري، علي خليفة. «نحو استراتيجية بديلة للتنمية الشاملة.» **الفكر العربي**: السنة ٧، العدد ٤٥، آذار/ مارس ١٩٨٧. ص ٢٣١ ـ ٢٣٣. (حسين حيدر)

١٢٨ ـ ــــ. «هموم النفط وقضايا التبعية في الخليج العربي.» **مجلة العلوم الاجتماعية**: السنة ١٤، العدد ٤، شتاء ١٩٨٦. ص ٣٤٣ ـ ٣٤٧. (عباس المجرن)

١٢٩ ـ Farid, Abdel Majid and Hussein Sirriyeh (eds.). «The Decline of Arab Oil Revenues.»

النفط والتعاون العربي: السنة ١٣، العدد ٢، ١٩٨٧. ص ١٩٤ ـ ٢٠٢. (عزمي جرار)

انظر ايضاً: ١٥٤، ١٥٦

اجتماع

كتب

١٣٠ ـ إمام، سامية سعيد. **من يملك مصر؟! دراسة تحليلية للأصول الاجتماعية لنخبة الانفتاح الاقتصادي في المجتمع المصري، ١٩٧٤ ـ ١٩٨٠**. القاهرة: دار المستقبل العربي، ١٩٨٦. ٣٥٢ ص.

١٣١ ـ شقرون، الهادي. **نقد العقلية العربية**. صفاقس: التعاضدية العمالية والنشر، ١٩٨٦. ١٥٥ ص.

١٣٢ ـ فريق من العلماء والباحثين. **الاطفال والحرب في لبنان: المحنة والمعاناة**. بيروت: الجامعة الأميركية، ١٩٨٦. ٢٧٨ ص.

١٣٣ ـ الفهد، ياسر. **الموجب والسالب في الصحافة العربية: دراسات وآراء في قضايا الصحافة**. دمشق: الشركة المتحدة للتوزيع، ١٩٨٦. ٢٣١ ص.

١٣٤ ـ مصالحة، محمد. **السياسة الاعلامية الاتصالية في الوطن العربي**. لندن: شروق، ١٩٨٦. ١٦٧ ص.

١٣٥ ـ المنظمة العربية لحقوق الانسان. **حقوق الانسان في الوطن العربي: تقرير المنظمة العربية لحقوق الانسان عن حالة حقوق الانسان في الوطن العربي**. القاهرة: المنظمة، ١٩٨٧. ١٢٨ ص.

انظر أيضاً: ١٩

دوريات

١٣٦ ـ اتحاد اذاعات الدول العربية. الأمانة العامة. «العلاقات العربية والدولية.» **الاذاعات العربية**: العدد ٦، ١٩٨٦. ص ٦٩ ـ ٧٣.

١٣٧ ـ اتحاد لجان المراة العاملة. «تجربة رائدة للعمل

النسوي الفلسطيني في الأرض المحتلة.» **النهج**: السنة ٤، العدد ١٣، ١٩٨٦. ص ٩٣ ـ ٩٩.

١٣٨ ـ تلاوي، مرفت. «المرأة.. والأمم المتحدة.» **الدراسات الاعلامية**: العدد ٤٦، كانون الثاني/ يناير ـ آذار/ مارس ١٩٨٧. ص ١٠٤ ـ ١١٣.

١٣٩ ـ الثاقب، فهد. «التحضير واثره على البناء العائلي وعلاقة العائلة بالاقارب في العالم العربي: عرض وتقييم لنتائج البحوث.» **مجلة العلوم الاجتماعية**: السنة ١٤، العدد ٨٥، ١٩٨٦. ص ٢٠٩ ـ ٢٢٣.

١٤٠ ـ جاد، عماد. «ظاهرة الهجرة المضادة من اسرائيل.» **الموقف العربي**: السنة ١١، العدد ٨٥، ١٩٨٦. ص ١٦ ـ ١٩.

١٤١ ـ الجنابي، طاهر موسى. «العمالة العربية المهاجرة والوافدة.» **المجلة العربية للادارة**: السنة ١٠، العدد ٣، صيف ١٩٨٦. ص ٤٩ ـ ٧٧.

١٤٢ ـ حلباوي، يوسف. «المواد البشرية والتعليم والتدريب والتنمية في الوطن العربي.» **شؤون عربية**: العدد ٤٩، آذار/ مارس ١٩٨٧. ص ١١٧ ـ ١٣٤.

١٤٣ ـ خوالده، محمد (وآخرون). «الأمية في الوطن العربي: مشكلة وحلول.» **اليرموك**: العدد ١٨، ١٩٨٦. ص ٥ ـ ١٠.

١٤٤ ـ شعبان، الصادق. «حقوق الانسان المدنية في الدساتير العربية: القسم الأول.» **شؤون عربية**: العدد ٤٩، آذار/ مارس ١٩٨٧. ص ٢١١ ـ ٢٢٩.

١٤٥ ـ الطرزي، عبد الله. «الوضع السكاني للوطن العربي.» **شؤون عربية**: العدد ٤٩، آذار/ مارس ١٩٨٧. ص ١٧٩ ـ ١٩٥.

١٤٦ ـ العبد، عاطف عدلي. «عينة من واقع برامج الأطفال التلفزيونية في الدول العربية.» **المجلة العربية للدفاع الاجتماعي**: العدد ٢١، ١٩٨٦. ص ٦٩ ـ ٨٠.

١٤٧ ـ عز الدين، طريق. «مقترب تحليلي لتخطيط العمل الوقائي على المستوى العربي الشامل.» **المجلة العربية للدفاع الاجتماعي**: العدد ٢١، ١٩٨٦. ص ٨١ ـ ٨٧.

١٤٩ ـ الغالي، احرشاو. «الخصائص الابستمولوجية للتجربة السيكولوجية في الوطن العربي.» **الوحدة**: السنة ٣، العددان ٢٦ ـ ٢٧، تشرين الثاني/ نوفمبر ـ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٦. ص ١٨٥ ـ ١٩٠.

١٥٠ ـ المقداد، ابراهيم. «هجرة العمال العرب إلى اوروبا.» **المنابر**: السنة ٢، العدد ٦، حزيران/ يونيو ١٩٨٧. ص ٦٤ ـ ٦٩.

١٥١ ـ القاسمي، خالد بن محمد. «الهجرة الوافدة لمجتمع الخليج وأثرها في تغيير البناء الاجتماعي.» **دراسات عربية**: السنة ٢٣، العدد ٨ ـ ٩، حزيران/ يونيو ـ تموز/ يوليو ١٩٨٧. ص ٥١ ـ ٥٦.

١٥٢ ـ المرسي، محمد محمود. «الاذاعات الموجهة باللغة العربية الى الوطن العربي: دراسة وصفية.» **شؤون عربية**: العدد ٤٩، آذار/ مارس ١٩٨٧. ص ٢٣٠ ـ ٢٤٦.

١٥٣ ـ هاشم، عصام. «كيف يفكر الطفل الصهيوني.» **الوحدة**: السنة ٣، العددان ٢٦ ـ ٢٧، تشرين الثاني/ نوفمبر ـ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٦. ص ١٨١ ـ ١٨٤.

مراجعة كتب

١٥٤ ـ امام، سامية سعيد. «من يملك مصر: دراسة تحليلية للأصول الاجتماعية لنخبة الانفتاح الاقتصادي في المجتمع المصري، ١٩٧٤ ـ ١٩٨٤.» **الموقف العربي**: السنة ١١، العدد ٨٦، حزيران/ يونيو ١٩٨٧. ص ١٤٥ ـ ١٥٣. (جورج المصري)

١٥٥ ـ حطب، زهير. «مساهمات الاجتماعيين العرب في قضايا التنمية.» **الفكر العربي**: السنة ٧، العدد ٤٥، آذار/ مارس ١٩٨٧. ص ٢٤٢ ـ ٢٤٤. (فاطمة مقلد)

١٥٦ ـ روي، سارة. «قطاع غزة: مسح ديمغرافي اقتصادي، اجتماعي وقانوني.» **نشرة ابحاث بيرزيت**: العدد ٤، شتاء ـ ربيع ١٩٨٧. ص ٧٤ ـ ٧٨. (أن سكوت)

١٥٧ ـ شكري، غالي. «سوسيولوجيا النقد العربي الحديث.» **مجلة العلوم الاجتماعية**: السنة ١٤، العدد ٤، شتاء ١٩٨٦. ص ٣١٤ ـ ٣٢١. (جمال الصليبي)

١٥٨ ـ فريق من العلماء والباحثين. «الأطفال والحرب في لبنان: المحنة والمعاناة.» **المنتدى**: السنة ٢، العدد ١٨، آذار/ مارس ١٩٨٧. ص ١١ ـ ١٢. (عايدة كوكاز)

١٥٩ ـ مغيزل، لور. «المرأة في التشريع اللبناني في

ضوء الاتفاقات الدولية مع مقارنة بالتشريعات العربية.» **حاليات**: السنة ١٠، العدد ٤٤، خريف ١٩٨٦. ص ٩٠ ـ ٩٥. (اميرة ابو مراد)

١٦٠ ـ ياسر، القهر. «الموجب والسالب في الصحافة العربية.» **عالم الكتب**: السنة ٧، العدد ٤، كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٦. ص ٥١١ ـ ٥١٦. (نهلة الحمصي)

انظر ايضاً: ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧،، ١٢٨

ثقافة

كتب

١٦١ ـ الحاجة، عارف. **قلنا لنزيه القبرصلي**. بيروت: المجلس الثقافي للبنان الجنوبي؛ الامارات: اللجنة الدائمة لناصرة المقاومة الوطنية اللبنانية، ١٩٨٦. ٩٧ ص.

١٦٢ ـ خليفة، عبد الكريم. **اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث**. عمان: مجمع اللغة العربية الاردني، ١٩٨٧. ٢٩١ ص.

١٦٣ ـ سحاب، فكتور. **السبعة الكبار في الموسيقى العربي المعاصرة: سيد درويش، محمد القصبجي، زكريا احمد، محمد عبد الوهاب، أم كلثوم، رياض السنباطي، اسمهان**. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧. ٣٤٩ ص.

١٦٤ ـ عازار، ظافر هنري. **نظرة على السينما العالمية المعاصرة: آسيا، افريقيا، والبلدان العربية**. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٧. ٥٦٣ ص.

١٦٥ ـ عبد الرحمن، اسامة. **المثقفون والبحث عن مسار دور المثقفين في اقطار الخليج العربية في التنمية**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٧. ٢٤٤ ص.

١٦٦ ـ مجمع اللغة العربية الاردني. **الموسم الثقافي الرابع لمجمع اللغة العربية الاردني، ٥ ـ ٣ نيسان (ابريل) ـ ايار (مايو) ١٩٨٦**. عمان: المجمع، ١٩٨٦. ١٦٧ ص.

١٦٧ ـ المختار، عبد الصحاب. **دائرة الوحدة في اوزان الشعر العربي**. تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٨٦.

دوريات

١٦٨ ـ أبو صفية، جاسر. «منهج في دراسة الأدب.» **مجلة مجمع اللغة العربية الاردني**: السنة ١٠، العدد ٣١، تموز/ يوليو ـ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٦. ص ٥٣ ـ ٧٨.

١٦٩ ـ ابو علي، محمد بركات حمدي. «الفروق في البلاغة.» **المجلة الثقافية**: العدد ٩، ١٩٨٥/ ١٩٨٦. ص ١١٨ ـ ١٣٥.

١٧٠ ـ أمين، سمير. «البعد الثقافي لمشكلة التنمية: تأملات في أزمة الفكر العربي المعاصر.» **الفكر العربي**: السنة ٧، العدد ٤٥، آذار/مارس ١٩٨٧. ص ٤٠ ـ ٦٩.

١٧١ ـ بنسعيد، سعيد. «الايديولوجيا، التراث: تحديث العقل العربي.» **الوحدة**: السنة ٣، العددان ٢٦ ـ ٢٧، تشرين الثاني/نوفمبر ـ كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٦. ص ٣١ ـ ٣٩.

١٧٢ ـ الجابري، محمد عابد. «عشرون سنة من البحث الفلسفي ومن التنظير للقضايا التربوية والفكرية.» قدم للحوار محمد وقيدي؛ شارك في الحوار: سعيد بنسعيد، كمال عبد اللطيف، سالم يفوت، محمد وقيدي؛ ادار الحوار محي الدين صبحي. **الوحدة**: السنة ٣، العددان ٢٦ ـ ٢٧، تشرين الثاني/ نوفمبر ـ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٦. ص ١٢٩ ـ ١٦٦.

١٧٣ ـ حرب، الغزالي. «من ثمرات المتابعة الدؤوب للتراث العربي العريق.» **الدارة**: السنة ١٢، العدد ٣، كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٦. ص ١٢٩ ـ ١٤٢.

١٧٤ ـ الخطيب، عدنان. «وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية الأردني، ٥٢، بغداد، ٣ ـ ٦ آذار (مارس) ١٩٨٦.» **مجلة مجمع اللغة العربية الاردني**: السنة ١٠، العدد ٣١، تموز/ يوليو ـ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٦. ص ١٤٩ ـ ١٨٩.

١٧٥ ـ زيعور، علي. «الحكمة العملية في الذات العربية: تمظهرها الفلسفي الأول عند الكندي.» **دراسات عربية**: السنة ٢٣، العدد ٨ ـ ٩، حزيران/ يونيو ـ تموز/ يوليو ١٩٨٧. ص ٣ ـ ٢٥.

١٧٦ ـ صالح، هاشم. «الفكر المستحيل: المقدمة الابستمولوجية أو النظرية.» **الوحدة**: السنة ٣، العددان ٢٦ ـ ٢٧، تشرين الثاني/ نوفمبر ـ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٦. ص ٤٢ ـ ٥٢.

١٧٧ ـ صميلي، يوسف. «صدمة الحداثة في الرواية العربية.» **الفكر العربي**: السنة ٧، العدد ٤٥، آذار/ مارس ١٩٨٧.، ص ٣٣٠ ـ ٣٣٥.

١٧٨ ـ عمايرة، اسماعيل احمد. «ظاهرة بجد كفت بين

العربية واللغات السامية: دراسة مقارنة.» **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**: السنة ١٠، العدد ٣١، تموز/ يوليو ـ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٦. ص ٢٩ ـ ٥١.

١٧٩ ـ غليون، برهان. «وعي الذات.» **الحوار**: السنة ١، العدد ٣، خريف ١٩٨٦. ص ٩ ـ ٢٩.

١٨٠ ـ كيلة، سلامة. «تناول التراث العربي.» **دراسات عربية**: السنة ٢٢، العددان ٨ ـ ٩، حزيران/ يونيو ـ تموز/ يوليو ١٩٨٧. ص ٥٧ ـ ٨١.

١٨١ ـ محمد، ايناس. «ندوة الانتلجنسيا العربية: الواقع والطموح، القاهرة، نيسان (ابريل) ١٩٨٧.» **الموقف العربي**: السنة ١١، العدد ٨٥، أيار/ مايو ١٩٨٧. ص ١٤٥ ـ ١٥٢.

١٨٢ ـ مرقص، الياس. «العقل والعقلانية: ثلاثة معان ممكنة.» **الوحدة**: السنة ٣، العددان ٢٦ ـ ٢٧، تشرين الثاني/ نوفمبر ـ كانون الاول/ ديسمبر ١٩٨٦. ص ٧ ـ ١٩.

١٨٣ ـ مصطفى، شاكر. «الخطة الشاملة للثقافة العربية.» **الدارة**: السنة ١٢، العدد ٣، كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٦. ص ١٤٣ ـ ١٤٧.

١٨٤ ـ الموسى، عصام سليمان. «مصطلحات الاتصال الجماهيري في اللغة العربية: تعريب أم تغريب.» **مجلة مجمع اللغة العربية الاردني**: السنة ١٠، العدد ٣١، تموز/ يوليو ـ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٦. ص ٢٦٣ ـ ٢٧٣.

١٨٥ ـ نصر الدين، أديب. «الخط العربي: توحيدي متطور مع التقنيات.» **المنابر**: السنة ٢، العدد ٦، حزيران/ يونيو ١٩٨٧. ص ١٢٠ ـ ١٣٢.

١٨٦ ـ وهبة، مراد. «السبب الاساسي لأزمة العقل العربي غياب الرؤية المستقبلية.» اجرى الحوار عادل الجوجري. **المنابر**: السنة ٢، العدد ٦، حزيران/ يونيو ١٩٨٧. ص ١٨ ـ ٢٢.

١٨٧ ـ يفوت، سالم. «وظيفة العقل في النظام البياني بين ابن حزم والغزالي: المنطق اليوناني.» **الوحدة**: السنة ٣، العددان ٢٦ ـ ٢٧، تشرين الثاني/ نوفمبر ـ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٦. ص ٥٣ ـ ٦١.

انظر ايضاً: ٣٧، ٦٣

مراجعة كتب

١٨٨ ـ الجمال، راسم محمد. «الاعلام العربي المشترك دراسة في الاعلام الدولي.» **مجلة العلوم الاجتماعية**: السنة ١٤، العدد ٤، شتاء ١٩٨٦. ص ٣٢٧ ـ ٣٣٠. (توفيق ابو بكر)

١٨٩ ـ غليون، برهان. «اغتيال العقل: تراجيديا الثقافة العربية.» **الوحدة**: السنة ٣، العددان ٢٦ ـ ٢٧، تشرين الثاني/ نوفمبر ـ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٦. ص ١٩٨ ـ ٢٠١. (محمد سبيلا)

١٩٠ ـ يسين، السيد وآخرون. «التراث وتحديات العصر في الوطن العربي: الأصالة والمعاصرة.» **حاليات**: السنة ١٠، العدد ٤٤، خريف ١٩٨٦. ص ٩٥ ـ ٩٨. (سامي عون)

تربية وتعليم

كتب

١٩١ ـ بني، جانيت خضر ونادية عبد الرحمن حسين. **التعليم الشامل في العراق وبعض الاقطار العربية: دراسة مقارنة**. بغداد: وزارة التربية، مركز البحوث والدراسات التربوية، ١٩٨٦. ٢٢٩ ص. (العدد ٢٠٧)

١٩٢ ـ علي، سعيد اسماعيل. **الفكر التربوي العربي الحديث**. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٧. ٣٩٨ ص. (عالم المعرفة، ١١٣)

انظر ايضاً: ١٩٨

دوريات

١٩٣ ـ الابراهيم، حسن. «محنة التعليم العالي العربي: بعض القضايا الرئيسية.» **المستقبل العربي**: السنة ١٠، العدد ١٠١، تموز/ يوليو ١٩٨٧. ص ٣٢ ـ ٤٣.

١٩٤ ـ ابو شقرا، غازي. «تعزيز التربية البيئية في العالم العربي.» **الدراسات الاعلامية**: العدد ٤٦، كانون الثاني/ يناير ـ آذار/ مارس ١٩٨٧. ص ١٢٣ ـ ١٢٧.

١٩٥ ـ بلهاشمي، زكية. «في التربية والتعليم من أجل نموذج بديل في الوطن العربي.» **شؤون عربية**: العدد ٤٩، آذار/ مارس ١٩٨٧. ص ١٤٧ ـ ١٥٣.

١٩٦ ـ بوبطانة، عبد الله. «اطار تصوري لانشاء جامعة عربية للدراسات العليا والبحث العلمي.» **شؤون عربية**: العدد ٤٩، آذار/ مارس ١٩٨٧. ص ١٠١ ـ ١١٦.

١٩٧ ـ خضر، محسن. «موقع الانتماء القومي في التعليم المصري بعد الصلح مع اسرائيل.» **الوحدة**: السنة ٣، العددان ٢٦ ـ ٢٧، تشرين

الثاني/ نوفمبر ـ كانـون الأول/ ديسمبر ١٩٨٦. ص ١٧١ ـ ١٧٦.
انظر ايضاً: ١٤٣

علوم وتكنولوجيا

كتب

١٩٨ ـ ابو شيخة، نـادر احمد. **ادارة البحث العلمي في الـوطن العربي: قضـايا وتسـاؤلات**. عمـان: المنظمـة العربيـة للعلوم الادارية، ادارة البحـوث والـدراسات، ١٩٨٦. ٩٤ ص. (منشورات المنظمة العربية للعلوم الادارية، ٣٠٧)

دوريات

١٩٩ ـ البيلي، عمر عبـد الحي صالـح. «اقتصاديـات البحث والتطـويـر في العـالم العـربـي.» **آفـاق اقتصـادية**: السنـة ٧، العدد ٢٨، تشرين الأول/ اكتوبر ١٩٨٦. ص ٧ ـ ٢٦.

٢٠٠ ـ حقي، وليد. «المعادن في الوطن العربي.» **مجلة التعـدين العربيـة**: السنة ٦، العـدد ٤، ١٩٨٦. ص ٣٥ ـ ٤١.

٢٠١ ـ الشريـف، حسن. «البـلاد الـعـربيـة وثـورة الالكترونيات الدقيقة.» **المستقبل العربي**: السنـة ١٠، العدد ١٠١، تموز/ يوليو ١٩٨٧. ص ١٠٢ ـ ١٢٤.

٢٠٢ ـ عواد، عفيف. «العالم العـربي والتكنولـوجيا.» **الفكر العربي**: السنة ٧، العدد ٤٥، آذار/ مارس ١٩٨٧. ص ١١٢ ـ ١٢٦.

٢٠٣ ـ عيسى، نجيب. «مشكـلة التكنولـوجيا في العـالم الثالث: مقاربة اولية.» **الفكـر العربي**: السنـة ٧، العدد ٤٥، آذار/ مارس ١٩٨٧. ص ٢٠ ـ ٣٩.
انظر ايضاً: ٤٠

ثانياً: المصادر الأجنبية

Reference, General and Bibliography

Books

1 - Benvenisti, Meron, Ziad-Zayad and Danny Rubinstein. *The West Bank Handbook: A Political Lexicon.* Boulder, Colo.: Westview Press, 1986. 244 p.

2 - *Middle East Agribusiness Buyers Guide, 1987.* London: International Trade Publications Ltd, 1987. 166 p.

3 - Partington, David H. *The Middle East Annual: Issues and Events. Vol.5: 1985.* Boston: G.K. Hall, 1986. ix, 210 p.

History and Geography

Books

4 - Irani, George E. *The Papacy and the Middle East: The Role of the Holy See in the Arab-Isreali Conflict, 1962-1984.* Notre Dame: University of Notre Dame Press, 1986. 218 p.
See also: 26

Periodicals

5 - Caplan, Neil and Avraham Sela. «Zionist-Egyptian Negotiations and the Partition of Palestine, 1946.» *The Jerusalem Quarterly:* no. 41, Winter 1987. pp. 19-30.
See also: 57

Book Reviews

6 - Ingram, Edward. «In Defence of British India: Great Britain and the Middle East, 1775-1842.» *Middle Eastern Studies:* vol. 23, no.1, January 1987. pp. 122-123. (P.J. Marshall)

7.- Jbara, Taysir. «Palestinian Leader Hajj Amin Al-Husayni, Mufti of Jerusalem.» *The Middle East Journal:* vol. 41, no. 2, Spring 1987. pp. 289-290. (Phillip Matter)

8 - Louis, William Roger. «The British

Empire in the Middle East, 1945-1951: Arab Nationalism, the United States and Postwar Imperialism.» *Middle Eastern Studies:* vol. 23, no. 1, January 1987. pp. 120-122. (Eran Lerman)

9 - Nicosia, Francis R. «The Third Reich and the Palestine Question.» *Journal of International Studies:* vol. 16, no. 1, Spring 1987. pp. 157-158. (Bob Moore)

10 - Shimizu, Hiroshi. «Anglo-Japanese Trade Rivalry in the Middle East in the Inter-War Period.» *The Middle East Journal:* vol. 41, no. 2, Spring 1987. pp. 292-293.
See also: 68, 69, 73, 80

Politics and National Thought

Books

11 - Alpher, Joseph (ed.). *Nationalism and Modernity: A Mediterranean Perspective.* New York: Praeger, 1986.

12 - Bearman, Jonathan. *Qadhafi's Libya.* London: Zed Books, 1986. 304 p.

13 - Ben-Zri, Abraham. *The American Approach to Superpower Collaboration in the Middle East, 1973-1986.* Boulder, Colo.: Westview Press, 1987. 110 p.

14 - Braun, Aurel (ed.). *The Middle East in Global Strategy.* Boulder, Colo.: Westview Press, 1987. 244 p.

15 - Braun, Ursula. *Der Kooperationsrat arabischer Staaten am Golf: Eine neue Kraft?.* Baden-Baden, FRG: Nomos Verlags Gesellschaft, 1986. 134p. (Aktuelle Materialien zur Internationalen Polotik, vol. 11)

16 - Chevallier, Dominique (director). *Renouvellements du monde arabe, 1952-1982: pensées politiques et confrontations internationales.* Paris: Armand Colin, 1987. 229p.

17 - Cordesman, Anthony H. *Western Strategic Interests in Saudi Arabia.* London: Croom Helm, 1987. 320 p.

18 - Cossali, Paul and Clive Robson. *Stateless in Gaza.* London: Zed Books. 1986. 192 p.

19 - David, Uri. *Israel: An Apartheid State.* London: Zed Books, 1987. 176 p.

20 - Dawisha, Adeed. *The Arab Radicals.* New York, N.Y.: Council on Foreign Relations, 1986. 192 p.

21 - Dewitt, David (ed.). *Conflict in the Middle East: Sources and Management within the International Context.* London: Croom Helm, 1987. 320 p.

22 - Eytan, Freddy. *David et Marianne: la raison et la passion.* Paris: A. Moreau, 1986. 298 p.

23 - Farah, Tawfiq E. *Political Socialization in the Arab States.* London: Frances Pinter Publishers, 1987. 200 p.

24 - Fawzi, Mahmoud. *Suez 1956: An Egyptian Perspective.* London: Shorouk International, 1987.

25 - Flapan, Simha. *The Birth of Israel: Myths and Realities.* London: Croom Helm, 1987. 256 p.

26 - Geoffrey, Aronson. *From Sideshow to Center Stage: U.S. Policy toward Egypt, 1946-1956.* Boulder, Colo.: Lynne Rienner Publishing, 1986. 208 p.

27 - Jansen, Michael. *Dissonance in Zion.* London: Zed Books, 1987. 160 p.

28 - Joffe, George and Keith Mclachlan. *Iran and Iraq: The Next Five Years.* London: Economist Intelligence Unit, 1987. 110 p. (Special Report, no. 1083)

29 - Kirisci, Kemal. *The PLO and World Politics: A Study of the Mobilization of*

Support for the Palestinian Cause. London: Frances Pinter Publishers, 1987. 209 p.

30 - Moughrabi, Fouad and Elia Zureik (eds.). *Public Opinion and the Palestine Question*. London: Croom Helm, 1987. 256 p.

31 - Porat, Ben and Uri Dan. *Operation Babylone*. Paris: Balland, 1986. 243 p.

32 - Ramazani, R.K. *Revolutionary Iran: Challenge and Response in the Middle East*. Baltimore, Md.: The John Hopkins University Press, 1987.

33 - Roy, Sara. *The Gaza Strip Survey*. Boulder, Colo.: Westview Press, 1987.

34 - Rubenberg, Cheryl A. *Israel and the American National Interest*. Champaign: University of Illinois Press, 1986. 446 p.

35 - Saint-Prot, Charles. *Saddam Hussein: un gaullisme arabe?*. Paris: Albin Michel, 1987. 246 p.

36 - Saivetz, Carol R. *The Soviet Union and the Gulf in the 1980s*. Boulder, Colo.: Westview Press, 1987. 140 p.

37 - Timmerman, Kenneth. *Fanning the Flames: Secrets of the Multi-Billion Dollar Arms Suppliers to both Sides in the Iran-Iraq Conflict*. New York: New York Times, 1987. 375 p.

38 - Toksoz, Mina. *The Lebanon Conflict: Political Shifts, Regional Impact an Economic Outlook*. London: Economist Intelligence Unit, 1986.

39 - U.S. – Arab Chamber of Commerce Library and Information Department (New York). *U.S. – Arab Treaties in Force on January 1, 1986*. New York: The Chamber, 1986. xxxiv, 121 p.

40 - Victor, Barbara. *Terrorism*. Paris: Stock, 1986. 237 p.

41 - Viorst, Milton. *Sands of Sorrow: Israel's Journey from Independence*. New York, N.Y.: Harper & Row, 1987. 328 p.
See also: 1, 85

Periodicals

42 - Beaujeu, Francis. «Aux côtés de Bagdad dans le conflit Iran-Irak: de la diplomatie française.» *Le Monde diplomatique:* vol. 34, no. 398, mai 1987. pp. 7.

43 - Be'eri, Eliezer. «The Jewish-Arab Conflict during the Herzl Years.» *The Jerusalem Quarterly:* no. 41 Winter 1987. pp. 3-18.

44 - Bouhabib, Abdallah. «Lebanon: A Fuse Instead of a Buffer: How Did Every Single Problem in the Middle East End up in my Country?.» *American Arab Affairs:* no. 19, Winter 1986-87. pp. 13-16.

45 - Chirac, Jacques. «American Reactions are a Little Primitive.» Interviewed by Washington Times editor Arnaud de Borchgrave. *MERIP Middle East Report:* vol. 17, no. 1, Janaury-February 1987. pp. 39-43.

46 - Al-Farsy, Fouad A. «Saudi-American Relations in a Changing World.» *American-Arab Relations:* no.19, Winter 1986-87. pp. 23-27.

47 - Hippler, Jochen. «Low Intensity Warfare: Key Strategy for the Third World Theater.» *MERIP Middle East Report:* vol. 17, no. 1, January-February 1987. pp. 32-38.

48 - Kechichian, Joseph A. «Terrorism in the Middle East and U.S. Military Responses.» *Journal of South Asian and Middle Eastern Studies:* vol. X, no.3, Spring 1987. pp. 38-61.

49 - Kennedy, David M. «Reflection on Being an American.» *American Arab*

Affairs: no. 19, Winter 1986-87. pp. 17-22.

50 - Kliot, N. «The Collapse of the Lebanese State.» *Middle Eastern Studies:* vol. 23, no. 1, January 1987. pp. 54-74.

51 - Kuznestov, Georgi. «Irangate: Blunder or Par for the Course?.» *International Affairs:* no. 4, April 1987. pp. 106-110.

52 - Mishanin, Aleksandr. «Entrapped in a Senseless War: What Prevents the Settlement of the Iran-Iraq Conflict?.» *International Affairs:* no. 4, April 1987. pp. 86-90, 110.

53 - Nevo, Joseph. «The Arabs of Palestine, 1947-48: Military and Political Activity.» *Middle Eastern Studies:* vol. 23, no. 1, January 1987. pp. 3-38.

54 - Percy, Charles H. «The Economic Costs of no Peace in the Middle East.» *American Arab Affairs:* no. 19, Winter 1986-87. pp. 8-12.

55 - Ryan, Sheila. «U.S. Military Contractors in Israel.» *MERIP Middle East Report:* vol. 17, no. 1, January-February 1987. pp. 17-22.

56 - Sharkansky, Ira. «Avoiding the Irresistable: Should the Israeli Government Combat Jewish Emigration?.» *The Jerusalem Quarterly:* no. 41, Winter 1987. pp. 95-111.

57 - Shpiro, David H. «Decision at Biltmore.» *The Jerusalem Quarterly:* no. 41, Winter 1987. pp. 112-122.

58 - Sick, Gary. «Iran's Quest for Superpower Status.» *Foreign Affairs:* vol. 65, no.4, Spring 1987. pp. 697-715.

59 - Stein, Janice Gross. «Extended Deterence in the Middle East: American Strategy Reconsidered.» *World Politics:* vol. XXXIX, no. 3, April 1987, pp. 326-352.

60 - Stockton, Ronald R. «Christain Zionism: Prophecy and Public Opinion.» *The Middle East Journal:* vol. 41, no. 2, Spring 1987. pp. 234-255.

61 - Stork, Joe. «Arms Industries of the Middle East.» *MERIP Middle East Report:* vol. 17, no. 1, January-February 1987. pp. 12-16.

62 - Troxler, Nancy C. «The Gulf Cooperation Council: The Emergence of an Institution.» *Journal of International Studies:* vol. 16, no. 1, Spring 1987. pp. 1-19.

63 - Wallrafen, Hannes. «The Middle East Living by the Sword: A Primer.» *MERIP Middle East Report:* vol. 17, no. 1, January-February 1987. pp. 23-26.

64 - Zonis, Marvin. «Afghanistan and the USSR: Middle East Responses.» *ORBIS:* vol. 30, no. 4, Winter 1987. pp. 609-636.
See also: 5

Book Reviews

65 - Abdulghani, Jasim M. «Iraq and Iran: The Years of Crisis.» *Middle East Studies Association Bulletin:* vol. 22, no. 2, December 1986. pp. 211-212. (Phebe Marr)

66 - Avnery, Uri. «My Friend, the Enemy.» *The Middle East Journal:* vol. 41, no. 2, Spring 1987. pp. 295-296. (Don Peretz)

67 - Dawisha, Adeed. «The Arab Radicals.» *Political Science Quarterly:* vol. 102, no. 1, Spring 1987. pp. 168-169. (Marvin G. Weinbaum)

68 - Geoffrey, Aronson. «From Sideshow to Center Stage: U.S. Policy toward Egypt, 1946-1956.» *Middle East Studies Association Bulletin:* vol. 20, no.2, December 1986. pp. 213-215. (Hermann Frederick Elits).

69 - Jones, Martin. «Failure in Palestine: British and United States Policy after the Second World War.» *The Middle East Journal:* vol. 41, no. 2, Spring 1987. pp. 294-295. (Robert W. Stookey)

70 - Katz, Mark N. «Russia and Arabia: Soviet Foreign Policy toward the Arabian Peninsula.» *Political Science Quarterly:* vol. 102, no. 1, Spring 1987. pp. 141-143. (Yaacov Ro'i)

71 - Long, David. «The United States and Saudi Arabia: Ambivalent Allies.» *Middle East Studies Association Bulletin:* vol. 20, no. 2, December 1986. pp. 232-233. (Laurie Mylroie)

72 - Nakhleh, Emile A. «The Gulf Cooperation Council: Policies, Problems and Prospects.» *Political Science Quarterly:* vol. 102, no. 1, Spring 1987. PP. 140-141. (F. Gregory Gause, III)

73 - Peretz, Don. «The West Bank: History, Politics, Society, and Economy.» *American-Arab Relations:* no. 19, Winter 1986-87. pp. 105-107. (Antony T. Sullivan)

74 - Peterson, J.E. «Defending Arabia.» *Journal of International Studies:* vol. 16, no. 1, Spring 1987. pp. 160-162. (David Pool)

75 - ——— .——— . *The Middle East Journal:* vol. 41, no.2, Spring 1987. pp. 282-283. (John T. Petrou)

76 - Quandt, William B. «Camp David: Peacemaking and Politics.» *American Political Science Review:* vol. 81, no. 1, March 1987. pp. 328-329. (Barry Rubin)

77 - Rubenstein, Sondra Miller. «The Communist Movement in Palestine and Israel, 1919-1984.» *Middle East Studies Association Bulletin:* vol. 20, no. 2, December 1986. pp. 237-239. (Israel Bartal)

78 - Shipler, David K. «Arab and Jew: Wounded Spirits in a Promised Land.» *American-Arab Relations:* no. 19, Winter 1986-87. pp. 101-102, 103. (Michael Rubner)

79 - ——— . ——— . *Present Tense:* vol. 14, no. 2, January-February 1987. pp. 54-55 (Rita E. Hauser)

80 - Stein, Kenneth W. «The land Question in Palestine, 1917-1939.» *Middle East Studies Association Bulletin:* vol. 20, no.2, December 1986. pp. 241-242. (Philip Mattar)

81 - Yousuf, Hilmi Shadi. «African-Arab Relations.» *American-Arab Relations:* no. 19, Winter 1986-87. pp. 115-117. (Jane Hunter)

See also: 7, 8, 9, 82, 96, 100, 102, 105

Law and Public Administration

Book Reviews

82 - Mallison, W. Thomas and Sally V. Mallison. «The Palestine Problem in International Law and World Order.» *The Middle East Journal: vol. 41, no. 2, Spring 1987. pp. 296-297. (Linda A. Malone)*

Economics

Books

83 - El-Ashker, Ahmed Abdell-Fattah. *The Islamic Business Enterprise.* London: Croom Helm, 1987. 242 p.

84 - Heynitz, Achin Von. *Industrialisierung in den Mitgliedstaaten des Gulf Cooperation Council (GCC): Die Wirtschaftlichen Folgen fur die Industrielander.* Ebenhausen: Forschungsinstitut fur Internationale Politik und Sicherheit, 1986. 193 p. (Stiftung Wissenschaft und Politik)

85 - International Conference on Develop-

ment Interdependence Cooperation 11, Rimini, 1985. *Oil for Peace Proceedings*. Rimini: Pio Manzu International Research Centre, 1986. 222p. (Structure Ambiantali, 75)

86 - Seznec, Jean-François. *The Financial Markets of the Arabian Gulf: Saudi Arabia, Kuwait and Bahrain*. London: Croom Helm, 1987. 256 p.

87 - United Nations. Economic and Social Commission for western Asia. *External Trade Bulletin of the ESCWA Region*. Baghdad: ESCWA, 1986. 275 p.

88 - Walid, Sharif (ed.). *Arab Gulf States and Japan: Prospects for Cooperation*. London: Croom Helm, 1986. 216 p.

89 - Wilson, Rodney (ed). *Middle Eastern Exports: Problems and Prospects: Papers Presented to the Conference of the British Society for Middle East Studies, July 1985*. Durham: University of Durham, Centre for Middle Eastern and Islamic Studies, 1986. 119 p. (Occasional Papers Series, 29)
See also: 2, 15, 105

Periodicals

90 - Anckonie III, Alex. «The Arab World is Still Importing.» *American-Arab Relations:* no. 19, Winter 1986-87. pp. 70-82.

91 - Gazzo, Yves. «Le Monde arabe Face à l'endettement: le cas des pays du Maghreb.» *Maghreb-Machrek:* no. 114, October-November- December 1986. pp. 30-43.

92 - Henderson, Bruce F. «A Historical Perpective of U.S. – GCC Economic and Financial Interdependence.» *Amercain-Arab Relations:* no. 19, Winter 1982-87 pp. 38-57.

93 - Ibrahim, Ibrahim B. «The Impact of the Oil Price Decline on the Economies of the Arab Countries.» *OPEC Review:* vol. XI, no. 1, Spring 1987. pp. 25-43.

94 - Iwayemi, Akin. «Investment in Oil Exploration and Development in Asia: The Implications of Recent Energy Market Developments.» *OPEC Review:* vol. XI, no. 1, Spring 1987. pp. 87-104.

95 - El-Kuwaiz, Abdullah Ibrahim. «Economic Integration of the GCC: Challenges, Achievements and Future Outlook.» *American-Arab Relations:* no. 19, Winter 1986-87. pp. 28-37.

96 - Schuler, G. Henry M. «A Petroleum Forecast: The Impact of U.S. – Arab Relations in the Coming Years.» *American-Arab Relations:* no.19, Winter 1986-87. pp. 83-87.

97 - Al-Shabibi, Sinan. «OPEC Aid: Issues and Performance.» *OPEC Review:* vol. XI, no. 1, Spring 1987. pp. 45-70.

98 - Welt, Leo G. «New Directions in Middle East Trade: Offsets and Countertrade.» *American-Arab Relations:* no. 19, Winter 1986-87. pp. 88-93.
See also: 62

Book Reviews

99 - Ahrari, Mohammed E. «OPEC: The Failing Giant.» *American Political Science Review:* vol. 81, no. 1, March 1987. pp. 316-317. (Mark J. Gasiorowiski)

100 - Daoudi, M.S. and M.S. Dajani. «Economic Diplomacy: Embargo Leverage and World Politics.» *Middle East Studies Association Bulletin:* vol. 20, no. 2, December 1986. pp. 221-222. (Joseph A. Kechichian)

101 - Hunter, Shireen. «OPEC and the Third World.» *American Political Science Reivew:* vol. 81, no. 1, March

1987. pp. 316-317. (Mark J. Gasioro-wiski).

102 - Sarna, Aaron J. «Boycott and Black-list: A History of Arab Economic Warfar against Israel.» *The Middle East Journal:* vol. 41, no. 2, Spring 1987. pp. 293-294. (Joseph Wright)
See also: 10, 72, 73

Sociology

Books

103 - Arnold, fred and Nasra M. Shah (eds.). *Asian Labor Migration: Pipeline to the Middle East.* Boudler, Colo.: Westview Press, 1986. 265 p.

104 - Ata, Ibrahim Wade. *The West Bank Palestinian Family.* New York: Rout-ledge and Kegan Paul, 1987.

105 - Bevenisti, Meron. *Demographic, Economic, legal, Social and Political Development in the West Bank, 1986 Report.* Jerusalem: West Bank Data Base Project, 1986. 102 p.

106 - Handelman, Lea Shamgar. *Israeli War Widows: Beyoud the Glory of Heroism.* South Hadley, M.A.: Bergin and Garvey, 1986. xiii, 219 p.

107 - Khamsin Collective (ed.). *Women in the Middle East.* London: Zed Books, 1987. 96p. (Series no. 13)

108 - Netton, Ian (ed.). *Arabian and the Gulf: From Traditional Society to Modern States.* London: Croom Helm, 1986.
See also: 23

Periodicals

See also: 56

Book Reviews

109 - Centre d'études et de recherches sur le moyen-orient contemporain (CERMOC). «Migrations et change-ments sociaux dans l'orient arabe.» *Maghreb-Machrek:* no. 114, october-november ' december 1986. pp. 108-109. (E. Picard)

Culture

Books

110 - Kent, J.R. Smart. *Teach Yourself Arabic.* Kent, U.K.: Hodder and Stoughton, 1986. viii, 320 p.

Science and Technology

Books

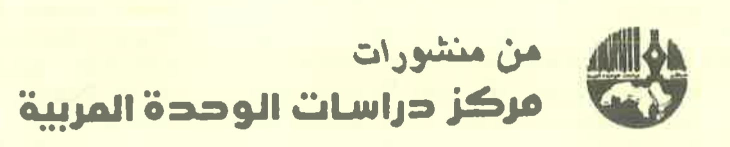
111 - Arab International Solar Energy Conference, 2nd, Bahrain, 1986. *Solar Energy Prospect in the Arab World.* Edited by H. Alawi [et al.]. Oxford: Pergamon Press, 1986. 453 p.

112 - Energy, James J. *Technology Trade with the Middle East.* Boulder, Colo.: Westview Press, 1986. 302 p.

113 - Fathy, Hassan. *Natural Energy and Vernacular Architecture: Principles and Examples with Reference to Hot Arid Climates.* Chicago: University of Chica-go Press, 1986. xxiii, 172 p.

114 - United Nations. Economic and So-cial Commission for Western Asia (ESCWA). *Technology Policies in the Arab States: Proceedings of a Seminar Organized by the United Nations Eco-nomic and Social Commission for Wes-tern Asia (ESCWA) in Cooperation with UNESCO, Paris, 14-18 December 1981.* New York: ESCWA, 1987. 363 p.

115 - ——— and United Nations Financ-ing System for Science and Technology for Development. *The Acquisition of Imported Technology for Industrial De-velopment: Problems of Strategy and Management in the Arab Region.* Bagh-dad: ESCWA, 1986. 299 p.



- يوميات ووثائق الوحدة العربية ١٩٨٦ (٨٦٤ ص ـ ١٧,٥٠ $) ... مركز دراسات الوحدة العربية
- دراسات في الحركة التقدمية العربية (٣٨٠ ص ـ ٧,٥٠ $) ... ندوة فكرية
- العسكريون العرب وقضية الوحدة (٤٦٨ ص ـ ٩,٥٠ $) ... د. مجدي حماد
- البعد القومي للقضية الفلسطينية: فلسطين بين القومية العربية والوطنية الفلسطينية (سلسلة اطروحات الدكتوراه (١٠)) (٢٧٦ ص ـ ٥,٥٠ $) ... د. ابراهيم ابراش
- صورة العرب في عقول الأمريكيين (٢٦٨ ص ـ ٥,٥٠ $) ... د. ميخائيل سليمان
- السياسة الخارجية الفرنسية إزاء الوطن العربي منذ عام ١٩٦٧ (سلسلة اطروحات الدكتوراه (٩)) (٢٦٨ ص ـ ٥,٥٠ $) ... د. بوقنطار الحسان
- الأدب العربي: تعبيره عن الوحدة والتنوع ـ بحوث تمهيدية (٤٤٠ ص ـ ٩ $) ... مجموعة من الباحثين
- حيازة التكنولوجيا المستوردة من اجل التنمية الصناعية: مشكلات الاستراتيجية والادارة في الوطن العربي (٢٥٢ ص ـ ٥ $) ... ندوة فكرية
- وحدة المغرب العربي (٢٥٤ ص ـ ٥ $) ... ندوة فكرية
- التنمية المستقلة في الوطن العربي (١٠٠٢ ص ـ ٢٢ $) ... ندوة فكرية
- الهوية القومية في السينما العربية (٢٧٦ ص ـ ٥,٥٠ $) ... مجموعة من الباحثين
- العقد العربي القادم: المستقبلات البديلة (٤٦٨ ص ـ ٩,٥٠ $) ... ندوة فكرية
- تجديد الحديث عن القومية العربية والوحدة (٢٧٢ ص ـ ٥,٥٠ $) ... د. سعدون حمادي
- الأبعاد التربوية للصراع العربي ـ الاسرائيلي (٥٢٤ ص ـ ١٠,٥٠ $) ... ندوة فكرية
- بنية العقل العربي: دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، (نقد العقل العربي (٢)) (٦٠٠ ص ـ ١٢ $) ... د. محمد عابد الجابري

سلسلة الثقافة القومية:

- المثقفون والبحث عن مسار: دور المثقفين في اقطار الخليج العربية في التنمية (٩) (٢٤٤ ـ ص ـ ٢,٥٠ $) ... د. أسامة عبد الرحمن
- نحو عقد اجتماعي عربي جديد: بحث في الشرعية الدستورية (١٠) (١٠٨ ص ـ دولار واحد) ... د. غسان سلامة
- السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي ـ الاسرائيلي ١٩٧٣ ـ ١٩٧٥ (١١) (١٤٤ ص ـ ١,٥٠ $) ... د. محمد الاطرش
- حقوق الانسان في الوطن العربي (١) (١٨٠ ص ـ ٢ $) ... حسين جميل
- عن العروبة والاسلام (٢) (٤٧٦ ص ـ ٥ $) ... د. عصمت سيف الدولة
- الوطن العربي: الجغرافية الطبيعية والبشرية (٣) (١٨٤ ص ـ ٢ $) ... ناجي علوش
- جامعة الدول العربية ١٩٤٥ ـ ١٩٨٥: دراسة تاريخية (٤) (١٢٨ ص ـ ١,٥٠ $) ... احمد فارس عبد المنعم
- الجماعة الاوروبية: تجربة التكامل والوحدة (٥) (٢٨٨ ص ـ ٢ $) ... د. عبد المنعم سعيد
- التعريب والقومية العربية في المغرب العربي (٦) (٢٠٠ ص ـ ٢ $) ... د. نازلي معوض احمد
- الوحدة النقدية العربية (٧) (١٦٨ ص ـ ١,٥٠ $) ... د. عبد المنعم السيد علي
- أوروبا والوطن العربي/سلسلة الثقافة القومية (٨) (٣٦٨ ص ـ ٢,٥٠ $) ... تأليف د. نادية محمود محمد مصطفى

- موقف فرنسا والمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية ١٩١٩ ـ ١٩٤٥ (١) (٥٤٠ ص ـ ١١ $) ... د. علي محافظة
- تطور الوعي القومي في المغرب العربي (سلسلة كتب المستقبل العربي (٨)) (٣٦٠ ص ـ ٧ $) ... مجموعة من الباحثين

- الوحدة الاقتصادية العربية: تجاربها وتوقعاتها (جزءان)،
  (١٢٩٦ ص ـ تجليد عادي ٢٦ $/ تجليد فني ٣٠ $) ... د. محمد لبيب شقير
- تطور الفكر القومي العربي (٤٠٨ ص ـ ٨ $) ... ندوة فكرية
- نحو علم اجتماع عربي: علم الاجتماع والمشكلات العربية الراهنة،
  (سلسلة كتب المستقبل العربي (٧)) (٤٠٨ ص ـ ٨ $) ... مجموعة من الباحثين
- تهيئة الانسان العربي للعطاء العلمي (٥٤٨ ص ـ ١١ $) ... ندوة فكرية
- التصحر في الوطن العربي (١٧٦ ص ـ ٣,٥٠ $) ... د. محمد رضوان الخولي
- كيف يصنع القرار في الوطن العربي (٢٦٠ ص ـ ٥ $) ... د. ابراهيم سعد الدين وآخرون
- صناعة الانشاءات العربية (٣٩٢ ص ـ ٨ $) ... د. انطوان زحلان
- التراث وتحديات العصر في الوطن العربي: الاصالة والمعاصرة (٨٧٢ ص ـ ١٧,٥٠ $) ... ندوة فكرية
- السياسات التكنولوجية في الاقطار العربية (٥٢٨ ص ـ ١٠,٥٠ $) ... ندوة فكرية
- الفلسفة في الوطن العربي المعاصر (٣٣٦ ص ـ ٦,٥٠ $) ... ندوة فكرية
- نحو استراتيجية بديلة للتنمية الشاملة... طبعة ثانية (١٩٦ ص ـ ٤ $) ... د. علي خليفة الكواري
- الاعلام العربي المشترك: دراسة في الاعلام الدولي العربي... طبعة ثانية (١٦٤ ص ـ ٣,٥٠ $) ... د. راسم محمد الجمال
- صورة العرب في صحافة المانيا الاتحادية... طبعة ثانية (سلسلة اطروحات الدكتوراه (٨))،
  (٢٢٠ ص ـ ٤,٥٠ $) ... د. سامي مسلّم
- ازمة الديمقراطية في الوطن العربي (٩٢٨ ص ـ ١٨,٥٠ $) ... ندوة فكرية
- التنمية العربية: الواقع الراهن والمستقبل.. طبعة ثانية،
  (سلسلة كتب المستقبل العربي (٦)) (٣٦٠ ص ـ ٧ $) ... مجموعة من الباحثين
- التكوين التاريخي للأمة العربية: دراسة في الهوية والوعي.. طبعة ثالثة (٢٣٦ ص ـ ٦,٥٠ $) ... د. عبد العزيز الدوري
- دراسات في القومية العربية والوحدة (سلسلة كتب المستقبل العربي (٥)) (٣٨٤ ص ـ ٧,٥٠ $) ... مجموعة من الباحثين
- الثروة المعدنية العربية: امكانات التنمية في اطار وحدوي.. طبعة ثانية (١٥٢ ص ـ ٣ $) ... د. محمد رضا محرم
- البحر الاحمر والصراع العربي ـ الاسرائيلي: التنافس بين استراتيجيتين،
  طبعة ثانية (سلسلة اطروحات الدكتوراه (٧)) (٣٦٠ ص ـ ٧ $) ... د. عبد الله عبد المحسن السلطان
- التعاون الانمائي بين اقطار مجلس التعاون العربي الخليجي:
  المنهاج المقترح والأسس المضمونية والعملية (سلسلة اطروحات الدكتوراه (٦)) (٤٩٢ ص ـ ١٠ $) ... د. فؤاد حمدي بسيسو
- المجتمع العربي المعاصر: بحث استطلاعي اجتماعي... طبعة ثانية (٥١٦ ص ـ ١٠,٥٠ $) ... د. حليم بركات
- مصر والصراع العربي ـ الاسرائيلي: من الصراع المحتوم... الى التسوية المستحيلة...
  طبعة ثانية (٢٥٦ ص ـ ٥ $) ... د. حسن نافعة
- اللغة العربية والوعي القومي... طبعة ثانية (٤٨٤ ص ـ ٩,٥٠ $) ... ندوة فكرية
- الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية (الاستقلالية) في العراق...
  طبعة ثالثة (سلسلة اطروحات الدكتوراه (٥)) (٤٨٦ ص ـ ٩,٥٠ $) ... د. وميض جمال عمر نظمي
- السياسة الامريكية تجاه الصراع العربي ـ الاسرائيلي ١٩٦٧ ـ ١٩٧٣
  (سلسلة اطروحات الدكتوراه (٤)).. طبعة ثانية (٢٤٤ ص ـ ٧ $) ... د. هالة أبو بكر سعودي
- الهجرة الى النفط... طبعة ثالثة (٢٤٠ ص ـ ٥ $) ... د. نادر فرجاني
- العرب وافريقيا... طبعة ثانية (٨٢٤ ص ـ ١٦,٥٠ $) ... ندوة فكرية
- الطاقة النووية العربية: عامل بقاء جديد... طبعة ثانية (١٥٦ ص ـ ٣ $) ... د. عدنان مصطفى
- الديمقراطية وحقوق الانسان في الوطن العربي... طبعة ثالثة
  (سلسلة كتب المستقبل العربي (٤)) (٢٥٢ ص ـ ٧,٥٠ $) ... محموعة من الباحثين
- الحياة الفكرية في المشرق العربي ١٨٩٠ ـ ١٩٣٩ (٢٣٦ ص ـ ٤,٥٠ $) ... اعداد مروان بحيري
- التحليل السياسي الناصري: دراسة في العقائد والسياسة الخارجية... طبعة ثانية
  (سلسلة اطروحات الدكتوراه (٣)) (٣٩٦ ص ـ ٨ $) ... د. محمد السيد سليم
- العمالة الأجنبية في اقطار الخليج العربي (٧١٢ ص ـ ١٤ $) ... ندوة فكرية
- انتقال العمالة العربية: المشاكل ـ الآثار ـ السياسات (٢١٢ ص ـ ٦ $) ... د. ابراهيم سعد الدين
  ود. محمود عبد الفضيل
- جامعة الدول العربية: الواقع والطموح (١٠٠٤ ص ـ ٢٠ $) ... ندوة فكرية
- الصراع العربي ـ الاسرائيلي: بين الرادع التقليدي والرادع النووي (٢٤٨ ص ـ ٥ $) ... امين حامد هويدي
- ببليوغرافيا الوحدة العربية ١٩٠٨ ـ ١٩٨٠ ـ المجلد الأول: المؤلفون ـ القسم الأول: بالعربية
  (١٠٦٠ ص ـ ٢١ $) ... مركز دراسات الوحدة العربية
- ببليوغرافيا الوحدة العربية ١٩٠٨ ـ ١٩٨٠ ـ المجلد الأول: المؤلفون ـ
  القسم الثاني: بالانكليزية والافرنسية (١٠٩٦ ص ـ ٢٢ $) ... مركز دراسات الوحدة العربية
- ببليوغرافيا الوحدة العربية ١٩٠٨ ـ ١٩٨٠ ـ المجلد الثاني: العناوين



مركز دراسات الوحدة العربية

وكلاء توزيع مطبوعات المركز في الاقطار العربية والدول الاجنبية

الاردن

المجلة والكتب

وكالة التوزيع الاردنية
ص.ب ٣٧٥
عمان ـ الاردن/ت ـ ٦٣٠١٩٢/١

الامارات العربية المتحدة

دبي
المجلة
مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع
ص.ب ٣٤٤٦ دبي ـ دولة الامارات العربية المتحدة
ت ـ ٢٨٢٦٦٦ ـ ٢٢٤١١١

الشارقة
المجلة والكتب
مكتبة دار الآداب
منطقة الفوير ـ شارع العروبة
ص.ب ٦٥٩ الشارقة ـ دولة الامارات العربية المتحدة
ت ـ ٢٢٩٥١ ـ ٣٥٩٢٠١

العين
المجلة والكتب
مكتبة الامارات للخدمات الثقافية والفنية
ص.ب ١٥٦٨٨
العين ـ دولة الامارات العربية المتحدة
ت ـ ٦٤١٦٤٥

البحرين

المجلة والكتب
الشركة العربية للوكالات والتوزيع
شارع الخليفة ص.ب ١٥٦
المنامة ـ البحرين ت ـ ٢٥٥٧٠٦

الكتب
مكتبة دلمون
شارع القصر القديم ـ القضيبية
ص.ب ٢٠٤٤٠ المنامة ـ البحرين
ت ـ ٧١٢٢٩٠

تونس

المجلة
الشركة التونسية للصحافة
3 نهج المغرب
1035 تونس RP
ت ـ 242499

الجزائر

المجلة
المؤسسة الوطنية لتوزيع الصحافة (E.N.A.M.E.R)
الجزائر العاصمة

BP 160 - EL-HARRACH
ALGER - ALGERIE
Tel: 75.42.13/75.41.54

وهران

3 RUE DE LA PAIX - ORAN
ALGERIE Tel: 29.82.03/39.81.95

قسنطينة

ZONE INDUSTRIELLE «LE PALMA»
CONSTANTINE - ALGERIE
Tel: 69.28.67/69.15.59

الكتب
المؤسسة الوطنية للكتاب
11 مكرر شارع العربي بن مهيدي
الجزائر العاصمة ـ الجزائر

Tel: 64.96.12

سلطنة عمان

الكتب
مكتبة العلوم
ص.ب ٣٤٧٤ روي
مسقط ـ سلطنة عمان
ت ـ ٦٢٠٠١٠ السيب
٧٠٣٢١٤ روي

السودان

المجلة

دار التوزيع
ص. ب ٣٥٨
الخرطوم ـ السودان
ت ـ ٧٩٤٦٠/٧٥٥٧٥/٨٠٥٨٨

الكتب

شركة الفارابي للنشر والأدوات المكتبية المحدودة
ص.ب ٢١٥٩
الخرطوم ـ السودان
ت ـ ٨٠٥٣٨

سوريا

المجلة والكتب

المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
برامكة ـ تجاه ثانوية التجارة
ص.ب ١٢٠٣٥
دمشق ـ الجمهورية العربية السورية
ت ـ ٢٢٣٧٧٢/٢٢٨٨٣١

العراق

المجلة والكتب

الدار الوطنية للتوزيع والاعلان
شارع الجمهورية ـ ص.ب ٦٢٤
بغداد ـ الجمهورية العراقية
ت ـ ٨٨٨٩٥٧١

قطر

المجلة

دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر
ص.ب ٦٣٣ الدوحة ـ قطر
ت ـ ٣٢١٦١٢

الكتب

دار المتنبي للنشر والتوزيع
ص.ب ٢٧٠٦ الدوحة ـ قطر
ت ـ ٤١٢١٤٠ / ٤١٢١٤١

مكتبة الفتى
ص.ب ١٠٤٩
الدوحة ـ قطر
ت ـ ٨٦٢٨١٧

الكويت

المجلة

الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات
شارع فهد السالم ـ قرب الميريديان
ص.ب ٦٥٨٨/حولي
32040 الكويت
ت ـ ٤٢١٤٦٨/٤١٢٨٢٠

الكتب

شركة كاظمة ـ المكتبة
عبد العزيز السيد
ص.ب ٢٧٨٦
حولي 32028 ـ الكويت
ت ـ ٢٦٤٣٣٢٩

لبنان

المجلة

الشركة العربية للتوزيع
بناية رزق وحلو
الطابق الثالث ـ القنطاري
ص.ب ٤٢٢٨ بيروت ـ لبنان
ت ـ ٣٧٠٦٢٣/٢٤٧٩٠٠/٢٩٢٨٧٨

الكتب

بيروت: المكتبات الرئيسية
طرابلس والشمال
جروس برس
شارع عزالدين/طرابلس ـ لبنان
ت ـ ٦٢٧٧٢٤/٦٢٢٦٢٦

ليبيا

المجلة والكتب

الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان
فرع طرابلس شارع سوف المحمودي
ص.ب ٩٥٩ طرابلس ـ الجماهيرية العربية الليبية
ت ـ ٤٥١٤٣ ـ ٤٥٧٧٤ ـ ٤٤٢١٦ ـ ٤٤١١٥
فرع بنغازي ص.ب ٣٢١
بنغازي ـ الجماهيرية العربية الليبية
ت ـ ٩٧٦٠٤ ـ ٩٥٩٦٤

مصر

المجلة والكتب

مؤسسة الاهرام
قسم التوزيع ـ ١٤ شارع الجلاء
القاهرة ـ جمهورية مصر العربية
ت ـ ٧٥٥٥٠٠/٧٤٥٠٦٦

المجلة والكتب

مركز دراسات الوحدة العربية
١١ شارع رشدان ـ الدور الأول ـ شقة ٤
الدقي ـ الجيزة
القاهرة ـ جمهورية مصر العربية
ت ـ ٣٤٨٤٢٥٩ / ٣٥٩٤٦٠٠

المغرب

الكتب

المركز الثقافي العربي
الشارع الملكي (الاحباس)
ص.ب 4004
الدار البيضاء ـ المغرب
ت ـ BUREAU (307651) DOM (360071)

المجلة

الشركة العربية الافريقية للتوزيع والنشر والصحافة
70 زنقة سجلماسة ص.ب 8
الدار البيضاء ـ المغرب
ت ـ 249214/00

المملكة العربية السعودية

المجلة

جدة
تهامة للتوزيع
شارع الامير فهد. خلف اسواق النويصر
ص. ب ٩٤٠٩ جدة ـ المملكة العربية السعودية
ت ـ ٥٠٠٠ ـ ٦٦٩ (٠٢)

الدمام
تهامة للتوزيع
مدينة العمال. امام المعهد الصحي
ص.ب ٥٧٢٦ الدمام ـ المملكة العربية السعودية
ت ـ ٢٠٠٠ ـ ٠٨٢٦ (٠٣)
٤٢٢٢ ـ ٠٨٢٧ (٠٣)

الرياض
تهامة للتوزيع
شارع المطار. خلف البعثة الاميركية
ص. ب. ٦٩٣٢ الرياض ـ المملكة العربية السعودية
ت ـ ٠٣٩٤ ـ ٤٧٨ (٠١)
٨٢٠٧ ـ ٤٧٦ (٠١)

الكتب

مكتبة جرير التجارية
ص.ب ٣١٩٦ الرياض ١١٤٧١
المملكة العربية السعودية
ت ـ ٤٧٧٣١٤٠

موريتانيا

المجلة والكتب

شركة الكتب الاسلامية في موريتانيا
ص.ب 1266 نواكشوط ـ موريتانيا
ت ـ 53461

اليمن الديمقراطية

المجلة والكتب

مؤسسة ١٤ اكتوبر للاستيراد وتوزيع المطبوعات والاعلان
ص.ب ٤٢٢٧ كريتر ـ عدن
جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية
ت ـ ٢٢٢٣٢/٢٤٧٣٤

اليمن العربية

المجلة

دار القلم للنشر والتوزيع والاعلان
شارع علي عبد المغنى ـ ص.ب ١١٠٧
صنعاء ـ الجمهورية العربية اليمنية
ت ـ ٧٧٨١٢ ـ ٢٧٢٥٦٢/٢

انكلترا

المجلة والكتب

AL SAOI BOOKS
26 WESTBOURNE GROVE
LONDON W2 5 RH
ENGLAND. Tel: (01)2298543

المجلة

EMAN'S NEWS
14 ROBIN HILL DRIVE
CHISLEHURST
KENT BR 7 5ER
ENGLAND Tel: 467-9560

سويسرا

المجلة والكتب

LIBRAIRIE ARABE L'OLIVIER
5 - RUE DE FRIBOURG. CH - 1201
GENEVE - SUISSE
Tel: (022) 318440

فرنسا

المجلة والكتب

ALPHABETA LIBRAIRIE
82, RUE CLAUDE BERNARD
75005 PARIS
FRANCE
Tel: 45 35 41 10 - 60 17 58 17

الولايات المتحدة الأمريكية

المجلة والكتب

WORLD INFORMATION &
DEVELOPMENT CORP.
1700 N. MOORE ST.
SUITE 720 ARLINGTON. VA
22209 U.S.A.
Tel: (703) 528-6238

(*) لغير الدول الواردة أعلاه، تطلب المطبوعات من مركز دراسات الوحدة العربية مباشرة.